

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الدعوة وأصول الدين فام لطايب
قسم العقيدة يصحح للاختصاص

عضو لجنة

محمد بن عبد الله

محمد بن عبد الله

عضو اللجنة
محمد بن عبد الله

أثر الإيمان

في

تحسين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة

رسالة علمية مقدمة لنيل الشهادة العالمية «الماجستير»

إعداد الطالب

عبد الله بن عبد الرحمن بن منصور الجربوع

إشراف

الدكتور / أحمد بن عطيه الفاهدي

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

العام الجامعي ١٤١٢ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ " (١)
" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ " (٢)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ " (٣)

أما بعد :

فقد بسر الله لي الالتحاق بالدراسات العليا بقسم العقيدة بالجامعة
الاسلامية وعينت معيدا في كلية الدعوة عام ١٤٠٧ هـ . وكان على ان اكتب بحثا -
للحصول على الدرجة العالمية العالية " الماجستير " .

وقد رغبت الى الله أن يحفظ وقتي وجهدي في المدة المقررة لاعداد هذا
البحث في عمل أرجوه عنده ، ومعالج جانبنا يحتاج اليه المسلمون في هذا الوقت .

وتوفيق الله اخترت موضوعا هاما بعنوان : " أثر الايمان في تحصين الاممة
الاسلامية ضد الفكر الهدام " ليكون موضوع البحث .

سبب اختيار الموضوع :

لقد بدأ اهتمامي في هذا الموضوع عندما درست أساليب الغزو الفكري
ووسائل مقاومتها في السنة الرابعة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة
الاسلامية . وأشار مدرس المادة الى أهمية العقيدة في مجابهة الغزو الفكري

(١) سورة " آل عمران " ١٠٢ .

(٢) سورة " النساء " ١ .

(٣) سورة " الاحزاب " ٧٠ .

كما أن الذين كتبوا في ذلك اشاروا اليه اشارات مختصرة .
فتكونت عندي رغبة في تجلية الدور الهام للعقيدة السلية في التصدى للفكر
الهدام .

كما أن من اسباب اختياري له تلك الاهمية البالغة والتي تتبين فيما يلي :-

- ١ - شدة الهجوم الفكرى على الامة الاسلامية فى القديم والحديث ونجاحه فى
اختراق صفوفها ، وتفريق المسلمين وحرف كثير منهم عن الاسلام .
- ٢ - ازدياد الصيحات التى تحذر من الاساليب الحديثه للغزو الفكرى وتبيين
انها اعظم تحد يواجه الاسلام اليوم وتدعو للتصدى له .
- ٣ - أن أساليب مكافحة الغزو الفكرى كثيرة ، يأتي على رأسها تحقيق الايمان
الصحيح بتعليمه للناس وتربية الاجيال عليه ، وتطبيق تعاليمه وشرائعه
فى كل المجالات . لذلك فان هذا البحث يجلى بعض الآثار المباركة للايمان
فى مجال التحصين ضد الفكر الهدام .
- ٤ - أن أهل الاسلام قد ذهبوا مذاهب شتى فى تصوراتهم لعائنه فى فعله
فى مقابله هذه المخططات الماكرة ، فمنهم من رأى ان مقارعة الاعداء لا تكون
الاسلحاهم ، فركز على النواحي المادية والوسائل العصرية والسيطرة على
السلطة وامتلاك مراكز القوى والنفوذ والاعلام . . ونحوها . وقد يوجد
تفسير فى الدعوة والعمل على تحقيق الايمان الصحيح . بل حدث ان وجدت
الدعوة الى توحيد الجهود دون اعتبار للاختلافات الجوهرية فى العقيدة -
ووجد من يضع ثقته بكل من زعم نصره الاسلام ولو كان على واقع بعيد
جدا عن الايمان الذى دعا اليه النبى - صلى الله عليه وسلم - وجاء بيانه
فى نصوص الوحى .

وطائفه اخرى ظننت ان معنى أن الحياة جنة الكافر أنه لانصيب للمؤمن فيها من العزة والتمكين ، وامتلاك مصادر القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية فانصرفت الى العناية بانفسها ، وتكميل ايمانها بالذكر والاعمال الصالحة وابتعدت من برامجها ودعوتها النظر في السياسة والجهاد والعلم والمجادلة عن دين الله بالحق .

ومن المسلمين من أسلمه هول مايرى عند الكفار من القوة المادية وأسباب التأثير والمكر ووسائل الاغواء ، ومايرى من حال المسلمين وماآل اليه من الضعف والانحراف واستحكام الجهل ، الى اليأس والقنوط . ومن ذلك اتجاهات وتصورات كثيرة لا يخلو واحد منها من جهل أو خطأ أو قصور .

ولست ادعي خلوا الساحة من العلماء والدعاة المتبصرين العاملين القائمين بالحق الداعمين اليه المدافعين عنه ، المشفقين على الامة ، الذين يجتهدون في نصح العباد ودعوتهم الى طريق ولاية الله بتصحيح المعتقد ونهذ البدع والاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ونهذ الفرقية والاختلاف . الا أن صوت هؤلاء مع ظهوره ووضوحه ، خفت وضعف في خصم الاتجاهات والتصورات والجماعات الكبيرة والمناهج المختلفة .

فهذا البحث - ان شاء الله - يسلط الضوء على أهم اسباب القوة والحصانة الفكرية ، ونقطه البدء ، ومحور العمل ، الا وهو تحقيق الايمان بظهوره الصحيح ، ويعرف بأشاره في هذا المجال .

فهو دعوة للعمل على استجلاب ولاية الله ليكون سعى المؤمن بعد ذلك مؤثراً منصوراً سداً ما ركافيه .

وهو باعث للأمل - باذن الله - للقلوب اليائسه . فالايان سبب قوى مؤثر في تخليص وتحصين القلوب والمجتمعات من الشرور الجاهلية الفكرية وغيرها . وتعلمه والعمل به والدعوة اليه أمر ممكن ميسور - باذن الله - اذا تضافرت الجهود وخلصت النيات .

وإذا عرف المؤمن ميدان عمله ونقطة انطلاقه زاح عن كاهله هم كبير
وخرج من دواة الحيرة الى العمل وانبعث في نفسه الامل .
ولست أقصد انه يكتفى بتعلم الايمان وأداء العبادات ، وترك الاسباب
المشروعة - معاذ الله - ، وإنما قصدت أن المؤمنين اذا حققوا الايمان علما
وعملا رضى الله عنهم وتولاهم ، ووفقهم الى الاسباب وسهلها لهم ، وبارك
فيها وكلل نقصهم ، وسدد سعيهم . فيدخلون ميدان العمل ومجابهة الباطل
مؤيدين بالله . واذ اتخلف الايمان الصحيح فانهم يولكون الى أنفسهم .

تحرير المراد بالعنوان :

الأثر : المراد اسم الجنس .

وله اكثر من معنى . منها انه يطلق على النتيجة . أو الامر الحاصل
من الشيء . والآثار : هي اللوازم المعللة بالشيء^(١) . أو جملة الامور التي
تنتج عن الشيء السبب لها .

وهذا المعنى هوالمعتبر في العنوان .

فالمراد " بأثر الايمان " : أى الامور التي تنتج عن تحقيق الايمان ، ويكون
سببا في حصولها . والتي لهادور في تحصين الفرد والجماعات ضد
الفكر الهدام خصوصا .

الايمان : المراد به الايمان الشرعى الذى جرى بيانه في كتاب الله وسنة
رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكان عليه السلف الصالح - وسياتسى
بيان طبيعته في التمهيد .

الافكار : جمع فكر. ومؤثته فكرة ويطلق ويراد به معنيان^(٢) .

الاول : الفعل الذى تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات .

وهذه هي عملية التفكير والنظر .

(١) التعريفات ، على بن محمد الجرجاني ، ص ٩ ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ط -
الاولى ١٤٠٣ .
(٢) المعجم الفلسفى ، جميل صليبا ، ص ١٥٦ / ٢ ، دارالكتاب اللبناني ، بيروت
ط الاولى ١٩٧٩ .

الثانى : يطلق على المعقولات نفسها .

والمراد المعنى الثانى : أى المعقولات والمعانى التى تنتج عن تفكر البشر وتأخذ شكل عقيدة أو مبدأ يؤمن بها فتتكون منه العقائد والتصورات البشرية المصدر ، وتكون باعثة ومؤثرة على السلوك .

فبدخل فى ذلك عقائد وفاهيم الاديان البشرية المصدر ، والسماوية الاصل لكن دخلها التحريف بفعل الفكر البشرى ، وتصورات الفلاسفة وأوهام واساطير الوثنيين التى تأخذ شكل عقائد وقناعات وتصورات معتبرة . ولا يدخل فيه عقائد وشرائع الدين المحفوظ لانها ليست نتائج فكر بشرى بل هى وحى الهى .

والوصف بالهدامة : يدل على أن المقصود هى تلك الافكار التى تتسلط على العقائد الايمانية بالهدم والتشكيك ، وعلى التعاليم الاسلامية والاخلاق بالتعطيل والحرف ، كما يخرج بهذا الوصف الافكار غير الهدامة فهى غير مراده .

الصعوبات :

لم أواجه - بفضل الله - صعوبة فى جمع المادة العلمية ذلك أن الموضوع يتعلق بجانب من جوانب الايمان . وكل ما يتعلق بالايمان فقد ورد بيانه فى نصوص الوحى ، وأشار اليها العلماء فى كتب التفسير والحديث والعقائد والفقه ونحوها . كما أن المواضيع المكلمة للبحث قد اعتنى بها العلماء والفكرون قديما وحديثا . الا أن البحث لم يخل من صعوبات . كان أهمها الكيفية التى ينبغى أن يُنظَّم عليها ، وتقسيه وتوزيع المسائل على ابوابه وفصوله ومباحثه ومطالبه . واختيار العناوين المناسبة لكل منها .

ذلك أنه - حسب علمي - لم يفرد هذا الموضوع ببحث مستقل من قبل .

وانما ترد اشارات اليه فى بطن كتب التفسير والحديث والعقائد ونحوها كما تذكر بعض جوانبه فى الكتب التى تكلمت عن آثار الايمان عامة .

ومن الصعوبات صعوبه نفسية وهي احساس بعمق وثقل هذا البحث ، وأنى لن أوفيه حقه . ولعلى بما تيسراكون قد جئت ولها أدنى مراتب الكفاية .

لمحات فى المنهج

لقد استقر الامر - بحمد الله - على أن يجرى الكلام فى ابواب البحث على ما يتعلق بالآثار الايمانية المحصنة للفرد والجماعه ضد الفكر الهدام . اما القضايا التى يتطلبها البحث وليست من صلبه فقد تطرقت اليها فى التمهييد .

وقسمت البحث على أساس تنوع الآثار الايمانية من حيث تعلقها بالعبد ومواطن

تجلى تلك الآثار . وهى على وجه الاجمال ثلاثة انواع :

الاول : مظاهر ولاية الله المتوجهة للمؤمنين فيحصنون بهامن الفكر الهدام .

الثانى : الآثار القلبية التى يحدثها الله لعبيده المؤمن فى قلبه فيحصنه بهامن ضلالات الجاهليه .

الثالث : الآثار الاجتماعية . وهى آثار اقامة الشعائر الايمانية الاجتماعية

فيتحصن بها المجتمع ضد الشرور عامه والفكرية خاصه .

وأورد قدرا لامكان الادلة التى تشير الى كل أثر ، والشعائر الايمانية الجالبة

له ، مع ذكر الفكر الهدام أو اساليبه التى يتصدى لها كل أثر . مع بيان أن فقد

هذا الأثر - نتيجة لتعطيل الشعيرة الايمانية - يعثل ثغرة تسرى

منها الافكار الهدامة .

وفى مجال التوثيق أشير فى الهاش الى مواضع الآيات فى المصحف بذكر

اسم السورة ورقم الاية . وقد حرصت أن أصور الآيات من المصحف رغبة فى التزام

خط المصحف وسلامة الآيات من الخطأ ، الاأنى وجدت فى الاستمرار على ذلك

بعض الصعوبات فاستقر الامر على تصوير الآية من المصحف او كتابتها بخط عريض .

وقد خرجت الاحاديث من كتب السنه . فان كان في الصحيحين او احدهما فاني اکتفى بالاشارة الى موضعه ذا کرا اسم الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة وان كان في غيرهما ذكرت بعض كتب السنه التي اخرجته ثم اتبع ذلك ببعض اقوال أهل العلم التي تبين درجة الحديث وصلاحيته للاحتجاج به .

وأشير في الهامش الى الكتب المقتبس منها نص او معنى .

وقد ترجعت للرجال الذين ورد ذكرهم في المتن باختصار ، ماعد المعاصرين .

هذا وقد جرى البحث حسب الخطة الآتية :

المقدمة : وتكلمت فيها عن سبب اختيار الموضوع ، واهميته ، وبيئت المراد بالعنوان ،

وأهم الصعوبات ، ولمحات في المنهج ، وخطه البحث .

- التمهيد . وفيه مبحثان .

المبحث الاول : طبيعة الايمان المؤثر . وفيه مطلبان :

المطلب الاول : تعريف الايمان .

المطلب الثاني : الاسس التي يقوم عليها الايمان .

المبحث الثاني : الفكر الجاهلي في مجابهة الايمان . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الاول : الصراع بين الحق والباطل من سنن الله الجارية السی

يوم القيامة .

المطلب الثاني : الصراع بين الحق والباطل في عصور الاسلام المتقدمة .

المطلب الثالث : الغزو الفكري للاة الاسلامة في العصر الحديث .

- الباب الاول : الايمان سبب لتحصيل ولايه الله (الاثر الغارجي) .

وفيهِ فصلان :

الفصل الاول : صفات المستحقين للولاية . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : مراتب الايمان . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الاول : بيان أصل الايمان .

المطلب الثاني : مرتبة الظالم لنفسه .

المطلب الثالث : مرتبة المقتصد .

المطلب الرابع : مرتبة السابق بالخيرات .

المبحث الثاني : أهل ولاية الله .

المبحث الثالث : العناية بأهم سبب لحصول الولاية .

الفصل الثاني : أثر ولاية الله في تخلص المؤمنين وتحصينهم من الافكار الهدامة .

وفيه مبحثان :

المبحث الاول : مظاهر ولاية الله لعبده المؤمن . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الاول : اخراجه من الظلمات الى النور .

المطلب الثاني : تثبيت المؤمن عند الشدائد .

المطلب الثالث : الحيلولة بينه وبين ما قد يقوم بقلبه من الارادات السيئة .

المطلب الرابع : مظاهر الولاية الكاملة للكامل من عباد الله .

المبحث الثاني : مظاهر ولاية الله للجماعة المؤمنة .

الباب الثاني : أثر الايمان في تحصين القلب ضد الافكار الهدامة . " الاثر القلبي "

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الاول : وظائف القلب وأحواله . وفيه أربعة مباحث :

المبحث الاول : الوظائف القائمة بالقلب . وفيه خمسة مطالب :

المطلب الاول : وظيفة التعقل .

المطلب الثاني : الاعتقادات .

المطلب الثالث : النيات والارادات .

المطلب الرابع : العواطف .

المطلب الخامس : الانفعالات .

المبحث الثاني : العلاقة بين الوظائف الدينية .

المبحث الثالث : أحوال القلوب .

المبحث الرابع : أثر الايمان في القلوب دائريين التطهير والتزكية .

الفصل الثاني : أثر الايمان في تطهير القلوب . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : أثر الايمان في تطهير القلب من العقائد الباطلة والظنون السيئة .

المبحث الثاني : أثر الايمان في تطهير القلب من الران ودرن المعاصي .

المبحث الثالث : أثر الايمان في تطهير القلب من العواصف الفاسدة .

وفي ثلاثة مطالب :

المطلب الاول : أثر الايمان في تخليص القلب من محبة غير الله .

المطلب الثاني : أثر الايمان في تخليص القلب من حب الشهوات المحرمة .

المطلب الثالث : أثر الايمان في تخليص القلب من الحقد والحسد .

الفصل الثالث : أثر الايمان في تزكية القلوب . وفيه مبحثان .

المبحث الاول : أثر التزكية في طمأنينة القلب .

المبحث الثاني : أثر التزكية في حصول النور والفرقان .

الباب الثالث : أثر الايمان في تحصين المجتمع المسلم ضد الافكار الهدامة . "الاثرا لاجتماعي"

وفي ثلاثة فصول :

الفصل الاول : أثر الرابطة الايمانية والاخلاق والنظم الاسلامية في صيانة المجتمع

المسلم من الانحراف الفكري . وفيه مبحثان :

المبحث الاول : أثر المحافظة على الرابطة الايمانية في الحصانة الفكرية .

وفي أربعة مطالب :

المطلب الاول : التزام الاخلاق الفاضلة .

المطلب الثاني : قيام المؤمنين بالحقوق المفروضة لبعضهم على بعض .

المطلب الثالث : الالتزام بالنظام الاجتماعى والاقتصادى الاسلامى .
المطلب الرابع : المحافظة على الوحدة الفكرية .

المبحث الثانى : العمل على سلامة مقومات المجتمع المسلم . وفيه مطلبان :
المطلب الاول : أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكونه واجباً اجتماعياً .
المطلب الثانى : أثر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى تحصين
المجتمع المسلم من الافكار الهدامة .

الفصل الثانى : دور ولاية الامر فى حماية المجتمع من الافكار الهدامة .

فيه محشان :

المبحث الاول : ضوابط الامامة فى المجتمع المسلم .

المبحث الثانى : وظائف الامامة ومقاصد الحكم .

الفصل الثالث : أثر وضع الدولة المتمكن فى الارض فى تحصين المجتمع ضد
الافكار الهدامة .

وتكلمت فيه عن : أثر الجهاد فى عزة الامة وتمكينها فى

الارض وحصينها للمجتمع المسلم ضد الافكار
الخبثية .

الخاتمة : ولخصت فيها أهم النتائج التى توصلت اليها فى هذا
البحث .

الفهارس والمراجع : وتشتمل على ما يلى : فهرس الآيات ، وفهرس الاحاديث
وفهرس تراجم الاعلام ، وقائمة المصادر والمراجع ، وفهرس
المحتويات .

ففيه . . . واعتذار :

نظرا لطبيعة البحث الذى يتطرق الى جانب النواحي العقدية - الى الآثار
التي يحدثها الايمان على النفس البشرية والمجتمع ، وتطرقه للنواحي الفكرية وغيرها
من المواضيع التى تبحث فيها فى مجالات الدعوة ، فقد دعت الحاجة الى الاستفادة
من بعض العلماء والدعاة والفكرين والكتاب القدامى منهم والمعاصرين ، الذين
خالفوا ببعض آرائهم او ناهجهم او حتى عقائدهم ما ذهب اليه السلف
الصالح ؛ بل قد يتعداهم الامر الى النقل عن غير المسلمين والمشتغلين بعلم النفس
والاجتماع والطب مما يوجد فيه خليط من الحق والباطل . والقاعدة فى ذلك :

" الحكمة ضالة المؤمن " وقد حرصت ان لا أنقل عنهم الا ما كان صوابا ليس فيه شىء من مخالفاتهم او اطلهم ، فيما أرى أنه يهود الحق او يجلى بعض الجوانب التى تطرق اليها البحث .

وقد اشار شيخ الاسلام الى هذا المنهج فى النقل بقوله :

" وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله فى هذا وغيره ، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به . . . " (1)

وقد بذلك جهدى وطاقتى الضعيفة القاصرة ، ولم آالجهدا ، وأرجو أن أكون قد وفقت لكثير من الصواب . ألا وان الله متفرد سبحانه بالكمال ، وحكم على البشر بالمعجز والقصور وذلك سار على كل انسان ، فلا يسلم أحد من الخطأ الا من عصمه الرحمن .

وحسبى - أن شاء الله - أنى أجتهدت فى تحرى الحق ولم أتعمد الخطأ . فما كان فيه من صواب فمن الله وله الحمد ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسى والشيطان واستغفر الله .

شكر وتقدير

هذا وأحمد الله وأشكره على عظيم منته وكرهه فضله ، حيث وفقنى لسلك طريق العلم ، ويسر لى الالتحاق بالجامعة الاسلامية والتزود من علومها ، واعانى على كتابة هذا البحث الذى أرجو أن يكون على الوجه الذى يرضيه ، وان يكون خالصا صوابا نافعاً . وله الحمد على نعمه التى لا تحصى .

ثم أتوجه بالشكر لكل من كان له فضل على فى اتمام هذا البحث ، وعلى راسهم شيخى المشرف على البحث الدكتور: أحمد بن عطية الغامدى ، الذى زودنى بنصائحه وتوجيهاته القيمة والتى أسهمت فى انجاز هذا البحث وتغطي ما يمرض فيه من اشكال . وكانت أوقات التقائى به فرصة للاستفادة من علمه وتجاربه . فله منى جزيل الشكر والتقدير ، وأسأل الله العلى القدير أن يجزل له الخوة ، وأن يرفع منزلته فى الدنيا والآخرة .

(1) الفتوى الحموية الكبرى ، لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية ص ٦٠ ، القاهرة ، ط الثالثة ،

ثم اثنى بالشكر للجامعة الاسلامية - ممثلة بكلية الدعوة وأصول الدين وقسم العقيدة ، وقسم الدراسات العليا سابقا - التي هيأت لي الفرصة للنهل من علومها وعلى مايسرته من المكتبات التي سهلت مهمة البحث . وما وجدت من المسئولين من التفاهم والتعاون .

كما أشكر كل من ساعدني في اتمام هذا البحث من الاساتذة والزلاء بالهدايا رأى او نصيحة او اعادة كتاب او ارشاد الى مرجع أو غير ذلك .
والحمد لله أولا وآخرا . والصلاة والسلام على الرسول المصطفى وعلى آله وأصحابه السادة النجباء .

عبد الله بن عبد الرحمن بن منصور الجريوع

المدينة النبوية

١٤١٢/١١/١هـ

المبحث الأول

التمهيد

فيه محشان :

- المبحث الأول : طبيعة الايمان المؤثر.
- المبحث الثاني : الفكر الجاهلي في مجابهة الايمان .

التمهيد

المبحث الاول : طبيعة الايمان المؤمن .

من المهم معرفة طبيعة الايمان الذى نبحث فى آثاره فى مجال تحصين المؤمنين جماعات وافرادا ضد الفكر الجاهلى الهدام .

والسلم مطالب بمعرفة المفهوم الصحيح للايمان والالتزام به .

وهذا لا يعتمد عن المفاهيم الخاطئة للايمان . ك مفاهيم الفلاسفة ، أو الاديان المحرفة او المفاهيم المتدعة المنسوبة للاسلام .

كما يتحصل بالالتزام به على الآثار العاركة التى رتبها الله عليه ، ويكرم بها من جاء به . والتى سيجرى الكلام على كثير منها فى هذا البحث .

والايمان الذى أراده الله من الناس وكلفهم به ورد البيان الواضح لجمع معا له فى آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى - صلى الله عليه وسلم - .

فاله لا يرضى ولا يقبل من الناس الا ما بين لهم وطلب منهم .

فلا يقبل معتقدات أو شعائر أو مناهج اصطالحوا عليها واستحسنوها ثم عكسوا

على ممارستها ونسبها الى الايمان وهو منها براء .

فهو - سبحانه - لا يرضاها ولا يتولى من جاء بها . ولا تشر لصاحبها البركات

والكرامات التى يكرم بها من سار على صراطه المستقيم ولا يتحصن بها من كيد الشياطين .

كما أن حسن النية وصدق التوجه لله لا تغنى شيئا اذا لم يتقيد المسلم

بالايمان الصحيح والسنة المستقيمة .

وسوف يجرى الكلام فى هذا البحث على مطلبين هامين :

الاول : تعريف الايمان بالله كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وبينه السلف الصالح

رضوان الله عليهم - أجمعين - .

الثانى : الاسس التى يقوم عليها الايمان بالله .

وسوف أفرد لكل منهما مطلقا مستقلا .

الطلب الاول : تعريف الايمان الشرعى .

للايمان مفهوم شرعى دلت عليه نصوص كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - هذا المفهوم اجمله السلف - رضوان الله عليهم - فى تعريفهم للايمان بأنه اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وفيما يلى عرض لبعض النصوص التى تدل على ذلك :-

أولا : الادلة على أن الايمان يكون بالقلب .

قال تعالى : " يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ

لَا يَخْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ " (١)

وقال : " مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ " (٢)

وقال : " قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُنَا لَمْ نُوْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا اسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " (٣)

وقال النبى - صلى الله عليه وسلم : " . . . الاوان فى الحسد ضغنة اذا - صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسدت الجسد كله الا وهى القلب " (٤)

وصلاح القلب انما يكون بعمرانه بالعقائد الحقّة . فاذا شرب القلب الحقائق

الايمانية وانبعثت منها اعماله القلبية كان قلبا سليما .

(١) سورة " المائدة " ٤١ .
(٢) سورة " النحل " ١٠٦ .
(٣) سورة " الحجرات " ١٤ .
(٤) رواه البخارى ، كتاب الايمان ، ح (٥٢) . الصحيح مع فتح البارى الطبعة السلفية ح ١ / ١٢٦ .

وفى حديث جبريل - عليه السلام - :

" قال : فاخبرنى عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
(١)
وتؤمن بالقدر خيره وشره "

وهذه الامور الستة يكون الايمان بها بالعلم والتصديق والقبول الذى يكون فى القلب .
فدلت هذه النصوص على أن الايمان يدخل القلب ، ويطمئن به ، وأن ايمان
القلب هو الاصل وأنه شرط فى صحة الايمان ، ولا عبوة بغيره بدونه وان اساس الايمان
هى الاعتقادات التى تقوم بالقلب .

ثانيا : النصوص الدالة على أن الايمان يكون باللسان .

(٢)
قال صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله "
وقال عليه الصلاة والسلام : " يخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه
وزن شعيرة من ايمان ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن هرة
من ايمان ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من ايمان (٣)
ففى هذين الحديثين دلالة واضحة على اشتراط النطق بالشهادتين لصحة
الايمان . وان الايمان الذى يدخل فى الاسلام والذى ينجى من الخلود مكون من
قول اللسان مع عقد القلب .

-
- (١) رواه مسلم . كتاب الايمان ، الباب الاول ، ح (٨) صحيح مسلم ، تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي ، ح ٣٦/١ .
- (٢) رواه مسلم ، كتاب الايمان . باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
ح (٢٠) ح ٥١/١ .
- (٣) رواه البخارى ، كتاب الايمان . باب زيادة الايمان ونقصانه ، ح (٤٤) الصحيح
مع الفتح ح ١٠٣/١ .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث شعب الايمان : " الايمان بضسع
وسبعون أضع وستون شعبة ، فافضلها قول لا اله الا الله ، وأدناها أماطـة
الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان " (١)

فيه دليل على أن التلفظ بلا اله الا الله أفضل شعب الايمان سواء
قالها عقدا أو ذكرا .

(١) رواه مسلم ، كتاب الايمان ، باب بيان عدد شعب الايمان . ح (٣٥) ح ١ / ٦٣ .

ثالثا : النصوص الدالة على أن الايمان يكون بالاعمال الظاهرة :

كل النصوص المتقدمة في المجموعة الثانية داخلة في هذا النوع ، وذلك ان النطق باللسان عمل ظاهر. ويضاف الى ذلك : قوله تعالى " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ " (١)

أى صلاتكم ، فسمى الصلاة ايمانا .

قال البخارى (٢) - رحمه الله - فى الصحيح : وقول الله تعالى : (وما كان

الله ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم عند البيت " ، ثم اورد بسننه الى البراء (٣) . انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم

فانزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) (٤)

ومن أقوى الأدلة واصرحها فى القرآن على أن الاعمال من الايمان قوله

تعالى :

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَمَارِزُوهَا يُنْفِقُونَ ﴿٥﴾ أَوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦﴾ " (٥)

(١) سورة " البقرة " ١٤٣ .

(٢) الامام الحافظ محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى صاحب الجامع الصحيح والتاريخ الكبير والأدب الفرد وغيرها توفى سنة ٢٥٦ . انظر : سير اعلام النبلاء ١ / ٣٩١ ، ومقدمة فتح البارى .

(٣) البراء بن عازب الانصارى أومارة . صحابى جليل توفى سنة ٧٢ وقيل ٧١ . انظر : سير اعلام النبلاء ٣ / ١٦٤ . والاصابة ١ / ١٤٢ .

(٤) صحيح البخارى مع الفتح ، كتاب الايمان باب الصلاة من الايمان ح (٤٠) ١ / ٩٥

(٥) سورة " الانفال " ٢ - ٤ .

حيث جعل سبحانه اقام الصلاة والانفاق من صفات المؤمنين حقاً .

أما من الاحاديث فقد تقدم في حديث شعب الایمان أن امانة الاذى عن

الطريق من شعب الایمان وهو عمل ظاهر .

ومن ذلك حديث وفد عبد القيس^(١) ، وفيه قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم

" .. هل تدرون ما الایمان بالله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : شهادته ان لا اله

الا الله وان محمداً رسول الله ، وقيام الصلاة ، وابتاء الزكاة ، وصوم رمضان وان تؤدوا

خمساً من المغنم^(٢)

فهذا الحديث من اقوى الادلة واصرحها على ان الاعمال من الایمان وذلك ان

النبي - صلى الله عليه وسلم - فسّر الایمان بالنطق بالشهادتين وقيام الصلاة

وابتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأداء خمس المغنم ، وهذه اعمال ظاهرة .

رابعاً : النصوص الدالة على زيادة الایمان ونصائحه

قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣﴾ " (٣)

(١) بنو عبد القيس : قبله تنسب الى عبد القيس بن أفضى بن دعي بن جديلة بن أسد

بن ربيعة بن زار . كانت ديارهم في تهامة ثم خرجوا الى البحرين . قدم وفدهم

على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ومقدمهم يومئذ المنذر بن عاذف انظر :

جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٩٥ .

وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ٢٢٣ .

(٢) رواه مسلم " كتاب الایمان " باب الامر بالایمان بالله تعالى . ح (١٧) - ٤٨ / ١

(٣) سورة " الانفال " ٢ .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية : " وقد استدل البخارى وسيره بهذه الآية واشباهها على زيادة الايمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الامة بل قد حكى الاجماع عليه غير واحد من الائمة كالشافعى ^(٢) وأحمد بن حنبل ^(٣) وابى عبيد ^(٤)
(٥)

واشبه هذه الآية التي اشار اليها كثيرة منها :
قوله تعالى :

وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ " (٦)

وقول الله تعالى :
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢٥﴾ . . . ونحوها .
(٧)

- (١) الامام الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الشافعى - ألف تفسير القرآن العظيم والهداية والنهاية ، وطبقات الشافعية وفيها توفى سنة ٧٢٤ هـ .
انظر : شذرات الذهب ٢٣٧/٦ . والهدى والطالع ١٥٣/١ .
- (٢) الامام الفقيه محمد بن ادريس الشافعى القرشى المشهور بالشافعى . امام المذهب المعروف . صاحب كتاب الرسالة توفى ٢٠٤ هـ . سير اعلام النبلاء ج ١ / ٥٠
وتهديب التهذيب ٢٥/٩ .
- (٣) امام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى صاحب المذهب المشهور مصنف المسند وفائل الصحابة والزهد وغيرها توفى سنة ٢٤١ هـ . سير اعلام النبلاء ج ١ / ١١٧٧ . والهداية والنهاية ٣٤٠/١٠ .
- (٤) الامام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله مصنف غريب الحديث وفائل القرآن والاموال توفى سنة ٢٢٤ هـ . سير اعلام النبلاء ج ١ / ٤٩٠ . والهداية والنهاية ج ١ / ٢٩١ .
- (٥) تفسير القرآن العظيم - للحافظ ابن كثير ج ٣ / ٥٥٢ . تحقيق : عبد العزيز فنيص ومحمد احمد عاشور ومحمد ابراهيم البنات - ط - الشعب .
- (٦) سورة " التوبة " ١٢٤ ، ١٢٥ . سورة " الفتح " ٤

أما الأحاديث فمنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ^(١) فدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعب الايمان وخصاله ^(٢) وأن بعضه أعلى من بعض .

وقال - صلى الله عليه وسلم : " يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من ايمان ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة من ايمان ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من ايمان ^(٣) .

فدل هذا الحديث على ان الايمان يتفاوت قوة وضعفاً فى القلوب . كما دل الحديث الذى قبله على ان شعب الايمان بعضها اقوى واعلى من بعض .

ومما تقدم من النصوص يتضح لنا تعريف الايمان فى الكتاب والسنة وأنه قول وعمل واعتقاد . يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وان بعض خصاله أعلى من بعض وان أهله يتفاوتون فيه قوة وضعفاً .

وعلى هذا القول السلف الصالح - رضوان الله عليهم - أهل الذكر الذين لازموا كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - واستعدوا علومهم منها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ^(٤) - رحمه الله - : " والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين ، وجمهور السلف ، وهو مذهب أهل الحديث ، وهو المنسوب إلى أهل السنة : ان الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص بالطاعة وينقص بالمعصية . ^(٥) "

(١) رواه مسلم . كتاب الايمان ، باب كون النهى عن المنكر من الايمان . ح (٤٩) - ح ٦٩ / ١ .

(٢) جامع العلوم والحكم ، عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلى . ص ٣٠٦ . مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ط . ت بدون .

(٣) تقدم تخريجه ص (٣) .

(٤) الامام ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى الدمشقى المجاهد بيده ولسانه تصانيفه الكثرة تدل على قوته وسعة علمه وتمسكه بالكتاب والسنة ومن أشهرها : منهاج السنة ودرر تعارض العقل والنقل ونقض التأسيس والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، واقتضاء الصراط المستقيم وجمعيت فتاواه فى مجموع ضخم . توفى سنة ٧٢٨ هـ .

انظر : الاعلام العلية فى مناقب ابن تيمية للبزار - والبداية والنهاية ١٤ / ١٤

(٥) مجموع الفتاوى ح ٥٠٥ / ٧

وقال ابن حجر - رحمه الله - : " . . . وروى اللالكائي ^(١) بسنده الصحيح عن البخارى قال : لقيت اكثر من الف رجل من العلماء بالاصار فماريت احدا منهم يختلف فى أن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

وأطنب ابن ابى حاتم ^(٢) واللالكائى فى نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الصحابة والتابعين . . . ^(٤)

وقد عرف الامام ابن القيم - رحمه الله - الايمان تعريفا وافيا فقال :
" وهوقية مركبة من معرفة ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - علميا
والتصديق به عقدا ، والاقرار به نطقا ، والانقياد له محبة وخضوعا ، والعمل به
باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة اليه بحسب الامكان .

وكما له فى الحب فى الله والبغض فى الله ، والعطاء لله والمنع لله ، وان يكون
الله وحده الهه ومعبوده .

والطريق اليه تجريد متابعية رسوله ظاهرا وباطنا . وتخفيض عين القلب
عن الالتفات الى سوى الله ورسوله وبالله التوفيق ^(٦) .

(١) الحافظ العلامة أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى المصرى الشافعى .
صاحب فتح البارى شرح صحيح البخارى ، والاصابة فى معرفة الصحابة
ولسان الميزان ، وغيرها . توفى سنة ٨٥٢ هـ . الضوء اللامع لاهل القرون
التاسع للسخاوى ٣٦/٢ .

وشذرات الذهب لابن العماد ح ٢٨٠/٧ .
(٢) الامام الحافظ ابو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى
الشافعى ، صنف شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة واسما رجس
الصحيحين وكرامات الاولياء توفى سنة ٤١٨ هـ ، سير اعلام النبلاء ٤١٩/١٧ .
والبداية والنهاية ٢٦/١٢ .

(٣) الامام الحافظ ابن ابى حاتم ابو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الحنظلى
الرازى ، صنف الجرح والتعديل ، والرد على الجهمية ، وتفسير القرآن توفى
سنة ٣٢٧ هـ - سير اعلام النبلاء ٢٦٣/١٣ . والبداية والنهاية ٢٠٣/١١ .

(٤) فتح البارى ح ٧٤/١ .

(٥) الامام الحافظ شمس الدين محمد بن ابى بكر بن أيوب الدمشقى الحنبلى المشهور
بإبن قيم الجوزية . صنف اعلام الموقعين والصواعق المرسله . وافاته اللهبان
وزاد المعاد وغيرها توفى سنة ٧٥١ هـ . ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٤٤٧/٢ .
وشذرات الذهب ١٦٨/٦ .

(٦) الفوائد لابن القيم ، ص ١٤٠ ، دار النفائس ، بيروت ، ط السابعة ١٩٨٦ .

المطلب الثاني: أهم الاسس التي يقوم عليها الايمان بالله .

لا بد من التأكيد على أن الايمان الذي يجرى بيان طبيعته هو الايمان
المؤثر الذي يقرب من الله ويجلب ولايته ويتحصن به المؤمن من كيد شياطين
الانس والجن وافكارهم العفنة وافعالهم القبيحة .
وهذا الايمان يقوم على عدة اسس أهمها :

- ١ - الكفر بالطافوت .
 - ٢ - الايمان بالغيب .
 - ٣ - القيام بمقتضى التكليف بامثال الاوامر واحتساب النواهي .
 - ٤ - الاخلاص لله في العباده .
 - ٥ - صدق المتابعه للرسول صلى الله عليه وسلم .
 - ٦ - العلم
- وسوف اتكلم على كل منها بما أرى انه يفى بالفرض والله المستعان .

الاساس الاول : الكفر بالطافوت .

(١) الطافوت في اللغة : مشتق من طفا يطغو : اذا عدا وتجاوز قدره .

ومنه قول الله تعالى : - **إِنَّا لَنَاطِقًا أَلْمَاءُ حَمَلْنَا كُرْسِيَّ الْبَارِيَةِ** (٢) .

وقد قدم الله تعالى الكفر بالطافوت على الايمان بالله في بعض النصوص

لكونه شرطاً للصحة . كما في قوله تعالى :

" **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ**

(٣) **أَسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴿٥٦﴾ .

وقوله : " **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ** (٤) .

(٥) **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ** ﴿١٧﴾ .

وفي ذلك اشارة الى أن التطهير مقدم على التزكية . وأن تخليص القلب من أدرانته

ونجاساته المتشكلة بالمعتقدات الباطلة وما يترتب عليها من محبة الطوائف أو التعلق

بهم واجب لحلول الايمان بالقلب .

وفي بعض النصوص نجد تقديم الايمان والأمر بالعبادة على الكفر بالطافوت

كما في قوله تعالى :

" **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** (٥) .

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابي جعفر محمد بن جرير الطبري

ج ٣ / ١٩ مكتبه ومطبعه مصطفى الهادي الحلبي وشركاه . مصر ، ط الثالث

١٣٨٨ هـ .

والفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ابي القاسم الحسين بن محمد

تحقيق محمد سيد كيلاني ص ٣٠٤ . دار المعرفة بيروت . ط ١ . ت . بدون .

(٢) سورة " البقرة " ٢٥٦ .

(٣) سورة " الحاقة " ١١

(٤) سورة " النحل " ٣٦ .

(٥) سورة " الزمر " ١٧ .

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - :

" من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله " ^(١)
وهي روايته : " من وحد الله " ثم ذكر بعثله .

وتقديم الامر بالتوحيد على الكفر بالطاغوت يتضمن الاشارة الى امرين هامين :
الاول : ان عبادة الله وحده لا شريك هي الاساس الأهم للايمان وهي حق الله على عباده . والكفر بالطاغوت شرط لها . فدعوة الرسل تنصب على المقصد الأهم وهو العبادة الخالصة ثم بيان شرطها . فتقديم الغاية على شرطها في مقام التبليغ والبيان .

أما في فعل العبد وامثاله لما كلف به فلا بد اولا أن يخلع ثوب الشرك ويكفر بالطاغوت ثم يدخل الايمان نقيًا طاهرًا فيتركى . كما قال تعالى في فعل العبد : " فمن كفر بالطاغوت ويؤمن بالله " ^(٢)
وقال : " والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنا هو الى الله "

الثاني : ان تأخير " واجتنبوا الطاغوت " في الآية ، و " كفر بما يعبد من دون الله " في الحديث شديد وجوب الاستمرار . فكأن الكفر بالطاغوت مقدم في المجال العظمى ، الا أنه يجب أن يستمر الى أن يلقي العبد ربه . فعلى المؤمن طول حياته ان يستقيم على عبادة الله الخالصة ، ويتجافى عن الطاغوت ، وذلك كالصلاة والطهارة لها . فالطهارة تكون قبل الصلاة وتستمر حتى نهايتها . والله أعلم .

والكفر بالطاغوت أصل تتضمنه شهادته ان لا اله الا الله .

قال سليمان ^(٣) بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - مبينًا حقيقة التوحيد : " وحاصله هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله ، والاقبال بالقلب والعبادة على الله . وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله وهو معنى (لا اله الا الله) " ^(٤)

(١) رواه مسلم . كتاب الايمان . باب الامر بقتال الناس . . . ح (٢٣) - ٥٣ / ١ .

(٢) الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . صف تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . وأوثق عرى الايمان . قتل رحمه الله سنة ١٢٣٣ هـ . على يدي ابراهيم باشا بعد استيلائه على الدرعية .
انظر : الاعلام للزرزكي ١٩١ / ٣ وشاهير علماء نجد ٤٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٣٩ .
المكتب الاسلامي ط الثالثة ، ١٣٩٧ هـ .

المراد بالطافوت في خطاب الشارع :

فسر الطافوت بالشيطان والساحر والكاهن والاصنام .^(١)

وهذا تفسير له ببعض افراده . والافالطافوت يطلق على كل من طفا وتجاوز حده واتقى حقان حقوق الله التي تفرد بها .
قال ابن جرير - رحمه الله - :^(٢)

" والصواب من القول عندي في الطافوت : انه كل ذى طغيان على الله فعبد من دونه ، اما يقهر منه لمن عبده ، واما يطاعه من عبده له ، انسانا كان ذلك المعبود او شيطانا ، أو وثنا ، او صنما كائنما كان من شئ " .^(٣)

فالضابط اذا لمعنى الطافوت :

انه كل مخلوق تجاوز حده وادعى شيئا معاخذ الله به أو نسب اليه ورضى بذلك .^(٤)

ويخرج من هذا الانبياء والملائكة وصالحى الانس والجن الذين عبدا في حياتهم او بعد موتهم أو اسند اليهم دين رضاهم شئ ما اختص الله به . وذلك أنهم لم يدعوا ذلك ولم يقروا من ادعاه . وسيجرون منه ان علموا به في حياتهم او يوم القيامة

كما قال تعالى مبينا ذلك : " وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَذَا الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ " .^(٥)

فهم لا يعبدونهم في حقيقة الأمر . انما يعبدون الشياطين الذين زينوا اليهم ذلك . والذين يتلاعبون بهم بما يظهر لهم من خوارق العادات ونحوها .

(١) انظر : جامع البيان لابن جرير ح ٣ / ١٨ ، ١٩ . والتفسير الكبير لمحمد بن عمير الرازي ح ٧ / ١٦ . دار الكتب العلمية طهران . ط الثانية ت بدون .

(٢) الامام الحافظ ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري صنف التفسير والتاريخ وتهذيب الآثار . توفي سنة ٣١٠ هـ .

انظر : سير اعلام النبلاء ١٤ / ٢٦٧ ، البدايه والنهاية ١١ / ١٥٦ .

(٣) جامع البيان لابن جرير ح ٣ / ١٩ .

(٤) سيأتي بيان الامور التي تفرد الله بها عند الكلام على الاساس الثاني : " الايمان بالغيب " .

(٥) سورة " سبا " ٤٠ ، ٤١ .

ويدخل في سمي الطاعات الجمادات التي عبادت من دون الله ، كالتقريب
والاحجار والاشجار والعتبات والشاهد .

وذلك أنه نسب اليها فعل عندها ما لا يجوز الا لله وحده فهي في حكم
الطواغيت . وسوف تلقى في النامع من عبدها زيادة في تبييت المشركن كما قال
تعالى :

" إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ^(١)

وقد استثنى الله عباده الصالحين الذين عبدوا من دونه من الدخول في جهنم
وذلك انه نسب اليهم ذلك زورا وهتانا . فلم يدعوا لذلك ولن يرضوا به ، وسيترأون -
منهم يوم القيامة فقال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ^(٢) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا
وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ^(٣)

والايان بالطاعات : يكون بتصديقه فيما ادعاه من حق الله . أو تصديق ما نسب
اليه من ذلك حتى لو لم يعمل به .

وعباده الطاعات : تكون بالعمل بموجب ذلك التصديق ، بصرف شيء من العبادة
له كالصلاة او الدعاء او الرجا . . . ونحو ذلك .

والكفر بالطاعات : يكون باعتقاد بطلان عباده غير الله ، وتكذيب ما يدعون
او ينسب اليهم من حق الله . ويدخل في ذلك بغض الطواغيت وأتباعهم ومطلبهم
وكراهتهم والبراءة منهم وما يعبدون وعداوتهم ^(٣) .

وقد بين الله تعالى أهمية الكفر بالطاعات وكيفيته ومن يكون في سياق واحسد
في سورة " الممتحنة " فقال :

(١) سورة " الانبياء " ٩٨ .
(٢) سورة " الانبياء " ١٠١ ، ١٠٢ .
(٣) انظر : مجموعة التوحيد : مجموعة رسائل لنخبة من علماء المسلمين ، الرسالة
الاولى ص ١١ ، ط السلفية . وانظر : تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد
للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٣٤ .

قَدْ .

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بَرَاءٌ وَأُوْمِنُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٤٠﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤١﴾
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَّبِعِ الْهُدَىٰ فَيَنصُرْهُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٤٢﴾ (١)

فقوله تعالى في اول السياق : " قد كانت لكم أسوة حسنة .. " وفي آخر السياق
: " لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة .. " بيان لأهمية الامر وتأكيده وأنه
من الاسس التي تقوم عليها الحنيفية طمة ابراهيم عليه السلام . وان هذا الامر لازم
لمن أراد أن يلقى الله وهو راضى عنه فيفوز في اليوم الآخر .

وفي قوله : " انابرة أو منكم وما تعبدون من دون الله " بيان أن البراءة تكون من
الشرك وأهله ، من الطواغيت واتباعهم واعمالهم وكل خصائصهم واحوالهم
المنحرفة .

وفي قوله : " كفرنا بكم هذا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء اهدا " بيان لكيفية
الكفر بالطاغوت .

وفي قوله : " حتى تؤمنوا بالله وحده " بيان لغاية الكفر بالطاغوت وانها مستمرة
مادام الكافر على كفره لاحد لها الرجوعه عن باطله .

فالكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله أساسى هام للايمان بالله
وخطوة مقدمة لتطهير القلب وتبهيته لاستقبال الايمان وعقائده المباركة .

الاساس الثاني : الايمان بالغيب :

الايمان بالغيب هو حقيقة الايمان بالله وتصديق المرسلين . وقد ذكره الله في مطلع سورة " البقرة " كأول وأهم صفة يتميز بها المتقون . قال تعالى :

” بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ ذَكَرْنَاكَ لَأَرْبَابٍ فِيهِ هُدًى
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ ” (١)

والغيب : هو كل ما غاب عنك من شئ . والايمان به هو : التصديق والاقرار (٢) :

قال ابن جرير - رحمه الله - في بيان المراد بالايمان بالغيب :
” الايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الاقرار بالفعل ” (٣)

والايمان بالغيب هو : التصديق بكل ما اخبر به الله من الامور الغيبية .

ويشمل ما اخبر به عن نفسه تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واخبار

الامم السابقة ، وما سيكون في مستقبل الزمان ، واليوم الآخر ، والقدر .

قال الربيع بن أنس (٤) - رحمه الله - في قوله تعالى : ” الذين يؤمنون بالغيب ” :

” آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وآمنوا بالحياة
بعد الموت ” (٥)

وقد جمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصول الامور الغيبية بتعريفه للايمان

في حديث جبريل - عليه السلام - حيث قال :

” أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ” (٦)

(١) سورة " البقرة " ١ - ٣ .

(٢)(٣) جامع البيان لابن جرير ح ١ / ١٠١ .

(٤) الربيع بن أنس بن زياد البكري عالم مروفي زمانه . توفي سنة ٢٣٩ .

سراعلام النبلا ١٦٩ / ٦ . تهذيب التهذيب ٢ / ٢٣٨ .

(٥) جامع البيان ح ١ / ١٠١ .

(٦) سبق تخريجه ص (٣)

وسأتكم - باختصار - على تعريف هذه الاركان الستة بما يحصل به المقصود من تجلية الاسس التي يقوم عليها الايمان وأهم معالمها دون قصد الشرح والتفصيل فذلك له مواضعه من كتب أهل العلم .
الاول : الايمان بالله .

وهو التصديق والاقرار الجازم بكل ما أخبر الله به عن نفسه وما يجب له من الاسماء والصفات والافعال . وسننه وحكمته في خلقه وحقه على عباده .
وهو توحيده سبحانه . الذي يكون باعتقاده تفرده بما أخبر بأنه متفرد به من الامور . وهي تنحصر اجمالاً فيما يلي :-

١ - تفرده بالذات المقدسة وصفات الكمال والاسماء الحسنی الواردة في نصوص الكتاب والسنة واثباتها على الحقيقة وفق منهج السلف الصالح بعيداً عن المناهج المتدعة القائمة على التعطيل أو التأويل أو التشبيه .

قال تعالى : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " (١)

وقال : " وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ " (٢)

وقال : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " (٣)

وقال : " وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا " (٤)

٢ - تفرده بأفعاله العظيمة الحكيمة .

قال تعالى : " فَقَالَ لِمَ تَرِيدُ " (٥)

-
- (١) سورة " الاخلاص " . ١
 - (٢) سورة " البقرة " ١٦٣ .
 - (٣) سورة " الشورى " ١١ .
 - (٤) سورة " الاعراف " ١٨٠ .
 - (٥) سورة " البروج " ١٦ .

وقال تعالى : " قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ " (١)

وقال : " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ
ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ " (٢)

وقال : " إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ " (٣)

٣ - تفرد به بالوهمية واستحقاقه للعبادة .

قال تعالى : " فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " (٤)

وقال :

" وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ " (٥)

٤ - تفرد به بالحكم والتشريع .

قال تعالى : " إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ " (٦)

وقال : " أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ " (٧)

-
- (١) سورة " يونس " ٣١ .
 - (٢) سورة " الروم " ٤٠ .
 - (٣) سورة " يوسف " ١٠٠ .
 - (٤) سورة " محمد " ١٩ .
 - (٥) سورة " البينه " ٥ .
 - (٦) سورة " يوسف " ٤٠ .
 - (٧) سورة " الشورى " ١٢١ .

هـ - تفرد به علم الغيب .

قال تعالى : " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ " (١)

وقال : " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (٢)

فهذه الامور الخمسة المذكورة في الآيات تفرد الله بعلمها كما ورد في بعض روايات حديث جبريل - عليه السلام - عند مسلم وفيه قال مبينا أن علم الساعة مما تفرد الله بعلمه : " . . . في خص من الغيب لا يعلمهن الا الله ثم قرأ : (ان الله عنده علم الساعة . . .) " (٣)

فاذا اعتقد العبد تفرد الله بهذه الامور وانقاد لموجبها فقد حقق التوحيد .
الثاني : الايمان بالملائكة .

" وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى خلق عالم الاسماء الثلاثة . وهم ارواح قائمة في اجسام نورانية ، قادره على التشكل بانواع مختلفه الشكل باذنه تعالى مناسبة للحال التي يأتون بها " (٤)

كما يجب التصديق بصفاتهم وافعالهم الواردة في نصوص القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، الدالة دلالة قطعية على وجودهم وانهم يتصفون بصفات حميدة وافعال رشيدة " (٥)

(١) سورة الانعام " ٥٩ . (٢) سورة لقمان " ٣٤ .

(٣) رواه مسلم . كتاب الايمان الباب الاولح (٧) ح ٤٠ / ١ .

(٤) منهج القرآن في الدعوة الى الايمان . د . علي بن ناصر فقيهي ص ٢١ ط الاولى ١٤٠٥ هـ .

(٥) انظر : نفس المرجع ص ٢٣ ، ٢٧٠ .

الثالث : الايمان بكتب الله .

" وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً مشتقة على هدى العباد مبينة لهم ما يصلح دينهم ودنياهم ، موضحة ما عليهم من واجبات ، وما لهم من حقوق بها الانظمة الشرعية والتوجيهات الخلقية . " (١)

هكذا يكون الايمان اجمالاً بالكتب المنزلة على رسل الله السابقين :

كالتوراة التي انزلت على موسى ، والانجيل على عيسى ، والزبور على داود وصحف

ابراهيم وكل ماورد الاشارة اليه في نصوص الوحي .

اما القرآن فيزيد على ذلك باعتقاد حفظ الله له ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه ، والايمان بعقائده ، والتصديق باخباره ، وامثال اوامره ، والانتهاج

عن نواهيها ، وتنفيذ وصاياها . واعتقاده ان كلام الله حق سميته منه جبريل - عليه السلام -

وسميته - محمد - صلى الله عليه وسلم - من جبريل . وسميته الصحابة - رضوان الله

عليهم - من النبي ، وتناقلته الامة بالنقل الصحيح المتواتر جيلاً بعد جيل والى أن -

يرفعه الله اليه .

الرابع : الايمان بالرسول .

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى بعث في كل امة رسولا منهم

يدلهم على الخير ويحذوهم من الشر رحمة بهم . (٢) قال تعالى :

" إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ " (٣)

(١) د . علي ناصر فقيهي ، المصدر السابق ص ٢٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٠ .

(٣) سورة " فاطر " ٢٤

وتضمن الايمان بالرسول أربعة أمور^(١) :

- ١ - الايمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع .
- ٢ - الايمان بمن علمنا اسمه منهم مثل محمد وابراهيم وموسى ونوح - عليهم السلام - وغيرهم مما ذكر اسمه في الكتاب أو السنة على وجه التثنية .
اما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به اجمالا حيث نعتقد ان الله بعث في كل امة نذيرا .
- ٣ - تصديق ما صح عنهم من أخبارهم .
- ٤ - العمل بشريعة من أرسل اليها منهم وهو خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم .

الخامس : الايمان باليوم الآخر .

قال تعالى في وصف المؤمنين :

(٢)

" وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾ "

والايمان باليوم الآخر : هو الاعتقاد بالبعث بعد الموت وان هناك يوما يحاسب فيه الناس على أعمالهم والتصديق بكل ما أخبر الله به مما يكون في ذلك اليوم .

ويشمل الايمان باليوم الآخر امورا أهمها :

الايمان بالبعث بعد الموت بعد النسخ في الصور - والحساب والجزاء والموازين ، ولقاء رب العالمين . والحوض والصراط . وما ورد الخبر به مما جرى على العباد . والجنة والنار وما ورد في صفاتها وصفات أهلها .

ويلحق بالايمان باليوم الآخر التصديق بما يكون بعد الموت من فتنة القبر والسؤال

(٣)

فيه وهذاب القبر ونعيمه .

(١) انظر: رسائل في العقيدة . الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الرسالة الاولى ص ٢٥ ، ٢٦ . دار طيبة الرياض ط الثانية ١٤٠٦ .

(٢) سورة " البقرة " ٤ .

(٣) الشيخ محمد بن عثيمين . المصدر السابق ص ٢٩ ، ٣٠ .

السادس : الايمان بالقدر .

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبق في علمه مقادير الخلائق - ويشمل ذلك ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية ، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار - وكتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة .

كما كتب لهم وعليهم ما تقتضيه حكمته من المقادير والاحوال التي يستحقونها على اعمالهم التي علم انهم سيعملونها . واراد ارادة كونية أن يقع ما علمه وكتبه لاجله الذي قدر له . وهو الذي يخلقه اذا حان الأجل فهو الخالق لكل شئ بما فسى ذلك افعال العباد من الكفر والايان والطاعة والعصيان وغيرها .^(١)

فاذا آمن العبد بهذه الامور الغيبية الستة أصبح من المؤمنين بالله الذين

تصح منهم العبادة كما قال تعالى :-

" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ " (٢)

(١) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٤٠ . ورسائل في العقيدة .

للشيخ محمد بن عثيمين الرسالة الاولى ص ٣٧ - ٤٠ .

(٢) سورة " النحل " ٩٧ .

الاساس الثالث : القيام بمقتضى التكليف بامثال الاوامر واجتناب النواهي .

والمراد أن العبد اذا كفر بالطاعات وتبرأ من الشرك وأهله وآمن بالله
وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر فعليه بعد ذلك أن يستجيب لله بفعل
ما كلفه به من الطاعات وترك ما نهاه عنه من المحرمات .

قال الله تعالى :

" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ ^(١)

ففي هذه الآية بيان للحكمة الشرعية التي خلق الله من أجلها الناس . وهي

أن يكلفهم بعبادته بالامثال لاوامره والانتهاه عن نواهي .

قال الشوكاني ^(٢) - رحمه الله - :

" يروى عن مجاهد ^(٣) انه قال : (المعنى الا لا أمرهم وأنهاهم) ويدل عليه قوله :

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ^(٤)) واختار هذا
الزجاج ^{(٥)(٦)} "

(١) سورة " الذاريات " ٥٦ .

(٢) العلامة الفقيه المحدث محمد بن علي بن محمد الشوكاني من أهل اليمن ، صنف
نيل الاوطار وفتح القدير والسييل الجرار توفى سنة ١٢٥٠ هـ . انظر : البسدر
الطالع ٢١٤ / ٢ ، الاعلام ٢٩٨ / ٦ .

(٣) شيخ القراء والفسرين أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي توفى سنة ١٠٣ وقيل
في ذلك .

انظر : سير اعلام النبلاء ٤٤٩ / ٤ والهداية والنهاية ٢٣٢ / ٩ .

(٤) سورة " التوبة " ٣١ .

(٥) الزجاج : امام زمانه في النهو باسحاق ابراهيم بن محمد الزجاج البغدادي
صنف معاني القرآن والاشتقاق والنوادر توفى ٣١١ هـ .

انظر : وفيات الاعيان ٤٩ / ١ . سير اعلام النبلاء ٣٦٠ / ١٤ .

(٦) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ، ٩٢ / ٥ . دار المعرفة - بيروت .

وقال تعالى :

(١) " إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ ؕ أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ؕ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ "

وقال :

(٢) " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ "

وقال :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٣﴾ "

فقوله : " تعبدوا " و" ليعبدوا " و" اعبدوا " فى النصوص المتقدمه تأكيد لوجوب الامتثال لامر الله بفعل الطاعات واجتناب ما نهى عنه بترك المحرمات وان ذلك أساس هام يقوم عليه الايمان الصحيح والعبودية الحققة لا يتحصل العبد على الايمان الجالب لولاية الرحمن بدونه .

قال الله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ " (٤)

السلم : هو الاسلام . والمراد بكافة : أى جميع شرائع الاسلام .
فى الآيه بدعوالله المؤمن الى الآخذ بجميع شرائع الاسلام ، واقامة جميع احكامه وحدوده دون تضييع بعضه والعمل ببعضه (٥)

وقال تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ ﴿٢١﴾ " (٦)

-
- (١) سورة " يوسف " . ٤٠ .
(٢) سورة " البقرة " . ٢١ .
(٣) سورة " البقرة " . ٢١ .
(٤) سورة " البقرة " . ٢٠٨ .
(٥) انظر : جامع البيان لابن جرير ح ٢ / ٣٢٤ .
(٦) سورة " الانفال " . ٢٤ .

وقد حذر الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - من التفريط بالطاعة
وسد م الالتزام بالتكليف في نصوص كثيرة منها قوله تعالى :

" فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ^(١) " (١)

وقال - صلى الله عليه وسلم - :

" كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى . قالوا : يا رسول الله ومن أبى ؟ قال : من
أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى " (٢)

وليس الغرض الكلام على تفاصيل التكليف وانما بيان أن القيام بمقتضى التكليف
اساس مهم في الايمان الصحيح الراسخ الذي يتحصن به العبد ضد الفكر
الخبث وتحصل به على الثمرات المباركة التي يكرم الله بها أوليائه .
والقيام بمقتضى التكليف مشروط بشرطين هامين هما الاخلاص والمتابعة .
وسوف يجرى الكلام عليهما في الاساس الرابع ، والخامس .

(١) سورة " النور " ٦٣ .

(٢) رواه البخارى . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ح (٧٢٨٠) ، ص ١٣ / ٢٤٩ .

الاساس الرابع : الاخلاص لله فى العبادة

والمراد أن العبد اذا تبرأ من الشرك وأهله وآمن بالله وما أخبر به من الامور الغيبية وانقاد لموجب الامر واجتنب ما ينهى عنه فانه لا يحق الايمان الا بالاخلاص لله فى عبادته فالاخلاص فى العبادة هو حق الله الذى أمر به عباده .

قال الله تعالى :
" وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ " (١)

وقال - صلى الله عليه وسلم - فى حديث معاذ ^(٢) - رضى الله عنه - :
" فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " ^(٣)

والاخلاص هو أن يقصد العبد بكل عباداته وجه الله تعالى . فلا يشرك معه فى العبادة المعينة احداً . ولا يصرف جنس العبادة لغيره .

قال تعالى صيانة عباده الذين رضى عنهم وأشاد بصنيعهم :

" إِنَّمَا نَطَعُهُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَأَرْيَدُ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا شُكْرًا " (٤)

والاخلاص فى العبادة أساس الحنيفية طه ابراهيم وهو الامر الذى تميز به الحنفاء اتباع الانبياء من غيرهم من الادعياء الذين ينتسبون الى الاديان السماوية وهى منهم برا . فالفارق الاساسى هو التوحيد الخالص عند اتباع النبى - صلى الله عليه وسلم - والذى لا يوجد عند أهل الكتاب الذين حادوا عن منهج الانبياء . بين ذلك ربنا بقوله :

(١) سورة " البينة " ٥ .

(٢) الصحابى الجليل معاذ بن جبل بن عمرو الخزرجى الانصارى . أعلم الصحابة بالحلال والحرام . توفى سنة ١٧ وقيل ١٨ هـ .

انظر : سير اعلام النبلاء ٤٤٣/١ و تهذيب التهذيب ١٨٦/١ .

(٣) متفق عليه . البخارى : كتاب الجهاد ، باب اسم الفرس والحمار ، ح (٢٨٥٦) - الصحيح مع الفتح ح ٥٨/٦ . ومسلم : كتاب الايمان ، باب الدليل على أن مسنات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٣٠) ح ٥٨/١ .

(٤) سورة " الانسان " ٩ .

« قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ، وَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ » (١)

فانظر الى قوله في ختام الآية : " ونحن له مخلصون " ولم يقل : وانتم له مخلصون !
معادل على ان هذا الامر غرر به المسلمون .

والاخلاص هو حقيقة معنى شهادته ان لا اله الا الله .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - :

" النوع الثالث : توحيد الالهية العينية على اخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرضية والرهبة ، والدعاء لله وحده . وهبني على ذلك اخلاص العبادات كلها ظاهرها واطنها لله وحده لا شريك له ، لا يجعل فيها شيئاً لغيره ، لا لملك مقرب . ولا لنبي مرسل ، فضلاً عن غيرها . . .

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره ، واطنه وظاهره ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، وهو معنى قول : لا اله الا الله . فان الاله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والاجلال والتعظيم ، وجميع انواع العبادة . ولاجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وانزلت الكتب ، وه افترق الناس الى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة واشقياء أهل النار " (٢)

وضابط الاخلاص :

ان كل ما ثبت انه عبادة فهو من الدين . وما كان من الدين فيجب أن يكون خالصاً يقصد به وجه الله وحده - فلا يشرك معه فيه أحد ولا يصرف جنسه الى غير الله .

وذلك أن الله تعالى قال :
« أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ » (٣)

وقال : « هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » (٤)

-
- (١) سورة البقرة " ١٣٩ .
(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، ص ٣٦ .
(٣) سورة الزمر " ٣ .
(٤) سورة فاطر " ٦٥ .

فالدعاء مثلا - من الدين . فيجب أن يكون خالصا .

فلا يجوز أن يدعى الله ويدعى غيره في آن واحد .

ولا يجوز ان يصرف جنس الدعاء لغيرالله - كأن يدعو الله وحده مرة وفي مرة
أخرى يدعو غيرالله .

وهكذا في كل العبادات كالصلاة والتمة والطواف والاستعانة والسؤال

والخوف والرجاء ونحوها .

فالاخلاص شرط في صحة العبادة . واساس هام من أسس الايمان بدونه لا يدخل

العبد في ولاية الله ولا يقبل منه عمل ولا يتحصل على ثمرات الايمان وكراماته التي

وعد الله به لعباده المؤمنين .

الاساسى الخاص : صدق المتابعة للنبي - صلى الله عليه وسلم -

والمراد أن العبد اذا كفر بالطافات وآمن بالغيب وقام بفعل ما أمر به
وانتهى عما نهى عنه وتوجه لله وحده فعليه مع ذلك أن يقتدى بالنبي صلى
الله عليه وسلم فى اداء العبادات وان يتلقى منه وحده بيان العبادات وكيفياتها
وكل ما يحتاج اليه فى القيام بما كلف به .

صدق المتابعة للرسول - صلى الله عليه وسلم - هو حقيقة معنى شهادة
ان محمدا رسول الله .

قال ابن رجب - رحمه الله - :^(١)

" وتحقيقه بأن محمدا رسول الله ، الا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد
- صلى الله عليه وسلم - " .^(٢)

قال الله تعالى :

" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " .^(٣)

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى - برسول الله صلى الله عليه وسلم - فى
اقواله وافعاله واحواله " .^(٤)

فى قوله : " لمن كان يرجو الله واليوم الآخر " دليل على اهمية الاقتداء برسول

الله صلى الله عليه وسلم وانه اساس من اساس العبودية التى ينبغى ان يكون عليها

من كان يرجو رضوان الله والحصول على ولايته والفوز بيوم القيامة .

(١) الامام الحافظ العلامة ابوالفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى
صنف شرحا لصحيح البخارى ولم يته . والقواعد الفقهية ، وجامع العلوم والحكم
وضرها . توفى سنة ٧٩٥ هـ .

انظر : شذرات الذهب ٣٣٩/٦ . والجواهر المنضد ٤٦ .

(٢) كلمة الاخلاص وتحقيق معناها . للحافظ عبدالرحمن بن احمد بن رجب الحنبلى
ص ٢١ . (٣) سورة " الاحزاب " ٢١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ح ٣٩٢/٦ .

وهذا الأصل العظيم دلت عليه نصوص كثيرة منها :

قوله تعالى :

" وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " (١)

وقال :

" قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ " (٢)

وقد جمع الله بين هذا الأصل - صدق المتابعة - والذي قبله - الاخلاص - فسي

قوله تعالى :

" فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (٣)

" وهذا ان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون صوابا خالصا . فالصواب : أن يكون على السنة . واليه الاشارة بقوله : " فليعمل عملا صالحا " .

والخالص : ان يخلص من الشرك الجلي والخفي ، واليه الاشارة بقوله : (ولا يشرك

بعبادته ربه أحدا) " (٤)

واتباعه - صلى الله عليه وسلم - يكون بتعلم ما جاء به من الوحي والعمل بسنة والاقتراف به .

قال - صلى الله عليه وسلم - أمرأبا لاقتداً به وبالخلفاء الراشدين السائرين على نهجه المقتفين لاثره ومحذرا من البدع والمحدثات .

(١) سورة " الحشر " ٧ .

(٢) سورة " آل عمران " ٣١ .

(٣) سورة " الكهف " ١١٠ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٥ .

" اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش
منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة. " (١)

وكما نهى عن البدعة والمحدثات نهى عن الغلو فقال :
" هلك المتنطعون " قالها ثلاثا. (٢)

وقال ايضا :

" فمن رغب عن سنتي فليس مني " (٣)

وهذا يتبين أن التأسى بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وصدق المتابعة
له شرط في صحة العبادة . وأساس عظم يقوم عليه الايمان بالله وأن ذلك لا يتحقق
الا بالابتعاد عن الغلو والبدع والمعاصي .

-
- (١) رواه الامام أحمد : المسند ح ١٢٦/٤ واللفظ له . سند العرياض بسنن
ساروق وابن ماجه : المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ح (٣٥) ح ١٠/١
تحقيق محمد مصطفى الاعظمي . ورواه الترمذي أبواب العلم باب ١٦ ح ١٤٧/٤
وقال : " حديث حسن صحيح " وصححه الالباني في ارواء الغليل ح ١٠٧/٨ .
- (٢) رواه مسلم . كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون ، ح (٢٦٧٠) ح ٢٠٥٥/٤ .
- (٣) متفق عليه البخاري كتاب النكاح ، باب الترفيف في النكاح ، ح (٥٠٦٣) -
الصحيح مع الفتح ح ١٠٤/٩ وسلم : كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح
لن . ح (١٤٠١) ح ١٠٢٠/٢ .

الاساس السادس : العلم .

والمراد أن الايمان الصحيح الراسخ المؤثر على صاحبه تطهيراً وتزكيةً وتحصيناً هو الذى يقوم على العلم المستقي مما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم من الوحي . وهو أمر لازم لتحقيق جميع الاسس المتقدمة . فلا يتسنى له - مثلاً - تحقيق الكفر بالطائفوت الا بالعلم بصفات الطواغيت وخصائصهم واحوالهم . لذلك جرى بيانها فى الكتاب والسنة . اشارالى ذلك ربنا بقوله :

" وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ " (١)

وهكذا سائر الاسس وغيرها من المطالب الايمانية لا يمكن القيام بها الا بالعلم

بماورد من تفاصيلها فى كتاب الله وسنة رسول - صلى الله عليه وسلم - .

فالعلم أساس هام فى الايمان بالله - وركن بارز فى دعوة النبي - صلى الله

عليه وسلم - قال الله تعالى :

" قُلْ هَذِهِ

سَبِيلِي - اَدْعُوْا اِلَى اللّٰهِ عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ اَنَا وَمَنْ اَتَّبَعَنِي وَسَبَّحْنَ

اللّٰهَ وَمَا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴿١٠٨﴾ " (٢)

هذه الآية وردت فى أواخر سورة " يوسف " عليه السلام . فهى تعقيب وربط بين

ماقرر فيها من منهج وطريق المرسلين السابقين ، وماينبغي أن تكون عليه الدعوة

الجديدة التى يقوم بها المصطفى - صلى الله عليه وسلم :

فهذه الآية تبين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - واتباعه على طريق يوسف

- عليه السلام - الذى كان على ملة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب .

تلك الملة القائمة على الكفر بالطاغوت والالتزام الدقيق بالتوحيد الخالص والى

بينها يوسف - عليه السلام - بقوله :

(١) سورة " الانعام " ٥٥ .

(٢) سورة " يوسف " ١٠٨ .

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأٌ كَمَا
يَأْتِيهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ
لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ (١)

فهى ايضا طريق النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وامته و اساس دعوتهم
كما قال تعالى : " ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٦﴾ " (٢)

فدلت آية سورة " يوسف " على أن طريق النبي - صلى الله عليه وسلم - تقوم
على ثلاثة أمور :

الاول : التوحيد الخالص : القائم على فعل الطاعات واجتناب المحرمات
مع الاخلاص لله فى ذلك .

الثانى : الدعوة الى توحيد الله .

الثالث : العلم والبصيرة فى ذلك كله .

قال ابن جرير - رحمه الله - :-

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد (هذه) -

الدعوة التى ادعوا اليها ، والطريقة التى انا عليها من الدعاء الى توحيد
الله ، واخلاص العباد له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاج الى طاعته
وترك معصيته (سبيلى) وطريقتى ودعوتى (ادعوا الى الله) وحده لا شريك له

(على بصيرة) بذلك وبقين علم منى به (انا و) يدعوا اليه على بصيره ايضا

(من اتبعنى) وصدقنى ، وآمن بى (وسبحان الله) يقول تعالى ذكره :

(١) سورة " يوسف " ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) سورة " النحل " ١٢٣ .

وقل تنزيها لله وتعظيما له ، من أن يكون له شريك في ملكه او معبود سواء فسي سلطانه (وماأنا من المشركين) يقول : وانا بى من أهل الشرك به ، لست منهم ولا هم منى . (١)

وقد بين سبحانه أن التعليم من أخص وظائف النبي - صلى الله عليه وسلم -
وانه بها خرج المسلمون من الضلال الصين فقال سبحانه :

• هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

فالعلم مقدم على كل قول أو عمل كلف به الانسان أو ارام القيام به - وشرط فسي
صحته قال الامام البخارى - رحمه الله فى الجامع الصحيح :
" باب العلم قبل القول والعمل ، لقول الله تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله)
فبدأ بالعلم " (٣)

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - (٤)
" اعلم رحك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :
(الاولى) العلم . وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الاسلام بالادلة .
(الثانية) العمل به .
(الثالثة) الدعوة به .
(الرابعة) الصبر على الاذى فيه .

(١) جامع البيان - ١٣ / ٢٩ / ٨٠٠

(٢) سورة " الجمعة " ٢ .

(٣) صحيح البخارى مع الفتح - ١٥٩ / ١ .

(٤) الامام العلامة مجد الدعوة السلفية فى الجزيرة العربية محمد بن عبد الوهاب

ابن سليمان التيمى النجدى ألف كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ومختصر

السيرة النبوية وغيرها . توفى رحمه الله فى سنة ١٢٠٦ هـ .

انظر : روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام ، لحسين بن غنام .

والاعلام ٦٢ / ٢٥٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدليل قوله تعالى : (

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ (١) (٢)

وهذا يتبين ان العلم والبصيرة فى الدين أساس هام لا يتحصل العبد
على الايمان الثمر المحصن بدونه .

سوف يأتى مزيد بيان لأهمية العلم وآثاره العاركة فى طيات هذا البحث

- ان شاء الله - .

كما سوف يجرى البيان لبعض مباحث الايمان كلما اقتضت الحاجة ذلك .

والله المستعان .

(١) سورة " العصر " .

(٢) الاصول الثلاثة وأدلتها ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ٥ ، مكتبة الشباب ،
مكة المكرمة ، ط الاولى ، ١٣٨٧ هـ .

المبحث الثاني

المبحث الثاني : الفكر الجاهلي في مجابهة الايمان .

والمراد بهذا المبحث بيان أن اعداء الاسلام شنوا حربا فكرية عنيفة ومستمرة استهدفت القضاء على الايمان . وذلك ضمن كيد ومكر متكامل استخدموا فيه جميع الوسائل الممكنة في حرب الاسلام .

ومن ذلك توجيههم الكثير من الافكار الخبيثة نحو العلم الصين للايمان بهدف حرقه وتشويهه ومعارضته بالشبهات ، وتوجيهه الوجهات الضالة . ووضع التصورات والتعاريف المنحرفة لجمع سائله وقضاياها .

هكذا يعطون من ظفروا به من الناشئة ومعتنقى الاسلام ضاهيم خاطئة ضالة للايمان من الهداية .

ووجهت افكار ومخططات اخرى نحو قلوب معتنقى الايمان الصحيح في محاولة لزعمتها وتزيين الباطل لها ولبسها بالحق ، وايقاد نار الشهوات واطفاء نور الايمان المتأجج فيها .

هذلك كانت الافكار الهدامة بمثابة الجراثيم والديدان التي تنخر في الابدان فتمرضها . فالافكار الضالة تنخر في القلوب والعقول وتتسلط على العقائد الحقة والمواطف الطيبة والارادات فتمرضها وتوجهها نحو الباطل والشر .

وسوف يجرى الكلام - ان شاء الله - في هذا المبحث من خلال المطالب الآتية :

المطلب الاول : بيان أن الصراع بين الحق والباطل من سنن الله الجارية الى يوم القيامة .

المطلب الثاني : الصراع الفكرى بين الحق والباطل في عصور الاسلام المتقدمة .

المطلب الثالث : الغزو الفكرى للامة الاسلامية في العصر الحديث .

الطلب الاولي : بيان ان الصراع بين الحق والباطل من سنن الله الجارية

منذ خلق الله الانسان والى يوم القيامة .

لقدكرم الله الانسان فخلقه بييسده ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الاسماء

كلها ، وأعطاه العقل الذى يعرف به الخطاب ، ويطلب به الاسباب ، ويستفيد

مما سخره الله له على وجه الارض .

قال الله تعالى :

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ " (١)

وهبط آدم ابوالبشر - عليه السلام - الى الارض عارفا بربه . عالما بما يجب له ،

مؤمنا نقيا مغفورا له ، واصطفاه الله بالنبوة والوحى .

قال تعالى : " فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ " (٢)

وعاش البشر الذين تناسلوا من آدم وحواء مدة من الزمن على دين ابيهم . وكانوا

امه واحدة على التوحيد ودين الحق كما قال تعالى :

" كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٢٣﴾ " (٣)

(٢) سورة (البقرة) (٣٧) .

(١) سورة (الاسراء) ٧٠ .

(٣) سورة (البقرة) ٢١٣ .

قال ابن جرير - رحمه الله - :

" فان دليل القرآن واضح على ان الذين اخبر الله عنهم انهم كانوا امة واحدة وانما كانوا على الايمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به " (١)
ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس (٢) - رضى الله عنهما - انه قال : " كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مشرين ومنذرين (٣) .

والعجيب في واقع البشر ان الهدى الرباني - الذي شاءت ارادة الله الشرعية (٤) ان يكون مزيلا للخلاف بينهم - تؤول حالهم معه الى التفرق والاختلاف .

-
- (١) جامع البيان في تفسير القرآن ، لابن جرير ، ج ٢ / ١٩٦ .
(٢) امام التفسير وحرر الالة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة سبع او ثمان وستين .
(٣) سير اعلام النبلاء ٣ / ٣٣١ . البداية والنهاية ٨ / ٢٩٨ .
(٤) رواه ابن جرير ، جامع البيان ٢ / ١٩٤ .
الارادة المنسوبة الى الله نومان :

الارادة الشرعية : وهي ارادة الله المتعلقة بالشرع والتكليف . وأمره سبحانه المتوجه الى المكلفين بما يجب أن يفعلوه وما يرضاه لهم من الشرائع والعبادات والاخلاق . كفاي قوله تعالى : " ان الحكم الا الله امر الاتعبدوا الاياه " (يوسف ٤٠) وهي ارادة متعلقة بالحكمة الشرعية أي أنسه يشرع لعباده ما تقتضيه حكمة التكليف من حصول الصالح لهم كفاي المعاملات والاخلاق . ودفع المفسد كفاي الحدود . وحصول محبوسات لله كفاي العبادات وقد وردت الاشارة الى الارادة الشرعية في بعض النصوص نحو : " يريدكم اليسر ولا يريد بكم العسر " (البقرة ١٨٥) أي ان - الله شرع لعباده الفطر في رمضان لمن كان مريضاً او سافراً لانه يجب لهم اليسر . ولكن اليسر لا يحصل الا لمن امتثل هذه الشرائع فافطر .

والارادة الكونية : وهي متعلقة بالخلق والايجاد . وأمر الله المتوجه الى سائر المخلوقات بما يريد خلقه وايجاده . كما قال تعالى : " انما امره اذا اراد - شيئاً ان يقول له كن فيكون " (يس ٨٢) وهي نافذة لا يتخلف عنها المراد " فعالم لما يريد " (البروج ١٦) وهذه الارادة متعلقة بحكمة الله الكونية أي انه سبحانه يخلق ويوجد ويصرف خلقه كما تقتضيه حكته من تهيئة الكون بما يصلحه والارض للعيش عليها وما يحقق حصول الابتلاء والامتحان للعباد وغير ذلك من الحكم التي يعلم بعضها ويقتصر العقل عن معرفة الكثير منها .

وقد بين الله ذلك من حالهم بقوله :

" وَمَا فَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ " (١)

وقال :

" وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ " (٢)

وقال :

" وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ " (٣)

فالله سبحانه انزل الوحي والهدى رحمة بالناس ليحققوا به ما اراده منهم من الحكمة الشرعية لخلقهم وهي عبادته وحده لا شريك له والتي بينها بقوله :

" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ " (٤)

ولكن الكثير من الناس يأبى الا الخلاف والتنازع والبغى والعدوان والغرور الذى ينتج عنه الخلاف المذموم الذى يقع بعد البينة والعلم .

= ويمكن حصر الفروق بين الارادة الكونية وما يتعلق بها من الامر والحكمة وبين الارادة الشرعية وما يتعلق بها من الامر والحكمة فيما يلى :-

- ١ - الارادة الكونية متعلقة بالخلق والايجاد والشرعية بالشرع والتكليف .
- ٢ - الكونية لا يلزم منها محبة المراد فيخلق سبحانه ما يحبه وما لا يحبه . فخلق الانبياء مثلا وهو يحبهم . وخلق ابليس والكفار وهو لا يحبهم . اما الشرعية فهي متعلقة بالمحبة فلا يشرع لعباده الا ما يحبه ويرضاه .
- ٣ - الكونية نافذة لا محالة لا يتخلف عنها المراد . اما الشرعية فانها لا تنفذ الا فيما جاء بالسبب وامثل الشرع وانقاد للأمر وتتخلف عن أعرض عن الامر .
- ٤ - الكونية متوجهة الى جميع المخلوقات . اما الشرعية فهي متوجهة الى المكلفين .

انظر: مجموع الفتاوى حـ ١٥٩/٨ - ١٦٠ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، وشفاء العليل لابن القيم ٥٥٩ - ٥٦٧ . وشرح العقيدة الطحاوية ٢٤٩ - ٢٥٤ ط . الثامنة

(١) سورة " البينة " ٤ .

(٢) سورة " البقرة " ٢١٣

(٣) سورة " آل عمران " ١٩ . (٤) سورة " الذاريات " ٥٦ .

فواقع الناس صائر الى ما راده الله بحكمته الكونية من اختلافهم وتفرقهم السى
أهل باطل وخلاف مذموم ، وأهل حق رحمهم الله فتمسكوا بدينه ولازموا^(١) بين ذلك
ربنا يقوله :

"وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٨١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" ^(٢)

فهذه هى الحال التى علم الله أنها ستكون من الناس فأرادها وقد رهاها
عليهم وأذن بحصولهم لتتحقق بها حكمته من حصول الابتلاء والامتحان وتمييز
الفريقين . ووجود محبوبات له لا تحصل بدون ذلك ، من مجىء اناس يؤمنون
بالغيب . ويعبدون الله عن حريية واختيار لاعن قسر واضطرار . يعرفون الله
بالعقل والاختبار دون الحس والمشاهدة بالابصار .

ويجاهدون النفس والهوى وبيرها من قوى الباطل من شياطين الانس والجن تصديقا
بالغيب وثقة بكلام الله ووعده - بل ويقدمون أنفسهم فى الدفاع عن دين الله
وذلك^(٣) أسى مراتب العبودية وأعظم محبوبات الله .

وسبب اختلاف الناس بعد أن يأتيهم العلم والبينه هو البغى كما بين الله
ذلك بقوله " بغيا بينهم " ^(٤)

والبغى هو : (طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى . . . فتارة يعترف فى
القدر الذى هو الكمية ، وتارة يعترف فى الوصف الذى هو الكيفية) ^(٥) .
" والبغى المذموم هو تجاوز الحق الى الباطل أو تجاوزه الى الشبه " ^(٦)

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، ح ٤٧٧/٨ ، تحقيق د. محمد
رشاد سالم . جامعة الامام محمد بن سعود الرياض - ط . الاولى ١٤٠١ هـ .

(٢) سورة " هود " ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) انظر: مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ابي عبد الله محمد بن ابي بكر
ح ٤٤٠/١ . دار الكتب العلمية ، بيروت ط الاولى ١٩٨٣ م .

(٤) سورة " البقرة " ٢١٣ .

(٥) (٦) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهاني ، ص ٥٥ .

فالاختلاف على هذا يكون سببه هو الظلم والاعتداء والطغيان في طلب العلم ، حيث تؤدي الى تجاوز العلم الذي أنزله الله وتطلب الحق في غيره ما يقود الى الاختلاف المذموم .

ومن الدوافع التي تدفع بعض طلاب العلم الى هذا التجاوز هو تنافسهم في الدنيا وحب الرئاسة وحسد بعضهم لبعض حيث عمد بعضهم الى تلك العلوم الغريبة عن الوحي الالهى ليتفوقوا به على أقرانهم ، ويأتوا بجديد يتميزون به .

ومن ذلك الاغترار بالعقل الذي كان وما يزال من أقوى الدوافع في تجاوز الوحي الالهى الى غيره من العلوم التي ضررها اكبر من نفعها .

فقد اغتر كثير من الناس بعقولهم واعطوها اكبر من قدرها وظنوا أنهم قادرون على ادراك علم و حقيقة سائر الموجودات المشاهدات منها والمغيبات فحملهم ذلك مع شهوة حب الاستطلاع وطلب المزيد الى عدم الاكتفاء بالوحي غير شاعرين ان الله - سبحانه - انما علمهم ما يكفيهم للقيام بما خلقوا من أجله من تحقيق العبودية والاستخلاف في الارض ، وحبب عنهم الكثير من العلوم اما لعدم حاجتهم لها اول ضررها عليهم ، اول عدم قدرتهم على ادراكها .

ولقد انتهى بهم هذا الغرور الى الاعجاب بطريقة الفلاسفة الذين اعتمدوا على عقولهم من البداية وجردها وانفسهم - بزعمهم - لمعرفة الكون وخالقسه والحياة والغيب زاعمين ان العقل وحده قادر على معرفة ذلك . وشغلوا الناس قديما وحديثا بوضع اسس ومقومات ومقدمات تحكم النظر العقلي وتحدد مساراته ومنظرياته وافتراضات لم يستفد منها البشر عبر تاريخهم الطويل صالح تذكر بل ان الشر الذي نتج عن تلك المذاهب الفلسفيه يفوق باضعاف كثيرة مازعه -

اهلها من صالحها . وما اقربهم الى الذين وصفهم الله وحذر أهل

الكتاب منهم بقوله : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ

قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)^(١)

وكم يصدق عليهم قول الله تعالى : **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ**
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ (١)

فقد خاض بعض العلماء في تلك العلوم التي خاض فيها الفلاسفة ، وراق لهم زخرف القول ، واستهوتهم تلك المصطلحات والمناهج ، و ظنوا أنهم قادرون - على الجمع بين الوحي الالهي وبين تلك العلوم الفلسفية . وسولت لهم أنفسهم ان الوحي لا يعارض تلك العلوم العقلية ، بل يجب ان يهدا لان كلا من العقل والوحي من عند الله . فلا يتصور تعارضهما . وهم بذلك

لم يفرقوا بين العلم الذي جاء به الوحي من عند الله والذي يستمد كماله وصلاحه من كمال الله وشمول علمه . وبين العلم البشري الذي يتميز بالضعف والقصور والحيرة نتيجة لضعف العقل البشري الذاتي وتأثير الشهوات والغرائز والعواطف والموروثات البيئية والفكرية عليه .

ونتج عن هذا الاقتحام لتلك المتاهات الفكرية ان ضل أصحابها من الوحي الالهي ، وحرفوا الاديان ، ونقصوا منها وزادوا فيها من التصورات والعقائد والاهواء الجاهلية البشرية المصدر .

وتنوعت المعتقدات والتصورات المنحرفة ، نتيجة لاختلاف العقول والاهواء ، واختلف الناس باختلافها ، فيرسل الله الرسل ينذرونهم من عاقبه هذا الاختلاف والانحراف ، ويهشرونهم بثواب الرجوع الى دين الله والبقاء عليه وعدم مجاوزته .

(١) الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ .

وقد بين الله انه يهتدي المؤمن الى الحق الذي اختلف الناس في تعيينه
بقوله : " فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ " (١)

فخص المهتدين بوصف المؤمنين .

وهؤلاء المؤمنون الذين تكفل الله لهم بالهداية عند اختلاف الناس هم الذين
تمسكوا بما جاءت به الرسل ولم يحيدوا ولم يبدلوا قال الربيع بن أنس - رحمه الله - " ان الله
هدى المؤمنين الذين أقاموا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف ، أقاموا على
الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له . وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأقاموا على الامر
الاول الذي كان قبل الاختلاف واعتزلوا الاختلاف لذلك كانوا شهداء على الناس
يوم القيامة (٢)

وهذا البيان الذي ذكره الربيع بن أنس لاهم صفات المؤمن الذي يهديهم
الله عند الاختلاف هو الحق الذي لا مريبه فيه . فتولاهم الله وخصهم بعنايته جزاء
موافق العظم حيث رضوا بالله ودينه ولم يجاوزوه الى غيره . وهم بهذا الثبات
اصبحوا شهداء على معاصريهم بوجود الحق وامكان معرفته واعتناقه .

وهذه الآية تحمل النور الساطع والدليل القاطع لمن اراد الحق وتحراه . وتتلج
صدور المؤمنين الذين حققوا ايمانهم بالثبات على المنهج الاول الذي كان عليه
سلف الامة ونفروا من الحداثات وحذروا منها لذلك قال ابو العالية - رحمه الله - :
" في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن " (٣)

والحق من جهة ظهوره او خفاكه يختلف باختلاف الازمان والامكنة ففى
بعضها يكون ظاهرا يعلن به أهله وجاهرون به . وفى بعضها يكون مستترا ضطهدا
يصعب على الناس تعلمه والاهتداء اليه . فيبعث الله عند ذلك من رسله

(١) سورة البقرة " ٢١٣ " .

(٢) الربيع بن أنس ابن زياد البكرى ، عالم مروى زمانه ، توفي سنة ١٣٩ هـ .

سير اعلام النبلاء ١٦٩ / ٦ ، تهذيب التهذيب ٢٣٨ / ٣ .

(٣) رواه ابن جرير فى جامع البيان فى تفسير القرآن ١٩٧ / ٢ .

(٤) هو الامام المقرئ الحافظ المفسر ابو العالية ، ربيع بن مهران الرياحى . ادرك زمن

النبي صلى الله عليه وسلم . واسلم فى زمن ابى بكر وثقه ابو زرعه وابوحاتم ت ٩٣ هـ . -

على الراجح . انظر سير اعلام النبلاء ح ٢٠٧٤ / ٢ وشذرات الذهب ١٠٢ / ١ .

(٥) رواه ابن جرير فى جامع البيان ح ٣٣٩ / ٢ .

وانبيائه من يبين للناس الحق في امور دينهم وينزل عنهم تلك الظلمات التي رانت على قلوبهم وعقولهم .

في رساله خاتم الانبياء والرسول - صلى الله عليه وسلم - تكفل الله بحفظ الحق في فئة من الناس لا يزالون ظاهرين حتى قيام الساعة . ولكن نظرا لاستحكام الجاهلية في بعض الاماكن في وقت من الاوقات ، وبالتباس الحق بالباطل وصعوبة الاهتداء الى الحق ، يبقى تحقيق وصف الايمان هو سبب الهداية باذن الله ويكون والحالة هذه بالتجرد لطلب الحق واسلام الوجه لله ، وسلوك طريق العلم الصحيح ، والالتجاء الى الله والاستعانة به وسؤاله الهداية للحق فان من فعل ذلك وعلم الله من قلبه الصدق فانه سبحانه يهديه للحق كما دل على ذلك عموم قوله :

" وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ " (١) وقوله : " يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ " (٢) وقوله :
" وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ " (٣)

ولقوله - صلى الله عليه وسلم - في دعائه اذا قام من الليل : " اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم " (٤)

واذا كان البغى والغرور وعدم الاكتفاء بالوحي الالهي والتطلع الى ما وراء الوحي من العلوم أهيم دافع لاختلاف الناس بعد مجيئ البينة والعلم ، الا أنه ليس بالدافع الوحيد لاختلافهم .

(٢) سورة " يونس " ٩ .

(١) سورة " التغابن " ١١ .

(٣) سورة " البقرة " ٢٨٢ .

(٤) رواه مسلم . باب صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقياحه (٢٠٠) - ١ / ٥٣٤

فهناك فئات من الناس لها طبائع شيطانية ، قد انتكست فطرهم وقتت قلوبهم لا يحبون الخير بل يعادونه . قد زاعوا فزاع الله قلوبهم ، وختم على سمعهم واهماهم كما قال تعالى : " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ " (١) وقال : " خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ " (٢) هذا النوع من الناس هم الذين قال الله فيهم :

" سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا
سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٦﴾ " (٣)

فليس لهم هم الا الانغماس في الشهوات والافساد في الارض ، لا ينتفعون بعلم ولا هدى فهم كالكلب الذي لا ينتفع بالراحة فيترك اللهث فهو ملازم للهت سواء تعب او ارتاح كما بين الله حال بعضهم بقوله :

" وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا
فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ
يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ
الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ " (٤)

فهم يدافع طبائعهم الفاسدة ، ومن أجل تحقيق شهواتهم ومسالحتهم يعادون الحق من أول يوم ، ويسلكون كل سبيل لمحاربتة . ومن ذلك استغلالهم للخلاف الذي يقع من اتباع الحق ، فيروجون لتلك الاختلافات وينشرونها بقصد نشر الشر البلبلة وتوسيع التفرق .

(٢) سورة البقرة (٧)
(٤) سورة الاعراف ١٧٥ ، ١٧٦ .

(١) سورة الصف (٥)
(٣) سورة الاعراف ١٤٦ .

وهناك طائفة ثالثة جمعت بين الدائنين داء الاختلاف بعد الهيئة ، وداء الطباع الشريرة ، والاعراض الدنيوية الفاسدة . اولئك هم اليهود الذين جاءهم الهدى والنور فلم يلتزموا به ولم يحافظوا عليه . بل زادوا فيه ونقصوا وحرفوا هدلوا ولبسوا الحق بالباطل وكتبوا الحق . ثم ازداد امرهم سوءاً ووضلا عند ما زعموا ان الله اله اليهود وحدهم . وكرهوا ان ينزل الهداية والوحى على فيرهم قال الله تعالى :

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ (١)

وقال :
يَنْسَكُمَا أَشْرَوْا بِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٢)

فلما اصطدت اطماعهم الشريرة الباغية بمشيئه الله وقضائه المحكم ونزل النور والرحمة على فيرهم ، شرقوا بغيبظهم ، واحرق الحسد قلوبهم ، وعزموا بفرورهم ان يقاوموا ارادة الله القوى العزيز . وانظموا الى جند الشيطان . هذلوا اقصى ما يستطيعون " يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٢٢﴾ " (٣) .

" وَكَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوِيزِدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ " (٤)

فقتلوا في ذلك الأنبياء ، واضطهدوا اتباعهم . وتصدوا للرسالة الخاتمة بكل ما اوتوا من قوة وسلوكوا سبيل الافساد في الارض بكل الوسائل .

وطائفة ضالة أخرى بعد بها العهد عن مشكاة النبوة والنور الالهي ، فخضعت للاوهام والخرافات والعادات والتقاليد وجعلت منها ديناً ألفت وتربت عليه ورست عليه اجيالها حتى صعب عليها فراقه . وخالفت الحق وناصبت العداة محافظة على

ميراثها وسمعة اجدادها . وقد اشار الله الى هذا النوع بقوله :

" وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا " (٥)

(٢) سورة " البقرة " ٩٠ .

(١) سورة " البقرة " ١٠٥ .

(٤) سورة " البقرة " ١٠٩ .

(٣) سورة " التوبة " ٣٢ .

(٥) سورة " البقرة " ١٧٠ .

وانتشرت هذه الطوائف المخالفة للحق وتوزعت في ارجاء المعمورة واصبح لكل منها اتباع وانصار يتعصبون لها ويدافعون عنها بدافع من الانتماء الفكري والعرقى او المكانى .

بعد ان كان الناس فى بداية عهدهم امة واحدة اجتالهم الشياطين وهوى الانفس والبغى والوهم حتى اصبحوا فرقا مختلفة تتخبط فى ظلمات الجهل والضلال . " وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا " (١) حيث قال : " وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ " (٢) وسيبقى هذا شأنهم الى يوم القيامة . امم تائهة ضالة . وطائفة على الحق ظاهرين . .

ونتيجة لوجود هذه الطوائف الضالة بين الناس من جهة ووجود اهل الحق والنور الالهى من جهة اخرى ، وجد الصراع بين قوى الحق والباطل سنة جارية ارادها الله ارادة كونية اقتضت حكمته ان يكون عليها واقع الناس كما اقتضت حكمته ان يكونوا مختلفين . وقد بين الله تعالى ان الاختلاف هو الدافع للصراع بقوله : " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَن ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ " (٣) ومن يستعرض واقع مسيره البشر من آدم عليه السلام والى اليوم يجد نماذج واضحة تؤكد هذه الحقيقة ، حقيقة ملازمة الاختلاف والصراع بين الحق والباطل للناس الى يوم القيامة .

وقصص الانبياء والمرسلين - عليهم السلام - مليئة بالشواهد على ذلك وكذلك قصص العلماء العاملين ، والقاده المجاهدين ، والدعاة والصلحين . ولقد دل الدليل الشرعى والدليل الواقعى على انه كلما ازداد البيان والايضاح ازداد الخلاف والتفرق والصراع . فهذه الرسالة الخاتمة جاءت ببيان واضح ، مفصلا تفصيلا دقيقا شاملا لجميع نواحي الحياة . قال الله تعالى : " وَكُلُّ شَيْءٍ فَفَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا " (٤)

(٢) سورة " هود " ١١٨ ، ١١٩ .
(٤) سورة " الاسراء " ١٢ .

(١) سورة " الانعام " ١١٥ .
(٣) سورة " البقرة " ٢٥٣

وظل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة وعشرين عاما يبين للناس الدين عقائده وشرائعه على تودة وروية يبين لهم منازل اليهم من ربهم :

" وَفَرَّأْنَا فَرَقَاتَهُ لِنَقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾ " (١)

حتى بلغ البلاغ المبين وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها .
وشربت نفوس الصحابه - رضوان الله عليهم - ذلك العلم فعملوا به وعلموه لمن بعدهم . وظل هذا العلم والنور الالهى ينقله من كل عصر عدوله ، وقضى ظاهرا جليا سليما فى جماعة من الناس محفوظا بحفظ الله والى يوم القيامة .
ورغم هذا البيان الواضح والحفظ للرسالة ، سرت فى الامة الاسلامية سنة الله الجارية ، وقضاه النافذ بوقوع الخلاف بعد العلم والبيضة ، بسبب بفسى الناس وتعديهم ، وفعل الطبايع الشريفة الحاقدة المعادية للخير .
فكان الخلاف فى هذه الامة أوسع منه فبين قلبها ، كما كان البيان فيها أوضح وقد وردت الاشارة لذلك فى قول النبى - صلى الله عليه وسلم - :

" الا ان من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين طة ، وان هذه الطة ستفرق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة " (٢)

فى هذا الحديث دليل على أن الخلاف داء متأصل فى الامم التى جاءها الكتاب . وأن هذا الداء سينتقل الى هذه الامة . وأنها ستتشبه بالام الضالة اليهودية والنصرانية والفارسية .

(١) سورة " الاسراء " ١٠٦ .

(٢) رواه الامام احمد . المسند ح ١٠٢ / ٤ . مسند معاوية بن أبى سفيان . ورواه - ابو داود واللفظه . كتاب السنة باب شرح السنة ط الحلبي ح ٥٠٣ / ٢ . وأخرجه الحاكم وقال : " هذه أسانيد تقام بها الحجة فى تصحيح هذا الحديث " ووافقه الذهبى . المستدرک ح ١٢٨ / ١ . وقال الالبانى : " فقد تبين بوضوح ان الحديث ثابت لاشك فيه ولهذا تتابع العلماء خلفا عن سلف على الاحتجاج به " السلسلة الصحيحة ح ١ (٢٠٤) .

قال - صلى الله عليه وسلم - :

" لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع . فقبل
يارسول الله : كمارس والروم ؟ فقال : ومن الناس الأولئك . " (١)

وقال عليه الصلاة والسلام : " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا
حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم . قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال :
فمن ؟ " (٢)

والتشبه بهذه الامم عام في كل شئ " فيشمل الاختلاف والتفرق في الدين .

وقد نبه الله على هذه الناحية من التشبه بقوله : " كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقَتِهِمْ فَاَسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقَتِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقَتِهِمْ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣﴾ "

فقد اخبر - سبحانه - ان من هذه الامة من سوف يتشبه بالامم السابقة فسي
الاستمتاع بالشهوات والخوض بالشبهات . فاذا كان وقع هذا من بعض المعاصرين
للنبي - صلى الله عليه وسلم - فوقعه من بعدهم من باب أولى - فهو خسر
عن أمر دائم مستمر . فيكون كل من حصل منه الاستمتاع والخوض الى يوم القيامة
مخاطبا بذلك . (٤) وقد حذر الله من التشبه بالاقدمين في الاختلاف والتفرق

بقوله : " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿٥﴾ "

فاخبر - سبحانه - انه سيكون في المسلمين مضاهات لليهود والنصارى والفرس
وليس هذا اخبارا عن جميع الامة ، بل قد تواتر عنه - صلى الله عليه وسلم -
انه قال : " لا يزال ناس من امتي ظاهرين حتى يأتيهم امر الله وهم ظاهرون " (٦) وهذه
الطائفة هي الجماعة وهي التي ضمن لها الرسول صلى الله عليه وسلم الجنة فسي
حديث معاوية المتقدم : " . . . وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة " (٧)

(١) رواه البخارى ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب لتتبعن سنن من كان قبلكم

ح (٧٣١٩) - ١٣ / ٣٠٠ .

(٢) متفق عليه . البخارى واللفظ له وبغاصيله كسابقه (٧٣٢٠) ومسلم : كتاب

العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ح (٢٦٦٩) - ٤ / ٢٠٥٤ .

(٣) سورة (التوبة) ٦٩ .

(٤) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم ، لشيخ الاسلام احمد

بن تيمية تحقيق : ناصر بن عبدالكريم العقل ح ١ / ١٠٥ ، ط الاولى ١٤٠٤ هـ -

(٥) سورة " آل عمران " ١٠٥ .

(٦) رواه البخارى كتاب المناقب ، باب ٢٨ الصحيح مع الفتح ح ٦ / ٦٣٢ .

(٧) تقديم تخريجه ص (٤٨) .

هذه الطائفة هي التي بقيت على الامر الاول ، واستصكت بالكتاب والسنة وجانبت البدع والمحدثات . وهي التي يهديها الله الى الحق باذنه ويثبتها عليه .

وقد فسركثير من السلف الطائفة المنصورة الظاهرة الباقية على الحق الى أن يأتي أمر الله بأنهم : " أصحاب الحديث " منهم علي بن المديني^(١) ومحمد بن اسماعيل البخاري ، وأحمد بن حنبل ، وعبد الله بن المبارك . . وغيرهم^(٢) .

وأهم صفة لهم هي أنهم تسكوا بما كان عليه السلف الصالح في العقيدة والشريعة ، صتمدين دينهم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قائمين بالدعوة التي ذلك قد فارقوا البدع والمحدثات وحذروا منها . قال الخطيب البغدادي^(٤) مينا شرف اصحاب الحديث وثباتهم على الحق : " فقد جعل الله الطائفة المنصورة حراس الدين ، وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين ، واقتنائهم آثار الصحابة والتابعين ، فشأنهم حفظ الآثار ، وقطع الفاوز والقار ، وركوب البراري والبحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى لا يعرجون عنه الى رأى ولا هوى ، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً ، وحرسوا سنته حفظاً ونقل ، حتى ثبتوا بذلك اصلها وكانوا حق بها واهلها . وكم ممن ملحد يروم ان يخلط بالشريعة ما ليس منها ، والله تعالى يذب باصحاب الحديث عنها . فهم الحفاظ لركانها والقوامين بامرها وشأنها اذا صدف الناس عن الدفاع عنها . فهم دنها يناضلون . . اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون " (٥)

-
- (١) الامام الحافظ علي بن عبد الله بن جعفر البصري المعروف بابن المديني امام أهل زمانه في معرفة الحديث والعلل توفي سنة ٢٣٤ .
انظر: سير اعلام النبلاء ٤١/١١ . شذرات الذهب ٨١/٢ .
- (٢) الامام الحافظ عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي صاحب كتاب الزهد . توفي سنة ١٨١ هـ .
سير اعلام النبلاء ٣٨٧/٨ . وتهذيب التهذيب ٣٨٢/٥ .
- (٣) شرف اصحاب الحديث للخطيب البغدادي ، تحقيق د . محمد سعيد خطيب ص ٢٦ ، ٢٧ دار احياء السنة النبوية . أنقره ، ط الاولى ١٩٧١ م .
- (٤) الخطيب البغدادي الحافظ احمد بن علي بن ثابت البغدادي صاحب تاريخ بغداد وغيره . توفي سنة ٢٦٣ هـ . انظر: وفيات الاعيان ٩٢/١ . وسير اعلام النبلاء ١٨/٢٤ .
- (٥) شرف اصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، ص ١٠ .

فالفرقة الناجية هم أهل الحديث اتباع السلف الصالح الذين سلكوا منهاجهم
باستمداد العلوم من كتاب الله تعالى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يقدموا
بين يدي ذلك بدعة ولا هوى ولا رأياً ولا كشفاً ولا وجداً ولا غيره .
وهذه الفرقة باقية فيمن سار على نهجهم الى يوم القيامة .

ونتيجة لهذا الخلاف الشديد الذى وقع داخل الامة الاسلامية ، ولذلك الخلاف
العنيف القديم الذى حصل من الامم الاخرى التى رفضت الاسلام وناصبته العداوة من
أول يوم ، كان الصراع عنيفاً شديداً بين دعاة الحق ودعاة الباطل فى تاريخ الامة
الاسلامية . ساعد على قوته وشدته على أهل الحق وجود طوائف المنافقين والذميين
بين صفوف المسلمين والذين يساعدون على اتساع الخلاف الداخلى ويعينون العدو -
الخارجى ، ويمهدون لمخططاتهم الهدامة داخل جسد الامة الاسلامية .

وقد جرت سنة الله تعالى ان يكون اللقاء الاول بين دعاة الحق ودعاة الباطل
صراعاً فكرياً يبدأ بالمحاجة والمجادلة يقدم كل من الفريقين دليلاً على دعواه .
وهذا النوع من الصراع مشروع لكل أحد ، فكل انسان من حقه ان يظهر وجهه
نظرة التى يعتقد انها الحق ولكن مع التزامه بشرطين اساسيين :-

أحدهما : ان يكون طالبا للحق .

ثانيهما : ان يجادل بحق وذلك ان يقدم أدلة صحيحة معقولة ويقبلها اذا قدمت
اليه . فاذا توفر هذان الشرطان كانت المجادلة مشروعة ودائماً تكون
النتيجة ظهور الحق على ايدى دعاة وتفوق حجتهم . اما بالنسبة لاهل الباطل ففى
كثير من الاحيان يهتدى طالب الحق ويتبين لها لرشد من الضلال وفى احيان كثيرة
اخرى يتحول الامر الى صراع فكري آخر قائم على المكر والكيد ومكابرة الحق من قبل اهل
الضلال ، ومحاربتة والصدع عنه عن طريق نشر الافكار الهدامة من الاكاذيب على تعاليم
الدعوة وعلى صاحبها واتباعها تشويهاً للحقائق ومجادلة بالباطل ، وعن طريق نشر
الشبهات وتزيين الفواحش والدعوة اليها ، والاستهزاء بالدعاة واتباعهم وتحقيرهم
بالفعل والقول .

ويختلف رد فعل جماعة الحق على هذه الاعمال العدوانية والحرب الفكرية

الخبیثة حسب حال الجماعة من جهة القوة والضعف فتارة يكون بالصبر والاحتساب

وانتظار الفرج من الله كما قال تعالى : " فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ " (١) .
وتاره يكون الرد بالمعاقبة بالمثل كما قال تعالى : " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ
بِهِمْ وَلَيْنَ صَبْرٌ لَّهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ " (٢) . وكما فعل النبي صلى الله عليه
وسلم بالذين حاربوا الدعوة بافتراء الكذب وهجاء السلمين من اليهود والشعراء
والقينات وغيرهم حيث أجلى بعضهم واهدر دم بعضهم .
وقد بين حسان بن ثابت - رضى الله عنه - بلاء الانصار في نصرة الدعوة المحمدية
وانهم ردوا على طوائف الضالين باساليهم بقوله :

لنا في كل يوم من معد	سباب او قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا	ونضرب حين تختلط الدماء (٤)

وهذا الصراع احيانا ينتهي بعذاب الله ينزل على الكافرين المعاندين كما
حصل لقوم نوح ، ولوط ، وهود ، ولفرعون . . . وغيرهم .
وتارة يتحول الى صراع مسلح حيث يكلف الله الزمرة المؤمنة بجهاد الكفار
وقتلهم بعد ما يهسي لهم اسبابه .

ومن هذا العرض الموجز نبين ان الصراع بين الحق والباطل يأخذ اشكالا
متعددة أهمها ما يلي :-

- ١ - الصراع الفكري القائم على المحاجة والجدال .
- ٢ - الصراع الفكري القائم على المكر والكيد ونشر الافكار الهدامة من قبل قوى الضلال .
- ٣ - الصراع المسلح .

(١) سورة البقرة ١٠٩

(٢) سورة النحل ١٢٦ .

(٣) الصحابي الجليل حسان بن ثابت ابن المنذر الخزرجي الانصاري شاعر الرسول صلى
الله عليه وسلم قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : أهجهم وهاجهم وجبريئيل
معك توفي سنة ٥٤ هـ .

سير اعلام النبلاء ٢/ ٥١٢ - وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٤٧ .

(٤) ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، ص ٩ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت

ط الاولى ١٣٩٨ هـ .

المطلب الثاني : الصراع الفكري بين الحق والباطل في عصر الاسلام المتقدمة .

لقد كان العالم قبل الاسلام يمجج بتيارات فكرية مختلفة اختلافا شديدا وكانت تلك الافكار الضالة السائدة ، وذلك الاختلاف القائم على اساسها أهم أسباب تصارع البشرية وضلالها وشقائها .

قال سيد قطب^(١) - رحمه الله - : " جاء الاسلام في العالم ركام هائل من العقائد والتصورات ، والفلسفات ، والاساطير ، والافكار والاهام ، والشعائر والتقاليد ، والاضاع والاحوال . . . يختلط فيها الحق بالباطل ، والصحيح بالزائف ، والدين بالخرافة ، والفلسفة بالاسطورة . . .

والضمير البشري - تحت هذا الركام الهائل - يتخبط في ظلمات وظنون لا يستقر منها على يقين . والحياة الانسانية - بتأثير هذا الركام الهائل - تتخبط في فساد وانحلال ، وفي ظلم وذل ، وفي شقاء وتعاسة ، لا تليق بالانسان ، بل لا تليق بقطيع من الحيوان . (٢)

لقد كان الانسان - بعقله القاصر وقلبه المحدود - الينبوع لهذه الافكار الضالة المتخبطة . فلم يكن - باستثناء اتباع الرسل - يستند الى أصل ثابت ومنطلقات محددة صحيحة ، تحكم سيره وتحدد هدفه .

(١) الكاتب الاسلامي المشهور سيد قطب ، ولد عام ١٩٠٦ م في إحدى قرى محافظه أسبوط بمصر . له من المصنفات : في ظلال القرآن ، وخصائص التصور الاسلامي ، ومعالم في الطريق . . . وغيرها .

قتل - رحمه الله - سنة ١٩٦٦ م الموافق ١٣٨٦ هـ . انظر : سيد قطب وتراثه الادبي والفكري ، ابراهيم بن عبد الرحمن البليهي - كلية الشريعة بالرياض ، ط - الاولى بتهدون - والاعلام - ١٧٤/٣ .

(٢) خصائص التصور الاسلامي ، سيد قطب ، ص ٢٢ ، دار الشروق ، القاهرة ط العاشر ، ١٤٠٨ هـ .

فقد كان الوهم والخرافة ، والظن ، وتأثير الشهوات والانفعالات على العقل وماتوسوس به شياطين الجن في صدور الناس من زخرف القول . . كل ذلك له تأثير في ابتكار ونمو تلك الافكار الضالة التي سيطرت على عقول الناس قديما وحديثا .

ومالاشك فيه ان الجاهلية تكون في مكان أشد منها في مكان آخر تبعاً لوجود العوامل التي تساعد على تركيزها في عقول الناس .

ولعل أخف الجاهليات هي جاهلية العرب قبل الاسلام ، وذلك انها لم تكن قائمة على تلبسات منطقية ، وزخارف فلسفية ولم تكن قد توفلت فيهم عقائد التناسخ والحلول . فقد كانت عقائدهم وهما وخرافات ، وعادات منها الطيب والخبث ، وقد وافيا الآباء دين ان يعطوا فيها العقل ، والفوها حتى أصبحت ديناً لازماً لهم .

فكانوا مع جاهليتهم أقرب الى الفطرة ، وأخف من فيهم جاهلية فكان ذلك - والله اعلم - مع فصاحتهم وسلامة فهمهم لمديولات الكلام ، وقرارهم بتوحيد الربوبية وتعظيمهم له ، من حكمة اختيار الله لهم لحن الرسالة الخاتمة " اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ " (١)

اما المجتمعات التي تركزت فيها الحضارات القديمة ، ووجد فيها الفلاسفة والنظارة ، فان جاهليتها اوسع واعمق ، ذلك أن الفلاسفة صاغوا العقائد الجاهلية صياغة تقربها من العقل ، وزخرفوها ، ونسجوا الادلة والبررات والاساطير الوهمية حولها مما زاد من استحكامها في عقول الناس . وأصبحت مع مرور الايام أدياناً مقدسة وتوسعت نتيجة اختلاف أولئك النظارة وتعبد مذاهبهم .

فظهرت المدارس الافريقية في بلاد اليونان . وتنوعت الاديان الهندية والفارسية ، والصينية والصربية وأثرت هذه الوثنيات في الديانتهم

(١) سورة " الانعام " ١٢٤ .

الساويتين اليهودية والنصرانية ، كما ان كثيرا من عقائدهما انتقلت الى
الاديان الوثنية ، والفلسفات العقلية نتيجة لاحتكاك البشر عبر الهجرات
والتجارة وغيرها .

هذا حال العالم عند ما بعث النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالحنيفيه
السمحنى أعلى مراتب النقاء والصفاء والوضوح .
فيها البهتان الشافى لكل ما يحتاجه البشر لتحقيق وظيفتهم على
الارض ، من الاستغلاف فيها ، وتحقيق العبودية لله ، وتحصيل اسباب
السعادة فى الدارين .

فقد تميزت الرسالة الخاتمة بالشمول لجميع متطلبات البشر ، والعموم لجميع
اجناسهم فى كل مكان وزمان . فهى تحمل التعرف الصحيح بالله وحقيقته
والكون والحياء ومن مبدأ الانسان ، ودوره فى الحياة ، وصيره بمعاد
المعات . كما تضمنت النظام الكامل السديد لعلاقة البشر مع خالقهم ومع
بعضهم البعض . " قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ
اللَّهُ مِنَ الرَّضْوَانِ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (١)

فهذه الشمولية تجلب للفرد والمجتمع التوازن والانسجام فى فكره ونفسه
واعماله ، الذى هو اهم مقومات الحياة السعيدة العشرة .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ " (٢)

فكانت الرسالة المحمدية رحمة من الله للناس لتخليصهم من تلك
الجاهليات التى جثمت على قلوبهم ولوثت افكارهم دهرا طويلا .

لقد عاش الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة المنورة يؤسس للمجتمع
المسلم ، ويقيم جميع شئونه على منهج الله . ولم ينتقل - صلى الله عليه وسلم -
الى جوار ربه الا وقد تحول الاسلام بكل ما فيه من عقائد وتعاليم واخلاق الى

(١) سورة " المائدة " ١٥ ، ١٦٠ .

(٢) سورة " الانفال " ٢٤ .

واقع حتى ، تظهر مظاهره وثماره في الافكار والقلوب والسلوك .

بعده - صلى الله عليه وسلم - رسخ الخلفاء الراشدون هذا الواقع ووسعوا دائرته بالفتوحات الاسلامية ، سعيا لتخليص البشر من الجاهليات ، ومانتج عنها من ظلم وشقاء . وماهى الاسنوات قليلة حتى خلص المسلمون كثيرا من شعوب الارضى من الحكومات والجيوش التى كانت تحول بينهم وبين نور الايمان . فدخل كثير من الناس في دين الله افواجا فحل الأمن والعدل مكان الخوف والظلم والطغيان . وظهرت آثار تلك العقائد السامية الصافية ، والتعاليم السعيدة الرشيدة ، صفا في العقل ، وسلاطة في التفكير ، وطمانينة في القلوب ، وصلاحة في السلوك والاعمال . ونتج عن ذلك اعظم وأسمى حضارة عرفتها البشرية .

الأ أن الانتصار السريع في المجال العسكري لم يكن نهائيا فقد كانت الجاهلية تخطط لجولة ثانية من الحرب اتخذت من الفكر ميدانها ، بعد أن أدرك - قادتتها قوة تأثير الافكار على السوك . وأن الحرب الفكرية هى السبيل الوحيد المتاح لهم في ذلك الوقت لمقاومة الاسلام .

وسبب ذلك أن مواقف الناس في الشعوب التي دخلت في الاسلام لم يكن واحدا . فمنهم من استنشر بهذا الدين وانشرح صدره له . ومنهم من أذعن للوضع القائم دون أن يتفهمه ويتحصن له . ومنهم من أخذ موقفا معاديا وأخذ يعمل ضده . وأصحاب هذا الموقف الاخيرهم عادة الملامن ابناء الملوك والامراء وقادة الجيوش وأصحاب الجاه ورجال الدين الذين سلبت منهم المناصب والمصالح الدنيوية فشرقوا بغیظهم . وزاد من غیظهم زوال ملكهم على أيدي العرب المسلمين الفاتحين واقتسامهم لاموالهم ومزارعهم ونسائهم وعزليهم كثيرا هزيمة دينهم الذي ألفوه دهرا طويلا .

قال محمد محيي الدين عبد الحميد :

" وقد دخل في الاسلام قوم خلصت قلوبهم من أدران التقليد والعصبية
وصفت نفوسهم لما يدعوهم اليه رسول الايمان وأطمانت خوالجهم الى أمانة
هذا الرسول الكريم وصدقته فعضوا على مادعاهم اليه بالنواجذ واستمسكوا
منه بالعرورة الوثقى لانفصام لها . . .

ودخل في الاسلام ، بجانب هؤلاء - أصناف من الناس أولهم جماعة من -
العرب ساقهم الى الاسلام - حين جاء فتح الله والنصر - دخول قومهم
فيه ، فدخلوه تقليدا وانسياقا مع الجمهور ، ولم تتحل أعيُنهم برؤية صاحب
الرسالة ، ولا أنشروا صدورهم بسماع تعاليمه منه ، ولا صفت قلوبهم من أثار
جاهليتهم ولا نظفت من أدرانها ، فكان سواهم لديهم أنتصرت الدعوة الاسلامية
ام لم تنتصر . واثبتهم جماعة من عامة أهل الاديان الاخرى - وعلى الاخص
اليهودية والمجوسية - دخلوا في هذا الدين ايام الفتح التي اخضعت
الدولتين الكبيرتين اليونانية والفارسية . فرارا من حكم الاسلام على من يبقوا
على دينه منهم ^(١) ولم تخالط بشاشة هذا الدين قلوبهم . . . ولا استأصلت من
أنفسهم اطلاق الحنين الى دينهم القديم . . .

والتهم جماعة من دهاة أهل الاديان الاخرى وذوى الخبث والمكر منهم
- وعلى الاخص اليهودية والمجوسية ايضا - تظاهروا بالدخول في الدين
الجديد وهم يضررون في أنفسهم الكيد والمكر والخديعة ، ويتحينون الفرصة
للاقتضاء على هذا الدين الذي بسط سلطانه على رقعة الارض المعروفة
يومذاك ، ويعلمون في الخفاء لايجاد هذه الفرصة ان لم تواتهم من تلقاء

(١) اي فرارا من الجزية التي يدفعها الذمي أو المجوسى للدولة المسلمة .

نفسها ويهينون أذهان الطائفتين السابقتين وقلوبهم وجهودهم للقيام معهم فيما يعتزمون القيام به . . . فيلبسون للناس مسح الصلاح تارة ومسوح الحرص على تعاليم الدين تارة أخرى ، ثم يلبسون لهم مسح محبسة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته الطاهرين . . .

فيهفت هؤلاء سمومهم ، فيؤلون في تعاليم الشريعة ، ويدخلون فيها مالمس منها ، ويضعون على الرسول أحاديث تؤيد دعاويهم ، ويطالبون الاغرار - وهم الطائفتان الأولى والثانية - بالقيام لنصرة الدين أولنصرة آل الرسول الذي جاء بهذا الدين . هذا فيما نعتقد هو الأصل الأصيل ففى الفرقة التي حدثت فى الاسلام وهو غرض طوى لم يكتمل عليه قرن واحد (٢)

فشن الحاقدون على الاسلام حربا عليه من داخله تستهدف الأصل الذى به ظهر وعز أهله الا وهو الايمان بالله والالتزام بتعاليم الاسلام . ولم تكن هذه الحرب حربا عشوائية بل هى منظمة مدروسة ، خطط لها الضمدون من ابنا الفرس واليهود فى اجتماعات ومشاورات عقدوها لهذا الشأن تخضت عن تنظيم مكر كان له أثر بالغ فى تفريق المسلمين واضلال كثير منهم عن دينه .

كشف خبر هذا الكيد ابن حزم فى كتابه " الفصل فى الملل والاهواء والنحل " (٣)

حيث قال :

" والأصل فى اكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو الهدى على جميع الامم وجلالة الخطر فى أنفسهم

(١) الصوح : نوع من الكساء المصنوع من الشعر - لسان العرب ج ٢ / ٥٩٦ . والمراد انهم يتصنعون ويظهرون للناس الحرص على الدين والنصيحة لأهله وهم ليسوا كذلك كالذى يتزيا بهزى الصالحين ويظهرهم مظهرهم وهوليس كذلك . ويأتون لكل اناس بالحال التى تناسبهم .

(٢) كتاب الفرق بين الفرق ، لعبدالقاهر البعدادى ، مقدمة المحقق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٤ ، ٥ .

(٣) ابو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الامام الظاهرى ، ولد بقرطبة

حتى انهم كانوا يسمون الاحرار والابنا ، وكانوا يعدون سائر الناس عبداً اليهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب أقل الامم عند الفرس خطراً ، تعاضمهم الامر ، وتضاعفت لديهم العصية وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في اوقات شتى . . فرأوا أن كيدهم على الحيلة أنجع ، فظهر قسوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستشناع ظلم على رضى الله عنه ، ثم سلخوا بهم مسالكك شتى حتى أخرجوهم عن الاسلام ."

ثم قال : " وقد سلك هذا المسلك ايضا عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي فإنه لعنه الله أظهر الاسلام ليكيد لاهله " (٣)

= سنة ٣٨٤ هـ . عالم الاندلس في عصره له من المؤلفات : المحلى ، والاحكام لاصول الاحكام ، والفصل في الملل والاهواء والنحل وغيرها كثير . توفي سنة ٤٥٦ هـ . انظر : وفيات الاعيان ١٣/٣ . ومقدمة كتابه الفصل في الملل والاهواء والنحل ح ١/٤ وما بعده .

(١) الخليفة الراشد والصحابي الجليل اول من اسلم من الفتيان ابوالحسن طسي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة استشهد سنة ٤٠ هـ . انظر : البداية والنهاية ٢٣٣/٧ تهذيب التهذيب ٣٣٤/٧ .

(٢) عبد الله بن سبأ يقال له ابن السوداء كان يهوديا ثم أظهر الاسلام نفاقا وصار مع علي بن أبي طالب وأظهر الغلو فيه فهم أن يحرقه ثم نفاه الى المدائن وله اتباع يقال لهم السبائيين من غلاة الروافضيين يعتقدون الهيبة على رضى الله عنه ويقال أن عليا حرقهم في خلافته . انظر : لسان الميزان ٢٨٩/٣ . الاعلام ٨٨/٤ .

(٣) الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم ح ٢/٢٧٣ ، ٢٧٤ .

" وهم من أكذب الناس في النقليات ، ومن أجهل الناس في العقليات بعد قسوس
من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الاباطيل ، وكذبون بالمعلوم من
الاضطرار المتواتر اعظم تواتر في الامة . جيلا بعد جيل ، ولا يميزون في
نقله ورواة الاخبار بين المعروف بالكذب ، أو الغلط ، أو الجهل ، فيما ينقل ، وبين
العدل الحافظ المعروف بالعلم والآثار ، ومدتهم في نفس الامر على التقليد
وان ظنوا اقامته بالبرهانيات . فتارة يتبعون المعتزلة والقدرية^(١) وتارة يتبعون
المجسمة^(٢) والجبرية^(٣) ، وهم من أجهل هذه الطوائف بالنظريات ، ولهذا كانوا عند
عامة أهل العلم والدين من أجهل الطوائف الداخلين في المسلمين . ومنهم
من أدخل على الدين من الفساد ما لا يحصيه الرب العباد . فلاحده الاسماعيلية^(٤)
والنصيرية^(٥) وغيرهم من الباطنية المنافقين من باهم دخلوا . واعمداء
المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا . واستولوا بهم على

(١) هم اتباع وأصل بن عطاء الذي ابتدع القول بأن مرتكب الكبيرة من المسلمين
في منزلة بين المنزلتين واعتزل على ذلك مجلس الحسن البصري فسموا
المعتزلة لذلك . واستقر أمرهم على أصول خمسة مشهورة هي : العدل ،
التوحيد ، المنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والوعيد
والوعيد . وهم يجمعون بين نفى الصفات ونفى القدر .

ولهم ضلالات أخرى . سموها بالقدرية لنفيهم القدر . انظر : شرح الاصول
الخمس . والملل والنحل ح ٤٣ / ١ ، الفرق بين الفرق ١١٢ .

(٢) المجسمة : هم الذين يقولون أن الله جسم من الاجسام له طول وعرض وعمق
وطعم ورائحة . انظر : الفرق بين الفرق ٦٥-٦٩ ومقالات الاسلاميين ١ / ١٠٦ .

(٣) الجبرية : هم الجهمية وكل من قال بأن الخلق مجبورون على أفعالهم
وليس لهم حرية ولا اختيار وسواء كانوا لا يشبتون للعبد فعلا ولا قدرة على
الفعل اصلا . او كانوا يشبتون قدره غير مؤثره .

انظر : الملل والنحل ١ / ٨٥ . البرهان في معرفة عقائد أهل الاديان ٤٢ .

(٤) الاسماعيلية : هم المنتسبون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وقالوا :
ان الامام بعد جعفر ابنه اسماعيل ثم بعد اسماعيل ابنه محمد وهم من الباطنية
ويزعمون أن لكل ركن من اركان الشريعة تأويلا . فيزعمون أن معنى الصلاة
موالاة امامهم ، والحج زيارته . الخ . وهم زنادقة دهريون يقولون يقدم
العالم وانكار الاله واستحلال المحرمات وغير ذلك . انظر :

الفرق بين الفرق ٢٨١ ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الاديان ٨١ .

والملة والنحل ١ / ١٩١ .

(٥) النصيرية : هم اتباع محمد بن نصير النعمري من غلاة الرافضة . ادعى النبوة ثم

بلاد الاسلام ، سبوا الحريم وأخذوا الاموال وسفكوا الدم الحرام . وجرى على
الامة بمعاونتهم من فساد الدنيا والدين ما لا يعلمه الا رب العالمين .^(١)

وعلى هذا فالتشيع " كان ماوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الاسلام لعداوة
اوحقد ، ومن كان يريد ادخال تعاليم آباءه من يهودية اونصرانية أوزرادشتية^(٢)
وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على ملكته . كل هؤلاء كانوا
يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ماشاءت أهواؤهم ."^(٣)

وكان رائد هؤلاء الفسدين عبدالله بن سها الحميرى الذى انشأ فرقة
السبائية . بل ان كل فرق الشيعة انما حدثت من جراء ما حدثه من الافكار .
وهو أول من قال بالنص على ولاية على رضى الله عنه ، ورجعته فى آخر الزمان
والقول بتناسخ^(٤) الجزء الالهى فى الائمة بعد على رضى الله عنه . كما كان ابن سبأ^(٥)

= ثم الرهبانية ويزعم اتباعه ان الله يحل فى على ويعتقدون اباحه المحرمات ولهم
ضلالات اخرى وقد افتى شيخ الاسلام ابن تيمية بانهم اكفر من اليهود
والنصارى بل ومن كثير من المشركين .
انظر: الملل والنحل للشهرستانى ١/ ١٨٨ . والفرق بين الفرق ٢٥٥ . ومجموع
الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ح ١٤٥/٣٥ وما بعده .

(١) مختصر منهاج السنة لابن تيمية ، اختصار الشيخ عبدالله الفتيان ح ١/ ٩٠٨ ،
ط الاولى ١٤١٠ هـ .

(٢) هم طائفة من المجوس ينتسبون الى رجل يقال له زرادشت بن يورشب . وضع له
كتابا اسمه " زندا أوستا " وهم يوافقون بقيه فرق المجوس فى القول بأصلين وبخالقونهم
ببعض التفاصيل . انظر: الملل والنحل ح ١/ ٢٣٦ وما بعده . ودائرة معارف
القرن العشرين محمد فريد وجدى ح ٨/ ٤٥١ ، دار المعرفه بيروت ط الثالثه
١٩٧١ م .

(٣) فجر الاسلام لاحمد أمين . ص ٢٧٦ . مكتبة النهضة القاهرة
ط الحادية عشرة ١٩٧٥ م .

(٤) التناسخ : هو ادعاء انتقال الروح من الميت وولادتها فى شخص آخر . ويتخبط
التناسخية فى كيفية التناسخ وسببه وحدوده تخبطا عظيما . انظر: الفسوق
بين الفرق ص ٢٧١ - ٢٧٦ وتناسخ الارواح لمصطفى الكيك ص ١٧ - ٢٤ منشأة
المعارف الاسكندرية ط ١ ، ت . بدون

(٥) الملل والنحل للشهرستانى ح ١/ ١٧٤ .

(١) أصل اثاره الناس على عثمان رضي الله عنه .

ودعة التشيع هي مفتاح باب الشرك والغلو في الصالحين وعبادتهم والتبرك بقبورهم . قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" ومن هنا أدخل أهل النفاق في الاسلام ما أدخلوا ، فان الذي ابتدع دين الرافضة كان زنديقا^(٢) يهوديا أظهر الاسلام واطن الكفر ليحتال في افساد دين المسلمين - كما احتال " بولس " ^(٤) في افساد دين النصارى - سعى في الفتنة بين المسلمين حتى قتل عثمان . وفي المؤمنين من يستجيب للمنافقين

كما قال تعالى :

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ
مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْقَكُمْ يَبْغُونَ كُفْرًا
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ . (٥)

ثم انه لما فرقت الامة ، ابتدع ما ادعاه في الامامة من النص والعصمة ، وأظهر التكم في ابي بكر وعمر . وصادف ذلك ظمها فيها جهل وظلم وان لم تكن كافرة فظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك . ثم لما تمكنت الزنادقة أمروا بهناء المشاهد وتعطيل المساجد محتجين بأنه لا تصلى الجمعة والجماعة الا خلف المعصوم .

(١) الخليفة الراشد عثمان بن عفان بن أبي العاصي القرشي . أحد العشرة المبشرين بالجنة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ابنته رقيه ولما توفيت زوجة باختهاام كلثوم أستشهد رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ .
انظر : البداية والنهاية ٢٠٨/٧ . و شذرات الذهب ٤٠/١ .

(٢) الفصل في الطل والاهواء والنحل ٢٧٤/٢ .

(٣) زنديق: كلمة معربة أخذت من المصطلحات الايرانية وجمعها زنادقة وتطلق على الملحدين وكل من خرج عن الدين وسعى لنشر فكره الخبيث . انظر : دائرة المعارف الاسلاميه ٤٤٠/١٠ - ٤٤٦ .

(٤) بولس أو شاول كان يهوديا شديد العداوة لاتباع المسيح عليه السلام وله دور كبير في قتل واضطهادهم .

تحول في عهد الحواريين بعد رفع المسيح الى المسيحية واصبح معلما لها وابطل دين المسيح عليه السلام وأدخل الشرك وأهم الاصول التي احدثها والتي اصبحت بعد ذلك أسس الديانة المسيحية : عالمية المسيحية ، القول بالتثليث والوهية المسيح والروح القدس . والقول بان عيسى ابن الله وبدعة الصليب من اجل التكفير ، وان عيسى يجلس عن يمين ابيه تعالى الله عن ذلك .
انظر : مقارنة الاديان : المسيحية د . احمد شلبي ص ١٠١ - ١١٥ .

مكتبة النهضة - القاهرة ط الخاسمة ١٩٧٧ .

(٥) سورة " التوبة " ٤٧ .

وروا في انارة المشاهد وتعظيمها والدعاء عندها من الاكاذيب ما لم أجسد
شبه فيها وقتت عليه من اكاذيب أهل الكتاب . . . وكذبوا . . . على النبي صلى
الله عليه وسلم وأهل بيته أكاذيب بدلوا بهاديته ، وغيروا ملته . وابتدعوا
الشرك العناني للتوحيد ، فصاروا جامعين بين الشرك والكذب^(١)

ولم يفض القرن الاول الا وقد أثمرت جهود الفسدين الحاقدين عن قيام فرق
الشيعة الضالة التي استحوزت على عدد كبير من المنتسبين للاسلام . وتبنت كثيرا
من الافكار الهدامة والعقائد الضالة ، وتفرقت في البلاد ، واصبح لها علماءها
ودعاتها الذين يهدمون في جسد الامة من داخلها .

(٢)
وفي مقابل الشيعة الذين غلوا في علي رضي الله عنه ظهرت فرقة الخوارج
التي استت على افكار ضالة : كتكفير علي وعثمان - رضي الله عنهما - ، والاكتمار^(٣)
بارتكاب الكبائر ، ووجوب الخروج على الامام الجائر .

فلما رأى الحاقدين ذلك وأنهم نجحوا في كيدهم هذا كروا كرة أخرى على
أهل السنة . ونفذوا اليهم من طريق التصوف والزهد المنحرف الذي ظهرت
بوادره في بداية القرن الثاني الهجري . والذي كان من أهم ركائزه الزهد في
العلم والتفرغ للذكر والعبادة - بزعمهم - .

وهذا مقتل عظيم ، ومنفذ خطير للافكار الهدامة .

(١) مجموع الفتاوى حـ ٢٧ / ١٦١ .

(٢) هم الذين خرجوا على الخليفة الراشد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم
تفرقوا الى فرق كثيرة ولا يزال لهم وجود الى الآن ومن فرقهم الاباضية
وأجمعوا على ان كل كبيرة كفر وان الله يعذب اصحاب الكبائر عذابا دائما
الا النجدة لم يقولوا بذلك . انظر: الفرق بين الفرق ٧٢ - ومقالات الاسلاميين
لابي الحسن الاشعري ، تصحيح هلموت رينز ص ٨٦ . ط الثالثة .

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص ٧٣ - ومقالات الاسلاميين ص ٨٦ وما بعده .

وهذه الطائفة ايضاً كانت الشفرة الخطيرة لديهم هي تفریطهم بمنهج أهل الحديث في التلقى . واعتمادهم في قبول المعارف على الذوق والاعجاب والعاطفة والافتراء باحوال الرجال ومظاهرهم . فكانوا في هذا أشبه بأهل التشيع .

وهي الحال التي تُعجِبُ الشياطين وتمكنهم من عطيم اللعين .

قال ابن الجوزي^(١) - رحمه الله - يصف حال هؤلاء القوم وكيف تلاعبت بهم شياطين

الانس والجن فأوقعوهم في الافكار الضالة والعقائد الفاسدة :

" وكان أصل تلبسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراههم أن المقصود العمل فلما أطفأ صباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات ، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة فيرأنهم على غير الجادة . وفيهم من كان لظة عليه يعمل بما يقع اليه من الاحاديث الموضوعة وهو لا يدري .

ثم جاء قوم فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات

وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص

بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق

ثم مازال الامر ينمو والاشياخ يضمنون لهم اوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم .

ويتفق بعدهم عن العلماء الابل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه علم

الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع السي

الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيئات فيه فكانهم تخابلوا شخصاً مستحسن

الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة . ثم تشعبت بأقوام منهم الطسرق

(١) الامام العلامة أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي الحنبلي صف

زاد المسير والموضوعات والمنظّم توفي سنة ٥٩٧ هـ .

انظر: سير اعلام النبلاء ٣٦٥/٢١ . والهداية والنهاية ٣١/١٣

فسدت عقائدهم . فمن هؤلاء من قال بالحلول^(١) ومنهم من قال بالاتحاد^(٢) . وما زال ابليس يخططهم بفنون البدع حتى جعلوا لانفسهم سننا^(٣) .

فهذا الكلام الرصين من هذا العالم المستعصر يبين لنا كيف يتعاون شياطين الانس والجن على اضلال الناس . وكيف يكمل بعضهم عمل بعض فالشياطين يوسوس في القلوب ويقذف بها الشبهات ويزين الباطل ويغري به . وشياطين الانس يأتون الناس بزي أهل الايمان والزهد والورع وهم دعاة دين الشيطان ، فيلبسون الحق بالباطل وجعلون من أنفسهم قدوة في فعل ما زينته الشياطين في القلوب من الباطل . ولا يزالون يستجرون الغفلة من الناس حتى يخرجوهم من الايمان ويقذفوهم في ظلمات الباطل وهم - مع ذلك - يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

(١) الحلول فكرة شيطانية فادها أنه يجوز أن يظهر الله في صورة بعض خلقه وعلى ذلك اطلقوا الالهية على البشر . ومن الحلولية : النصارى حيث قالوا حل الباري في عيسى ، والسبئية ، وفلاة الشيعة ، وفلاة المتصوفة .
انظر : كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد على الفاروقى التهانوى ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، ج ٢ / ١٠٨ ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر القاهرة - ط . ت . بدون .

(٢) الاتحاد : فى اللغة : امتزاج شيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً وعند فلاة الصوفية هو الاتحاد والاستهلاك كليه فى الاله ، والفناء عما سواه فهو يتصل بعقيدة الحلول . وبينهما فرق يسير . فالحلول بزعمهم يكون من الله فى عبده ، والاتحاد يكون سببه من العبد حيث يترقى فى الكمال حتى يتحد فى الله . فهى عقيدة قائمه على ان الكون منبثق عن الله - كما فى الديانة الهندوكية - والاتحاد هو عود الفرع الى الاصل والجزء الى الكل . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، باشراف محمد شفيق فريال ص ٥٤ ، مؤسسة فرنكلين ، القاهرة ط الاولى ١٩٦٥ . وانظر : اديان الهند الكبرى ٦٧ .

(٣) تلبس ابليس لاهى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط الاولى ١٣٩٦ هـ .

فالتصوف أصبح المنفذ الثاني - بعد التشيع - الذي نفذ من خلاله أعداء الاسلام لمحاربة الاسلام والهدم فيه من الداخل .

قال احسان الهسي ظهير - رحمه الله - :

" فظهر التصوف بصورة مذهب مخصوص ، وطائفة مخصوصة اعتنقه قوم ، وسلكه اشخاص ساذجون بدون تفكير كبير ، وتدبر عميق كمالك الزهد ، ووسيلة التقرب الى الله . فيرعارفين بالاسس التي قام عليها هذا المشرب والقواعد التي أسس عليها هذا المذهب بسذاجة فطرية ، وطيبة طبيعية . كما تستر بقناه وتنقيب بنقابه . . آخرون لهدم الاسلام وكيانه ، وادخال اليهودية والمسيحية فسي الاسلام وافكارهما من جانب ، والنزاد شتية والمجوسية والشعوية من جانب آخر (١) وكذلك الهند وكية (٢) والبوذية والفلسفة اليونانية الافلاطونية من ناحية أخرى ،

(١) هي حركة تتشمل من مجموع الآراء والاشخاص والمواقف التي عبرت عن نظرية عنصرية أساسها تفضيل الاجناس غير العربية على العرب ، من طريق ذمهم والحط من حضارتهم والعمل على ازاله سلطانهم الى جانب الاشادة - بحضارة الشعوب الاخرى ومحاولة اعادة سلطانهم وتنفع عنها الشعوب الدينية وهي محاولة أحياء أديان الشعوب الاخرى عن طريق نشر افكارها ومحاربة الاسلام .

انظر - الشعوبية . د . عبدالله سلوم السامرائي ، ص ٨ المؤسسة العراقية للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٨٤ م .

(٢) الهند وكية : اشهر الديانات الهندية القديمة وتسمى البرهمية . نسبة الى معبودهم براهيم . وهو دين قائم على وحدة الوجود والتناسخ . انظر : أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ، ص ٧٧ ، ١٤٣ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط الرابعة ١٩٧٦ م . ودائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ح ١٥٩ / ٢ ، ١٦٤ .

(٣) البوذية : فرقة من فرق الهند وكية . أسسها " بوذا " وهي خليط من العقائد الهندية والصينية . أديان الهند الكبرى ص ١٣٧ . وما بعده ودائرة معارف القرن العشرين ح ٣٨٨ / ٢ .

وتقويض أركان الاسلام والغاء تعاليم سيد الرسل - صلى الله عليه وسلم - ونسخ
الاسلام وابطال شريعته بنعرة وحدة الوجود^(١) ووحدة الاديان^(٢) . وترجيح
من يسمى بالولي على انبياء الله ورسله ، ومخالفة العلم ، والتفريق بين الشريعة
والحقيقة وترويج الحكايات والاباطيل والأساطير باسم الكرامات والخوارق وغير
ذلك من الخرافات والترهات^(٣) .

وكما أن ابن سبأ وغيره من دعاة الباطنية امتطوا اظهيرالتشيع لبث الفكر الهدام
فقد كان التصوف ميدان الزمرة أخرى أشد واخبث في المكر والافساد .

(١) وحدة الوجود : هو مذهب الذين يوحدون الله والعالم - تعالى الله عن ذلك -
ويزعمون أن كل شيء هو الله . وان العالم مظهر من مظاهر الذات
الالهية وانه صادر عن الله بالتجلي . ويزعمون ان وجود الله هو عين وجود
المخلوقات . سبحانك اللهم هذا افك عظيم .

انظر: المعجم الفلسفي د . جميل صليبا ، ج ٢ ، ص ٥٦٩ ، دارالكتاب
اللبناني ، بيروت ط الاولى ١٩٧٣ م وانظر: صرع التصوف أو تنبيه الغبي التي
تقريباً ابن عربي لبرهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ص ٦٢ ، ٦٣ ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ط الاولى ١٤٠٠ هـ .

(٢) وحدة الاديان : هي عقيدة متفرعة عن القول بوحدة الوجود . وان كل
شيء فهو عين الحق ، وعلى هذا فالالهة المعبودة في كل دين هي نفس
حقيقتها الاله الواحد ، وان تلك كواكب او اجارا ، او موتى . . وكل عابده
لاي منها عابده لله ، فما ذلك المعبود الا عين ذات الله تعالى الله عن
افك الزنادقة . انظر: صرع التصوف ص ١٩٩ ، ١٠٠ ، المتن والهاش .

(٣) التصوف المنشأ والصادر ، احسان الهسي ظهير ، ص ٥٤ ، ادارة ترجمان
السنة ، لاهور ، الباكستان ، ط الاولى ، ١٤٠٦ هـ .

(١) فالعلاج بث فكرة الحلول في أوكار الطرق الصوفية وشطحاتها الكلامية . ووجد فسي في مصطلحات القوم وإهامهم ما يمكنه من ترويج فكره الجاهلي الملحد .
وتبعه على ذلك ابن عربي (٢) الذي قال بفكرة وحدة الوجود . وألف كتباً ضمنها الكفر الصريح ، وإنكار وجود الله تعالى بذاته بائثاً عن خلقه منفرداً بصفات الكمال . وهدم بتلك الكتب أعظم أساس قام عليه الدين الإلهي والتوحيد .
وتبعهما على هذا الفكر كثير من المفسدين . وضل بفكرهم كثير من الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولم يأت القرن السابع الهجري إلا والفكر الصوفي الفلسفي عبارة عن مستنقعات توجد فيها كل الشرور الفكرية وتحوي الضلالات الموجودة في جميع الأديان والمذاهب . وليس عند كثير من فرق الصوفية شيء من الإسلام الأسماء ألبسوها تلك الأصول الجاهلية . من أساليب أهل التشيع والتصوف التي لبسوها باطلهم التأويل ودعوى الظاهر والباطن . والتي تلاعبوا بها بنصوص الكتاب والسنة . وأدخلوا ما أرادوا من الشر والفكر الهدام كتنسيب معنى باطني للنصوص .

(١) الحسين بن منصور الحلاج ، فارسي الأصل . أظهر الزهد والورع . واشتغل بكلام الصوفية . قال بالحلول وتلفظ بالفاظ منكروه شنيعه كقوله : " أنا الحق " و " ما في الجبة إلا الله " أفتى العلماء بكفره وقتله فقتل بأمر المقتدر العباسي سنة ٣٠٩ هـ . ذكر عنه الجويني أنه كان يعمل على قلب الدولة وفساد المملكة انظر : وفيات الأعيان ت (١٨١)
والعبر ج ٢ / ١٣٨ والفرق بين الفرق ٢٦٠ ، ٢٦٨ .

(٢) الملحد الضال شيخ الصوفية الغالية ، محمد بن علي بن محمد الطائي المعروف بابن عربي أحد القائلين بوحدة الوجود وأشهرهم . كثره عدد من العلماء صف : الفصوص والفتوحات المكية . هلك سنة ٦٣٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٨ ومصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي لبرهسان الدين القاسمي . تحقيق عبد الرحمن الوكيل .

كما يتبرهن بهذه الدعوى من تبعات مقالاتهم الكفرية الاحادية (١).
وكان من كيد اعداء الدين التحريض على الفتنة ، وايقاد نار الفرقة ، وتعميق
الخلاف بين المسلمين ، واحياء النعرات العرقية ، واذكاء النزعة الشعبوية .
ومن كيدهم للاسلام وأهله وضع الاحاديث ونقل الاسرائيليات وأساطير
أهل الكتاب وغيرهم .

قال انوالجندي :

" وقد ذهب أغلب الباحثين الى أن اكثر الاحاديث الموضوعة من الاسرائيليات انما
وضعت عن تدبير وتخطيط وخصوصة وكيد . وأنها من عوامل الحرب الفكرية والعقائدية
الضارية التي شنها اليهود وغلاة النحل المتدعة على الاسلام والمسلمين بكافة
الوسائل من التخفي والتسلسل والتعويه بقصد تمزيق وحدة المسلمين ، وتلبيتهم
عن دينهم القويم ، وتشثيتهم عن صراطه المستقيم .

وصف بعض الباحثين هذه الظاهرة بأنها ليست الاحريا حقيقة لكتاب الله
أرادوا بها صرف كل من يقرأ تفسيراً من التفاسير عما يريد الله في كتابه من هداية
البشر الى حكايات واعاجيب واساطير تستهوي البسطاء تم تتراكم هذه الاساطير
وتعترض حركة الافهام السليمة . " (٢)

ومن هذا النوع من المكر ترجمة كتب الفلسفة والاديان المنحرفة والوثنية وآدابها
مما كان له الاثر العظيم في انحراف كثير من المسلمين وظهور البدع والفرق الضالة
قال شيخ الاسلام ابن تيميه - رحمه الله - :

" . . وأظهر الله من نور النبوة شمسا طمست ضوء الكواكب ، وعاش السلف فيها
برهة طويلة ثم خفي بعض نور النبوة ، فعرب بعض كتب الاعاجم الفلاسفة -
من الروم والفرس والهند ، في اثناء الدولة العباسية .

ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم ، فعربت ، ودرسها الناس

وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر . (٣)

(١) التصوف المنشأ والصادر ، احسان الهي ظهير ، ص ٢٤٣ .
(٢) الاسلام والدعوات الهداية ، أنورالجندي ص ٢٣٦ . دارالكتاب اللبناني
بيروت ط الاولى ١٩٧٤ م .
(٣) مجموع الفتاوى ح ٨٤ / ٢ .

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن الترجمة للفلسفة اليونانية كانت عاملا فسي-
أضعاف الدولة الاسلامية وهزيمتها بعد ذلك عسكريا امام اعدائها . فقال :
" واننى أريد أن اعقب - بصفتى قارئاً ومتخصصاً فى الفلسفة الاسلامية^(١) - بأن
الترجمة للفلسفة اليونانية ، التى وصلت الى قمة الجهاز السياسى فى عهد المأمون^(٢)
كانت إحدى عوامل الهزيمة الثقافية ، بل الهزيمة العسكرية فكان الحسم لصالحهم
بعد ذلك عبر الغزو التتارى والغزو الصليبي^(٣) "

وهذا الربط بين ترجمة الفلسفة وبين الهزيمة الثقافية والعسكرية هو الحق الذى
لامرية فيه . وذلك أن سر ظهور الاسلام وتمكن أهله فى الارض انما كان بالتزام
أهله بالدين الصافى واستغنائهم عن معارف الجاهلية . ثم بعد الترجمة كان ما اشار
اليه ابن تيمية من ظهور البدع وما يتبع ذلك من الخلاف وذهاب الريح . فضعف
السبب الذى به ظهر الاسلام كان من أهم اسباب الهزيمة العسكرية . كما
ان قبول المسلمين لتلك الفلسفات واستخدامها فى معرفة العقائد وتقريرها بمثابة
شهادة وتزكية لها بالصلاح وهذا يرفع من شأنها كما انه فى نفس الوقت يشعر
بحاجة المسلمين وقرهم لها وهذه هزيمة ثقافية مع أن الواقع ان الاسلام فى أشد
الغنى عنها .

(١) قوله : " الفلسفة الاسلامية " تعبير غير سليم . حيث ان الاسلام ليس فيه
فلسفة بل هودين الهى ووحى ربانى فى غاية البيان والوضوح والفلسفة
لا يحتاجها الا اهل التعقيد والتلبس والتناقض . والاصح لوقال : " الفلسفة
المنسوبة الى الاسلام .

(٢) الخليفة العباسى عبد الله المأمون بن هارون الرشيد تولى الخلافة بعد قتل
اخيه الامين سنة ١٩٨ هـ اشعل فى آخر خلافته فتنة القول بخلق القرآن
توفى سنة ٢١٨ هـ .

انظر : سير اعلام النبلاء . ٢٧٢/١٠ . والبداية والنهاية . ٢٨٧/١٠ .
(٣) انظر : تعليق الدكتور راجح الكردى على تعليق على بحث : " موقف الفكر
الاسلامى المعاصر من الحضارة الحديثة " للدكتور : ابراهيم زيد الكيلانى ص ١٥٦
ندوة اتجاهات الفكر الاسلامى المعاصر . البحرين ، مكتب التربية العربى
لدول الخليج ١٤٠٧ هـ .

فلا يحتاجون اليها ولا الى غيرها لمعرفة دينهم . ولو اقتصر استخدام تلك العلوم العقلية على الطالب المادية كالصناعة والزراعة والطب ونحوها . لكان ذلك حسنا .

اما الزعم بأنها الطريق الى معرفة العقائد والاخلاق فهذا خطأ كبير وسبب من اسباب ضعف المسلمين وهزيمتهم . بل ان بعض الكتاب الغربيين يرى أن خوض الفلاسفة اليونان أنفسهم في هذه المطالب كان سببا في تأخر الحضارة اليونانية حيث قال :

" ان الفلسفة التي تخوض فيها وراة الطبيعة هي علم الاخلاق من العقبات التي حالت دون تقدم الحضارة اليونانية القديمة " (١)

ولم يقتصر كيد الحاقدين على ما تقدم بل كرواكرة هوجاء على جميع اصول الاسلام واسسه . وراموا هدم عقائده ، والتحلل من شرائعه وتفكيك دعائه الاجتماعية . فحدث في زمن المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر أخذ معبد الجهنى من سوسن^(٢) النصرانى الذي أظهر الاسلام ثم تنصر . وورثه عن معبد غيلان^(٣) الدمشقي والجعد بن درهم .^(٤)^(٥)

-
- (١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ج٢ / ١٩٤ .
 - (٢) معبد بن عبد الله الجهنى نزيل البصرة اول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة قيل أخذ قوله في القدر من رجل نصرانى اسمه سوسن . مات قبل سنة ٩٠ هـ : انظر : سير اعلام النبلاء ٤ / ١٨٥ والبداية والنهاية ٩ / ٣٦ .
 - (٣) رجل نصرانى أظهر الاسلام وقذف بين المسلمين القول في القدر ثم لحسق بدينه النصرانى . انظر : سير اعلام النبلاء ٤ / ١٨٦ . والبداية والنهاية ٩ / ٣٦ .
 - (٤) غيلان بن سلم الدمشقي القدرى من اوائل من قال بانكار القدر . ناظره الاوزاعي فلم يرجع عن بدعته فاقتى بقتله فقتله هشام بن عبد الملك . انظر : لسان الميزان ٤ / ٤٢٤ والاعلام ٥ / ١٢٤ .
 - (٥) الجعد بن درهم مؤيد مروان بن محمد الاموى اول من ابتدع في هذه الامة انكار ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وانه كلم موسى تكليما . وأخذ ذلك عنه الجهم بن صفوان الذى تنسب اليه الجهمية . وقد قتل الجعد والى العراق - خالد بن عبد الله القسرى سنة ١٢٤ هـ على الزندقة . انظر : سير اعلام النبلاء ٥ / ٤٣٣ . والبداية والنهاية ٩ / ٣٦٤ .

وجاء من بعدهم الجهم بن صفوان^(١) فنفت في روع اناس من شروره الفكرية ، فصبغت تلك الشرور كثيرا من الفرق المنتسبة الى الاسلام على درجات متفاوتة .
(٢)
فتكلم بفكرة الجبر ، وتعطيل صفات الباري ، تبارك وتعالى ، وفكرة الارجاء^(٢) وأن الايمان هو المعرفة بالله والكفر هو الجهل به . وقال بخلق القرآن^(٣) ، وغير ذلك من الافكار الخبيثة التي احدثت جدلا وفرقة ، ونتج عنها فتن داخل الامة الاسلامية .

(١) ابو محرز الجهم بن صفوان الراسبي . تلميذ الجعد بن درهم الذي قتل على الزندقة . والجهم هو اول من جاهر بالقول بخلق القرآن وتعطيل الباري تعالى عن صفاته واليه تنسب الجهمية . قال عنه الذهبي :
" الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صفار التابعين ، وما علمته روى - شيئا ولكنه زرع شرا عظيما " وكان مع بدعته يحمل السلاح ويخرج على السلطان قتله سلم بن أحوز في آخر زمان بني امية . انظر : الفرق بين الفرق تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٢١١ . وميزان الاعتدال للذهبي تحقيق عيسى محمد البجادي ح ٤٢٦/١ .

(٢) الارجاء : معناه في اللغة التأخير والمراد به تأخير العطل عن الايمان حيث زعموا ان الاعمال الصالحة من الاقوال والاعمال غير داخله في سمي الايمان وترتب على هذا القول بعدم زيادة الايمان ونقصانه . والمرجئه فرق كثيرة مختلفة في قولها في الارجاء . فمنهم الجهمية الذين قالوا الايمان هو المعرفة فقط ، ومنهم من قال : هو تصديق القلب كالاشاعة ومن نحاحوهم ، ومنهم من قال : هو قول اللسان كالكرامية . ومنهم من قال هو : تصديق القلب وقول اللسان . انظر : الفرق بين الفرق ٢٠٢ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ح ١٩٥/٧ .

(٣) القول بخلق القرآن : عقيدة باطلة قالت بها الجهمية وتبعها على ذلك المعتزلة وهي حقيقة قول الاشعرية والماتريدية . وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله وانكارهم صفة الكلام لله عز وجل . والذي دل عليه القرآن والسنة عليه السلف الصالح ان الله تعالى يتكلم حقيقة بكلام بدأ منه بحرف وصوت يسمع متى شاء كيف شاء . والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق . وقد استقصى علماء السلف الادله على ذلك في كتب السنن والايمان والتوحيد . انظر مثلا : كتاب التوحيد من صحيح البخاري .

وانظر : مجموع الفتاوى ح ١١٨/١٢ - ١٢٥ . والابانة عن اصول الديانة لابن الحسن الاشعري تحقيق د . فوقيه حسين محمود ص ١٤ ، ١٥ ، ٦٣ وما بعده دار الانصار ، مصر ، ط الاولى ١٣٩٧ هـ .

ثم ظهرت فرقة المعتزلة على يدي واصل بن عطاء^(١) ، وعمرو بن عبيد^(٢) في مقابلة الجهمية . وراموا الرد على الجهمية بافكار منحرفة خالفوا بها أهل الحق كما تبينوا بعض أفكار الجهمية كالقول بخلق القرآن وتعطيل الصفات وغير ذلك ، فأخذوا من التجهم بنصيب .

ثم ظهرت الماتريدية^(٣) والاشاعرة^(٤) ، وزعموا التوسط بين منهج اتباع السلف الصالح وبين المعتزلة . فوافقوا المعتزلة والجهمية ببعض قولهم ووافقوا السلف ببعض قولهم فأخذوا من التجهم بنصيب .

(١) واصل بن عطاء البصرى الفزالي ، اول من قال بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين واحد شيخ المعتزلة . صنف كتاب المنزلة بين المنزلتين توفى سنة ١٣١هـ .

انظر: وفيات الاعيان ٧/٦ . سير اعلام النبلاء ٥/٤٦٤ .

(٢) عمرو بن عبيد البصرى ابو عثمان كبير المعتزلة وأحد شيوخها الاوائل . تركه عدد من الائمة لبدعته . صنف كتاب العدل والتوحيد . مات سنة ١٤٣هـ . انظر: وفيات الاعيان ٣/٤٦٠ ، سير اعلام النبلاء ٦/١٠٤ .

(٣) الماتريدية : اتباع ابي منصور محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي المتوفى سنة ٣٣٣هـ . وماتريد محلة من سمرقند من بدعتهم الارجاء ونفسى بعض الصفات وغير ذلك . انظر: الفرق الاسلامية الكلامية ٣٤١ . والماتريدية وموقفهم من توحيد الاسماء والصفات .

(٤) الاشاعرة : هم المنتسبون الى ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري بعد ان ترك الاعتزال وأخذ بمذهب الكلاسية . وهم مرجئه في باب الايمان معطلة لبعض الصفات ، جبريه في باب القدر ولهم بدع أخرى . انظر: الفرق الكلامية الاسلامية ٢٧٨ .

ومجموع الفتاوى : ح ١٢٤/٢٠٤ ، ح ٣٦٨ ، ح ١٣١/١٣ .

وقدامتت هذه الفرق - كما فعل المشبعة والمتصوفة - التأويل
لابطال دلالة نصوص التنزيل . قال ابن القيم - رحمه الله - :
" الفصل الخامس والعشرون : فى ذكر الطواغيت الأربعة التى هدم بها
أصحاب التأويل الباطل معاقب الدين ، وانتهكوا بها حرمة القرآن ، ومحسوا
بها رسوم الايمان وهى :
قولهم : أن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تغبدها ولا يحصل منها يقين .
وقولهم : ان آيات الصفات وآحاديث الصفات مجازات لاحقيقة لها .
وقولهم : ان أخبار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصحيحة التى رواها العدل
وتلقتها الامة بالقبول لا تفيد العلم وفايتها أن تفيد الظن .
وقولهم : اذا تعارض العقل ونصوص الوحي أخذنا بالعقل ولم نلتفت الى الوحي .
فهذه الطواغيت الاربعة التى فعلت بالاسلام ما فعلت ، وهى التى محت
رسومه ، وأزالت معالمه ، وهدمت قواعده ، واسقطت حرمة النصوص من القلوب
ونهجت طريق الطعن فيها لكل زنديق وطحد ، فلا يحتج عليه المحتج بحجة
من كتاب الله أو سنة رسوله ، الا لجأ الى طافت من هذه الطواغيت واعتصم به
واتخذة جنة يصد به عن سبيل الله . والله تعالى بحوله وقوته ومنه وفضله قد
كسر هذه الطواغيت طافتا طافتا . على السنة خلفاء رسوله ، وورثة انبيائه
فلم يزل انصار الله وسوله يصيحون بأهلها من اقطار الارض ، ويرجمونهم بشبه
الوحي ، وأدلة المعقول " (١)

ومع مرور الايام انقسمت تلك الفرق على أنفسها وزاد اختلافها وانحرافها
وشقت طريقها بين افراد المجتمع المسلم وكثرتاوعها . وما ساعد على ذلك :

(١) الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعتلة لابن القيم ، تحقيق د . أحمد
عطية الغامدى ح ٢ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ . الجامعة الاسلامية المدينة المنورة
ط الاولى ١٤١٠ هـ .

١ - ضعف الايمان وغلبة الجهل . وذلك أن الايمان الراسخ القائم على التوحيد الخالص والعلم المستمد من الكتاب والسنة هو الحصن الحصين الذى يحصن الله به عباده من الفكر الهدام وسائر الفتن .

وسياتى بيان ذلك فى طبقات هذا البحث باذن الله .

٢ - اظهار القائلين لهذه الافكار الداعين اليها للزهد والورع والحماس وادعاء الحرص على الاسلام . وتحملهم الكثير من التضحيات والشاق ، مما جعل كثيرا من الناس يفترون وينخدعون بهم .

٣ - تقبل بعض المعروفين بالعلم لبعض هذه الافكار ومدحهم لاساطين الفلاسفة وعلومهم .

٤ - تسامح بعض الخلفاء والولاة والسلاطين مع أهل الاهواء والبدع وعدم الحزم فى مقامتهم . و مناصرة بعضهم لهم وفرضهم لافكارهم .

٥ - استيلاء بعض الحكام المنتمين الى بعض الفرق الضالة على الحكم فى بعض البلاد الاسلامية .

فهذه الامور - وغيرها - كانت ثغرات نفذت منها الافكار الهدامة التى اجتاحت المجتمع المسلم . وما ان دخلت حتى وجدت آذانا تستمع اليها ، وقلوبا مفتوحة لها ، فتغلغلت وسرت كسريان النار فى الهشيم وأشربت كثير من القلوب الفتنة .

وحفظ الله الحق فى طائفة من الناس استمسكوا به وتجافوا عن الباطل والمحدثات وقاموا بما استطاعوا من النصيحة لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -

ولائمة المسلمين وعامتهم . الا أن الانحراف استبد وفرض وجوده واستحكم فى المجتمع " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۗ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(١) " وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ۖ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ^(٢) "

(١) سورة " يوسف " ٢١ .

(٢) سورة " المائدة " ٤١ .

واستمر خطر الفكر الهدام والفرق الضالة يزيد مع مرو الزمن ويقوى سلطان أهله واستحوذهم على المسلمين . حتى اذا جاء العصر الحديث فاذا الجهل والضلال قد استحكما في عقائد المسلمين وشرائعهم ، وأصبحت البدعة سنة والسنة بدعة . وألغوا ذلك ودافعوا عنه ، وعادوا ماسواه ولو كان الحق الذى ينطق به الكتاب .

ومن أصدق الشواهد على هذه الحال ذلك الوقوف المنكر والمجاهبة لاهل التوحيد والدعوة الى تنقية الدين مماخالطه من الفكر الهدام والانحرافات والرجوع الى سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وماكان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، الذى قام بهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن آزره - فى دعوته . فرمواهم بالبدعة والضلال وحاربوهم باسم الاسلام .

وليس فريبا - وهذه حالهم - أن يتسلط عليهم اعدائهم من النصارى واليهود والشيعيين فيشنوا عليهم حملات استعمارية وقع فى اثرها كثير من البلاد الاسلامية تحت الاستعمار الصليبيّ الفادر ، والشيعى الطحد الفاجر . حيث شن على المسلمين نوعا جديدا من الغزو الفكرى الرهيب بفرض الاجهاز على الاسلام واقتلعه من جذوره . " وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ (١) .

وقد جاء المجال للكلام على الصراع الفكرى فى العصر الحديث . ويكون ذلك فى المطلب القادم . والله المستعان

(١) سورة " الانفال " ٣٠

المطلب الثالث : الغزو الفكري للاة الاسلامة فى العصر الحديث .

ان استخدام لفظ " الغزو " فى التعبير عن كيد اعداء الالة فى العصر الحديث مناسب لطبيعة ذلك الكيد . وذلك أن جهود اعداء الاسلام فى العصور الحديثه تختلف عن تخطيط اولئك الحاقدين فى القديم .

فى القديم كان الاسلام قويا مهيمنا ، وفى الحديث نجد أهل الاسلام فى أدنى مستويات الانحطاط الفكرى والعسكرى والاجتماعى .

فى القديم كان الالتزام بالاسلام قويا ويكثر وجود العلماء العاطلين السائرين المستمكين بالايمان الصحيح . وكانت لهم مكانتهم عند العاة والخاصة . أما فى الوقت الذى بدأت فيه الجولة الجديدة من الحرب الفكرية فى العصور المتأخره ، كان المجتمع المسلم قد تنازعت الاهواء والفرق فعكرت صفوه وتدنس بعض العلماء بلوشات الافكار الهداة والمذاهب المخالفة والمناهج الضالة .

فى القديم كان الحاقدون يتظاهرون بالاسلام ويفسدون بدعوى الاصلاح والحرص على الاسلام . اما فى الحديث فرواد المجابهة الفكرية هم من النصارى واليهود وهم يعملون لحساب دول ومنظمات قوية غنية .

لذلك قلب على المواجهة القدية لفظ الصراع لوجود المقاومة العنيفة التى قام بها المسلمون من العلماء والخلفاء وغيرهم .

فى العصر الحديث فالواقع يدل على وقوع الالة الاسلامة تحت غزو فكبرى عنيف سبق الغزو المسلح ومهدله ورافقه واستمر بعده . وقد كان ميدان هذا الغزو هو المعارف الاسلامية من العقائد والشرائع والاخلاق والنظم والادب - والتاريخ وجميع المجالات الفكرية .

مفهوم الغزو الفكري :

بين بعض الباحثين مفهوم الغزو الفكري بقوله :

"هومن شعب الجهد البشرى العذول ضد عدوما لكسب معارك الحياة منه
ولتذليل قياده وتحويل مساره وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتيا
اذا أمكن . وهذا هو أقصى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للمغلوب . وان كان في الوقت
نفسه هو أقصى درجات نجاح الغزاه .

وسلاح هذا الغزو : الفكرة ، والرأى والحيلة والنظريات والشبهات وخلاصة المنطق
وبراعة العرض ولداوة الخصومة وتحريف الكلم عن مواضعه وغير ذلك .

ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد ، فهو حرب دائمة لا يحصرها ميدان
بل تمتد الى شعب الحياة الانسانية جميعا . وتسبق حروب السلاح وتواكبها ، حتى
تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه ، فتشل ارادة المهزوم وهزيمته
حتى يلين ويستكين ، وتنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه فيقبل التلاشي
والغناء في بوتقة اعدائه أو يصبح امتدادا ذليلا لهم^(١) .

والمراد هنا هو ذلك الجهد الفكري المنظم الذي شنه اعداء الاسلام
وخاصه اليهود والنصارى والشيوعيين على الامة الاسلامية في العصر الحديث .
وقد مرت جهود اعداء الامة في مجال الغزو الفكري في العصر الحديث بثلاث مراحل :
الاولى : مرحلة الاعداد . وهي ما قبل الاستعمار العسكري المباشر . وشمل
ذلك التخطيط للتفريق بين المسلمين واسقاط الدولة العثمانية

(١) الغزو الفكري والتبارات المعادية للاسلام . د . عبدالستار فتح الله

سعيد ص ٧ ، دار الانصار ، القاهرة ، ط الاولى ت بدون .

وايجاد الفكرة القومية لدى شعوب العالم الاسلامى . واثاره الكراهية^(١)
بين العرب والترك . وقد نشطت هذه المرحلة فى القرن التاسع عشر
الميلادى .^(٢)

الثانية : مرحلة الاستعمار العسكرى . وفيها وقع معظم البلدان الاسلامية
تحت حكم المستعمرين النصارى فى اوائل القرن العشرين الميلادى -
هذلك استلم اعداء الامه مباشرة مراكز التعليم والتربية والحكم والاعلام
وسائر مؤسسات الدولة . فوجهوها وجهة غريبه إلهادية . وأقاموها
على الافكار والنظريات الضالة التى توافق وضع المستعمر وتحقق
اهدافه .

(١) القومية : هى فكرة تقوم على التقاء كل شعب على الروابط المشتركة بين
افراده كالجنس ، واللغة والتاريخ ، وأوالارض والوطن ، والطرف
المعيشية والاقتصادية أهلها جميعا ، واستثنى من ذلك
الدين . وقد اختلفت وجهات النظر بين دعاة القومية فى تحديد
العنصر الاهم والمقوم الاساسى لهذه الفكرة .

وحقيقة القومية التى دعا اليها الاستعمار هى دعوة كل جنس من
شعوب العالم الاسلامى الى التلاحم والتآخى على اساس اللغة
والدم وغيرها من الروابط دون اعتبار للدين كما استبعد التاريخ
الاسلامى من الروابط المشتركة .

انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الاسلام منها . جمع
الخولى ، ص ١١٥ ، ١١٦ . الناشر الجامعة الاسلامية ، المدينة
المنورة ، ط الاولى ١٤٠٧ هـ .
والمخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام . لمحمد محمود الصواف ص -
٢٣ - ٢٨ . دار الاصلاح ، الدمام ، ط الاولى ١٩٧٩ م .

(٢) انظر : فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام د . صالح بن عبد الله العبود
ص ٩٦ - ١٤٣ دار طيبة ، الرياض ، ط الاولى ١٤٠١ هـ .
والاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ١٢٢ - ١٢٨ .

وأشيرت الافكار الجاهليه ، والشكوك والطمعن في الاسلام ، والدعوة السي
سايرة الغرب علناً في مجالات واسعة كالاذاعات والمسارح والسينما والمدارس -
والصحف وغيرها . (١)

الثالثة- مرحلة ما بعد الاستعمار :

وهي فترة تعتبر في كثير من البلاد استمراراً لمرحلة الاستعمار العسكري
حيث أن المستعمرين يسلمون الحكم لمن ربوهم على فكرهم واتجاهاتهم
اوتستلمه زمرة - بمساعدة المستعمر - من المنحرفين الي بعض الافكار
الخبیثة كالشيوعية او القومية البعثية اغيرها .

ففرض على الشعوب الاسلامية ماغرسه الاستعمار . او وقعت تحت أوضاع
أشد خطراً وكفراً وتسلطاً . (٢)

ويرجع كثير من الباحثين بداية التخطيط للحرب الفكرية الحديثة السي
توجهات ملك فرنسا " لويس التاسع " (٣) الذي كان يقود بعض الحملات الصليبية
بنفسه حيث أسرف في أحداها وسجن في المنصورة بصر ، وقتل في حملة أخرى .
وقد أخذ يفكر بعمق - وهو في معتقه بالمنصورة في السياسة التي كان أجدر
بالغرب أن يتبعها ازاها المسلمين .

(١) حاضر العالم الاسلامي وقضايا المعاصرة د . جميل عبد الله المصري
ح ١٣٣/١ - ١٥٥ مطابع الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، ط -
الاولى ١٤٠٧هـ .

(٢) انظر : احذروا الاساليب الحديثة في مجابهة الاسلام ص ١٨٧ .
واساليب الغزو الفكري ، د . علي جريشه ، ومحمد شريف الزبيق ص ٤٨ ٤٩
دار الاعتصام القاهرة ، ط الاولى ١٩٧٨ .

(٣) لويس التاسع ملك فرنسا من سنة ١٢٢٦ - ١٢٧٠ م قاد الحملة الصليبية
السابعة عام ١٢٤٩ التي توجهت الي مصر والتي بآت بالفشل وأسـر
فيها لويس وسجن في المنصورة بصر وأطلق سراحه بفديه كبيرة ثم قاد في
آخر حكه حملة أخرى سنة ١٢٧٠ م توجهت الي تونس حيث فشلت ايضاً
ومات فيها لويس . انظر : اوربا العصور الوسطى ، التاريخ السياسي
د . سعيد عبد الفتاح عاشور . ح ١/٢٦٠ - ٢٦٥ مكتبة الانجلو المصرية
بصر - ط السادسة ، ١٩٧٥ .

ومعد ذلك وضع خيوط المؤامرة الفكرية الجديدة على الاسلام ولخصها في
أربعة أمور:

١ - تحويل الحملات الصليبية العسكرية الى حملات صليبية سلمية تستهدف
ذات الغرض ، ولا فرق بين الحملتين الا من حيث نوع السلاح الذي يستخدم
في المعركة .

٢ - تجنيد المشركين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الاسلام ووقف
انتشاره ، ثم القضاء عليه معنويا ، واعتباره هؤلاء المشركين جنودا للغرب .

٣ - العمل على افشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الاسلامي يتخذها
الغرب نقطة ارتكاز لقوات الحربية ولدعوته السياسية والدينية وقد
اقترح لويس لهذه القاعدة الاماكن الساحلية في لبنان وفلسطين .^(٢)

وقد سار الاوروبيون بالفعل في طريق تنفيذ وصية لويس حيث أعدوا جيوشا
من المستشرقين والمنصرين . الذين قاموا بحركة تشويه للاسلام بهدف تشكيل
المسلمين فيه . كما قاموا بانشاء قاعدة نصرانية لهم في لبنان

(١) مفهوم التبشير المزعوم هو الدعوة الى النصرانية . الا أنه في الحقيقة
يتقنع بالدين والاعمال الخيرية لتحقيق الغرض الحقيقي ، وهو زعزعة عقائد
غير النصرانية عامة والمسلمين خاصة ثم تهيتهم بشتى الوسائل لقبول
النفوذ الغربي والاستكانة للاستعمار وبسط السيطرة الغربية عليهم ثقافيا
ودينيا وسياسيا . انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية . د . مصطفى
خالد ، د . عمر فرخ . ص ٥ . المكتبة العصرية ، بيروت . ط الثانية
١٩٨٣ . واحذروا الاساليب الحديثة في مواجهة الاسلام ص ٣٩ .

(٢) انظر : أساليب الغزو الفكري د . علي جريشه ومحمد شريف الزبيق ص ١٩
واحذروا الاساليب الحديثة في مواجهة الاسلام ص ٣٣ .

(٣) الاستشراق : هو حركة دراسة العلوم والآداب والحضارة والثقافة الاسلامية
بهدف معرفة عقلية المسلمين وافكارهم واتجاههم واسباب تفوقهم وقوتهم
لضرب هذه القوة من جهة ، والاستفادة من علوم المسلمين من جهة ثانية
والتمهيد للاستعمار النصراني لدول العالم الاسلامي واخضاعها لنفوذ
سلطان من جهة ثالثة .

احذروا الاساليب الحديثة في مواجهة الاسلام ص ٨٩ .

يهودية في فلسطين (١)!

والحق أن " لويس " بقراراته هذه وقع على أمرين هامين :

الاول : أنه أدرك السرفى قوة المسلمين ، وهى عقيدتهم وتمسكهم بتعاليم دينهم . وأنه لاسبيل للغرب وللغيرهم للانتصار على المسلمين مع تمسكهم

(٢)

به .

(١) انظر: احذروا الاساليب الحديثه فى مواجهه الاسلام ص ٣٤ ، واساليب الغزو الفكرى ص ١٩ .

(٢) يثبت التاريخ أنه كلما قام رجال بالدعوة للدين الصحيح وتطهير الاعتقادات وقع البدع فان الاسلام يقوى ويحى فيه الجهاد ، وتعزز الاله وتسترد ما سلب من اوطانها . ومن شواهد ذلك ما حصل من استرداد بيت المقدس من الصليبيين ودحر حملاتهم المتأخره - ومنها الحملات التى قادها لويس - على أيدي رجال اشال : نورالدين زنكى ، صلاح الدين الايوبي ومن جاء بعدهم واقتضى اثرهم فى الصلاح والجهاد قال ابن كثير - رحمه الله - فى ترجمه نورالدين : " كان مجاهدا فى الفرنج آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، محبا للعلماء والفقراء والصالحين ، مبغضا للظلم ، صحيح الاعتقاد مؤثرا لافعال الخير ، ولا يجسر أحدان يظلم احدا فى زمانه ، وكان قد قمع المناكر وأهلها ، ورفع العلم والشرع وكان مدعا لقيام الليل . . . الى أن قال : قال ابن الجوزى : استرجع نورالدين محمد بن زنكى - رحمه الله تعالى من ايدي الكفار نيفا وخمسين مدينة الهداية والنهاية للحافظ ابن كثير ح ٣٨٧/١٢ . دار الفكر العربى .

ففى مثل هذه الاحوال التى يقام فيها الايمان الصحيح وينصر تتجلى آثار الايمان المباركة - التى هى موضوع هذه الدراسة - ومنها ولا يهتبه الله لعباده بحفظهم والدفاع عنهم وتمكينهم فى الارض . كما يشهد لذلك ما حصل للموحدين فى نجد فى القرن الرابع عشر الهجرى الذى دعا الى مادعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من تصحيح الاعتقاد ونيل البدع واتباع السنة والجهاد فى سبيل الله ، فحفظهم الله فى الجزيرة العربية فى وقت اكتسح فيه الاستعمار الصليبي جميع البلاد الاسلامية تقريبا . فحفظهم الله وحفظ بهم منهج السلف الصالح .

واذا قورنت هذه الاحوال بالاحوال التى ضاعت فيها بلاد المسلمين نجد أن السبب الأهم هو الانحراف عن الايمان وكثرة البدع والعصيان ومن شواهد ذلك ما قاله ابن كثير وهويين سبب انتصار الروم على المسلمين وانتزاعهم الكثير من بلادهم : " . . . وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم ، وفشو البدع فيهم وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم " البداية والنهاية المصدر السابق

ح ٣٤٣/١٢

وماداموا قد حددوا السبب الحقيقي : " فان العلاج والمقاومة يكون من السهولة
بمكان وقد عرفوا سر قوة المسلمين وهو : عقيدتهم وشريعتهم واخلاقهم وعاداتهم
وتقاليدهم الاسلامية .

اذ لا بد من توجه الحرب الى الاسلام نفسه كدين وعقيدة ومنهج حياة وعادات وتقاليد
ولا بد من زعزعة الاسلام في قلب المسلم وتخريب العقيدة في قلوب المسلمين . اومعنى
آخر قالوا : لا بد من القضاء على الاسلام كعقيدة وشريعة ونظام ليسهل القضاء على
المسلمين كقوة . .^(١)

الثاني - انه وقع على الكيد المؤثر في حرب الاسلام . وهو أسلوب الغزو الفكري الذي يفوق
بعشرات المراحل اسلوب الغزو العسكري ذلك انه يمتاز بعدة أمور منها :

١ - الخداع : فالعدو من خلال هذا الغزو لا يثق اياك عيانا بيانا بل هو مستخف
بأنتك من وراء حجاب يدهمك بدون شعور منك ، قد يأتيك في صورة مقال جذاب
او كتاب بخلاف براق . أو برنامج اذاعي او تلفزيوني ، او فيلم أو مسلسل . بل أنه قد
يأتيك من خلال واحد من ابناء جلدتك ووطنك ، بل ودينك احيانا .

٢ - الخطورة : الغزو الفكري اخطر بكثير من الغزو العسكري لانه عميق التأثير فسي
الشعوب المغزوه اذ يمتد تأثيره عشرات بل مئات السنين احيانا ، والشعب
الذي يحارب بالغزو الفكري ينصرف بمحض اقتناعه هو كما يريد الغازي . .

٣ - الساطة : فالغزو الفكري سهل وسيمت وأقل تكلفة من الغزو العسكري السدي
يكلف كثيرا من الدماء والطاقات .^(٢)

ومما يزيد في ضراوة المعركة أن معظم الطبقة التي تملك زمام البلاد الاسلامية
من المفكرين والسياسيين مع القيم الغربية قلبا وقالبا^(٣)
وزاد من خطر هذه الهجة الفكرية التقاء الصالح والجهود النصرانية واليهودية
في التخطيط للسيطرة على العالم وتدمير الاسلام . والتقاه هؤلاء مع الشيوعيين على عداوة
الاسلام واعتباره الخطر الاول عليهم . وعلمهم جميعا على محاربتة بكل الوسائل الفكرية
والمادية .

(١) انظر : احذروا الاساليب الحديثة في مواجهة الاسلام ص ٣٢ .

(٢) (٣) نفس المصدر ص ٣٥ .

وقد استخدموا لهذا الغرض جيوشا من المبشرين والمستشرقين الذين كان دورهم هو نشر الفكر الهدام في صفوف المسلمين ، وصرّفهم عن المفاهيم الصحيحة التي جاء بها الاسلام في كل المجالات .

وقد أدرك المستشرقون ومن وراءهم من قادة الاستعمار أن عقيدة كثير من المسلمين قد شابها ما شابها من الانحراف ، وعملت فيها جهود الحاقدين القديمة ، ولولا ذلك ما نجحت مخططاتهم الحديثة بهذه السهولة . ولذلك اتجهت اهدافهم الى ترسيخ الانحراف ، والعمل على منع عودة المسلمين الى الفهم الصحيح للايمان المستمد من الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح . وقد عطلوا لتحقيق ذلك في عدة مجالات :

منها : احياء تلك الجهود القديمة واذكاء نارها .

قال انور الجندي :

" أن من أخطر التحديات التي تواجه الاسلام في العصر الحديث اهتمات الفكر الوثني . . القديم . . هذا الفكر الذي يجمع بين الوثنية والاحاد والتعددية والاشراق والمادية ، والذي عرفه العرب والمسلمون بعد ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وظهر أثره في الفلسفة وعلم الكلام والتصوف والدعوات الباطنية المتجددة عن المجوسية وفيها" (١)

ومن هنا : العمل على استحداث المزيد من الافكار الضالة والفرق الهدامة فلقد شجع الاستعمار قيام عدد من الفرق والمذاهب والجماعات المنحرفة والتي تتبنى آراء تهدم مبادئ الاسلام من أساسه وكان الهدف من انشاء هذه الجماعات هو :

١ - ضرب الاسلام كعقيدة وشريعة ، وتشكيك المسلمين في دينهم بعد أن حاولوا ابعاده عن مجال التطبيق .

(١) المؤامرة على الاسلام ، أنور الجندي من ، دار الاعتصام ، القاهرة ط الاولى

- ٢ - أن تساعد هذه الفرق على اسقاط شريعة الجهاد التي اقضت، مضاجع المستعمرين وذلك لاستمرار سيطرتهم على بلدان العالم الاسلامي .
- ٣ - أن تساعد على اشاعة الفرقة الفكرية بين المسلمين وشغلهم بالرد على بعضهم واستنفاد قوتهم في الجدل والمناقشات.
- ٤ - أن تساعد على نشر عقائدهم الباطلة . فقد تبنت هذه الجماعات كسيرا من عقائد النصارى واليهود والماركسيين وبذلك تستخدم هذه الجماعات كمدارس تبشيرية جديدة داخل العالم الاسلامي .^(١)

ومنها : التحريض على ضرب الحركات الاسلامية ، واجهاض الدعوات التي تهدف الى عودة المسلمين الى دينهم ، وتبصرهم بكيد اعدائهم . ومن هذا الباب تشويه سمعة الدعاة ووصفهم بالتطرف والارهاب ، ونشر الافتراءات عليهم .^(٢)

ومن ذلك تشجيع الدول الاستعمارية على مزاولة الضغوط على الحكومات الاسلامية بعدم انتهاج الاسلام وتطبيق احكامه والالتزام به في سياساتها المختلفة .

وقد اعتمد المستشرقون في كيدهم الفكري وهدرهم الخفي على حيلة المنهج العقلي المتجرد وأدعوا أنهم يلتزمون به ، ويبحثون عن الحق في دراستهم وفق أسس منطقية ونظرة عقلية محايدة . فخدعوا الكثير من الكتاب ورجال الفكر المسلمين فقبلوا اقاويلهم ومفترياتهم ظننا منهم انها نتائج بحث علمي متجرد .

والحق أن دعوى التجرد والحياد ، ودعوى المنطقية العقلية لاصحة لها في الواقع وانما هي أوهام وظنون وخداع قولية وتلبيسات شيطانية جعلها المستشرقون ومن سار في ركابهم من الحاقدين ستارا للطعن في الاسلام والتشكيك في تعاليمه وزخرفة الباطل .

(١) انظر: احذروا الاساليب الحديثة في مجابهة الاسلام ص ٢٨٣ .

(٢) انظر: نفس المصدر ص ٢٦٩ .

فالباحث والناقد والدارس - مهما كان - لا بد أن يكون له منهج يسير عليه وميزان يزن به ويرجع الحكم اليه . فالحكم بالخير والشر ، والحق والباطل والصواب والخطأ يختلف باختلاف البشر وشاربيهم الفكرية وقناعاتهم الشخصية فلا بد أن يكون عند الباحث والناقد تحديد مسبق لهذه المفاهيم يحكم به ويحكم اليه . لكن بعض الباحثين لا يجهر بمنهجه ويدعى التجرد من باب التدليس واعطاء نتائج قوة وقبولاً .

أما دعوى تحكيم العقل ومنطقه ، وأن هناك منطقاً عقلياً مشتركاً بين جميع الناس يزنون به الأمور ويحكمون اليه فهي دعوى باطلة ، وفتنة قديمة متجددة . ولا وجود لعقل هذا العقل اصلاً .

وأما الموجود هو أعمال الناظر العقل في أمر ما لينظر هل يستقيم على منهجه أولاً قال سيد قطب - رحمه الله - :

" إن العقل الصبراً من النقص والهوى لا وجود له في دنيا الواقع ، وإنما هو " مثال " ! . . فهناك عقلى وعقلك وعقل فلان وعقل علان . . وليس هناك عقل مطلق لا يتناوبه النقص والهوى والشهوة والجهل يحاكم النص القرآنى الى مقرراته . وإذا أوجبنا التأويل ليوافق النص هذا العقول الكثيرة ، فإننا ننتهى الى فوضى ! " (١)

والإضافة الى تصور العقل في القوة ، وقصوره في العلم ، وتأثير الشهوة والعواطف والانفعالات عليه ، فهو أيضاً متأثر بالتصورات الفكرية والقناعات الموروثة من البيئة والدين . أو التعصب للجنس الوطن ونحوها .

(١) خصائص التصور الاسلامى ، سيد قطب ، ص ١٩ ، دار الشروق القاهرة ، ط - العاشرة ١٤٠٨ هـ .

ومع ذلك فان الكافر والفاسق ميدان لوسوسة الشياطين وامدادهم لاعوانهم
بمخرف القول والباطل . كما قال رب العالمين :

" هَلْ أُنثِقُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٢﴾ " (١)

فكيف بعد هذا تقبل دعوى من هذه حاله بالنظر الصحيح والتجرد والحياد
العلمي .

وليس الغرض هو التأريخ أو استقصاء الحركات الهداية وجهود الاعداء .
وانما بيان خطورة الغزو الفكري الحديث واعتماده على الافكار الهداية ، مما يبين
أهمية العناية بالايمن ليتحقق أثره في تحصين الامة ضد الافكار الضالسة
بمختلف انواعها .

وسوف أورد أهم الاساليب التي استخدمتها الغرب الصليبي خاصة وتعاون
على تحقيقها اعداء الامة عامة ، وجندوا أنفسهم لمحاربة الاسلام والمسلمين بها
وقد لخص هذه الاساليب صاحب كتاب : "المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام"
فيما يلي :^(٢)

١ - فتح المدارس الاجنبية في ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها . وارسال القس
والرهبان . . ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا اجيال المسلمين على أعينهم
فتحو المدارس التي كمن التبشير والاستعمار في طيات كتبها السمومة وفي
صدر أساتذتها الحاقدين على الاسلام ، والذين وهبوا أنفسهم لمكافحة
الاسلام ودحر المسلمين .

(١) سورة " الشعراء " ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ، ص ١٧ - ٢١ .
دار الاصلاح ، الدمام ، ط الثالثة ، ١٣٩٩ هـ .

- ٢ - ومنها ارسال البعث وتكثير الارساليات التبشيرية لتتشرمكا من التبشير في كل مكان ، وتشكك الشباب المسلم في دينه وعقيدته . وتحيطه بسياس من أوهامها وضلالاتها ومن سائلهم فتح المستشفيات والمستوصفات ودور التمريض لنفس الغرض الخبيث .
- ٣ - ومنها ارسال اكبر قدر ممكن من شباب المسلمين وابنائهم الى ديار الغرب ينهلوا من ثقافته السمومة هناك ويعودوا الى ديارهم وقد ودعوا هناك دينهم . وخلقهم ومبادئهم . ورجعوا يحطون هم الامانة (١) امانه التبشير وحرب رساله الاسلام .
- ٤ - ومنها نشر الكتب الفسدة العابثة المضللة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الاصلية وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن الذي سيجرهم الى المجون والجنون .
- ٥ - ومن هذه المخططات السيطرة قدر المستطاع على برامج التعليم في الديار الاسلامية وتوجيه التعليم توجيها علمانيا لا يؤمن بدين ولا بصديق برسول وينطلق نحو الالحاد والفساد .
- ٦ - ومنها نشر المجلات الخليعة والسينات السمومة ، والتلفزيون المشحون بما يثر غرائز الشباب ويشغلهم بالتفكير في اشباع غرائزهم عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل دينهم وعقيدتهم وحرية اوطانهم وأمتهم .
- ٧ - ومنها العمل المتواصل لافساد شبابنا ورجالنا بزجاجة الخمر . وفتاة الهوى . والصورة الخليعة والقصة الماجنة وارسال القينات والفاتنات (٢)
- (١) ليست بأمانة وانما هي عين الخيانة .
- (٢) العلمانية : ترجمة مضللة لمصطلح أجنبي وترجمته الصحيحة : اللادينية او الدينوى . وهي دعوة الى اقامة الحياة على غير الدين . والفصل الكامل بين الدين والحياة ولاصله لها بالعلم . انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة د . جمعه الخولى ص ٩١ . والموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٦٢ .
- (٣) القينات : المغنيات .

أفواجاً أفواجاً ، الى ديار المسلمين ليفسدن باسم الفن ويهدمن باسم الحرية ويخرين باسم الترفيه .

٨ - ومنها فتح نوافذ للحضارة الغربية والثقافة الغربية وتمجيدها . والدعاية لها . لينظر منها شباب الاسلام فيفتن بمباهجها وتأخذ مظاهرها الخلابه الكاذبه . فيبدأ يأخذ بثقافتها ويعجب بحضارتها ويحتقر بعد ذلك أمته ولاده لسوء حاضرها المائل أمام عينيه . وقد جهل هو ماضيها . وفتن بحاضر الغربيين .

حتى أصبح قلبه معهم هناك وان كان جسمه هنا ، وروحه مع الغرب وأن عاش في الشرق وسكن الشرق . وولد فيه .

٩ - ومنها السيطرة الاقتصادية والتحكم في الاسواق ، وامتصاص أكبر قدر ممكن من ثروة البلاد الاسلاميه . واشاعة الفقر والبطالة بين المسلمين وهضم أى المسلمين ان اشتغلوا بدنياهم لمعالجه عوزهم ، وسد حاجاتهم وفقرهم نسوا دينهم ، واشغلوا عنه وأهمتهم أنفسهم وأهلهم واحتاجوا الى الغرب يستجدونه ويستقرضون منه ويسترضونه .

١٠ - ومنها تمجيد و احيا الحضارات القديمة كالحضارة الآشورية^(١) ، والحضارة الفينيقية^(٢) والحضارة الفرعونية^(٣) وتسليط الاضواء عليها . لينهر بها الشباب المسلم وينسى حضارته الاسلاميه الاصلية وقد طمسوا عنه أخبارها وشوهوا له حقائقها وفتحوا عينيه على حضارتهم وأمجادهم ومدنيتهم الحاضرة .

(١) الاشورية : نسبة الى الآشوريين ، وهم الشعوب التي استوطنت العراق وما حوله من بلاد الاكراد قبل الميلاد بقراءة الف ومائتى عام . واقاموا دولة واسعة . انظر : الموسوعة الثقافية د . حسين سعيد ص ٩١ - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (القاهرة ١٩٧٢ م) .

(٢) الفينيقية : نسبة الى الفينيقيين وهم الشعوب التي سكنت لبنان وسواحل بلاد الشام قبل الميلاد بقراءة الفى عام انظر : نفس المصدر ص ٥٣٩ .

(٣) الفرعونية : نسبة الى الفراعنه وهم ملوك مصر القدامى الذين حكموا مصر قبل الميلاد باكثر من الف سنة انظر : نفس المصدر ص ٧١٢ .
والمراد حضارة الدول التي حكمها الفراعنة في مصر والتي تنسب اليها بنائاً الاهرامات وكثير من الاثار العمرانية الموجودة الآن .

١١ - ومنها العمل على إلغاء المحاكم الشرعية في ديار المسلمين وإلغاء دور الأفتاء والسيطرة على أوقاف المسلمين . ونشر القوانين الوضعية ودراستها حتى أنشئت كليات للحقوق في أكثر البلاد الإسلامية تدرس القانون الروماني والقانون الفرنسي وغيرهما من القوانين الأجنبية ولا تدرس الشريعة الإسلامية إلا من زاوية من زواياها وهي الأحوال الشخصية فقط أما حقائق الشريعة الإسلامية وتشريعاتها المختلفة فلا نعلم عنها شيئاً ونجهل حتى أبسط مبادئها وأحكامها .

١٢ - ومنها إضعاف سلطان الإسلام في نفوس المسلمين ويقوم هذا الأسلوب على السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تسارة والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم ونفوذهم تارة أخرى . وبت الإشاعات ونشر الاتهامات المختلفة حولهم لتقليل نفوذهم وسيطرتهم على نفوس المسلمين ولقد نجح الأعداء إلى حد كبير في الحقبة الأخيرة من هذا القرن حتى شوهوا سمعة العلماء الذين يؤخذ عنهم الدين وتكتسب منهم الدعوة ، ويقتبس منهم نور الإسلام وحقائقه حتى زهدوا الناس في طلب العلم الديني وأصبح العالم الإسلامي اليوم لا يشكو انقضا في شئ من شئ كما يشكو النقص في علماء الدين العاطلين في جميع ديار الإسلام .

١٤ - ومن هذه المخططات تشويه حقائق الإسلام ووضع الإسلام في قفص الاتهام والتركيز على القرآن الكريم وتوجيه الهجوم عليه . وترجمته لغرض محاربهته .

١٥ - ومنها توجيه الأدب والأدباء والصحافة وجهة علمانية لادينية والسيطرة على دور النشر والتوزيع وإنشاء دور ضخمة للطباعة والنشر والتأليف تتولى نشر ما يريد الاستعمار ورجالها في أوساط المسلمين وقد أنشئت فعلا في بعض العواصم الإسلامية كثير من هذه الدور .

- ١٥ - ومنها تشويه التاريخ الاسلامي والتشكيك في حوادثه واهراز الجوانب الضعيفة أوالمؤسفة فيه . . كما فعل كثير من المستشرقين في هذا الميدان حتى اشبعوا شبابنا حقد اعلى الاسلام وكرهوهم ونفروهم من تراثهم وتاريخهم .
- ١٦ - ومن هذه المخططات انشاء المذاهب والمبادئ الهداية كالماسونية والبهائية^(٢) والقاديانية وغيرها واشغال المسلمين بها واخراجهم من دينهم بواسطة انشاء الاحزاب السياسية المتناحرة والمختلفة المبادئ والاتجاهات بزعامات فارغة بوجهها رجال من الشرق والغرب وهم جميعا أعداء الاسلام .
- ١٧ - ومنها العمل على الغاء الخلافة الاسلامية وتفريق كلمة المسلمين وجعلهم اما شعوبا مختلفة بعد ان كانوا تحت لواء الخلافة امة واحدة .
- ١٨ - ومنها العمل على افساد المرأة المسلمة ثم اخراجها باسم الثقافة والحريية والديمقراطية^(٤) سافرة ومتبرجة وجعلها أحبولة الفساد في المجتمعات الاسلامية ومن ثم تعطيل الاسرة وهدم كيان المجتمع الاسلامي .

(١) الماسونية : منظمة يهودية سرية ارهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف الى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو الى الالحاد والاباحية والفساد وجل اعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يوثقهم عهد بحفظ الاسرار ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهاد . .
انظر : الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ص ٤٤٩ - ٤٥٣ - واليهودية لاحمد شلبي ٣٢٥ - ٣٣٠ .

(٢) البهائية : حركة اسسها المرزا علي محمد رضا الشيرازي عام ١٢٦٠ هـ . تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الانجليزي بهدف افساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم المعاصرة .
انظر : المرجعين السابقين . الموسوعة الميسرة ص ٦٣ - ٦٥ واليهودية : ص - ٣٤٩ - ٣٥٨ .

(٣) القاديانية : حركة أسسها مرزا غلام أحمد القادياني عام ١٩٠٠ م في القارة الهندية ، بتخطيط من الاستعمار الانجليزي وتهدف الى ابعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر .
انظر : الموسوعة الميسرة ص ٣٨٩ - ٣٩١ . والمخططات الاستعمارية بسسة لمكافحة الاسلام ص ٣٥٤ - ٣٥٩ .

(٤) الديمقراطية : كلمة من اصل يوناني - معناها حكم الشعب . وتنصرف الى

١٩ - ومنها محاربة اللغة العربية الأصلية الأصيلة والدعوة الى العامة أو الدعوة الى الكتابة بالحرف اللاتينية لقطع الصلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم وضاع كنوزهم العلمية التي تركها سلفهم الصالح وكانوا بها خيراً ما أخرجت للناس.

٢٠ - اتفاق الاستعمار والصهيونية^(١) العالمية على مكافحة الاسلام ووضع قسـدم للاستعمار في فلسطين قلب البلاد الاسلامية بواسطة اليهود . وباسـم العطف على قضاياهم وشعبهم المنكوب وتحول قضية فلسطين من قضية اسلامية مقدسة الى قضية قومية لا ارتباط لها بالاسلام . وحربهم لنا في القدس انما هي امتداد للحروب الصليبية .

٢١ - ومن هذه المخططات وأهمها وأخطرها احياء العاطفة القومية واثارة النعرات القومية بين المسلمين .

وبعد هذا الاستعراض الموجز لاهم مخططات الاستعمار الصليبي لهدم الاسلام أرى أنه ينبغي الوقوف عند نقطة هامة وهي ماورد في رقم (٢٠) من الاشارة التي اتفاق الاستعمار والصهيونية العالمية على مكافحة الاسلام .

وهذا الاتفاق ماتم الابعـد التقاء المصالح اليهودية والصليبية والذي تم بعد أن استطاع المحتكرون والفلاسفة اليهود السيطرة على الاقتصاد والفكر الاوربي فوجهوه وجهة تتلائم مع مخططاتهم التي وضعوها لانفساد العالم تمهيداً للسيطرة عليه واقامة دولة اليهود الكبرى كماورد ذلك في تعاليم^(٢)

= كل نظام سياسي يكون الشعب فيه مصدر السلطة وصاحب السيادة .
انظر: الموسوعة الثقافية ص ٤٦٦ .

(١) الصهيونية : هي حركة يهودية سياسية عنصرية دينية تهدف الى جمع الملايين من يهود العالم في كيان يهودي قومي في فلسطين استناداً الى مزاعم تاريخية ودينية واتخاذ فلسطين نقطة انطلاق لدولة كبيرة تعتد من الفرات الى النيل ، ومن ثم تكوين امبراطورية صهيونية عالمية تكون وريثاً للحضارة الغربية . انظر: حاضر العالم الاسلامي ، د . جميل المصري ح ٨٤/١ . والموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٣٣١ ، الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الرياض ، ط الثانية ١٤٠٩ هـ .

(٢) انظر: حاضر العالم الاسلامي ، د . جميل المصري ح ٨٨/٨٧/١ . دارالكتاب والاسلام والدعوات الهدامة ، أنور الجندی ، ص ١٠٩ - ١١ - دارالكتاب اللبناني ، ط الاولى .

(١) التلمود والبروتوكولات الصهيونية .^(٢)

وأرى من المناسب أن أذكر أهم المخططات اليهودية لتبين شدة الهجمة الفكرية الموجهة الى الاسلام ، ومدى التوافق بين التخطيط الصليبي الاستعماري واليهودي الصهيوني . وقد لخص أهم هذه المخططات صاحب كتاب " الاسلام والدعوات الهدامة " وسوف أذكر منها ما له صلة بكيد اليهود ضد الاسلام خاصة فمن ذلك ^(٣)

- ١ - محاربة الاديان بصورة عامة . وبث روح الاحاد والاباحية بين الشعوب .
- والغرض من قدر وقدرة العلماء والمتخصصين في العقائد والاديان .
- ٢ - تدمير القوى البشرية ، ومعنويات الامم ، واستذلالها واستعبادها .
- ٣ - السيطرة على الشباب والاطفال من اول الغايات . وتنشئتهم على الكذب والتعميه والمخادعة وعلى الانانية ، وحب المنفعة والسعي وراءها بكل الطرق . وكسر سلطة الأباء عليهم ، والاستعانة على ذلك بالاندية والفرق الرياضية والموسيقية والفن .
- ٤ - اشعال الثورات والفتن والاضطرابات ، وانفاق الاموال الطائلة في سبيل الافراض الهدامة .

(١) التلمود : معناه في اللغة العبرية التعاليم . وهو علم على ثاني كتب اليهود بعد التوراة . وهو يجمع بزعمهم التعاليم الشفهية للديانة اليهودية التي يسمونها " المشناة " وشروحها الصماتة " جمارا " وهي تشتغل على كثير من المبادئ الهداية التي انكرها عيسى ابن مريم عليه السلام . انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الاسلام خان - دار النفاث - بيروت ط ، السابعة ١٤٠٥ هـ واليهودية أحمد شلبي ، ص ٢٦٥ ، مكتبة النهضة ، القاهرة ط السابعة ١٩٨٤ م .

(٢) اشتهرت باسم : بروتوكولات حكما صهيون ، وهي عبارة عن محاضر جلسات او قرارات اتخذها المخططون اليهود في مؤتمر بال الذي عقد سنة ١٨٩٧ م بسويسرا سرقت بعض هذه البروتوكولات من مكتب أحد زعماء اليهود في فين وكرالماسونية بهاريس ونشرت لاول مرة عام ١٩٠٢ م وهي عبارة عن مخططات شريرة لهدم كل ما عند الامم غير اليهودية من الخير والفضيلة ، والتخطيط لسيطرة اليهود على وسائل النفوذ والضغط والتأثير تحقيقا لهذا الغرض وتمهيدا لاقامة دولة اليهود الكبرى التي تسيطر على العالم .

انظر : بروتوكولات حكما صهيون . واليهودية لاحمد شلبي ص ٢٧٢-٢٨٦ .
(٣) نقلا بتصريف عن كتاب الاسلام والدعوات الهدامة ، انور الجندی ، ص ١٠٤-١١١ .

- ٥ - ايجاد جيل من العلمانيين فى العالم لمعالجة القضايا على أساس مبادئ وابعاد الآثار العقائدية والدينية عن مخططات السياسة والاجتماع.
- ٦ - التركيز على المذاهب والفلسفات. وبث الدعاية للعبادئ المستقاه منها - والتي تحارب الدين - وتسميتها باسماء جذابة كعلم السياسة والاجتماع والاقتصاد بحيث تسود هذه المبادئ على تعاليم الدين .
- ٧ - التركيز على المرأة والدعوة الى تحريرها ونزعها من الدين والاسرة واجتذابها الى العرقص والمحافل . وتدمير الاسرة . وافراد الرجل من عائلته وافساد اخلاقه وترغيبه فى المعيشة المتفلته .
- ٨ - الدعوة الى التعليم العلمانى اللادينى الذى يفسد قلوب الشباب ويغرس مقومات الرذيلة ، واقتلاع العفة من عقول الفتيات . وجهرفيه بالاحساد وانكار الخالق تبارك وتعالى .
- ٩ - التحريض على الفساد : عن طريق الشقافه ، والصحافه ، وذلك بنشر الروايات والصور الخليعة ، والاغانى البذيئة ، ونشر الخرافات واشاعة الادب المكشوف الاباحى وتسهيل أسبابه عن طريق نشر الرذائل والخمر ومحلات البغاء واللاهى .
- ١٠ - احياء الوثنيات القديمة ، ومحاربة التعليم الدينى .
- ١١ - الترويج للفلسفات المادية ، وبناء جميع العلوم على أساسها . وتمجيد العقل والزعيم بأن العلم العظى هو الاساس الوحيد لكل معتقد ورفض كل عقيدة بنيت على اساس الوحى والدعوة الى الالحاد عن طريق حرية العقيدة .
- ١٢ - السيطرة قدر الامكان على الاعلام والتعليم ودور النشر ووكالات الانباء واستخدامها فى اثاره الرأى العام ، وافساد الاخلاق ، وتحطيم الاسر ، لتشبيس عبادة المال والشهوات .

وقد استخدم اليهود لتنفيذ هذه المخططات عدة اساليب منها :

١ - احتكار المال والصناعات الحساسة . فكثير من البنوك والشركات الكبيرة
واسواق الاسهم والمال العالمية بأيديهم . مما يمكنهم من الضغط
غير المباشر على رجال السياسة بل والتأثير في مجريات الانتخابات فسي
الدول (الديمقراطية) .

٢ - من طريق المنظمات السرية والعلنية ، ومن أشهرها وخطرها الماسونية
وهي تسمى عند كثير من الباحثين حكومة العالم الخفية وذلك أنها
تؤثر في مجريات الاحداث عن طريق أتباعها الموجودين في جميع
الدول تقريبا . والذين يتقلد بعضهم مناصب حساسة فمنهم : الوزراء
والقضاة ، وضباط في الجيش والشرطة والمباحث ، بل ومنهم رؤساء
بعض الدول . ورجال الفكر وغير ذلك من المراكز الحساسة التي لها
تأثير في توجيه الشعوب سياسياً واقتصادياً وفكرياً .

٣ - عن طريق وسائل الاعلام .

فلقد ادرك اليهود في الوقت الذي اصدروا فيه بروتوكولاتهم
الصهيونية في آخر القرن التاسع عشر أهمية الاعلام المتغلغل في ذلك
الوقت في الادب والصحافة وانهما اعظم قوتين تعليميتين - كما قالوا -
لذلك قرروا شراء العدد الاكبر من الصحف الدورية - وهدفهم مسن
ذلك الظفر بالسلطان الكبير جدا على العقل الانساني^(١) وان لا يصل
طرف خبير الى المجتمع من غير موافقتهم.^(٢)

(١) انظر: بروتوكولات حكماة صهيون ، ص ٩٢ . الاتحاد الاسلامي العالمي

للمنظمات الطلابية ، ط الاولى ، ١٤٠٣ هـ .

(٢) نفس المصدر ص ٨٩ .

وخططوا لنشر كتب رخيصة الثمن لتعليم العاعة وتوجيه عقولهم الاتجاهات التي يرغبونها^(١) . لكي يتمكنوا من اثارة عقل الشعب متى ما أرادوا وتهدئته اذا - أرادوا^(٢) . والظفر بارادة المجتمعات غير اليهودية الى حد أنها لاترى امور العالم الا بالمناظر الطونة التي يضعها الاعلام على عيونها^(٣) .

وقرروا استخدام الاعلام لالهيا الشعب عن طريق الاعلان في الصحف وغيرها من وسائل الاعلام داعين الناس الى الدخول في مباريات شتى في -

كالفن والرياضة وما الهيا ، هذه المتع التي ستلهي ذهن الشعب حتما . . . وحالما يفقد الشعب تدريجيا نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتسف جميعا معنا - على حد قولهم -^(٤)

ومن ذلك استخدام الاعلام في توجيه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المهرجة التي يمكن أن تبدوا تقدمية وتحريية^(٥) .

والنتيجة النهائية التي يطمحون اليها من وراء السيطرة على الاعلام هي اثمار الطحدين وتحطيم كل عقائد الاديان^(٦) .

ومن أجل هذا الغرض سعى اليهود الى شراء وانشاء آلاف الشبكات التلفزيونية في انحاء العالم ، وسيطروا على محطات الاذاعة العالمية ، وامتلكوا عشرات الآلاف من الصحف والمجلات وغيرها من الدوريات^(٧) .

(١) المصدر السابق ص ٩١ .

(٢) نفس المصدر ٩٥ .

(٣) نفس المصدر ٩٠ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٠٠ .

(٥) نفس المصدر السابق ص ١٠٠ .

(٦) نفس المصدر السابق ص ١٠١ .

(٧) النفود اليهودي في الاجهزة الاعلامية والمؤسسات الدولية ، فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي ، ١١ ، ١٤ ، ٢٠ ، دار السياسة ، الكويت ، ط الاولى ١٤٠٧ هـ

ولم يكتفوا بذلك بل احتكروا معظم دور النشر الفعالة في العالم واوجدوا بهم نفوذا وضغوطا على ما لا يملكونه منها^(١).

واهتموا بشكل خاص بوكالات الانباء فاكثرها وأهمها بايديهم ، كما ركزوا على السيطرة على صناعة السينما والتلفزيون والمسرح والثقافة والاعلان التجاري^(٢) .
وقد ساعدتهم على ذلك التقاء مصالحهم مع مصالح الغرب الصليبي فسي حرب الاسلام والسعي الى السيطرة العالمية وتحويل العالم جميعا الى الانماط الغربية وحضارته فتساعد الفريقان على تسخير الاعلام وغيره من الاساليب في تحقيق هذه الاغراض .

والحق أن جهود اعداء الاسلام من الصليبيين الحاقدين ، واليهود الصهاينة الفاسدين نجحت نجاحا لم يكن يخطر لهم على بال . فتغلغلست تلك الافكار الجاهلية والمبادئ الغربية والقيم الاباحية تغلغلا فزعا فسي معظم المجتمعات الاسلامية .

وقد ساعد على نجاحها عدة عوامل نجطها فيما يلي :-

- ١ - ضعف الامة الاسلامية في وقت المجابهة الفكرية الحديثة ، نتج قل انحراف الخطير في مفهوم الايمان ، وسوء المعتقد ، وانتشار الفرق المخالفة والبدع .
- كل ذلك كان من آثار الجهود القذبة التي أثرت فيه وترسبت واختمرت حتى اصبح ينظر اليها عند كثر من ينتسب الى الاسلام على أنها هي الاسلام .
- ٢ - قوة التخطيط ودقته وشموله ، وتضافر جهود اعداء الله من اليهود والنصارى والشيوعيين ، والمنافقين على تنفيذه .

(١) المصدر السابق ص ٣ . وانظر : اليهودية لأحمد شلبي ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) النفوذ اليهودي ، ص ٣٦ - ٦٥ .

٣ - أن هذه الجهود الفكرية الحاقدة جاءت من القوى المنتصر الذي امتلك كثيرا من زخارف الحياة ومتعها ومغرياتها ، وتقدم في العلوم الدينية ويرع في الصناعة مما جعل الكثير من الناس - وخاصة الشباب - ينساق الى فكرة وينخدع بزخرف قوله .

٤ - وقوع كثير من الدول تحت الاستعمار الصليبي او الشيوعي المباشر حيث فرض عليه الفكر الهدام فرضا وأبعد الاسلام عن نواحي الحياة وشنت عليه حرب في كل الميادين .

واستمر ذلك بعد الاستقلال حيث وقعت معظم الشعوب الاسلامية تحت حكومات ان لم تكن أسوأ من الاستعمار فليست بأحسن منه وخاصة الحكومات الشيوعية التي فرضت الافكار الالحادية وربت عليها أجيالا . مع وقوع كثير من البلاد الاسلامية تحت الحكم الشيوعي الروسي والصيني لعشرات السنين .

٥ - تقدم وسائل الاعلام وامتلاك قوى الشر لزماتها .

لقد تقدمت الوسائل الاعلامية تقدما مذهلا ومن المؤسف ان ذلك تم على أيدي اعداء الايمان ومن أجل تنفيذ اغراضهم .

فتطورت الطباعة وتنوعت أساليب النشر . وتقدم البث الازاعي والتلفزيوني بعد استخدام الاقمار الصناعية وتطورت بشكل خطير جدا صناعة الافلام والمواد التلفزيونية واخترع الفيديو الذي سهل الى حد كبير جهود المفسدين .

وهانحن هذه الايام نعيش بداية طامة اعلامية كبرى !! .

أُقِّت مضاجع الغيورين على هذا الدين . وادخلت الوحشة في قلوب المؤمنين !
الاوهى وسيلة البث المباشر .^(١)

(١) البث المباشر : " هو قيام الاقمار الصناعية بالتقاط البث التلفزيوني في بلد من البلدان وبثه مباشرة الى أماكن اخرى تبعد عن مكان البث الاصلى مسافات بعيدة تحول دون التقاط البث دون وسيط " . البث المباشر حقائق وارقسام د . ناصر بن سليمان العمر ، ص ٢٢ ، دار الوطن بالرياض ، ط الاولى ١٤١٢ هـ وهو تعبير يطلق ويراد به غالبا بث الدول الكافرة المنحلة اخلاقيا واجتماعيا كالدول الاوهية ومن في حكمها البرامج التلفزيونية مباشرة الى الدول الاسلامية .

انها ولاشك اكبر انجاز يتحقق للشيطان في هذا العصر!
وليست الخطورة في الوسيلة ، وانما الخطورة تكمن في كونها بأيدي الفسديين
حزب ابليس اللعين .

فهى ولاشك سلاح قوى فعال . لو كان بأيدي أهل الحق لكان قوة لهم على
دعوتهم ، وسعيهم للاصلاح في الارض .

وامتلاك الجاهليين لها يؤذن بشر عظيم ، وخطر جسيم يتهدد عقائد
المسلمين وسلوكهم واخلاقهم وكل قيم الخير والفضلية بل ويهدف في الصميم الى
اقتلاع الايمان من الارض اقتلاعا ومحورسومه .

قال تعالى : " وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يُقَبِّلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَعُوا " (١)
ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وسوف تكون معظم مواد هذا البث - كما هو في قرارات المشرفين عليه - في خدمة
الدول التي تسعى الى السيطرة على العالم ، والصهيونية العالمية التي تخطط
لاقامة الدولة اليهودية الكبرى . والمنصرين الذين ملأوا الدنيا جعجة وصراخا
مبشرين بالتثليث وتألبيه البشر والكفر بالله ! .

وقد عقدت مؤتمرات لدراسة كيفية الاستفادة من البث المباشر في التنصير .
(٢)

(١) سورة " البقرة " ٢١٧ .

(٢) انظر: البث المباشر حقائق وارقام ٥٤ .

العلاقات الجنسية والنزعة الاباحية الشغل الشاغل للسینما وکثیر من المجلات والصحف . . فانحرف الشباب وفسدت روابط الاسرة * (١) الامن رحم الله .

وقدم السيل وطم بانھیار الفضائل الاقتصادية والاجتماعية عندما شهد العالم الاسلامی تغيرا اجتماعيا استجابة لدعوات التغريب علی ید المستعمرین (٢) ومؤسستهم التبشيرية والاستشراقية . . ولكنه وفق الاسلوب الجديد اصبح يتم علی ایدی المسلمین أنفسهم من تلاميذ الصشرقین والمبتعثین ، يساندھم فی تنفيذ هذا المخطط بعض الحكام من المسلمین (٣) .

كما أثرت جهود المنصرین عن تنصر کثیر من ابناء المسلمین الذین درسوا فی مدارسهم أو الجأتهم الحاجة أو الاعجاب الی اتباع دين النصارى . كما اعتقد کثیر من المنتسبین الی الاسلام الافکار الکافرة کالفكرة الشيوعية أو القومية البعثية او العلمانية أو غیر ذلك من الفلسفات الضالة .

و کثرة لتشجيع المستعمرین ازدهرت المظاهر الوثنية من عبادة القبور والحج الی المشاهد ، والطرق الصوفية الضالة التي استحوزت علی کل من فيه نزعه الی التدين فی کثیر من البلاد الاسلامية .

اما الاقتصاد فی العالم الاسلامی فقد أسس تأسیسا کاملا علی الربا وعلی نظريات ونظام الغرب الرأسمالی أو الشرق الاشتراکی الشيوعي وأصبح موجهها ومرتبطا بالدول الاستعمارية أو المنظمات الاقتصادية العالميه والتي هسی فی الحقيقة ید خفية للاستعمار .

(١) حاضر العالم الاسلامی وقضايا المعاصره ص ١٦٥ .
(٢) التغريب : مصدر تفعيل من غرب يغرب تغريبا . وهو مشتق من الغرب أی الدول الغربية الاوربية والامريكية ومن فی حکمها .
ويراد بالتغريب : تغيير قيم الامة ومثلها ، اى تغيير عقيدتها وثقافتها واخلاقها وابعاد المسلمین عن دينهم باسم المدنية او التطور والتقدم .
واحلل ما يقابل ذلك فی الحضارة الغربية . انظر : نفس المصدر ص ١٦٥ - بتصرف .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

اما الناحية السياسية فقد توزع العالم الاسلامي الى دويلات ومناطق نفوذ
اقتسمتها الدول الاستعمارية الغربية أو الشرقية . واستبعد الحكم بالشريعة
الاسلامية من جميع البلاد الاسلامية الا من رحم الله ، وحورب محاربة شديدة .
وأصبح الخلاف والخصام سمة مميزة للدول الاسلامية في علاقاتها فيما بينها .
وفقد المسلمون الكثير من بلادهم ، وحول كثير منها الى دول نصرانية أو شيوعية .
واعطيت فلسطين قبله المسلمين الاولى الى شرار الخلق من اليهود الصهاينة
فهى حال تسر العد وتدمى قلب المؤمن الغيور .
لكن مع هذا الكيد الخبيث الماكر الشديد الوطأة .
ومع هذا النجاح الكبير الذى تحقق لاعداء الله .
ومع الضعف والفرقة والانحراف فى مجتمعات المسلمين .
مع ذلك كله فالاسلام - والحمد لله - باق ! -

فهو فى جانبه العلمى محفوظ بحفظ الله . " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَمُخْفُونَ ﴿١﴾"
وما زالت طائفة من أهل الحق تلتزم به علماء وعلماء . . دعوة وجهاد والامل قبل
ذلك منوط بعناية الله ورعايته

فالدين دينه . . والمؤمنون أولياؤه . . والناس خلقه وصيده . . والأمر بيده
. . وأمره نافذ لا يحول دونه شىء .

فليس مكر الماكرين غائباً عن رب العالمين .

" وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ " (٢)

(٣) " وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ "

" إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ " (٤)

(٢) سورة "الانفال" . ٣٠ .

(٤) سورة "الفجر" . ١٤ .

(١) سورة "الحجر" . ٩ .

(٣) سورة "ابراهيم" . ٤٦ .

ومكر الاعداء وكيدهم الجديد وما عندهم من القوة والعدة والوسائل عظيم شديد لا يُقدَّر عليه بالعقارنه بجهد البشر وما عند المسلمين من الاسباب المادية !
لكنه بازاء قدرة الله لا يساوى شيئاً .

وقد جعل الله الدنيا ميدان صراع . ولا بد لأهل الحق أن يدخلوا الميدان ويقوموا بنصرة ما اكرمهم الله به من الحق ، ويدافعوا عنه ، ويعملوا على مقاومة الباطل ويستعينوا بالله ، ويتوكلوا عليه ويحسنوا الظن به .

وهو معهم سبحانه - اذا قاموا - يوفقهم للاسباب ، ويبارك في المتيسر من اسبابهم ولو كان ضعيفاً ، ويكمل ما قصر منه ، ويخذل عدوهم ، ويهدم بنصرته ويهيئ لهم من رحمته ما لا يخطر لهم على بال !
فالحق قليله كثير ، والباطل كثيره قليل .
والحق ظاهر . والباطل زاهق .

وكل ذلك مشروط بمجيء الحق ، وقيام أهله به . فاذا جاء الحق زهق الباطل باذن الله وأمره .

" وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ " (١)

" قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ " (٢)

" وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ " (٣)

وهي كل وقت يشتد فيه الهجوم والتآمر على الاسلام ، تخرج - والحمد لله - بشارات تدل على عناية الله بهذا الدين . ومن ذلك ما حصل في هذا الزمان فقد ظهرت عدة مظاهر تبشر بالخير . من ذلك رجوع كثير من الناس رجالاً ونساءً كهولا وشباباً الى الالتزام بالدين . ودفع الاحساس بالخطر الكثير من العلماء وطلبة العلم والدعاة والصالحين من الادباء والشعراء والضيورين من الموسرين الى الاهتمام

(١) سورة " الاسراء " ٨١ .

(٢) سورة " سبأ " ٤٩ .

(٣) سورة " يوسف " ٢١ .

ومضاعفة الجهد فى تعليم الناس وتوعيتهم ، وطبع الكتب النافعة ودعم الاشرطة
الفيدة ، واستخدام كل سبيل متاح مشروع فى مقاومة اعداء الله ومخططاتهم .
ووجد وعى كبير بضرورة تطهير العقائد وازالة البدع والرجوع الى الفهم
الصحيح للايمان . وازدادت المطالبة من الشعوب الاسلامية بتحكيم شرع الله
ورفض حكم الطاغوت .

والتزام كبير من النساء بالحجاب وازداد الاقبال على الجامعات والمعاهد
الاسلامية اقبالا كبيرا ، وزاد الطلب على الكتاب والشريط الاسلامى ، بل وتناسى
عدد من يعتنق الاسلام من غير المسلمين .

شهد الربع الاخير من القرن الرابع عشر الهجرى قيام مؤسسات ومنظمات اسلامية
عالمية وجامعات متقدمة . وهدف الجميع نشر الاسلام والدفاع عنه والتبصير
بقضايا المسلمين فى انحاء العالم والدفاع عنها . وكشف مخططات اعداء الله والتحذير
منها وتشجيع البحوث التى تخدم هذه المجالات كلها .

كما قامت جهود اعلامية . وهى وان كانت متواضعة جدا بالمقارنة الى
ما عند العدو ، الا انها مباركة ظهرت اثرها الفعال فى انحاء كثيرة من العالم
الاسلامى . وهى تتناسى مع الايام وترجوأن يتولاها الله بالرشد والسداد .
والمظاهر المباركة كثيرة والحمد لله . وذلك يدل على صلاحية الاسلام
فى وجه الاعاصير ولو كانت شديدة . وماذا ك الا يحفظ الله . وأن الدين الخاتم
لن يخلومه زمان حتى يأتى أمر الله . والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمعتقين .

ومن هذا الاستعراض الموجز للحرب الفكرية القديمة والحديثة الموجهة الى
الاسلام نستخلص عدة نتائج هامة :

اولا - شدة عداوة اليهود والنصارى والمشركين لهذا الدين ، وسعيهم الخبيث
ومكرهم المستمر الذى لا يفترونى مقاومته بكل الاساليب .

الثانية : تركيزهم على الحرب الفكرية لادراكهم خطورتها . وأنها السبيل
الاشل لحرب الاسلام وتحطيم قيم الايمان . وتزواد قناعتهم يوما بعد
يوم بذلك بفعل النجاحات التي تتحقق لهم فى مجال الغزو الفكرى
لذلك فهم يحاولون بقدر الامكان عدم اللجوء الى الحرب العسكرية
الاعند الضرورة .

الثالثة : انه يجب على أهل الاسلام مدارس الكيفية التي يتصدون ويقاومون
بها هذه الجهود الخطيرة ولاشك ان هناك جهوداً مشكورة لكنها
لم تتعدَّ الى الآن مجال التوعية ، وبعض الاعمال الخيرية . . ولم
تصل بعد الى المستوى المطلوب من ايجاد خطة متكاملة منسقة يجتمع
عليها العلماء والدعاة وتتكاتف جهود أهل الاسلام على تنفيذها
من منطلق قول الله تعالى :

(١) " وَقِيلُوا لِلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْبَلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "

الرابعة : أن أى وسيلة أو طريق يتبناه أهل الاسلام لمقاومة هذه الجهود
الفكرية العدوانية لن يؤتى ثماره الا اذا كانوا على حال توجب لهم
ولاية الله . فيدخلون الميدان وقد تولاهم الله وأيدهم بنصره . وحيث
ان الايمان والتقوى هو السبيل الوحيد لتحصيل الولاية ، فيكون
الالتزام بالايمان الصحيح هو الخطوة والسبب الأهم فى مقاومة الفكر
الهدام والتخطيط الخبيث . مع أن للايمان آثاراً أخرى - بجانب كونه
سبباً لولاية الله - تحصن الفرد والجماعات المؤمنة ضد الفكر الجاهلى .

وعلى هذا يكون هذا البحث مساهمة فى تبين بعض جوانب الخطة الاسلامية التي
ينبغي أن يهتم بها للتصدى للغزو الفكرى وهو تسليط للضوء على السبب الاول -
والاهم فى هذا المجال . فأرجو من الله التوفيق والتسديد والى الباب الاول . .
والله المستعان .

(١) سورة " التوبة " ٣٦ .

الباب الأول

الباب الاول : الايمان سبب لتحصيل ولاية الله .

• الاثر الخارجى •

وفيه فصلان :

الفصل الاول : صفات المستحقين للولاية .

الفصل الثانى : أثر ولاية الله فى تخليص

المؤمنين وتحصينهم من

الافكار الهدامة .

والمراد بهذا الباب بيان أن الله تعالى جعل الإيمان والتقوى السبب
الأوحد للحصول على ولايته . فإذا جاء العبد بشرطها - وهو الإيمان
والتقوى - فإن الله يتولاه .

وعلى هذا فحصول العبد على ولاية الله أهم الآثار التي يجنيها من تحقيقه
الإيمان . وولاية الله هي أعلى مطلب ، وأهم وأسمى غاية يسعى لها
ذو الالباب . إذ عليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة .

والولاية : مدار معناها في اللغة على القرب والمحبة والنصرة .^(١)

وولاية الله لعبده المؤمن : أن يعاظمه ويدبر أمره بما يقتضيه قربه منه ومعيته
الخاصة ولطفه به . فيحوطه بعنايته ورعايته ويحفظه وينصره ويحميه . فيكون
بولاية الله في حصن منيع .

فإنه يكفي عبده ما يهبه ويدافع عنه ، ويخرجه من الظلمات إلى النور .
ويصرف عنه الشرور - ومنها الأفكار الخبيثة - ويصرفه عنها بما يهيئ له
من الأسباب .

وسوف أتكلم على هذا الأثر العظيم في فصلين :

الفصل الأول : صفات المستحقين للولاية .

الفصل الثاني : أثر ولاية الله في تخليص المؤمنين وتحصينهم من الأفكار
الهدامة .

وقد جاء المجال للكلام على الفصل الأول والله المستعان .

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٣٥ . وانظر: الفرقان بين
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٥٥ .

الفصل الأول

الفصل الاول :

صفات المستحقين لولاية الله .

المبحث الاول : مراتب الايمان .

- المطلب الاول : بهمان أصل الايمان .
- المطلب الثاني : مرتبة الظالم لنفسه .
- المطلب الثالث : مرتبة المقتصد .
- المطلب الرابع : مرتبة السابق بالخيرات .

المبحث الثاني : أهل ولاية الله .

المبحث الثالث : العناية بأهم سبب لحصول الولاية .

(١) تقدم الكلام على طبيعة الايمان المؤثر ، وأهم الاسس التي يقوم عليها . وهو الايمان الجالب لولاية الله والآثار الاخرى المباركة التي جعلها الله اسبابا يحتتم بها العبد من الفكر الخبيث وغيره من الشرور .

ولاشك ان بيان المفهوم الصحيح للايمان ضرورى لمعرفة الطريق الى تحصيل ولاية الله ، وأنه يكون بالالتزام الكامل به .

وحيث أن المسلمين يتفاوت التزامهم بالايمان فأرى أنه من المهم أن أذكر مراتب المؤمنين لكي يتبين نصيب كل منهم من ولاية الله وحظه من التحصين ضد الشرور الفكرية وغيرها .^(٢)

(١) راجع ص (١)

(٢) وهذا صحت هام في هذا الباب لذلك نجد شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - بدأ بهذا الموضوع في بداية كتابه : « الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان » وكتابه : « التحفة العراقية في اعمال القلوب » .

المبحث الاول : مراتب الايمان .

ان المجتمع المسلم يضم افرادًا مختلفين من حيث تحقيقهم للايمان الذى كلفهم الله به . فمنهم من ظلم نفسه بترك شئ مما أوجبه الله عليه ، او فعل بعض ما حرم عليه . ومنهم من التزم بالايمان الواجب فاعلا للواجبات تاركًا للمحرمات صادرا للتصية عند الهفوات .

ومنهم من زاد على ذلك بالمسارعة فى الخيرات .

وعلى هذا فهم ثلاثة أقسام على وجه الاجمال . كل قسم فى مرتبة .

وان كان أهل كل مرتبة يتفاوتون فيما بينهم .

واساس تقسيم المؤمنين على هذه المراتب هو قوله تعالى :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ .^(١)

قوله تعالى : " الذين اصطفينا " أى الاقسام الثلاثة الواردة فى الآية اصطفاهم الله واختارهم للايمان والتوحيد . فهم مؤمنوا هذه الامة الذين اشتروا فى اصل الايمان ، ولم يشركوا بالله شيئًا ، لكن اختلفوا وتفاوتوا فى تكميل الايمان .

وقد اورد ابن جرير أقوال من قال بذلك من السلف . ورجح هذا القول^(٢)

كما رجحه ابن كثير^(٣) وغيرهما من المفسرين .

(١) سورة " فاطر " ٣٢

(٢) جامع البيان - ٢٢ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ٦ / ٥٣٣ .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدى ^(١) :

" اشترك هؤلاء الثلاثة فى أصل الايمان ، وفى اختيار الله لهم من بين الخليفة وفى أنه من عليهم بالكتاب وفى دخول الجنة .

وافترقوا فى تكميل مراتب الايمان وفى مقدار الاصطفاة من الله وميراث الكتاب وفى منازل الجنة ودرجاتها بحسب أوصافهم ^(٢) "

وقبل أن اتكلم على مراتب الايمان أتطرق باختصار الى بيان ضابط أصل الايمان الذى من جاء به دخل فى زمرة المصطفين .

المطلب الاول : بيان أصل الايمان .

أصل الايمان به يدخل العبد فى الاسلام . وه يكون اعتبار سائر الاعمال وملاح مافى القلب اوفساده يكون صلاح الاعمال اوفسادها . قال - صلى الله عليه وسلم - .

" . . . الاوان فى الجسد مضغ اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسدت الجسد كله الاوهى القلب ^(٣) "

قال شيخ الاسلام ابن تيميه - رحمه الله - : " فأصل الايمان فى القلب . وهو قول القلب وعطه . وهو اقرار بالتصديق والحب والانقياد ^(٤) "

(١) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدى التميمى ألف تيسير الكريم المنان فى تفسير كلام الرحمن ، والدرة البهية فى شرح القصيدة التائية وتوضيح الكافية الشافية وغيرها توفى سنة ١٣٧٦ هـ . انظر : الاعلام ٣ / ٣٤٠ علماء نجد للبهام ٢ / ٤٢٢ .

(٢) فوائد قرآنية . عبدالرحمن بن ناصر السعدى . ص ٦٠ . المكتب الاسلامى للطباعة والنشر . بيروت . ط - الاولى ١٣٨٩ هـ .

(٣) رواه البخارى ، كتاب الايمان ، ح (٥٢) الصحيح مع الفتح ح ١ / ١٢٦

(٤) مجموع الفتاوى ح ١٤ / ١١٩

فالتصديق : هو قول القلب ، وهو المعرفة والاثبات لمادلت عليه الشهادتان .

والحسب : عمل القلب نحو المشهود لهما ، وهو الله تبارك وتعالى في شهادة أن لا اله الا الله ، ومحمد بن عبد الله نبي شهادة ان محمدا رسول الله . فيحب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ودينه .

والانقياد : عمل القلب ايضا ، وهو القبول وعقد العزم على الامتثال لمادلت عليه الشهادتان .

ولا بد مع هذا الذي يقوم بالقلب من النطق بالشهادتين . وجمع بينهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله : " أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وما جئت به " (۱) .
قال النووي - رحمه الله - معقبا على هذا الحديث : " وفيه ان الايمان شرطه الاقرار بالشهادتين مع اعتقادهما ، واعتقاد جميع ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم " قوله : (۲)

" الاقرار بالشهادتين " : التلطف بهما .

" مع اعتقادهما " : هو قول القلب وعمله المذكور أعلاه .

" واعتقاد ما جاء به الرسول ... " اعتقاد ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - صادق في كل ما أخبر به . وليس المراد أن من شرط الايمان ان يعرف كل ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - ويعتقده .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

" فلا يكون مسلما الا من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله . وهذه الكلمة بها يدخل الانسان في الاسلام ... فيكون معه من الايمان هذا

(۱) رواه مسلم - كتاب الايمان - باب الامر بقتال الناس حتى ... ح (۳۴) ح ۱ / ۲ / ۵ .
(۲) الامام العلامة ابوزكريا يحيى بن شرف بن مري الحوراني النووي الشافعي ، ولد سنة ۶۳۱ هـ . له من التصانيف : شرح صحيح مسلم ، والاذكار ، ورياض الصالحين والاربعين النووية وحلقة الابرار وغيرها كثير توفي سنة ۶۷۶ هـ ببلده نوا .
انظر : البداية والنهاية ۱۳ / ۲۹۴ ، شذرات الذهب ۵ / ۳۵۴ .
(۳) شرح النووي على صحيح مسلم ح ۱ / ۲۱۲ .

الاقرار . وهذا الاقرار لا يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين ما لا يقبل الريب
... لكن لابد من الاقرار بأنه رسول الله وأنه صادق في كل ما أخبر عن الله ^(١)

هنا على ما تقدم يتبين أن أصل الايمان ينعقد بثلاثة أمور:

الاول : النطق بالشهادتين .

الثاني : قول القلب وهو العلم والتصديق بمعناها . وأن الرسول - صلى

الله عليه وسلم - صادق في كل ما أخبر به عن الله .

الثالث : عمل القلب . وهو قبول التوحيد والبراءة من ضده . والمحبة

لله ولرسوله ولدينه . والعزم على الانقياد لهما .

فاذا جاء العبد بأصل الايمان فهو مأور مكلف بتكميل ايمانه . ليس له

أمن في الحياة الدنيا ولا في الآخرة الا بذلك . فاذا امتثل العبد الطاعات

واجتنب المحرمات فقد استكمل عرى الايمان الواجب واصبح في مرتبة المقتصد .

روي البخارى تعليقا ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عدى بن عدى : ^(٢)

" ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا . فمن استكملها استكمل الايمان ، ومن

لم يستكملها لم يستكمل الايمان .. " ^(٤)

(١) كتاب الايمان لابن تيمية . المصدر السابق ص ٢٣١ ، ٢٣٢
(٢) الامام الراشد والخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي
احد خلفاء بني أمية كان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وكان امام عدل وقد عد من
الخلفاء الراشدين توفى سنة ١٠١ هـ . انظر: البداية والنهاية ٩ / ٢٠٠ . وسير
اعلام النبلاء ٥ / ١١٤ .

(٣) عدى بن عدى بن عميرة الكندي الجزري ثقة فقيه . عمل لعمر بن عبد العزيز
على الموصل . كما ولى الجزيرة وغيرها لسليمان بن عبد الملك توفى سنة ١٢٠ هـ
انظر: تقريب التقريب ٣٨٨ وتهذيب التهذيب ٧ / ١٦٨ .

(٤) صحيح البخارى مع الفتح ح ٤٥ / ١ .

المطلب الثاني : مرتبة الظالم لنفسه .

اذا جاء العبد بأصل الايمان والصلاة وبعض الطاعات . لكن عصى الله
بالاخلال ببعض الطاعات او فعل بعض المحرمات كان ايمانه ناقصا بقدر مخالفته
ولا يستحق اسم الايمان المطلق ، بل هو في مرتبة الظالم لنفسه الذي خلط
عملا صالحا وآخر سيئا .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

"(فمنهم ظالم لنفسه) وهو الغرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض
المحرمات" (١)

وأهل هذه المرتبة عندهم من الايمان المجل ما كانوا به مسلمين ، وان ماتوا
عليه دخلوا الجنة ، لكن لم تدخل حقيقة الايمان في قلوبهم ، وليس عندهم
من المعرفة بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ودينه ما يوجب لهم رسوخ
الايمان وقوة اليقين الذي يحصنهم ضد الشبهات المضللة ، ويخمد الشبهات
المحرمة ، الا ان يشاء الله لهم ذلك وبهي لهم اسبابه . قال ابن تيمية
- رحمه الله - :

" فعامة الناس اذا اسلموا بعد كفر ، أو ولدوا على الاسلام والتزموا
شرائعه ، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله ، فهم مسلمون وعندهم
ايمان مجمل ، ولكن دخول حقيقة الايمان الى قلوبهم انما يحصل لهم شيئا
فشيئا ان اعطاهم الله ذلك ، والافكير من الناس لا يصلون لالى اليقين ولا الى
الجهاد ، ولو شككوا لشكوا ، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا ، وليسوا كقصاراً
ولا منافقين ، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفة وبقينه ما يدرك الرب (٢) ، ولا عندهم
من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال ، وهؤلاء ان عرفوا من
المحنة وماتوا دخلوا الجنة ، وان ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم
فان لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب والاصاروا مرتابين ، وانتقلوا الى نوع النفاق

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٦ / ٥٣٢ .

(٢) الريب : يكون في علم القلب ويكون في عمل القلب ، بخلاف الشك فانه لا يكون

الافى العلم . انظر : كتاب الايمان لابن تيمية ص ٢٤١ .

... فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على هذا الاسلام الذى يشاهدون عليه ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على الايمان ، ولا من المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الايمان بالمحنة ، وهذا حال كثير من المسلمين فى زماننا واكثرهم اذا اهتلوا بالمحن التى يتضعض فيها أهل الايمان ينقض ايمانهم كثيرا ، وينافق اكثرهم او كثير منهم ، ومنهم من يظهر الردة اذا كان العدو غالبا ، وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة ، واذا كانت العافية ، او كان المسلمون ظاهريين على عدوهم كانوا مسلمين ، وهم مؤمنون بالرسول باطننا وظاهرا لكن ايماننا لا يثبت على المحنة .

ولهذا يكثر من هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحرمات (١)

وهؤلاء فى عداد الصلعمين ، تجرى عليهم احكامهم ، لهم مالهم وعليهم ما عليهم ، لكنهم على خطر - اذا لم يتوبوا من ظلمهم ويكفوا ايمانهم - من أمرين :

الاول : أن تتسلط عليهم شياطين الانس والجن - بسبب ظلمهم - فتستجرهم بالشهوات والشبهات الى الكفر والنفاق .

الثانى : تعرضهم للعقوبات فى الدنيا والآخرة .

وقد صدر التحذير من المولى القدير بهذين الأمرين لمن عصاه وتعدى حدوده فقال :

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢)

(١) كتاب الايمان لابن تيمية ص ٢٤٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) سورة النور ٦٣ .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " اى فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا (أن تصيبهم فتنة) اى فى قلوبهم من كفر او نفاق او دعة (أو تصيبهم عذاب السيم) اى فى الدنيا بقتل أو حيا وحيا او نحو ذلك (١)

وقد بين الله بعض انواع العذاب الدنيوى الذى قد يعاقب به العصاة بقوله :

" قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم
بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَّرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ "

امافى الآخرة فهم تحت مشيئة الله اذا لم يأت احدهم بشرك او كفر.

قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا "

ثم هم بعد ذلك أقسام ، وقد لخص احوالهم فى ذلك اليوم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله - فقال :

" اما الظالم لنفسه فهو المؤمن الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، وترك من واجبات الايمان ما لا يزول معه الايمان بالكلية وهذا القسم ينقسم الى قسمين :

- (١) تفسير القرآن العظيم ج ٦ / ١٧
- (٢) سورة الانعام ٦٥ .
- (٣) سورة النساء ٤٨ .

احدهما : من يرد القيامة وقد كفر عنه السيئات كلها امام دعاء اشفاعة أو أشار
خيرية ينتفع بهافي الدنيا او عذاب في البرزخ بقدر ذنوبه ، ثم
رفع عنه العقاب ، وعمل الثواب عمله ، فهذا اعلى هذا القسم
وهو الظالم لنفسه .

القسم الثاني : من ورد القيامة وعليه سيئات فهذا توزن حسناته وسيئاته
ثم هم بعد ذلك ثلاثة انواع :

احدها : من ترجح حسناته على سيئاته ، فهذا لا يدخل النار بل يدخل
الجنة برحمة الله ، وبحسناته وهي من رحمة الله .

ثانيهما : من تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهؤلاء هم أصحاب الأعراف ، وهي
موضع مرتفع بين الجنة والنار يكونون عليه وفيه ماشاء الله ثم بعد ذلك
يدخلون الجنة ...

ثالثها : من رجحت سيئاته على حسناته فهذا قد استحق دخول النار
الا ان يمنع من ذلك مانع من شفاعته أحد من اقاربه او معارفه فمن جعل
الله لهم في القيامة شفاعا لعلو مقاماتهم عند الله وكرامتهم عليه
أوتدركه رحمة الله المحضة بلا واسطة والا فلا بد له من دخول النار
بعذب فيها بقدر ذنوبه ، ثم مآله الى الجنة ولا يبقى في النار أحد
في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من ايمان كما تواترت
بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف
الامة وأئمتها .^(١)

(١) فوائد قرآنية ، عبدالرحمن السعدي ، ص ٦٠ ، ٦١

الفصل الثاني

وخلصه القول أن أهل هذه المرتبة - مرتبة الظالم لنفسه - هم الذين
جاءوا بأصل الايمان ، واقاموا الصلاة ، ثم زادوا على ذلك اعمالا سالحة
لكنهم خلطوها بأخرى سيئة . وان معهم من الايمان ما يدخلهم في زمرة
المسلمين وينفعهم في دخول الجنة ان ماتوا عليه . لكن ليس معهم من قوة
الايمان ورسوخه ما يحصنهم امام الشهوات والشبهات . لذلك يكرمونهم
النفاق العلى . وتنقص ولاية الله لهم بقدر بعدهم عن تكميل ايمانهم .
كما نخلص الى أنهم ليسوا من المعنيين بقوله تعالى :

الآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ
ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * (١)

امانى الآخرة فانهم من أهل الجنة ، لكن منهم من يدخلها ابتداءً برحمة
الله ومغفرته بعد شفاعه اوسبب آخر . ومنهم من يدخلها بعد أن يـمـذب
فى النار . والله أعلم .

(١) سورة " يونس " ٦٢ - ٦٤ .

المطلب الثالث : مرتبة المقتصد .

تقدم ان من جاء بأصل الايمان مطالب بتكميل ايمانه بفعل الفرائض والشرايع والسنن ، والانتها عن المحرمات والمكروهات .

فمن فعل ذلك وعهد الله مخلصا عن علم وصيرة كان في مرتبة المقتصد وتسمى : كمال الايمان الواجب . ويسمى أهلها : "المقتصدون ، والابرار وأصحاب اليمين" .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " (ومنهم مقتصد) وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات" (١)
وهي أدنى منازل التقوى المعتبرة في حصول ولاية الله ، وذلك أن حقيقة التقوى ان يجعل العبد بينه وبين غضب الله وقاية ، هي فعل الطاعات واجتناب المحرمات" (٢)

وقد بين الله تعالى أعمال البر التي من جاء بها كان من الابرار المقتصدون وهذا البيان يكفينا في معرفة حقيقة التقوى التي تنال بها ولاية الله فقال تعالى :

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣)

(١) تفسيراً لقرآن العظيم حـ ٣ / ٥٥٤ . وانظر لهذا المعنى : الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ١٦ ، ومدارج السالكين حـ ١ / ١٢٢ .
(٢) انظر : جامع البيان لابن جرير ، حـ ١ / ١٠٠ .
(٣) سورة " البقرة " ١٧٧ .

وقد استدل بهذه الآية الامام البخارى - رحمه الله - فى باب " امور الايمان " من كتاب " الايمان " ^(١) على أن الايمان الكامل يستلزم الاعمال الصالحة الظاهرة .

وقد بين ابن حجر - رحمه الله - وجه الاستدلال بهذه الآية ومناسبتها لحدِيث الباب ^(٢) ثم قال .

" ووجهه ان الآية حصرت التقوى على اصحاب هذه الصفات ... فاذا فعلوا وتركوا فهم المؤمنون الكاملون " ^(٣)

وهذا يتبين ان اول منازل التقوى هى مرتبة كمال الايمان الواجب ، التى يكون اهلها من الابرار المستحقين لولاية الله .

ومن زاد فى القرية كان قدمه فى الايمان أرسخ ، ونصيبه من الولاية أوفر .
فيمترقى الى كمال الايمان المستحب ، ويأتى بكمال التقوى التى فسرها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مسالا بأس به حذرا لعابه بأس " ^(٤) أى بعد أدائهم للفرائض ، وانتهائهم عن المحرمات يتورعون عن المكروهات والمتشابهات ويسارعون فى النوافل والخيرات ، فهم المقربون المحسنون السابقون وسياتى الكلام على مرتبتهم ان شاء الله .

(١) صحيح البخارى مع فتح البارى ، ج ١ / ٥٠ .

(٢) ونصه : " الايمان بضع وستون شعبة ، والحيا شعبة من الايمان " نفس المصدر ص ٥١ .

(٣) فتح البارى . ج ١ / ٥٠ ، ص ٥١ .

(٤) رواه الترمذى . وقال : " هذا حديث حسن قريب " تحفة الاحوذى ، ابواب صفة القيامة ، ح (٢٥٦٨) ج ٧ / ١٤٧ . ورواه ابن ماجه فى ابواب الزهد باب الورع والتقوى ، سنن ابن ماجه اعداد : محمد مصطفى الاعظمى ح (٤٣٨) ج ٢ / ٤٢٨ . ورواه الحاكم وقال : " هذا حديث صحيح الاسناد " ووافقه الذهبى . المستدرک ج ٤ / ٣١٩ .

وعلى هذا فأهل هذه المرتبة - مرتبة المقتصد - جاءوا بالايمان والتقوى التي
استحقوا بها ولاية الله التي توجب لاهلها السلامة في الدنيا والآخرة .
قال تعالى :

(١) .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسَلِّمْ لَهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٠﴾

وهم من الذين قال الله فيهم :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٣﴾ تَزُولُ مِنْ غَمُورٍ رَاحِمٍ ﴿٣٤﴾ . (٢)

ومن سبحانه أنهم أهل الفلاح ، وذكر اوصافهم التي أوجبت لهم ذلك
والتي لا يبلغ الايمان تمامه الواجب بدونها فقال :

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْأَمْوَالَ وَالْأَرْضَ وَمِمَّا كَسَبُوا ۚ سَاءَ الَّذِي يَرِثُونَ ﴿١١﴾ (٣)

(٢) سورة " فصلت " من ٣٠-٣٢

(١) سورة " الواقعة " ٩٠ ، ٩١

(٣) سورة " المؤمنون " من ١-١١

واهم ما يميز هؤلاء عن دونهم أن قلوبهم عميت باعتقاد الأركان الستة الواردة في حديث جبريل - عليه السلام - : " قال فاخبرني عن الإيمان ؟ قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ... " (١) فكان لاستشمار قلوبهم لهذه المعتقدات اكبر الاثر في تعلقها بالله ، ومراقبتها والاخلاص في عبادته ، والاشفاق من يوم القيامة . فحطهم ذلك على الاستقامة على طاعته والانتها عن معصيته متقين بذلك سخط الله واهوال يوم القيامة . وقد بين الله ذلك من حالهم في سورة " الانسان " بقوله :

إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوقُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّجَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامَ عَلَى حَيْثُ مَسَّ كَيْدًا
وَيَسْمَوْنَ أَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطَعِكُمْ لُجُوبِهِ اللَّهُ لِاتِّبَاعِكُمْ جُرْأَةً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّهْم نَضْرَةٌ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ (٢)

وأهل هذه المرتبة هم من المؤمنين حقا الذين أهتلوا فظهر صدقهم قال تعالى :

الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ (٣)

وقد تقدم أن أهل مرتبة " الظالم لنفسه " معهم من الإيمان ما لو ماتوا عليه لدخلوا الجنة لكن عند حصول الفتنة والابتلاء فمنهم

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والاحسان ... ح (٨)

ح ٣٦/١

(٢) سورة " الانسان " من ٥-١١ . (٣) سورة " العنكبوت " من ١-٣ .

من ينافق ، ومنهم من يدفعه الابتلاء الى السعى الى تحصيل العلم واليقين والعمل الصالح فيرتفع بذلك الى كمال الايمان . قال تعالى :

” وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ” (١)

ولا يبق امتحانهم عند هذا الحد ، بل لا يزال الله يحدث لهم من الابتلاء ما يظهر به مدى صدقهم وشباتهم قال جل ذكره :

” وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ” (٢)

وسئل الرسول - صلى الله عليه وسلم - : اى الناس أشد بلاءاً ؟

قال : ” الانبياء ” ثم الامثل فالامل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان فى دينه صلوا اشتد بلاؤه ، وان كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة ” (٣)

فالابتلاء للمؤمن كالنار للذهب ، يزيد فى نقائه وصلابته ، فلا يزال يدفعه السى التعلق بالله ، والليادة به ، ومحاسبة النفس ، واصلاح دينه ، ولا يزال ثوابه يعمل عمله فى تكثير سيئاته ، وزيادة حسناته حتى يكون اهلا لولاية الله التامة . فالاصطفاة بعد الابتلاء .

(١) سورة ” العنكبوت ” ١١ . (٢) سورة ” البقرة ” ١٥٥-١٥٦ .

(٣) رواه الامام أحمد . المسند حـ ١٧٢/١ ، من حديث سعد بن ابى وقاص . والترمذى وقال : ” هذا حديث حسن صحيح ” تحفة الاحوذى ح (٢٥٠٩) حـ ٧٨/٧ . وابن ماجه فى ابواب الفتن باب الصبر على البلاء . سنن ابن ماجه اعداد محمد الاعظمى ح (٤٠٧٢) حـ ٣٨٦/٢ . وصححه ابن كثير فى التفسير - ط الشعب - حـ ٢٧٣/٦ . وله شاهد عند الحاكم من حديث ابى سعيد الخدرى . وقال عنه : ” صحيح على شرط مسلم ” ووافق الذهبى المستدرک حـ ٣٠٧/٤ .

كما قال تعالى : **وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** (١)

وأهل هذه المرتبة وان كانوا من المؤمنين المتقين المستحقين لولاية الله الا أنهم ليسوا معصومين ، فقد يصدر من احدهم بعض الصفات والكبائر

لكنهم ملازمون للتوبة سادرين لها ، كما وصفهم الله بقوله : **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَرِحُوا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (٢)

ولا تخرجهم هذه المعاصي وان كانت كبائر تاها منها من هذه المرتبة .

اما ما عده الله من النعيم لاهل هذه الدرجة ، فقد بين الله تعالى انه مع عظم الاثام اقل من نعيم المقربين الذين جاءوا بكمال الايمان المستحب فمن ذلك قوله تعالى :

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ مُدَّهَا مِثْنَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا عِيسَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِمَا قَنْدِسَةٌ وَفِجْلٌ وَّرُمَّانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ قَلْبِهِمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ ﴿٧٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ نَبْرًا أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٠﴾ (٤)

(١) سورة البقرة " ١٢٤ (٢) سورة آل عمران " ١٣٥

(٢) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ١٨ .

(٤) سورة الرحمن " ٦٢-٧٨ .

في سورة الواقعة :

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُمْ
أَجْنَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ
الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ (١)

في سورة " الانسان " :

فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شُرَكَاءَ
الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُودًا ﴿١١﴾ وَجَزَّعَهُمُ بِمَاصِرِهَا وَاجْتَهُ وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُتَّكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَانِيَةٍ
مِّنَ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنَ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَسُقُونَ فِيهَا كُؤُوسًا كَانَتْ مِنْ أَجْهَارٍ مُّجَبَّلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسْمَىٰ سَلَاسِلًا
﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ شِمْرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ شِبَابٌ سُنُوسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِّنَ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمُ رُبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا لَكُرْجَاءٌ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ (٢)

فسرق سبحانه بين ما عده من النعيم لاصحاب اليمين وما عده للمقربين
المحسنين في سورة " الواقعة " و " الرحمن " . و اشار الى شئ من ذلك في
سورة " المطففين " فقال في وصف الابرار :

﴿٢٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٣﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٤﴾ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٥﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٦﴾
خِتَمُهُمْ مِنْ نَسِئٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَايَا شَرِبُوا مِنْهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ (١)

ففي قوله : " وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَايَا شَرِبُوا مِنْهَا الْمُقَرَّبُونَ " ذكر شراب الابرار
وشراب المقربين . قال ابن جرير - رحمه الله - في المراد بقوله : " تسنيم " : واما
سائر أهل التأويل ، فقالوا : هو عين يمزج بها الرحيق لاصحاب اليمين ، واما
المقربون فيشربونها صرفا " (١)

وسوف يأتي مزيد من البيان لهذا المعنى عند الكلام على " مرحلة السابق
بالخيرات " ان شاء الله .

وخلاصة القول أن أهل " مرتبة المقتصد " هم الذين جاءوا بكمال الايمان
الواجب ، وعبدوا الله على بصيرة ، وسلمت قلوبهم من الشرك والريب وامراض
الشبهات والشهوات ، كما سلمت اعمالهم من الاصرار على معاصي الله ، فهم
ملازمون لطاعته واستغفاره .

وهم في الدنيا أهل ولاية الله وعنايته وتسد يده ... ولا يمنع ذلك ممن
ان تصيبهم بعض المصائب والمكروهات ، تمحيصا للذنوب ، وتحقيقا للمصير
والايمان ، وزياده في الحسنات ، ورفع في الدرجات ، وتكفيرا للسيئات .

(١) سورة " المطففين " من ٢٢-٢٨ .

(٢) جامع البيان لابن جرير - ١٠٨ / ٣٠

وفي الآخرة يتولاهم الله ايضاً فيؤمنهم من الفزع الاكبر ، ويدخلهم الجنة ابتداءً ، قد حرم الله عليهم النار . لكن لا يمنع ذلك ان ينال بعضهم بعضاً من المكروه عند الموت ارضى القبر ارضى الحشر تكفيراً لما قد اصاب في الدنيا من الهفوات .

وفي الجملة هم أهل السلامة والأمن في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُى أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٢﴾ تَزَلُمُنَّ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٣﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ (١)

(١) سورة " فصلت " ٣٠-٣٣ .

المطلب الرابع : مرتبه السابق بالخيرات .

وتسمى كمال الايمان المستحب ، وهي درجة المقربين المحسنين والسابقين
والمسارعين في الخيرات من الانبياء والصديقين .

فهم المقربين الذين تقربوا الى الله بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات
والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات ، فلما تقربوا اليه بجميع ما يقدر
عليه من محبهاته ، احبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى في الحديث القدسي :
(ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه)^(١) يعنى الحب المطلق ...^(٢)
وهم المحسنون الذين كلوا مراتب الاسلام والايمان ، وارتفعوا الى مرتبة الاحسان
فعبدا والله كانهم يرونه ، فان لم يكونوا يرونه فقد استشعروا رؤيته لهم ، وبذلك
ما استطاعوا من النفع لعباده فجمعوا بين الاحسان في عبادة الرب ومعاطة الخلق .
واعظم ما تميزت به هذه الطائفة هو قوة معرفتهم بالله وشهود وحدانيته
واستحقاقه وحده لالوهية ، واستشعار ظههم لمعاني صفاته من خلال تفكرهم
بآياته الكونية ، وتدبرهم لآياته التنزيلية .
فهم أهل الايمان الراسخ القائم على العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وعلى الاخلاص في عبادته .

فعندهم من قوة التصديق واليقين بذلك ما ارتفعوا به الى أعلى منازل الايمان
وتحصلوا به على أوفر الحظ من ولاية الرحمن ، وحازوا به أعلى الدرجات في الجنان .

(١) رواه البخارى . كتاب الرقاق . باب التواضع ، ح (٦٥٠٢) ح ٣٤٠ / ١١

(٢) الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٦ .

قال الامام ابن القيم - رحمه الله - : " ومن منازل (اياك نعبد و اياك نستعين) منزلة (اليقين) وهو من الايمان بمنزلة الروح من الجسد . وبه تفاضل العارفين وفيه تنافس المتنافسون واليه شمر المشمرون .^(١)

وقال ايضا : " ومتى وصل (اليقين) الى القلب امتلاً نوراً واشراقاً . وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط ، وهم وهم ، فامتلاً محبة لله وخوفاً منه ورضى به ، وشكراً له ، وتوكلاً عليه ، وانابة اليه ...^(٢)

وهم أهل الاخلاص لله الذين حققوا " شهادة ان لا اله الا الله " فاعمالهم كلها لله ، واقوالهم لله ، وعطاؤهم لله ، ومنعهم لله ، وحبهم لله ، وبغضهم لله ، فمعاطتهم ظاهراً باطناً لله وحده ...^(٣) كما حققوا " شهادة ان محمداً رسول الله ، بالتصديق بشريعته ، واتباعه فيما جاء به عن ربه ، " اعمالهم كلها وعباداتهم موافقة لامر الله ، ولما يحبه ويرضاه ، وهذا هو العمل الذي لا يقبل من عامل سواه " فهم كما قال الله تعالى :

" قُلْ اِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ اُمِرْتُ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ .^(٥)

(١) مدارج السالكين - ٢ / ٤١٣ .
(٢) نفس المصدر - ٢ / ٤١٤ .
(٣) نفس المصدر - ١ / ١٩٥ .
(٥) سورة " الانعام " ١٦٢ / ١٦٣ .

وهم عباد الله الذين جاءوا بالعبودية الحقة ، فتعلقت قلوبهم بربهم
وكل خضوعهم وانابتهم له ، احبوه غاية الحب ، وقد موا محبته ومحبة رسوله -
صلى الله عليه وسلم - على النفس والأهل والمال والولد ، فمحبته بعثت فيهم
الرجاء والمسارة الى مرضاته والشوق الى لقائه ، كما عظموا تعظيما حرك فيهم
جانبا الخشية وعدم الأمن من مكر الله .

فكان استشعار قلوبهم لعبوديتهم لربهم ، وفقدهم وحاجتهم اليه ،
ولحقيقة الألوهية وعظمة الخالق ، وعرانها بمحبته وخشيته وتعظيمه
اعظم باعث لهم على الانس بالله واظهار مرضاته ، والاشتغال بما يقربهم منه
ويجيبهم له عن الاشتغال بفضيل حظوظ النفس ، فزهدها فيما لا يحتاجون اليه
من المباحات .

واطمأنت قلوبهم بطاعة الله ، وأنست نفوسهم ، وذلت السننهم لذكوره
وخضعت جوارحهم لاتباع شرعه ، فذاقوا من حلاوة الايمان ما حطهم على تقديم
ارواحهم واموالهم وقواتهم واوقاتهم في سبيل الله ، بالجهد والمرابطة
او التعلم والتعليم ، أو الدعوة والنصح للمسلمين خاصتهم وعامتهم ، والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ... أواخر ذلك من الامور التي فيها مرضاة
الرب ومنفعة الخلق . فهم اولياء الله وخاصته وصفوته من خلقه .

وقد وردت صفاتهم في كثير من آيات القرآن الكريم . وحيث انهم
يشتركون مع الابرار في كل ما تقدم من الصفات والاحوال ، الا ان هؤلاء زادوا عليهم
في تلك الصفات كيفما وكما ، وزادوا عليها اعمالا أخرى من المندوبات .
ويمكن التمييز بين الآيات التي عمت الفريقين والتي خصت المقربين بأمور
منها :

ان يرد فى ذكر صفات الفريق الاول تسميتهم : الابرار ، أو اصحاب اليمين أو المقتصد ... ونحوها . ويذكر للفريق الثانى : المحسنون ، المقربون السابقون ، المسارع او السابق بالخيرات ، وعباد الله اوعباد الرحمن ... ونحوها . أو ان يرد فى ذكر الفريق الاول وصفهم بالعبادات المفروضة وشىء من المندهات ، وفى الفريق الثانى وصفهم بملازمة الاعمال المندهة والمسارعة فيها اشارة الى انهم تجاوزوا المفروض الى المندهوب .

وستند هذا الضابط الاخير هو حديث ابى هريرة المشهور فى ذكر الاولياء^١
وفيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " ان الله قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب .

وماتقرب الى عدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه .

وما يزال عدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لاعطينه ، ولئن استعاذ بى لاعينده . ومارددت عن شىء انا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته .^(١)

وقال ابن تيمية - رحمه الله : - " ... فالابرار اصحاب اليمين هم المقربون اليه بالفرائض ، يفعلون ما اوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون انفسهم بالمندهات ، ولا الكف عن فضل العبادات . واما السابقون المقربون فتقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات ...^(٢) "

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٧) .

(٢) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ١٦ .

وقال ابن رجب - رحمه الله - تعليقا على حديث الاولياء المتقدم :

" فقسم اولياء المقربين قسمين : احدهما من تقرب باداء الفرائض ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات ، لان ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده . الثاني : من تقرب اليه بعد الفرائض بالنوافل ... " (١)

وهذا الضابط يتيسر - باذن الله - تمييز ما اختص به هؤلاء من الاوصاف القرآنية ما يشركهم فيه الا برار .

ففي قوله تعالى :

الآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٦٣﴾ (٢)

يدخل كلا الفريقين حيث يصدق على كل منهما وصف الايمان والتقوى .

وفي قوله تعالى : " ... إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٦٨﴾ " (٣) فيه زياده معية لمن زاد في التقوى الى درجة الاحسان .

ومن ذلك ماورد في سورة " الذاريات " حيث وصفهم ربنا بالتقوى والاحسان

بقوله :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١١٥﴾ أَخْذِينَ مَاءً نَّهْمًا لَهُمْ رُغِيَّةً لَهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (٤)

ثم ذكر بعد ذلك امعلا هي من المنذرات التي لازمها بعد الفرائض فقال :

كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١١٧﴾ وَيَا لَأَسْفَاهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿١١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١١٩﴾ (٥)

ففي قوله : " حق للسائل والمحروم " لم يقيد به بأنه " معلوم " كما في سورة

" المعارج " حيث قال : " وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿١٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٢٥﴾ " (٦)

-
- (١) جامع العلوم والحكم ص ٣٤٠ .
(٢) سورة النحل " ١٢٨
(٣) سورة " الذاريات " ١٧ - ١٩ .
(٤) سورة " بيونس " ٦٢٢ ، ٦٣
(٥) سورة " المعارج " ٢٤ - ٢٥ .
(٦) سورة " الذاريات " ١٥ ، ١٦

ففى " الذاريات " المراد صدقة النقل ، اى يجعلون فى اموالهم على انفسهم حقا للسائل والمحروم تقربا لله . وما يقوى ان المراد هنا الصدقة النقل انها قد ورد ذكرها مع امور كلها من التطوعات .

اما فى " المعارج " : " فالظاهر انه الزكاة لوصفه بكونه معلوما ولجعله قربانا للصلاة " (٢) ويقوى ذلك انه ورد ذكرها مع امور كلها مفروضة واجب التزامها فعلا وتركها .

فتكون اوصاف سورة " الذاريات " للمتقين المقربين المحسنين .

فى سورة " المعارج " للمتقين الابرار .

وقد وصفهم الله بانهم " عباد الله " و " عباد الرحمن " اشارة الى انهم حققوا العبودية وكملوها . والوصف بالعبودية من أجل واحسن الاوصاف ، قال الامام ابن القيم - رحمه الله - : " والله تعالى جعل العبودية وصف اكل خلقه وأقربهم اليه " (٣)

ولعل أشمل ما جاء فى ذكر اوصافهم واعمالهم ، وانهم جمعوا بين الايمان الواجب والمستحب ، ماورد فى سورة " الفرقان " ، قال تعالى :

" وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

(١) فتح القدير ، محمد بن على الشوكاني ، ح ٨٤ / ٥ . دارالمعرفة ، بيروت .

(٢) نفس المصدر ، ح ٢٩٣ / ٥ .

(٣) مدارج السالكين ، ح ١٠٢ / ١ .

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^٤ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَسَآمًا ۖ (٦٨) يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ
مُهَانًا ۖ (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ^٥ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ۖ (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ۖ (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرًّا وَكِرَامًا ۖ (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُومًا وَغَمًّا ۖ (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزُقِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا غَمِيمَةً وَسَلَامًا ۖ (٧٥) خَلِيدِينَ
فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ (٧٧)

(١)

وكما ورد تفضيل المقربين في الصفات ، ورد تفضيلهم في النعيم يوم القيامة .

ففي سورة " الواقعة " ذكر سبحانه نعيم المقربين السابقين بقوله :

" وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ (١٥) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ (١٦)
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ (١٧) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۖ (١٨) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
(١٩) عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۖ (٢٠) مُتَّكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ۖ (٢١)
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۖ (٢٢) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
(٢٣) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ۖ (٢٤) وَفَكَهْفُهُمْ مِمَّا يَشْتَخِرُونَ
(٢٥) وَلِحَرِّ طَبَرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ۖ (٢٦) وَخُورَعِينَ ۖ (٢٧) كَأَمْثَلِ الذُّلُولِ
الْمَكْتُوبِينَ ۖ (٢٨) جزاءَهُمْ كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ (٢٩) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْتِيهِمْ ۖ (٣٠) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۖ (٣١) "

(٢)

وفى المراد - بالتكرار فى قوله : " والسابقون السابقون " قال الامام
ابن القيم - رحمه الله - : " ... فيكون المعنى السابقون فى الدنيا
الى الخيرات هم السابقون يوم القيامة الى الجنات . والسابقون الى
الايان هم السابقون الى الجنان ، وهذا اظهر والله أعلم " (١)
وفى قوله : " ثله من الاولين وقليل من الآخريين " رجح ابن كثير
- رحمه الله - ان المراد بقوله " ثله من الاولين " اى من صدر هذه
الامة ، " وقليل من الآخريين " اى من هذه الامة . (٢)

(١) حادى الارواح الى بلاد الافراح ، للامام ابن قيم الجوزية ، ص ١١٥ ، -
القاهرة - مطبعة المدنى ، ١٣٨٤ هـ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ٢٨٤ .

وفي هذا قال شيخ الاسلام - رحمه الله - : " فالمقربون يروون بها فلا يحتاجون معها الى ما دونها فلهذا يشربون منها صرفا ، بخلاف أصحاب اليمين فانها مزجت لهم مزجا ، وهو كما قال تعالى في سورة " الانسان " :
(١) **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥٠﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٥١﴾**
فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة " (٢)

فيريأ فشيخ الاسلام - رحمه الله - ان " عباد الله " في قوله تعالى :
" عينا يشرب بها عباد الله " في سورة " الانسان " ، هم " المقربون " المذكورون في قوله تعالى : " عينا يشرب بها المقربون " في سورة " المطففين " .
وحول هذا المعنى قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير آية " الانسان " :

" اي هذا الذي منج لهؤلاء الابرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلامزج وهوون بها .. " (٣)

وكما فاضل بينهم في الشراب ، فاضل بينهم في اللباس والحلى ، فذكر نوعين اعلاهما للمقربين والآخر لاصحاب اليمين .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قول الله تعالى : " وحلوا لساور من فضة " (٤)
" وهذه صفة الابرار ، واما المقربون فكما قال تعالى :

(**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ**)

أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٣٣﴾ (٥) " (٦)

وخلاصة القول ان المقربين هم الذين جاءوا بكامل الايمان المستحب ، واخلصوا حياتهم لله اعتقادا وقولا وفعلًا وتركًا ، على حد قوله تعالى :

" **قُلْ إِنْ صَلَّيْتُمْ وَنَسَّيْتُمْ وَمَسَّيْتُمْ وَمَسَّيْتُمْ**

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٥﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ " (٧)

(١) سورة " الانسان " ٦٠٥ (٢) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ١٥

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ / ٤٥٤ (٤) سورة " الانسان " ٢١

(٥) سورة الحج ٢٣ (٦) تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ٤٥٧

(٧) سورة الانعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

وهم أهل ولايته التامة ، وعنايته الفائقة ، والتي ورد بيانها في الحديث القدسي وفيه قال تعالى : " ... وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألتنى لاعطينه ، ولئن استعاذتنى لاعيننه " (١) فهم فى الدنيا عباد الله المخلصون أعلى العباد عملا وخلقا ، وفى الآخرة هم سكان الفردوس الأعلى نسأل الله الكريم من فضله .

(١) رواه البخارى . سبق تخريجه ص (١٢٧) .

المبحث الثاني : أهل ولاية الله .

بعد هذا الاستعراض لدرجات المؤمنين وصفات كل منهم واعمالهم وحكمهم في الدنيا والآخرة ، يسهل التعرف على اولياء الله الذين تولاهم بعنايته ونصرته في الدنيا ، وكرامته ونعيمه في الآخرة .
فقد تبين مما تقدم ان اولياء الله المعنيين بقوله تعالى :

” الْآيَاتُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ” (١)

على نوعين :

النوع الاول :

المقتصدون الابرار أصحاب اليمين ، الذين جاءوا بكمال الايمان الواجب ، الذي هو اول مراتب التقوى الموجبه لولاية الله وعنايته والسلامة والأمن في الدنيا والآخرة .

النوع الثاني :

المقربون المحسنون السابقون بالخيرات ، الذين جاءوا بكمال الايمان المستحب الذي هو أعلى مراتب التقوى .

وقد بين الله هذين النوعين من اوليائه في حديث أبي هريرة الذي تقدم ذكره حيث بين النوع الاول بقوله : ” وما تقرب الى عبدى بشئ أحب الى مما افترضته عليه ” . وبين النوع الثاني بقوله : ” وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ... الحديث ” (٢) (٣)

(١) سورة يونس ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) رواه البخارى ، تقدم تخريجه ص (١٣٣)

(٣) انظر : الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ١٥ .

وقد تقدم فى المبحث السابق بيان أهم صفات كل نوع واعمالهم ، مما يغنى
عن اعادته هنا

وذلك يخرج من كان فى مرتبة الظالم لنفسه من ولاية الله المطلقة وان كان
من زمرة المسلمين كما تقدم ، وذلك ان اولياء الله لهم السلامة والامن فى الدنيا
والآخرة . والظالم لنفسه متوعد على تعذيبه ، كما فى قوله تعالى :

" فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ

أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (١)

وهذا يتضح بعون الله سر انخدال المسلمين فى هذا الزمان وغيره ممن
الأزمان الماضية ، وهو انهم فقدوا ولاية الله الجالبة لمعونه ورعايته وتأيدته .
لظلمهم انفسهم بالانغماس فى الشهوات المحرمة ، او الخوض بالشبهات
العظيمة ، فابتعدوا عن تكميل الايمان الواجب شيئاً فشيئاً ، وحجب الله
ولايته عنهم كذلك حتى اصبحوا غشياً كغشياً السيل ، وتداعت عليهم الأمم ؛
الامن رحمه الله منهم من تمسك بالعهد الاول ، وسار على منهج السلف
الصالح ، ملازمين لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - متجافين عن
البدع والمحدثات ، فهم الطائفة المنصورة ، الذين اخبر الرسل - صلى الله
عليه وسلم - بهقائهم على الحق ظاهرين حتى يأتى أمر الله - جعلنا الله
بمنه وفضله منهم - .

كما تبين ايضاً من خلال ما تقدم ان الايمان الذى نبحث فى أثره والذى
به تستجلب ولاية الله هو الايمان الكامل القائم على العلم بالله والقيام بحق الله
فيعرف ربه باسمائه وصفاته وافعاله الواردة فى الكتاب والسنة ، ويعتقد تفرد
- سبحانه - بذلك . كما يعتقد تفرد به الاله الحق الذى يجب ان يعبد وحده
ثم يقوم بحق الله تعالى الذى بينه - صلى الله عليه وسلم - فى حديث

(١) سورة النور (٦٣)

معاذ بقوله : " فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " (١) ،
وانواع العبادات وكيفياتها التي شرعها الله لعباده وارتضى منهم ان يتقربوا
اليه بها ، قد جرى بهانها في الكتاب والسنة ، وطبقها الرسول - صلى الله
عليه وسلم - عطيا ، فيجب الالتزام بذلك وعدم الزيادة عليه . والميل عن ذلك
خروج عن سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وميل وانحراف عن طريق
الولاية .

فطريق الولاية يقوم على ركنين هامين :

الاول : الاخلاص في العبادة . فيبتغى بجميع اعماله وجه الله ، قياما بحقه
وطلبا لرضوانه وثوابه ، وخوفا من سخطه وعقابه ، ولا يلتفت قلبه الى
غير الله بطلب النفع او دفع الضر ، ولا يقصد بشيء من العبادات غير الله .
الثاني : صدق المتابعه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيعبد الله بما شرع
مقتديا به ، مستمكا بسنته لا يخرج عليها بالغلو والبدع ، ولا يتحلل
منها بالمعاصي وعدم الالتزام .

قال ابن رجب - رحمه الله - " ... فظهر بذلك الى ان دعوى طريق يوصل
الى التقرب الى الله تعالى ومولاته ومحبهه سوى طاعته التي شرع على لسان
رسوله من ادعى ولاية الله ومحبهه بغير هذا الطريق تبين انه كاذب في
دعواه " (٢)

وقبل ان أتجاوز هذا المبحث الى التعرف على آثار ولاية الله في تحصين
المسلم ضد المخاطر والافكار الهدامة ، يجدر أن أتعرض بمزيد من العناية
لامر مهم وعظيم ، هو الاساس والركن الاهم لتحصيل ولاية الله ، بل بدونها
يتعذر الحصول عليها ، الا وهو التوحيد واخلاص العبادة لله وحده ، والبراءة -
من الطائف والشرك وأهله .

(١) متفق عليه . البخاري كتاب الجهاد . باب اسم الفرس والحمار ، ح (٢٨٥٦)
ح ٥٨ / ٦ . وسلم : كتاب الايمان . باب الدليل على ان من مات على التوحيد
دخل الجنة قطعاً (٣٠) ح ٥٨ / ١ .
(٢) جامع العلوم والحكم . ٣٤٠ .

المبحث الثالث: العناية بأهم سبب لحصول الولاية.

تقدمت الإشارة الى ان اخلاص العبادة لله أهم دعائم الايمان والتقوى التي هي الطريق لولاية الله . ومن المناسب ان أذكر بعض النصوص التي تبين أهمية هذا الامر ، وأن الله أولاه عناية خاصة ، وأكد على أنه الخطوة الأولى والاساسية في السعي لتحصيل ولايته.

وما يزيد الحاجة للتركيز على هذا الامر ، حاجة المسلمين اليوم اليه لاستجلاب ولاية الله ، وتغافل بعض الدعاة والعاطلين لنصرة هذا الدين عنه أوجهلهم بأهميته .

فقد بين الله تعالى انه خلق الجن والانس لعبادته ، أراد هذا منهم ارادة شرعية تعلقت بها حكمته. قال تعالى :

(١)

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي ﴿٥١﴾

واعلمهم في كتبه وطي ألسن رسله أنه لا يقضى مجرد العبادة بل يجب أن تكون خالصة . من ذلك قوله تعالى :

إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ

أَمْرًا لَاتَعْبُدُوا إِلَّا آيَاتُهُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ (٢)

وقوله : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥٣﴾ " (٣)

وهي ذلك خاتم رسله - صلى الله عليه وسلم - في كثير من الأحاديث منها حديث معاذ وفيه قال - صلى الله عليه وسلم - : " فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " (٤)

(٢) سورة " يوسف " ٤٠ .
(٤) تقدم تخريجه ص - (١٤٠) .

(١) سورة " الذاريات " ٥٦ .
(٣) سورة " البقرة " ٥ .

والاخلاص وقصد الله وحده بالتأله والعبادة هو تحقيق معنى شهادة
" ان لا اله الا الله " .

واما انواع العبادة ، وكيفية أدائها ، وكيف يكون الاخلاص فيها ، وماهى
خوارم العبادة وبطلاتها ، فتؤخذ ماجاء به النبي - صلى الله عليه وسلم -
من الوحي ومن فعله .

قال تعالى : " وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا " (١) وقال : " أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ " (٢)

وقال :
" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " (٣)

وجاء التحذير الشديد من مخالفة ماجاء به - صلى الله عليه وسلم - من
ذلك قوله تعالى : " وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " (٤)

وقوله : " أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ " (٥)
وقال - صلى الله عليه وسلم - : " من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد " (٦)
وقال : " من رغب عن سنتى فليس منى " (٧)

والنصوص التى تقرر وجوب الاخلاص فى العبادة ، ووجوب متابعة النبي - صلى
الله عليه وسلم - وتحذر من الشرك والبدع كثيرة اكتفى بما ذكر لأخلص الى المقصد
وهو التدبر لبعض ماجاء فى ذكر اولياء الله ، او طريقهم ، والتعرف على مظاهر
الولاية ، وماورد فيها من التنبيه على ان التوحيد هو الاساس والسبب الرئيسى

-
- (١) سورة " النور " ٥٤ .
(٢) سورة " الاعراف " ٣ .
(٣) سورة " الاحزاب " ٢١ .
(٤) سورة " الانعام " ١٥٣ .
(٥) سورة " الشورى " ٢١ .
(٦) متفق عليه . البخارى كتاب الصلح . باب اذا اصطلحوا على صلح جور فهو مردود
ح (٢٦٩٧) ح ٥ / ٣٠١ . وسلم : كتاب الاقضية . باب نقض الاحكام الباطلة
ورد محدثات الامور ح (١٧١٨) ح ٣ / ١٣٤٣ .
(٧) متفق عليه : البخارى : كتاب النكاح - باب الترغيب فى النكاح ح (٥٠٦٣) -
ح ٩ / ١٠٤ . وسلم : كتاب النكاح . باب استحباب النكاح ... ح (١٤١) -
ح ٢ / ١٠٢٠ .

لحصولها لهم .

فمن ذلك ماتقدم من النصوص في ذكر أوصاف أولياء الله - بنوهم الأبرار والمقربين - والتي يتجلى فيها التأكيد الشديد على ملازمتهم للتوحيد ، وكمال تعلق قلوبهم بربهم ، وإخلاصهم في عبادته . وخلاصة ما بينته تلك النصوص من أوصافهم هي :

- ١ - التوحيد بإخلاص العبادة لله تعالى .
 - ٢ - ملازمة طاعة الله واجتناب معاصيه ، مع التركيز على الصلاة والصدقة فرضاً ونفلاً .
 - ٣ - الإيمان باليوم الآخر وأثره على سلوكهم .
 - ٤ - الصبر على طاعة الله ، ومن معصيته وعلى أقداره .
- ويظهر ذلك جلياً في سورة " الإنسان " التي ذكر فيها أوصاف الأبرار ، وفي سورة " الفرقان " التي ذكر فيها أوصاف المقربين .
- وسورة " يوسف " عليه السلام - لهذا العراد شامة ، حيث اشتعلت على قصة ولى من أولياء الله ، ذكر فيها مظاهر ولاية الله له وعنايته به ، وأسباب تلك الولاية .

وقبل استعراض مظاهر ولاية الله ليوسف - عليه السلام - والتي هي فـعـلـ الرب تبارك وتعالى به . وأسباب تلك الولاية والتي هي فعله - عليه السلام - الذي تحصل به على ولاية الله ، أرى من المناسب ان اطرح بين يدي ذلك مقدمات مهمة ...

فسورة " يوسف " - عليه السلام - من السور العكبة ، والتي تميزت بالآكار من قصص الأنبياء والامم السابقة ^(١) ... " ليكون في قصصهم عبرة وموعظة لاولى الالباب لبيان ان دعوة الرسل جميعاً واحدة ، وانهم جاءوا بالتوحيد الخالص والايمان

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد محمد ابوشهبة ، ص ٢٢٩ ، دار - الكتب الحديثة للطباعة ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٩٧٣ .

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وان الانبياء واتباعهم لا قوا كل انواع الايذاء في سهيل عقيدتهم ، ومع ذلك صبروا وشبثوا على عقائدهم وكان النصر والعاقبة لهم والهزيمة والخذلان لاعدائهم ... (١)

والقص القرآنى نزل منجما ليعالج واقع المسلمين فى الدعوة المحمدية وخاصة فى العهد العكى ، مهمتها الايحاء السريع والتأثير القوى بضرب القدوة والموعظة البليغة .

ومعنى القص يقصد بها انذار الكافرين بذكر ما حل بأسلافهم الأولين من العقاب الاليم فى الدنيا ، وان عاقبة الكفر سيئه لامحالة .
والبعض الآخر كشأن سورة " يوسف " عليه السلام - يقصد بها بشارة المسلمين بحسن العاقبة فى الدنيا ، وعظيم الاجر فى الآخرة ، وتسليتهم وتشبثهم بذكر قصص أسلافهم وعناية الله بهم . كما يقصد بها ايضا تجليمة الطريق الى ولاية الله وهيان أهم دعائمه لكى يلازموه .

وسورة " يوسف " نزلت فى ظروف خاصة ، ومرحلة متميزة مَرَّ بها السابقون الاولون فى مكة . وقد عالجت هذه القصة القضايا المطروحة فى ساحة المواجهة مع الكفار ، وفى الخواطر المختلفة فى المشاعر والانكار .

فان كان المسلمون يعذبون ويتآمر عليهم أهلهم واقاربهم ، وان كانوا يضطرون الى الهجرة والغربة عن بلادهم ، وان كان بعضهم يسجن ويحاصر فى الشعب ، وفريق منهم يوزح تحت ذل الرق ... واذا كانت الشياطين توسوس فى قلوبهم : كيف تعذبون وتضطهدون وتستذلون وانتم عباد الله واوليائه ؟ كيف وهو الملك الذى لا يعجزه شىء ؟

(١) ابوشهبه المصدر السابق ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

كيف والذين يعذبونكم هم أعداؤهم المستحقين بكفرهم عقابه ؟ لماذا يتأخر الانتصار لكم والعقاب عليهم مع وجود الموجب لهما فيكم وفيهم ؟
إذا كانوا يلاقون صنوف العذاب والابتلاء الجسمي والمعنوي فهذا
الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف - عليه السلام - اجتمعت فيه
أكثر هذه الأمور ...

تآمر عليه أقرب الناس إليه ، وتغرب عن بلده ، وذاق مرارة الرق ، وآثر
السجن على الفتنة في الدين ... وابتلى وصبر .
إذا فالابتلاء سنة الله الجارية لتمحيص أوليائه ، فهو دليل الكرامة
لا الإهانة ، وهو عنوان الصدق في الإيمان .

ومع ما حطته القصة من التسلية والتشبيث حطت أيضا البشارة بأن العاقبة
سوف تكون لهم ، وانها العزة والتمكين ، جاء ذلك تلميحا من خلال ما آل اليه
أمر يوسف ، وتصريحاني قوله :

” وَكَذَلِكَ

مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ” (١)

ومع التسلية والتشبيث والبشارة جاءت قصة يوسف لتبين لهم أهم دعائم
الصراط المستقيم الموصل لرضوانه وولايته وجنته . لكي يستمسكوا به .
ومعد هذا التمهيد نأتى الى المقصود .

فما هي مظاهر ولاية الله ليوسف عليه السلام ؟

وما هو سبب هذه الولاية ؟

(١) سورة " يوسف " ٥٦ ، ٥٧ .

اما مظاهر الولاية فهى ظاهرة فى آيات هذه السورة ، بل ان القصة كلها استعراض لعناية الله ورعايته لوليه - يوسف - عليه السلام - حيث تولاه صغيرا بحفظه ورعايته ، ثم اجتباه وعله من تأويل الحديث واتم عليه النعمة كما اتمها على ابيه ابراهيم واسحاق ، وآتاه علما وحكما ، وصرف عنه سوء والفحشاء وجعله من عباده المخلصين ، ثم مكنه فى الارض وآتاه من الملك ، وجمع شطسه بأهله بعد أن أظهر فضله ومكانته لهم ...

اماسبب الولاية فقد ذكره الله بقوله : " وَلَمَّا بَلَغَ

أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ . (١)

وقوله : " وَكَذَلِكَ

مَكَانًا لِيُوسَفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ

بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرُ

الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾ " (٢)

وقوله : " إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْرِفْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ " (٣)

فبين سبحانه سبب ذلك ، وانه الاحسان والصر ، وبين الاحسان بأنه الامان والتقوى بالذان هما اساس الولاية .

لكن من المعلوم انه من أجل حصول التأثير التام من هذه القصة للصحابه الذين نزلت عليهم اول مرة ، والذين يعانون ما يعانون من العذاب والابتلاء

(٢) نفس السورة ٥٦ ، ٥٧ .

(١) سورة " يوسف " ٢٢ .

(٣) نفس السورة ٩٠ .

ان يذكر السبب بوضوح تام لكي يلتزموا به ويقتدوا بنبي الله يوسف - عليه السلام -
فيحصل لهم ما حصل له من حسن العاقبة في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة .

إذاً من الضروري ان توضح هذه القصة طبيعة هذا الاحسان الذي
جاء به يوسف بياناً يتناسب مع الاستعراض الموسع لاطوار القصة .
فياترى ما هي أهم معالم هذا الاحسان الذي استحق به يوسف - عليه
السلام - هذه الولاية التامة ؟

هل هو اعراضه عن الفاحشه مع قوة الدافع اليها ؟
لاشك أن السياق لا يوحى بذلك . فقد جعل الله اعراضه عن الفاحشه
من آثار ولايته له .

فهو الذي عصه وصرف عنه ذلك بسبب احسانه السابق ، قال تعالى :

” كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخَلَّصِينَ ﴿١٢٤﴾ ” (١)

لقد بين الله ذلك الاحسان غاية البيان ، في سياق يدل على انه هو السبب
الرئيسي والأهم لولايته وهنائه بيوسف ... قال جل ذكره مخبراً عن يوسف - عليه
السلام - وهويبين لصاحبيه في السجن بعض مظاهر ولاية الله له :

” قَالَ لَا يَا تَيْبُ كَمَا طَعَامُ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا لَأَنْبَأْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ أَذِلُّكُمْ أَمْ عَلَّمَنِي رَبِّي ” (٢)

ثم ذكر سبب عناية الله به وتعليقه بقوله : ” إِنِّي تَرَكْتُ

مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٣٧﴾ ”

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ
لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَنْصَدِحُنِي
السِّجْنُ وَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَأَبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ (١)

إذا فسبب الولاية هو التوحيد الخالص الذي تميزت به الحنيفية طة ابراهيم
- عليه السلام - فيوسف عليه السلام - لازم طة آباءه ابراهيم واسحاق ويعقوب
فأتم الله نعمته عليه كما أتمها عليهم .

وكذلك كل من جاء بعدهم عليهم إذا أرادوا ولاية الله أن يأتوا أولا وقبل
كل شئ بالحنيفية التي لا يلابسها شائبة من الشرك . بين الله ذلك أتم البيان
حيث اخبر ان ابراهيم - عليه السلام - انما حاز على تلك المرتبة العالية مسن
الولاية بكامل توحيدده ، ثم أمر النبي محمد ا - صلى الله عليه وسلم - باتباعه

في ذلك فقال :- . إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَرُكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿٤١﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿٤٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٤﴾ (٢)

فالسبيل لتحصيل ولاية الله واحد هو الحنيفية القائمة على التوحيد
الخالص والتي كان عليها ابراهيم - عليه السلام - وتبعه يوسف - عليه السلام -
وأمر محمد - صلى الله عليه وسلم - باتباعها لذلك قال تعالى في آخر السورة :-
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ^(١) " اى سبيل يوسف وآبائه ابراهيم واسحاق
ويعقوب هى سبيلى ايضا . وهى سبيل جميع اولياء الله من النبيين واتباعهم
من لدن آدم - عليه السلام - والى أن يرث الله الدنيا ومن عليها .
بعد هذا الاستعراض لقصة ولوى من اولياء الله ومعرفة مظاهر ولاية الله
له وسر تلك الولاية . استعرض قصة مجموعة من الفتيان تولاهم الله وأشاد بهم
فى كتابه حامدا صنعهم .

بين سبحانه مظاهر ولايته لهم بقوله :

" اِنَّهُمْ فَتِيَةٌ اَمْسُوا بِرَبِّهِنَّ وَرَزَقْنَهُمْ هُدًى ﴿١١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِنَّ ^(٢) "

فتجلت ولايته لهم بأن زادهم ايمانا وربط على قلوبهم ... ثم ذكر سبب

هذه الولاية فقال :

" اِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ
لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ اِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا اِذَا شَطَطًا ﴿١١٤﴾ هٰتُوْلَاآءِ
قَوْمَنَا اَلْخُذُوْا مِنْ دُوْنِهِ اِلٰهَةً لَّوْ لَا يَأْتُوْكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطٰنٌ بَيِّنٌ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا ﴿١١٥﴾
وَإِذْ اَعْتَرٰ لَتْمُوْهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ اِلَّا اللّٰهَ فَاوْرَا اِلَى الْكُهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ اَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ^(٣) .

(١) سورة " يوسف " ١٠٨ .

(٢) سورة " الكهف " ١٣-١٤ . (٣) سورة " الكهف " ١٤-١٦ .

إذا سبب ولاية الله لهم هو تمسكهم بالتوحيد ولو أدى بهم الحال إلى الفرار من الأهل والوطن في سبيل المحافظة عليه .

ولا يخفى ما لهذه القصة من عظيم الأثر على المسلمين في العهد العكسي الذين اضطروهم الوضع القائم إلى الهجرة إلى الحبشة وغيرها حفاظاً على التوحيد ، فقد كانوا يجدون في هذه القصة الانس وحسن العزاء مما يزيد في ثباتهم وتطلعهم إلى فرج الله .

وإذا كان التوحيد الخالص ومجانبة الشرك هو الركن الأهم في استجلاب ولاية الله للفتى يوسف - عليه السلام - ، ولفتيان الكهف ، نجد أن الله تعالى جعله الشرط الأهم لولايته للجماعة المسلمة . بين ذلك بقوله :

” وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ” (١)

فقد وعد الله الجماعة المؤمنة بولايته وعنايته ، وبين مظاهر الولاية بانها : الاستخلاف في الأرض والتمكن فيها فتكون لهم العزة والغلبة ، ويبدل خوفهم أمناً ، وبين سبب هذه الولاية الذي إذا جاء به تحصلوا على تلك الولاية . هذا السبب هو الإيمان والاعمال الصالحة المذكورة في أول الآية ، لكن ذكر في آخر الآية انه يجب ان تكون خالصة .

(١) سورة "النور" ٥٥ .

فلايمان يجب ان يكون خالما لا تلابسه أى شائبة من الشرك كما قال

تعالى : " الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ءُولَئِكَ لَهُمُ ءَلَمَنٌ
وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ " (١)

والأعمال الصالحة يجب ان تكون خالصة يبتغى بها وجه الله وحده كما

قال تعالى : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ ﴿١٥﴾ " (٢)

بعد هذا الاستعراض لبعض نصوص القرآن الواردة فى ذكر الأولياء سبب
حصولهم على ولاية الله ، وضرورة التوحيد لهذا السبب ، استعرض بعض
الآحاديث التى اعتنت بهذه الامور .

فمن ذلك حديث - ابن عباس - رضى الله عنهما ، وفيه قال :

" كنت خلف النبى - صلى الله عليه وسلم - يوماً ، فقال لى : يا فلان انى اطعمك
كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل
الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على
ان ينفعوك ، ما ينفعوك الا بشئى قد كتبه الله لك . وان اجتمعوا على
ان يضروك بشئى لم يضروك الا بشئى قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت
الصحف " (٣)

(١) سورة " الانعام " ٨٢ . (٢) سورة " البينة " ٥ .
(٣) رواه الترمذى ، وقال : " حديث حسن صحيح " تحفة الاحوذى ح (٢٦٣٥) -
ح ٢٢٠ / ٧ ، وقال ابن رجب : " وكل حال فطريق حنش التى خرجها
الترمذى حسنة جيدة " جامع العلوم والحكم ص ١٧٤ . صححه الألبانى
فى " لئلال الجنة فى تخريج السنن (٣١٨) ح ١٣٨ / ١ .

فى هذا الحديث أوجز الرسول صلى الله عليه وسلم سبب الولاية بقوله :
" احفظ الله " : ومظاهر الولاية بقوله : " يحفظك " و " تجده تجاهك " .
فقوله " احفظ الله " : " يعنى احفظ حدوده وحقوقه واوامره ونواهيه
وحفظ ذلك هو الوقوف عند اوامره بالامثال ، وعند نواهيها بالاجتناب وعند
حدوده فلا يتجاوز ما أمر به واذن فيه الى ما نهى عنه " (١)

فاذا جاء بذلك فقد جاء بسبب الولاية .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " يحفظك " : " يعنى ان من حفظ
حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله ، فان الجزاء من جنس العمل ... وحفظ
الله لعبده يدخل فيه نوعان : احدهما حفظه له فى مصالح دنياه كحفظه
فى بدنه وولده وأهله وماله ... النوع الثانى من الحفظ وهو أشرف النوعين:
حفظ الله للعبد فى دينه وإيمانه فيحفظه فى حياته من الشبهات المضلّة
ومن الشهوات المحرمة ويحفظ عليه دينه عند موته فيتخاه على الايمان ... " (٢)

ونوع ثالث من الحفظ وهو حفظ الله لعبده بعد موته فيثبتته عند سؤال القبر
بحقبة عذابه ، ويؤمنه عند الفرع الاكبر من احوال يوم القيامة وكرباتها ويدخله
الجنة وينجيه من النار .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - " تجده تجاهك " : " معناه ان من حفظ -

حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه فى كل احواله حيث توجه بحوطه وينصره
ويحفظه ويفقهه ويسدده (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾) (٣) (٤)

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٧٤ .

(٢) نفس المصدر ص ١٧٥ ، ١٧٧ .

(٣) سورة " النحل " ١٢٨ .

(٤) جامع العلوم والحكم ص ١٧٧ .

وعدان بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - بسبب الولاية ، ومظاهرها بكلمات موجزة هي من جوامع الكلم الذي أوتيته ، نبه على أمر مهم لا يستقيم للعبد المجيء بسبب الولاية بدونه ، خصه بالذكر وان كان داخلا ضمن قوله : " احفظ الله " لاهميته وكونه الاساس الذي يقوم عليه ذلك السبب . هذا الامر هو تحقيق التوحيد وقصد الله بالعبادة والالتجاء اليه وحده . بين ذلك بقوله : " اذا سألت فسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله " .

وبين له ايضا ان تحقيق التوحيد لا يحصل له الا بتعلق قلبه بالله وكسـال التوكل عليه ، وعدم الالتفات الى غيره واليأس من جميع الخلق وقطع الطمع نفسى حصول النفع او دفع الضرر منهم ، فقال : " واعلم ان الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوك ما نفعوك الا بشئ " قد كتبه الله لك . وان اجتمعوا على ان يضروك ، لم يضروك الا بشئ " قد كتبه الله عليك "

والسرفى ذلك أن من كل اعتقاده ان كل ما يرجو من خير فى الدنيا والاخرة فهو بيد الله وحده . وكل ما يخافه من الشرفى الدنيا والاخرة فصرفه عنه بيد الله وحده ، فانه عندئذ بكل تعلق قلبه بربه ويتوكل عليه ، ولا يقصد الا هو بالسؤال والاستعانة وسائر العبادات .

ثم بعد ذلك نبيه الى أمر آخر لا يستقيم له الامر الثانى - تحقيق التوحيد بكمال تعلق القلب بالله والتوكل عليه - الاب . هذا الامر هو الايمان بالقدر . قال ابن رجب - رحمه الله : " واعلم ان مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل وما ذكر قبله ومعهده فهو متفرع عليه وراجع اليه ، فان العبد اذا علم أنه لسن يصيبه الا ما كتب الله له من خير وشر ، ونفع وضر ، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد اليه علم حينئذ ان الله وحده هو الضار النافع المعطى المانع ، فواجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وافراده بالطاعة

وحفظ حدوده ، ... فمن يعلم انه لا ينفذ ولا يضر ولا يعطى ولا يمنع غير الله
اوجب له ذلك افراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء وتقديم
طاعته على طاعة الخلق جميعا ، وان يتقى سخطه ولو كان فيه سخط الخلق
جميعا ... (١)

فالایمان بالقدر باعث على التوكل وتعلق القلب بالله . والتوكل على الله
وكمال تعلق القلب به هو اساس التوحيد . والتوحيد باخلاص العبادة لله
وصدق الالتجاء اليه هو اساس العبودية ، والركن الاهم في طريق الولاية .

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار من أهمية الاخلاص في العبادة في
استجلاب ولاية الله ومعاونته ونصره لعباده عند الشدائد . هذه القصة رواها

عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - (٢)

قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " انطلق ثلاثة رهط من كان
قبلكم حتى أورا العيب الى فار فدخلوا ، فانحدت صخرة من الجبل فسدت
عليهم الغار ، فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بمصالح
أعمالكم . فقال رجل منهم : اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران ، وكنت لأضيق
قلبيهما اهلا ولا مالا ، فنأى بي في طلب شيء يوما ، فلم أرح عليهما حتى ناما
فحلبت لهما غبوقها فوجدتهما نائمين ، فكرهت ان اضيق قلبهما اهلا او مالا
فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا ، فشربا
غبوقهما . اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه
من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج . قال النبي - صلى الله
عليه وسلم - وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت احب الناس اليّ ، -
فأردتها عن نفسها فامتنعت مني ، حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٨٣ .

(٢) الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي اسلم وهو صغير وهو جسر
مع ابيه . وهو ممن بايع تحت الشجرة ، وأحد فقهاء الصحابة توفي ٧٣ هـ .
انظر : سير اعلام النبلاء ٣/ ٢٠٣ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٢٨

فاعطيتها عشرين ومائة دينار على ان تخلى بيبي ومن نفسها ، ففعلت ، حتى اذا قدرت عليها قالت : لأحل لك ان تفض الخاتم الابحة ، فتخرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس الى ، وتركت الذهب الذى اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، غير انهم لا يستطيعون الخروج منها . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : وقال الثالث : اللهم انى استأجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم ، غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فشمرت اجره حتى كبرت منه الاموال ، فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله اذ الى أجرى ، فقلت له : كل ماترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد الله لا تستهزى بهى . فقلت : انى لأستهزى بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا . اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون^(١)

فى هذا الحديث يقص النبي - صلى الله عليه وسلم - على امته قصة نضرتولاهم الله ، مبينا مظاهر ولاية الله لهم ، وسبب هذه الولاية ، مرفعا لهم فى الاقتداء بهم .

فمظاهر ولاية الله لهم انه قبل دعاهم ، وفرج ما هم فيه من الشدة فأزاح الصخرة عن فم الغار فخرجوا يمشون .

اما سبب هذه العناية فهو الاعمال الصالحة التى جاء بها كل منهم من بر الوالدين ، والعفة عن الزنا مع قوة الدافع وتبى الاسباب ، وحفظ اجسرة الاجير وتنميتها ثم ادائها مع شعثها دون أن يأخذ مقابلا على ذلك .

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخارى - كتاب الاجارة باب من استأجر اجيرا فترك أجره . ح (٢٢٧٢) الصحيح مع الفتح ح ٤٤٩ / ٤ . وسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب قصة اصحاب الغار الثلاثة والتوسل بالاعمال الصالحة ح (٢٧٤٣) ح ٢١٠٠ / ٤ .

لكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ركز على أمرهم ، وكرره مع كل فعل من هذه الافعال ، ليهين لهم انه السبب في صلاحها ووقوعها ذلك الموقسع الحسن عند الله حتى أثمرت لهم تلك العناية الفائقة .

هذا الامر هو الاخلاص وقصد الله وحده بفعل الجميل وترك القهيس بين ذلك بقول كل واحد منهم : " اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه " .

ما تقدم يتبين ان التوحيد الخالص هو الاساس والمحور لعلاقة العبد بربه وان قرب العبد من الله وحصوله على ولايته انما يتحقق اذا عرف العبد ربه معرفة صحيحة ثم تعلق قلبه به محبة وخوفا ورجاء ، ثم قصده وحده بعبادته ولم يصرف جنس تلك العبادات لغيره ، ملتزما بما شرع سبحانه من العبادات ، - مقتديا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أداؤها ، مستقيما على ذلك .

ولاشك ان القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين ، وواقع دعوته وسيرته - صلى الله عليه وسلم - كان المحور الذي يدور عليه كل ما تقر فيها من قضايا واحداث هو توحيد الله عز وجل .

قال سيد قطب - رحمه الله - : " ظل القرآن العكى ينزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة عشر عاما كاملة ، يحدثه فيها عن قضية واحدة ، قضية واحدة لا تتغير ، ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر .

ذلك الاسلوب القرآني يدعها في كل عرض جديد حتى لكانما يطرقها للمرة

الأولى .

لقد كان يعالج القضية الاولى ، والقضية الكبرى ، والقضية الاساسية في هذا الدين الجديد ... قضية العقيدة .. ممثلة في قاعدتها الرئيسية .. الالهية والعبودية وما بينهما من علاقة .^(١)

ثم يقول :

" لقد شاءت حكمة الله ان تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الاول للرسالة ، وان يبدأ زسول الله - صلى الله عليه وسلم - اولى خطواته في الدعوة يدعو الناس ان يشهدوا : ان لا اله الا الله ، وان يمضى في دعوته يعرف الناس بربهم الحق ، ويعبد هم له دين سواء ."^(٢)

وكما بين تبارك وتعالى ان التوحيد هو الاساس في العبودية الصحيحة التي تورث ولاية الله لعبده وقربه منه ، بين ما يقابل ذلك من الشرك وكيف يبعد صاحبه عن ربه ويهوى به في متاهات الظلمات والحيرة والشرور .

وأشد هذه النصوص تصويرا لحال المشرك وكيف تتخلى عنه العناية الالهية

هو قول الله تعالى :

فَأَجْتَكِنُوا
الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٥﴾
حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ مِمَّنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٦﴾

(١) معالم في الطريق ، سيد قطب ، ص ٢٤ ، دار الشروق ، بيروت ، ط العاشرة

١٤٠٣ هـ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٦ .

(٣) سورة " الحج " ٣٠ ، ٣١ .

قال ابن جرير - رحمه الله - : " ... فانه من يشرك بالله شيئا من دونه
فشله في بعده من الهدى واصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه مثل من
خر من السماء فتخطفه الطير فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق " (١)
فالمشرك بعيد عن حقيقة الايمان بالله ، بعيد عن ولاية الله ، بعيد
السماء عن ذلك المكان السحيق ، قد تخلى الله عنه ووكله الى نفسه وشركه فيتردى
في مهاوى الهلاك ، فاما هوى يتفرق به في شعب الخسار او شيطان يطوح
به في متاهات الضلال اعادنا الله من ذلك .

وقد بين سبحانه ان الشرك أعظم اسباب الخذلان فقال :

" لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا " (٢)

وفي هذه الآية بدأ الله جطة وصايا وحكم هي مقومات الحياة السعيدة

الكريمة للناس افردا وجماعات حيث قال :

" وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... " (٣) الآيات

وختم تلك الوصايا بقوله : " ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا " (٤)

فبدأها بالتحذير من الشرك وبيان عاقبته في الدنيا وانها الذم والخذلان .
وختمها كذلك بالتحذير منه وبيان عاقبته في الآخرة وانها دخول جهنم
طوما مدحورا . وفي ذلك التنبيه على أن التوحيد هو المقصود من جميع
التكاليف ، فيجب ان يكون ملازما لكل عمل من أوله وآخره ، فالتوحيد هو الاول -

(١) جامع البيان ، لابن جرير ، ج ٩ / ١٣ .

(٢) سورة " الاسراء " ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) سورة " الاسراء " ٣٩ .

والآخر بالنسبة لعل المؤمن ، وهو الاساس الذى يحكم سيره ، وبمضى
من أجله حياته .

ولذلك كان التوحيد به يدخل الانسان فى الاسلام وعليه يخرج المؤمن مسن
الدنيا .

ولعل فيما تقدم كفاية فى بيان أهمية التوحيد فى استجلاب ولاية الله ، وانه
الركن الاول والاساسى فى الايمان بالله ، والذى لا يمكن الحصول على ولاية الله
بدونه وان الشرك يؤدى الى خذلان الله للانسان ، وتلاعب شياطين الانس
والجن به ، وهلاكه وتخطئه فى مآهات الضلال . .

والمقصود من هذا الفصل بيان أثر ولاية الله في حماية المؤمنين من الافكار الضالة التي تستهدف زعزعة ايمانهم وسلوكهم .
وقد تقدمت الاشارة الى أن حصول ولاية الله للمؤمن هو أهم وأغلى شئ من شعرات الايمان ، لما ينتج عنها من امداد الله لعبده بالعين والنصرة ويدفع عنه ويحميه .
ويمكن تقسيم مظاهر ولاية الله لعباده المؤمنين على وجه الاجمال الى قسمين :

الأول : نوع محدد معين جعل الله الايمان سببا له . يحصل بحصوله ويرتفع بعدمه .

مثل : الطمانينة ، والنور والفرقان ، والالفة والمحبة الناتجة عن الاخوة الايمانية ... ونحوها .

الثاني : قسم غير محدد وانما يحدث الله لعبده من آثار ولايته ما يتناسب مع حاله وحاجته .

ومثال ذلك : أنه تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور ، ويجعل لهم مخرجا ، ويدافع عنهم ويرزقهم من حيث لا يحتسبون .. ونحوها .
فالنوع الاول سيجرى الكلام عليه - ان شاء الله - في الباب القادمين .
كل في موضعه . فالطمانينة والنور والفرقان - مثلا - في الباب الثاني " الاثر القلبي " والرابطة الايمانية - الالفة والمحبة - في الباب الثالث " الاثر الاجتماعي " .
اما النوع الثاني فيجربى الكلام عليه في هذا الفصل . ويكون ذلك في بحثين :
المبحث الاول : مظاهر ولاية الله لعبده المؤمن .
المبحث الثاني : مظاهر ولاية الله للجماعة المؤمنة .

الفصل الثاني :

أثر ولاية الله في تخلص المؤمنين وتحصينهم
من الافكار الهدامة .

المبحث الاول : مظاهر ولاية الله لعبده المؤمن :

ان مظاهر ولاية الله لعبده المؤمن كثيرة . فهو سبحانه يحوطه بعنايته ورعايته في كل المجالات . والغرض هنا هو ذكر بعض المظاهر الواردة في النص في مجال حفظ الله لعبده من الوقوع في الافكار الهداية واسبابها . وسوف اتكلم على ما تيسر منها في مطالب مستقلة .

المطلب الاول : اخراجه من الظلمات الى النور .

ذكر الله تعالى في كثير من الآيات - أنه يهدي المؤمن الى صراطه المستقيم والهداية تستلزم الحماية من الضلال واسبابه بل ان الاخراج من ظلمات الضلال مقدم على الهداية للصرط المستقيم واستمراره لازم لاستمرارها بين ذلك تبارك وتعالى بقوله :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١)

فقدم سبحانه " يخرجهم من الظلمات ... " على " ويهديهم الى صراط مستقيم " وهذا نظير قوله تعالى في فعل العبد : " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (٢)

والضمير في قوله : " يخرجهم " و " يهديهم " راجع الى " من اتبع رضوانه " فدل على ان هذا اخراج وهداية لمن حصل عنده أصل ذلك ، لأنه لا يتبع رضوان الله الا ويكون مهتديا . فيكون المعنى والله اعلم : ان ذلك تشبيها

(١) سورة العائدة " ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة البقرة " ٢٥٦ .

لهم وعناية بهم في مستقبل امرهم وترسيخ لقدمهم في الصراط المستقيم واستمرار لحمايتهم من اسباب الغواية والضلال . وهذا نحو قوله تعالى :

" وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ
لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ " (١)

كما دل ايضاً قوله " يخرجهم " و " يهديهم " الى أن هذا فعله سبحانه وتعالى
- وعنايته وولايته لعبده المؤمن .

وقد دل على هذه الغائدة والتي قبلها قوله تعالى :

" اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ " (٢)

فهذه الآية ونحوها من اشمل الآيات دلالة على هذا المقصد . حيث دلت على
أن من جاء بالايان الكامل فان الله يتولاه بأن يخرج من الظلمات بصرفها عنه
او صرفه عنها ، ويوفقه للنور ويثبت عليه .

فالظلمات : هي ظلمات الكفر ، والنور : هو نور الايمان .

قال الرازي : " اجمع المفسرون على ان المراد ههنا من الظلمات والنور : الكفر
والايان فتكون الآية صريحة في ان الله تعالى هو الذى أخرج الانسان من الكفر
وادخله في الايمان " (٣)

والظلمات : تشمل كل الامور التي ممارستها والتلبس بها كفر ، سواء كانت اعتقادية
او قولية او فعلية ، كما تشمل الاسباب والوسائل المؤدية اليها كالشبهات وشبهات
الشهوات ...

(١) سورة النساء * ٦٦ - ٦٨

(٢) سورة البقرة * ٢٥٧

(٣) محمد بن عمر بن الحسين القرشي الرازي الطبرستاني الاصولي الضمير المتكلم . ألف
التفسير الكبير ، والمحصل ، والطالب العالية توفي سنة ١٠٦٠ هـ . انظر : وفيقات
الاعيان ٤ / ٢٤٨ ، سير اعلام النبلاء ٢١ / ٥٠٠

(٤) التفسير الكبير للرازي ، ح ٢٠ / ٢ ، ط الثانية ، دار الكتب العلمية ، طهران

قال الشيخ محمد عبده ^(١) : " الظلمات هي الضلالات التي تعرض للإنسان في كل طور من اطوار حياته كالكفر والشبهات التي تعرض دون الدين فتصدعن النظر الصحيح فيه أو تحول دون فهمه والاذعان له ، وكالبدع والاهواء التي تحل على تأويله وصرفه عن وجهه ، وكالشبهوات والحظوظ التي تشغل عنه وتستحوذ على النفس حتى تقذفها في الكفر ... " ^(٢)

فالكفر الاكبر الذي هو تكذيب الرسل وما جاءوا به ، والشرك الذي يقدر صاحبه بالايمان بالله بأي شكل من الاشكال ويعبد معه غيره ، والنفاق الاعتقادي او العطي ، والخروج على الدين بالغلو والبدع او المعاصي بمختلف انواعها ... كل ذلك من افراد الظلمات ... وولاية الله لعبده المؤمن توجب له الحماية من ذلك كله .

والنور : يشمل كل الامور التي ممارستها او التمس بها ايمان ، سواء كانت اعتقادية او قولية او فعلية ، كما يشمل الاسباب المؤدية اليها كالعلم الصحيح ... وقد تقدم الكلام على تفصيل هذا عند الكلام على طبيعة الايمان الذي يجري البحث في آثاره .

قال سيد قطب - رحمه الله - : " ان الايمان نور .. نور واحد في طبيعته وحقيقته .. وان الكفر ظلمات .. ظلمات متعددة متنوعة . ولكنها كلها ظلمات ان الايمان نور يشرق به كيان المؤمن اول ما ينبثق في ضميره . تشرق به روحه فتشرف وتصفو وتشع من حولها نورا ووضاء ووضوحا ... نور يكشف حقائق الاشياء وحقائق التصورات ، فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غش ، بينه بغير لبس ، مستقرة في مواضعها بغير أرجحة فيه ... ويبعض في طريقه هينا لينا لا يعتسف

(١) محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركمانى فتى الديار المصرية ولد بمصر ونشأ بها . ألف : رسالة في التوحيد ، والا سلام والرد على منتقديه وغيرها توفي سنة ١٣٢٣ هـ .

انظر : الاعلام ٢٥٢/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢٧٢/١٠ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ٤١/٣ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، ط ٢ ، ت بدون .

ولا يصطدم بالنتوءات ، ولا يخبط هنا وهناك ...

هو نور واحد الى طريق واحد .. فأما ضلال الكفر فظلمات شتى مُنَوِّمَةٌ
ظلمة الهوى والشهو . وظلمة الشرود والتهيه . وظلمة الكبر والطغيان . وظلمة
الضعف والذلة . وظلمة الرياء والنفاق . وظلمة الطمع والسعر . وظلمة الشك
والقلق ... وظلمات شتى لا يأخذها الحصر تتجمع كلها عند الشرود عن طريق
الله ، والتلقى من غير الله ، والاحتكام الى غير منبهج الله ... وما يترك الانسان
نور الله الواحد الذي لا يتعدد نور الحق الواحد الذي لا يلتبس ، حستى
يدخل فى الظلمات من شتى الانواع وشتى الاصناف ... وكلها ظلمات ... !^(١)

وحمل ما دللت عليه الآية : " الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور "

من طبيعة ولاية الله للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور قال ابن
جرير - رحمه الله - :

" يعنى تعالى بقوله : (الله ولى الذين آمنوا) نصيرهم
وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوجيهه (يخرجهم من الظلمات الى النور) يعنى بذلك
يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان . وانما عنى بالظلمات فى هذا الموضع
الكفر .

وانما جعل الظلمات للكفر مثلا لان الظلمات حاجبة للابصار عن ادراك الأشياء .
وكذلك الكفر حاجب ابصار القلوب عن ادراك حقائق الايمان ، والعلم بصحته
وصحة أسبابه . فاخبر تعالى ذكره انه ولى المؤمنين ومبصرهم حقيقة الايمان
وسبله وشرائعه وحججه وهاديهم فموفقهم لأدلة المزيلة عنهم الشكوك
بكشفه عنهم دواعى الكفر وظلم سواثر ابصار القلوب "^(٢)

(١) فى ضلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد ١ ، ح ٤٢٨/٣ ، دار احياء التراث

العربى ، بيروت ، ط السابعة ، ١٣٩١ .

(٢) جامع البيان لابن جرير ، ح ١٤/٣ ، ١٥٠ .

فدل كلامه رحمه الله على ان مظاهر ولاية الله للمؤمنين في مجال اخراجهم من الظلمات وهدايتهم للنور يكون بأمرين :

الاول : العلم المزيل للجهل ، ويشمل العلم بحقيقة الايمان وسبله وشرائعه وحججه . كما يشمل العلم بسبل الضلال الذي يجعل المسلم حذرا منها ، كما قال تعالى :

" وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ^(١) " (١)

فالله - سبحانه - يتول امور المؤمنين يوفقهم الى الخروج من الظلمات ويهدم في الهداية ، باعانتهم لهم على استعمال ما اودعه فيهم من الحواس - والعقل في التفكير في آيات الله الكونية والتدبر لآياته التنزيلية ، فتستنير قلوبهم ، ويرسخ ايمانهم لتظافر الادلة ووضوحها وادراك القلوب لها ، وتزيد معارفهم بتفاصيل الحق ، وما يضافه من طرق الضلال . فكلما عرضت لهم شبهة اوشبهوا لاح لهم - من عناية الله بهم - أمر مما استقر في قلوبهم من ذلك ، او ما يفتح به عليهم ، يتضح لهم به زيف الشبهة ، ويطفى نار الشهوة .

" إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ " (٢)

اما الذين كفروا فان الله يتخلى عنهم ويخذلهم ، فتلقاهم طواغيت الجن والانس يتلاعبون بعقولهم وقلوبهم ويركسونهم في الباطل .

" وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ " (٣)

قال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى :

" وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ " (٥)

" اي لاسلطان على نفوسهم الا لتلك المعبودات الباطلة السائقة السيئ الطغيان ، فاذا كان الطاغوت من الاحياء الناطقة ورأى ان عابديه قد لاح لهم

(١) سورة " الانعام " ٥٥ . (٢) سورة " الاعراف " ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(٤) محمد رشيد علي رضا القلموني - البغدادى الاصل الحسينى النسب صاحب مجلة المنار . نشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام ثم رحل الى مصر سنة ١٣١٥ هـ - ألف : الوحي المحمدي ، وتفسير القرآن وغيرها توفي سنة ١٣٥٤ هـ . انظر الاعلام ١٢٦/٦ و ١٢٦/٩ معجم المؤلفين ٣١٠/٩ .
(٥) سورة " البقرة " ٢٥٧ .

شعاع من نور الحق الذى ينهبهم الى فساد ما هم فيه بادر الى اطفائه بل السى
صرفهم عنه بما يلقىه من حجب الشبهات واستار زخارف الاقوال التى تقبل منه
لأجل الاعتقاد او نفس الاعتقاد^(١) ، واذا كان الطافوت من غير الاحياء فـان
سدنه هيكله وزعماء حزبه لا يقصرون فى تنميق هذه الشبهة ، وتزيين تلك
الشبهة^(٢) .

الثانى : تطهير القلوب من الشكوك ودواعى الكفر الساترة لابهصار القلوب :
فالقلوب تصح وتمرض .

واساس صحتها وحياتها هو الايمان الصحيح القائم على العلم المستمد من
الوحى ، وعلى الاخلاص ، وما ينتج عن ذلك من العمل الصالح .
ومرض القلب فى مقابل ذلك هو الدافع الى الكفر والنفاق والمعاصى ، وهداية
الله للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور يلزم منها تطهير قلوبهم من
الدوافع الجانحة .

(١) ليس بين قوله " لأجل الاعتقاد " أو " بنفس الاعتقاد " فرق كبير والذى يظهر
لى - والله اعلم - أن مراده بقوله : " لأجل الاعتقاد " أى من أجل اعتقادهم
بصحة ما يدعيه هذا الطافوت من استحقاقه للعبادة باى شكل من اشكالها
وما يتبع ذلك من محبته وتعلق القلب به ، فانهم يقبلون ما يقوله .
وقوله : " بنفس الاعتقاد " أى انهم قد يعتقدون فيه العصمة ، وأنه لا ينطق
الابالحق - وكثيرا ما يدعى الطواغيت ذلك - فهذا الاعتقاد يجعلهم يقبلون
ما يقوله ويسلمون به .

(٢) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ج ٣ / ٤٠ ، ٤١ .

وسياتى تفصيل هذا الاثر عند الكلام على " الاثر القلبي للايمان " فى الباب
الثانى - ان شاء الله - .

الا أن اخراج الله لعباده المؤمنين لا يفت عند هذين الأمرين الذين نسم
عليهما ابن جرير - رحمه الله - بل انه سبحانه يهبى لهم من لطفه بهم اسبابا
تصرفهم عن كل ظلمة تكون فى طريقهم أو تصرفها عنهم . وبذلك يكون هذا
الأثر عامافى كل سبب يؤدي الى خلاص المؤمن من افكار الجاهلية وخصائصها .

قال الله تعالى : " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ^(١) وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ^(٢) " (١)

فى هذا السياق المبارك بين سبحانه ثلاثة مظاهر لولايته لعبده المتقى وهى :
اولا - يجعل له مخرجا . اى فرجا وخلصا معاوقع فيه من الشداشد والمعن ^(٢)
ومن ذلك الفتن وانتشار الافكار الهداة ودعوات الضلال والفرقة فى
الدين فانها من الشداشد التى كثيرا ماتر على المسلمين ، فيبسر الله
لعبده طريقا للسلامة والنجاة .

روى ابن جرير عن قتادة - رحمهما الله - فى قوله تعالى : " ومن يثق الله
يجعل له مخرجا " :

قال : " من شبهات الامور والكربات عند الموت " ^(٤)

الثانى - يرزقه من حيث لا يحتسب . اى يقدر الله لوليه ما يحتاج اليه وما يصلح
شأنه من وجه لا يخطر بهاله ولا يكون فى حسابيه . ^(٥)

(١) سورة " الطلاق " ٢ ، ٣

(٢) انظر : فتح القدير للشوكانى ح ٢٤١ / ٥ .

(٣) الامام العلامة المفسر قتادة بن دعامة السدوسى البصرى روى عن أنس بن
مالك وسعيد بن المسيب وغيرهم . توفى سنة ١١٧ هـ . انظر : وفيات الاعيان
٨٥ / ٤ ، وسراعلام النبلاء ٢٦٩ / ٦ .

(٤) جامع البيان ح ١٣٩ / ٢٨ .

(٥) انظر : فتح القدير ح ٢٤٢ / ٥ .

وسألة الرزق والحرص على الصالح الدنيوية من اكبر ما يصد الناس عن طريق الله ويعرضهم للفكر الهدام ويكون مصيدة ينصبها اعداء الله لعباده المؤمنين . وسأتي تفصيل ذلك - ان شاء الله - عند بيان أثر الايمان في تطهير القلوب من الحرص على الدنيا . فاذا كفى الله وليه هذا الجانب فاعطاه وارضاءه انتفى الدافع وزال الحرص وسلم له دينه .

الثالث : " **ون يتوكل على فهو حسبه** " .

أى أن : " من وثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه " (١)

ولاشك ان من أشد ما يهيم المسلم هو خوفه من الفتنة في الدين . لذلك كان اكثر دعا " رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " (٢)

وبأتي مزيد ايضاح لهذا المعنى في المطلب التالي .

(١) المصدر السابق .

(٢) رواه الامام أحمد . المسند ٣٠٢/٦ ، ٣١٥ . من حديث شهر بن حوشب .

والترمذى وقال : " هذا حديث حسن " ابواب الدعوات ح ١٩٩/٥ .

وصححه الالبانى فى ظلال الجنة فى تخريج السنه ح ١٠٠/١ .

المطلب الثاني : تثبيت المؤمن عند الشدائد .

الشدائد هي النوازل والامور المضرة التي يشتد وقعها على المؤمن . وقد تضعف نفسه عن تحملها ومقاومتها . ويخشى عليه فيها أن تنزل قدمه فيصـدر منه اعمال او اقوال او ظنون تردبه في دينه او دنياه .

ولاشك ان من اعظم الشدائد التي عاناها المسلمون في مختلف عصورهم هي جهود اعدائهم في محاولة فتنتهم عن دينهم بمختلف الوسائل "وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ" (١) .

ومن ذلك الوسائل الفكرية التي تهدف الى التأثير على السلوك وزعزعة العقائد بالفكر الخبيث والتي اشتد وقعها في القرون المتأخرة حيث عمست العصية في الدين ، ونجم النفاق ، وانتشرت اسباب الفساد ، وارتفعت اصوات الناعقين بالكفر والشبهات والتطهيرات . وتسلب الاعداء على المسلمين وظهوروا عليهم .

فالله تعالى يتولى عبده المؤمن في مثل هذه الاحوال . فيثبته ويربط على قلبه . ويهديه ويهيئ له من الاسباب ما يعينه على الخلاص منها .

قال تعالى : ﴿ يَثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢) .

وقال :

" مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (٣) .
ورود في رواية الامام أحمد - رحمه الله - لحديث ابن عباس - رضي الله عنهما -

قوله - صلى الله عليه وسلم - : " احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجسده امامك تعرف الى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة " (٤) .

(١) سورة البقرة " ٢١٧ .

(٢) سورة ابراهيم " ٢٧ .

(٣) سورة التغابن " ١١ .

(٤) رواه الامام احمد . المسند ح ٣٠٧/١ من حديث ابن عباس .

صححه الالباني في ظلال الجنة في تخريج السننح (٣١٨) ح ١٣٩/١

فالمؤمن الذى تعرف الى الله فى الرخاء بتحقيق التقوى يجد ثمره تلك المعرفة
عناية وحماية من الله له فى الشدة . فإله هو الشكور الحميد .
فما أحوج المسلمين فى هذا العصر الى الالتزام بالايان الصحيح الراسخ
الذى هو السبب فى تحصيل ولاية الله . فيهدى قلوبهم ويثبتهم على الصراط
المستقيم ويصلح احوالهم ويلهمهم رشدهم ويصبرهم بمافيه صلاح دينهم ودينهم .

المطلب الثالث : الحيلولة بينه وبين ماقد يقوم فى قلبه من الارادات السيئة .

وكما ان عناية الله لعبده المؤمن تكون بحمايته من الفتن والشور الخارجية ،
تكون ايضا بالحيلولة بينه وماقد يقوم فى قلبه من الارادات الباطلة فى
لحظة من لحظات الضعف البشرى . كما يدل على ذلك عموم قوله تعالى :

" وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ " (١)

قال ابن عباس -رضى الله عنهما - : " يحول بين المؤمن وبين الكفر . وبين
الكافر وبين الايمان " . وانه ايضا : " يحول بين الكافر وبين طاعته ، وبين
المؤمن وبين معصيته " (٢)

ومظاهر عناية الله تعالى بالمؤمن فى هذا المجال تكون بتشبيطة عن ذلك
وصرف همه عنه . اوعدم قدرته عليه كما قيل : " من العصاة عدم القدرة " كما تكون
بتهيئه الاسباب الصارفة للفتنة والشر عنه .

واكتفى بهذه الاشارة لهذا الاثر نظرا لانه سيأتى له مزيد ايضاح فى

الباب الثانى " الاثر الطبى " .

(١) سورة " الانفال " ٢٤ .

(٢) جامع البيان لابن جرير ٢١٦/٩ .

المطلب الرابع: مظاهر الولاية الكاملة للكامل من عباد الله .

ان اعلى مراتب ولاية الله تكون لعباد الله الذين كملوا الايمان وحققوا التقوى
وسارعوا فى الخيرات وكل توحيدهم وتوكلهم على الله .

وقد بين الله سبحانه أنه يتولاهم ولاية خاصة . ويحوظهم بعنايته

الفائقة .

ويحفظ جوارحهم - الناقله للشبهات اولشيرات الشهوات الى القلب -
فيسددها . فلا تنبعث الا الى الخير ولا تتجاوب الامع ما يحبه الله ويرضاه .

فقد ورد البيان لمظاهر ولاية الله الكاملة فى حديث الأوليا المشهور وفيه قال
الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " ان الله تعالى قال : " من عادى لى وليا
فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب الى عبدى بشىء احب الى ما افترضته عليه
ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى
يسمع به ، وصوه الذى يهصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى
بها ، ولئن سألتنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيدنه (١)

قال ابن رجب - رحمه الله - : " قوله (فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع
به وصوه الذى يهصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها) ...

المراد من هذا الكلام ان من اجتهد بالتقرب الى الله تعالى بالفرائض ثم
بالنوافل قربه اليه ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان فيصير يعبد الله
على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيعتلى قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبت وعظمته
وخوفه ومهابته واجلاله والانس به والشوق اليه حتى يصير هذا الذى فى قلبه
من المعرفة شاهدا له بعين البصيرة ... فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٢)

ممن ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ولا ارادته
الاما يريد منه مولا فحينئذ لا ينطق العبد الا بذكره ولا يتحرك الا بأمره
فان نطقه نطق بالله وان سمع سمع به وان نظر نظر به وان بطش بطش به
فهذا هو المراد بقوله : (كنت سمعه الذي يسمع به ...) (١)

ففي هذا الكلام السديد لابن رجب - رحمه الله - ذكر ما يحدث في قلب
المؤمن وفي سلوكه جوارحه نتيجة لولاية الله لعبده ومحبه له . فالحديث ذكر
فيه عدة امور بعضها فعل للعبد وبعضها فعل الله وما ينتج عن كل منها .

فذكر فعل العبد بقوله : " وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته
عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل " ثم ذكر انه ينتج عن ذلك محبة الله
لعبده ، ثم ذكر ما ينتج عن المحبة بقوله : " فاذا احببته كنت سمعت الذي
يسمع به ... " اي ان الله اذا احب العبد جعل الايمان هو السلطان
الوحيد على قلبه وجوارحه فلا تفعل ولا تنهت الا لموجب أمره ونهيته
وهذه أعلى الكرامات واسمى المقامات ، وهو عناية الهية ومنحة ربانية ، ومعية
ومعرفة خاصة يكرم بها الله خواص عباده تقتضي محبة لعبده وتقريبه اليه
واجابة دعائه وانجائه من الشدائد .

ولاشك انه اذا كان سلطان الايمان سيطرا على السمع والبصر والفؤاد فان -
الطريق يكون مقطوعا على شياطين الانس والجن الذين يدعون الناس الى
الضلال بنشر الشبهات واشارة الشهوات .

وخلاصة هذا المبحث ان الله تعالى يتولى عبده المؤمن فيخرجه من الظلمات
الى النور . ويجعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويثبت عند الشدائد
ويحول بينه وبين ما قد يقوم في قلبه من السوء ويحوطه بعنايته ورعايته ويرفقه
ويسدده . ومن ذلك صرفه عن الافكار الخبيثة او صرفها عنه بما يهيء له مسن
الاسباب .

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

واذا كان العبد من المقربين المحسنين فان الله يزيد في عنايته به ومعيتته
له حتى لاتنبعث جوارحه ولا قلبه الا لما يرضى الله ، وما فيه خيره في دينه
ودنياه . فهو محاط بعناية الله فان نطق نطق بالله ، وان سمع سمع به
وان نظر نظر به ، وان بطش بطش به وقلبه عامر بذكره ومراقبته .

فهو في حصن حصين من كيد المفسدين . وأنتى لشبهاتهم وضلالاتهم
الفكرية أن تجد سبيلا الى قلبه نسأل الله من واسع فضله ورحمته .

المبحث الثاني : مظاهر ولاية الله للجماعة المؤمنة .

المقصود بهذا المبحث بيان أهم مظاهر ولاية الله للجماعة المؤمنة التي التزمت شعائر الايمان ظاهرا وباطنا .

واكتفى في هذا المبحث بالاشارة المجملة لماورد في بعض النصوص من ذكر عناية الله بالجماعة المؤمنة . وذلك لأنه سيأتى تفصيل الآثار الايمانية - التي جعلها الله حصونا تقى المجتمع من الشرور الفكرية وغيرها - في الباب الثالث " الاثر الاجتماعي " .

ان الجماعة المؤمنة تعرباطوار مختلفة من حيث القوة والكرة ، أو الضعف والقلّة . وعناية الله تلازمها في جميع اطوارها بشرط ان تأتي بشرط الولاية وهو نصرة دين الله بتحقيق التوحيد والتقوى والعمل من أجل اعلاء كلمة الله في أرضه .

ففي بعض الاحوال يكون الضلال منتصرا يملك أهله كثيرا من اسباب القوة والغلبة وفي مقابل ذلك يكون أهل الايمان ضعفاً مهزومين ، أو أذلاً مقهورين . فقد شاء الله - العليم باحوال خلقه ، الحكيم في كل ما قدره وفعله - ان تكون الحياة دولا بين الناس " **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلْهَا بَيْنَ النَّاسِ** " (١) ومن ذلك انه قدر ان يظهر الكفار على أهل الاسلام ويتسلطوا عليهم في فترة من الفترات اوقعة من البقاع ، كما في العهد العكي ، وما شابهه من الحالات في مسيرة الامة الى ان يأتي أمر الله . كما قدر في مرات اخرى ظهور أهل الاسلام اذا هم قاموا بشرط ذلك وعملوا ما في وسعهم واستطاعتهم .

(١) سورة " آل عمران " ١٤٠

والمعركة مستمرة بين الخير والشر ، والصراع قائم بين قوى الايمان وقوى
الطغيان منذ ان خلق الله آدم والى ان يرث الارض ومن عليها .
ومن طبيعة الشرانه جامع مسلح ، يبطش ولا يتحرج ، ويضرب ولا يتسرع
ويملك من اسباب الفتنة ما يصد به عن الحق ، وقد يملك من القوة المادية
والمغريات ما قد يزلزل القلوب ويستهوى النفوس ، ويزيغ الفطر ، وللصبر
حدود ، وللاحتمال أمد ، وللطاقة البشرية منتهى ، والله اعلم بقلوب
الناس ونفوسهم ... ومن ثم لم يشأ ان يترك المؤمنين للفتنة .^(١)

فبين - سبحانه - انه سيتولى الدفاع عنهم اذ جاءوا بشرط الولاية فقال :

" اِنَّ اللّٰهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُوْرٍ ﴿٣٨﴾ " .^(٢)

وهذه الآية الكريمة وردت في سياق ذكر فيه اولا الدفاع عن المؤمنين ، ثم
الاذن لهم في القتال ، ثم الوعد بنصرهم اذا جاءوا بشرطه ، ثم ذكر التمكسين
في الارض ، ثم الاعمال التي يتعين على الامة التي تولها الله ان تقيمها وتعمل
على اقامتها في الارض .

فدل هذا الترتيب على اهمية هذا المظهر العظيم من مظاهر ولا يسهة
الله الا وهو دفاعه عن المؤمنين ، كما دل على انه يستمر معهم في جميع حالاتهم .
ففي حال ضعفهم يشبثهم ويعينهم على الصبر ، ويقوى قلوبهم فلا يرتدوا
ولا يتشككوا .

وعند وجود الشوكه ومنازله الاعداء يتجلى دفاعه عنهم نصرا لهم
ودفعاً لتسلط الاعداء عليهم .

(١) في ظلال القرآن ، مجلد (٥) ، ح ١٧٢ / ٦٠١

(٢) سورة " الحج " ٣٨ .

بعد انتصارهم وتمكينهم في الارض يستمر دفاعه عنهم بخذلان اعدائهم ،
وادخال الرعب في قلوبهم ، وتفريق كلمتهم وكشف مخططاتهم السرية ، كما
يكون بصرف اسباب الخلال عنهم .
قال تعالى :

إِنَّا اللَّهُ
يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾
أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ
يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمُ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ * (١)

فبين سبحانه في أول السياق أنه سيتولى الدفاع " ان الله يدافع عن الذين آمنوا " لانهم جاءوا بموجب ذلك وهو الايمان .

واشار الى ان أعداءهم قد جاءوا بموجب المقت والخذلان ، وهو الكفر والخيانة " ان الله لا يحب كل خوان كفور " .

وان عليهم ان يطمئنوا الى دفاعه عنهم وولايته اياهم " وان الله طمى نصرهم لقدير " لذلك شرع لهم قتال الكفار وأذن لهم به وهو ——— الاسباب التي جعلها الله لعباده المؤمنين لمكافحة الباطل والدفاع عن الحق (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات يذكر فيها اسم الله كثيرا ")

ثم زادهم من البيان ما يوجب طمأنينة قلوبهم الى ولايته ودفاعه ونصره اذا التزموا اسباب ولايته " ولينصرون الله من ينصروه " .

ثم ختم السياق بذكر اعمال صالحة هي : الصلاة ، والصوم ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فدل ختم هذا السياق الذي ذكر فيه المدافعة والنصر والتمكين بهذه الاعمال على اهميتها في حصول ذلك واستمراره .

واذا كان الله قد تكفل لعباده المؤمنين الذين جاءوا باسباب ولايته بالمدافعة عنهم ونصرهم في حال قوتهم ووجود شوكة لهم على العد والظاهر وكيد السافر ، فانه من باب أولى يدافع عنهم في حال ضعفهم ، اوفى مقابلة الكيد الخفى الماكر فتكون عنايته بهم في ذلك لشدة بحيث لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا يتمكنون به من اخراج المؤمن من دينه ..

قال تعالى : " وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ " (١)

قال ابن كثير - رحمه الله - : " ويحتل ان المراد : (ولن يجعل الله

للكافرين على المؤمنين سبيلا ")

اي في الدنيا ، بأن يسلطوا عليهم استيلاء استتصال ، وان حصل لهم ظفر

(١) سورة " النساء " ١٤١ .

(١) في بعض الاحيان على بعض الناس ، فان العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة . "

وقال ابن القيم - رحمه الله - :

" والتحقق ... أن انتفاء السبيل عن أهل الايمان الكامل .

فاذا ضعف الايمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ، ناقص من ايمانهم . فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله . فالمؤمن عزيز فالب مؤيد منصور ، مكفى عنه بالذات ابن كان ، ولو اجتمع عليه من باقطارها ، اذا قام بحقيقة الايمان وواجباته ظاهرا واطننا . (٢)

وكلا المعنيين اللذين اوردهما ابن كثير وابن القيم - رحمهما الله -

صحيح . فانتهاء السبيل بالكلية لاهل الايمان الكامل . فالايان جالب

لولاية الله الموجبة حفظه عباده وتحصينهم من شرور الكافرين . ومن نقص في تحقيق التقوى كان ذلك ثغره في الحصن وسبيلا للكافرين عليه بقدر نقصه كما أن معه من ولاية الله بقدر ايمانه . الآن هذا السبيل الذي فتح عليه لا يصل الى الاستئصال الكامل للجماعة المؤمنة بل يبقى لهم باقية يُحيون دين الله في أرضه والعاقبة للمتقين . والله أعلم

والله - تبارك وتعالى - عند ما بين للمؤمنين انه معهم يدافع عنهم وينصرهم ويحبط كيد اعدائهم ، بين لهم بنفس الوضوح ما يريد من منهم من

الامور التي جعلها اسبابا لحصول ذلك فقال :

" إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ " (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٥٦٧ . (٢) اغاثة اللفغان في صفات الشيطان ج ٢ / ٣٣

(٣) سورة " ال عمران " ١٢٠ .

قال ابن جرير - رحمه الله - : " وان تصبروا ايها المؤمنون على طاعة الله
واتباع امره فيما امركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه ... وتتقوا ربكم ... لا يضركم
كيدهم شيئا : اي كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم ، ويعنى بكيدهم :
غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى
وسبيل الحق " (١)

(١) جامع البيان لابن جرير ، ج ٤ / ٤٤

وخلصه القول ان لله بعباده المؤمنين - الذين حققوا الايمان الذى اراده منهم وبين معالمه فى كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - الطافا جلية وخفية ، فيحوظهم بتوفيقه وعنايته ورعايته ، ويهديهم السبيل ما فيه صلاح دينهم ، ويثبتهم على صراطه المستقيم ، ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والنفاق والبدع والعصيان ، بما انزل عليهم من العلم والبيان وما يحدثه فى قلوبهم من نور الايمان والبصيرة ، وتهسيئة الاسباب التى تصرفهم عن الباطل أو تصرفه عنهم ، وهو - سبحانه - دائما معهم يدافع عنهم فى جميع احوالهم واطوارهم افرادا كانوا أو جماعات .

فولاية الله لعباده هى أعلى الصالح التى يستفيدها المؤمنون من تحقيق الايمان ، وهى الخطوة الاولى التى يجب ان يسعى اليها المؤمنون فى مجابهة المخططات الفكرية والخلاص منها وفى مجابهة كل اساليب الاعداء . فهى حصن عظيم يحصن الله به عباده من كل مكروه لكن شرطه ايضا قوى يحتاج من ائمة الدين وقواد المسلمين الى العمل الجاد المشترك فى استخلاص الاسباب الجالبة لولاية الله من الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ، ثم اعداد الخطط المناسبة لحمل الناس على المجى بها ، والصدق فى تنفيذ تلك الخطط .

وهذا ينتهى ما يسهه الله لى من الكلام على الاثر الاىل والأهم من اثار الايمان فى مجابهة الافكار الهدامة . والله اعلم .

الباب الثاني

الباب الثاني :

أثر الايمان فى تحصين القلب ضد الافكار الهدامة .

" الأثر القلبي "

وفيه الفصول الآتية :

- الفصل الاول : وظائف القلب واحواله .
- الفصل الثانى : أثر الايمان فى تطهير القلوب .
- الفصل الثالث : أثر الايمان فى تزكية القلوب .

والمقصود بهذا الباب بيان ما يحدثه الايمان فى القلب من الآثار التى يتحصن بها من تسلل الافكار الخبيثة .

فالقلب هو ملك الاعضاء وسيدها وأشرفها ، والمصرف فيها ، فهو مركز الاعتقاد والارادة ، وموجه السلوك ، وملاحة يكون الانسان صالحا ويفسد بفساده .

قال - صلى الله عليه وسلم - : " . . . الا وان فى الجسد مضغة اذا - صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسدت الجسد كله ، الا وهى القلب " (١)

فاذا كان القلب بهذه المنزلة من التأثير على السلوك وتوجيهه فان جهود شياطين الانس والجن متوجهة فى المقام الاول الى قلوب العباد لافسادها بالافكار المهلكة لها ، بقذف الشبهات وتزيين الشهوات .

وفى مقابل ذلك جعل الله الايمان وما يحدثه من الآثار فى قلب المؤمن السبب - بعد عناية الله - فى سلامته وتحصينه منهم .

واذا كانت ولاية الله هى الاثر الخارجى - الخارج عن ارادة الانسان وفعله - الذى يهبى الله بها لعبده المؤمن ما يصرفه عن الافكار الهدامة او يصرفها عنه ، فان عمران القلب بالايمان سبب داخلى وحصن يحصن الله به المؤمن من غوائل اعداء الله ومكرهم ، وهو من آثار عناية الله .

فوجود الايمان فى القلب وجود حقيقى ، يحدث فى القلب تغيرا جذريا يسرى الى كل ما يقوم بالقلب من الوظائف .

وقبل ان أتكلم عما يحدثه الايمان فى القلب من الآثار ، أرى ان البحث يتطلب الكلام على ما يقوم فى قلوب الناس من الوظائف والعلاقة بينها والمؤثرات الموجهة لها

(١) رواه البخارى ، كتاب الايمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، رقم الحديث : ٥٢

واحوال القلوب لكي يسهل معرفة أثر الايمان عليها باذن الله .

وسيجرى الكلام - ان شاء الله - على الاثر القلبي في ثلاثة فصول هي :

الفصل الاول : وظائف القلب واحواله .

الفصل الثاني : اثر الايمان في تطهير القلوب .

الفصل الثالث : اثر الايمان في تزكيه القلوب .

والى الفصل الاول من هذا الباب .

الفصل الأول

الفصل الاول : وظائف القلب واحواله .

وفيه المباحث الآتية :

المبحث الاول : الوظائف القائمة بالقلب .

المبحث الثاني : العلاقة بين الوظائف القلبية .

المبحث الثالث : احوال القلوب .

المبحث الرابع : أثر الايمان على القلوب دائريين التطهير والتركية .

المبحث الاول : الوظائف القائمة بالقلب .

القلب مركز لاهم الوظائف الانسانية ، مثل :

١ - وظيفه التعقل .

٢ - الاعتقادات .

٣ - النيات والارادات .

٤ - العواطف .

٥ - الانفعالات .

وسوف اتكلم في هذا المبحث على كل منها في مطلب مستقل بحدود ما أرى

انه يفى بالغرض ان شاء الله . والله المستعان .

المطلب الاول : وظيفة العقل

لقد اختلفت تعاريف الباحثين والمفكرين للعقل والوظائف التي تناط به ، كما اختلفوا في مكان وجوده . وسبب ذلك أن لفظ " العقل " يطلق على عدة وظائف وصفات تقوم بالانسان ، ويسمى من قامت به عاقلاً . وسوف أشير الى أهمها :

الاولى : يطلق " العقل " على مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالادراك ، والفهم والتمييز والتذكر والتخيل والحكم والاستدلال .. الخ . ويرادفه على هذا المعنى الفهم والذهن .^(١)

وعلى هذا الاعتبار يسمى الانسان " عاقلاً " اي ليس بمجنون . ويوصف بأنه " متعقل " اي يفهم الخطاب ويرد الجواب ، ويميز ويستدل .

قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الانسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار ، كما قال احمد بن حنبل والحارث المحاسبى^(٢) وغيرهما : ان العقل غريزه .."^(٣)

ومقدار هذه الغريزة تكون نسبة الذكاء قوة وضعفا .

وهذا الامر يستوى في اصله الناس العقلاء . وهو طريق العلم الذهني .

الثانيه : يطلق " العقل " على التفكير والفقه فيما تنقله الحواس للقلب وأخذ العبرة منها واستشعار القلب للمعاني والعبر والتفاعل معها رغبة أو رهبة ، حباً او كراهية .. وهذا هو طريق العلم الباعث على صلاح السلوك .

فالعقل على هذا يطلق على وظيفة التفكير والاعتبار التي هي وظيفة القلب

الاساسية . قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(١) المعجم الفلسفي ، د . جميل صليبا ، ج ٢ / ٨٨ ، ٨٩ . دار الكتاب اللبناني

بيروت ، ط الاولى ، ١٩٧٣م .

(٢) الحارث بن أسد المحاسبى البغدادي ، صاحب التصانيف الزهديه ، منها : الرعايه

وغيرها . توفي سنة ٢٤٣ هـ . انظر : فييات الاعيان ٢ / ٥٧ . وسير اعلام النبلاء ١٢٠ /

(٣) مجموع الفتاوى ج ٩ / ٢٨٧

"فصلاح القلب وحقه والذي خلق من أجله هو أن يعقل الاشياء ، لأقول يعلمها فقط ، فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلا له ، بل غافلا عنه ملغيا له والذي يعقل الشيء هو الذي يقيد به ويضبطه ويعيه ويشته في قلبه فيكون وقت الحاجة اليه غنيا فيطابق عمله قوله وظاهره باطنه وذلك هو الذي أوتى الحكمة " (١)

وهذا القدر زائد على الادراك الذي يتحصل عليه الانسان بذهنه وذكائه . فالعلم قد يكون علما نظريا من الحواس الى الدماغ فيحفظ العلم او يعرف كثيرا من خصائص الاشياء والسنن التي اودعها الله هذا الكون واسرار المخلوقات ، وقد يعرف معاني ودلالات الكلام دون أن يصل ذلك العلم الى القلب ويستشعر ما دل عليه من الخير وأدلته واسبابه وعواقبه فيرغب فيه ويندفع اليه ، ودون أن يستشعر ما دل عليه من الشر وأدلة قبحه واسبابه وعواقبه فيحدث فيه نفورا منه وخوفا من عواقبه .

والعاقل بهذا الاعتبار : هو الذي ينتفع بسمعه وصره ويعمل عقله لاستخلاص التجارب والعبر ومعرفة الخير والشر وسنن الله الجارية في عبادته - وينعكس أثر ذلك على سلوكه فيعمل بموجبه .

قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" ثم ان الله خلق القلب للانسان يعلم به الاشياء . . . واذ قد خلق القلب لان يعلم به فتوجهه نحو الاشياء ابتغاء العلم بها هو الفكر والنظر . . . " (٢)
وقيل لابن عباس - رضی الله عنه - بماذا نلت العلم ؟ قال : " بلسان سؤل ، وقلب عقول " (٣)

(١) مجموع الفتاوى ج ٣٠٩ / ٩

(٢) مجموع الفتاوى ج ٣٠٧ / ٩ ، ٣٠٨ ،

(٣) نفس المصدر ج ٣٠٣ / ٩ .

وقال الرازي في قوله تعالى :

" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا " (١)

" فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار لان الرؤية لها حظ عظيم

في الاعتبار ، وكذلك استماع الاخبار فيه مدخل . ولكن لا يكمل هذان الامران الابتدبر
الطلب لان عين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع البتة ولوتفكر فيما سمع
لا نتفع " (٢)

وهذه الوظيفة - التي هي القدرة على التعقل - موجودة لدى سائر العقلاء

من الناس . لكن منهم من استفاد منها - باذن الله - ومنهم من عطلها أو استخدمها
في غير ما ينبغي لها . لذلك لام الله الكفار على عدم التعقل والانتفاع به . واللوم -
دليل الامكان . كما في قوله تعالى :

" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " (٣)

وقال ايضا :

" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

وقال : " وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ " (٥)

ففي هذه الآيات ونحوها لوم من الله للكفار على عدم انتفاعهم بما اعطاهم

الله من نعمه التفكير والاعتبار والنظر في مخلوقاته . وفي احوالهم وما يجرى منهم
من التناقض ونحو ذلك مما لوتفكروا فيه ونظروا نظرا صحيحا وتدبروا ما وصلهم من
الكتب ومواعظ الانبياء كان كفيلاً بهد ايتهم واخراجهم من الضلال .

(١) سورة " الحج " ٤٦ .

(٢) التفسير الكبير ، ج ٢٣ / ٤٤ ، ط الثانيه ، دار الكتب العلميه ، طهران .

(٣) سورة " الحج " ٤٦ (٤) سورة " البقرة " ٤٤

(٥) سورة " ييس " ٦٢ .

اما الآيات التي تنفى عنهم التعقل في نحو قوله تعالى :

" وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
صُمُّ بِكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " (١)

وقوله : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ " (٢)
فهذا النفي ليس للقدرة ووجود وظيفة التعقل ، وانما هو نفي للانتفاع بها
فالواقع انهم لم يتعقلوا وان كانوا قد هُيِّؤوا بأصل الخلقة لذلك .

قال ابن جرير - رحمه الله - في قوله تعالى : "

" بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " (٣)

قال : " ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق
به من البهائم الذي لا يفقه من الامر والنهي غير الصوت الذي يسمعه ... فكذلك
الكافر ، مثله في قلبه فهمه لما يؤمر به ، وينهى عنه بسوء تدبره اياه ، وقلة نظره وفكره
فيه ، مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهى عنه " (٤)

فقوله - رحمه الله - : " بسوء تدبره اياه ، وقلة نظره وفكره فيه " يدل على
وجود القدرة على التدبر والنظر وانما هو أساء في ذلك أو اعرض عنه .

وسبب ذلك أن ظلمة الكفر والمعاصي تظلم القلب وتحرف التفكير والتعقل

قال تعالى : " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (٥)

لذلك لا تحصل الهداية الا اذا شرح الله صدر من علم فيه الخير فأزال ذلك
الران الذي غطى قلبه . قال تعالى :

" أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ " (٦)

(٢) سورة " يونس " ٤٢

(٤) جامع البيان ، ج ٢ / ٨١

(٦) سورة " الزمر " ٢٢

(١) سورة " البقرة " ١٧١

(٣) سورة " البقرة " ١٧١

(٥) سورة " المطففين " ١٤ .

الثالث : يطلق لفظ " العقل " صفة يوصف بها العلم المكتسب المهذب للسلوك .

فالعقل على هذا الاعتبار يطلق على :

" ما يكتسبه الانسان بالتجارب والاحكام الكلية ، فيكون حده أنه معان مجتمعة
ففى الذهن تكون مقدمات يستنبط بها الافراض والمصالح " (١)

فتصير المعارف والعبر مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب فتقوى ملكة
التعقل . كما يوصف من قام به ذلك بأنه عاقل اذا أثرت تلك المعارف فى عمله
وتصرفاته وعقلته ووجهته . وكلما كانت كمية العلوم التى عقلها كبيرة كان عقله أقوى
وأرجح . كما أن العقل يكون سليما بسلامة صلاح تلك المعقولات المترامية .

الأأن العاقل حقيقة هو الذى عقل عن الله مراده فى كتابه وسنة رسوله
- صلى الله عليه وسلم - فوعى العلم واعتقده وأشرف فى عمله وأخلاقه وتصرفاته
جميعا .

قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" (والمعصود) أن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العلماء إنما هو
صفة وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذى لم يعمل به
صاحبه . ولا العمل بلا علم ، بل إنما يسمى به العلم الذى يعمل به ، والعمل
بالعلم " (٢)

فالعاقل على هذا هو الذى يفكر تفكيراً صحيحاً . وعقل بذلك طوما وتجارب
نافعة تمكنه من الحكم على الأشياء حكماً صادقا . وتهديه الى العمل الصالح
والخلق القويم وتحمله على أن يكبح جماح نفسه ، فيعرض عن كل ما يوقعه فى

(١) المعجم الفلسفى ، ٢ / ٨٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩ / ٢٨٦ ، ٢٨٧

المهالك أويخرج عن نطاق قدرته أوسئوليتته واولئك هم اولو الالباب الذين آمنوا بالله وتعلموا من وحيه .

وقد بين الله فى سياق مبارك ان الذين يعلمون أن الحق فيما منـزل من الوحي هم الذين يتذكرون ويتعمقون تعقلا صحيحا ، وهم العقلاء حقا وبين انهم يعملون بموجب علمهم وذلك كله استحقوا الوصف بأنهم اولو الالباب

فقال تعالى :

﴿ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَتُوبُوا أَلَا لَيْتَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ (١)

أما **عقل العسل** فى بدن الانسان فيرى كثير من المشتغلين فى دراسة النفس البشرية : " ان الجهاز العصبى ومركزه المخ هو القاعدة الرئيسية للنشاط العقلى " (٢)

الآن هذا الرأى لا يزال مجرد ظن لم يصلوا فيه الى يقين .

وحول هذا قال الدكتور : حلمى الطيجى :

" ويعتقد كبار المفكرين فى كل العصور أن نشاط العقل يرتبط ارتباطا وثيقا بالمخ . ولا تزال فى هذه الايام نعتبر ان المخ مركزا للعطلات الشعورية ولقد اجريت دراسات طويلة فى المخ استمرت عدة قرون اثبتت ان التنقيب الصناعى

(١) سورة " الرعد " ١٩ - ٢٢ .

(٢) علم النفس المعاصر ، د . حلمى الطيجى ، ص ٦٥ ، دار النهضة ، بيروت .

عن مركز العقل في الخ كان باطلا . فلاتوجد نقطة واضحة محددة نستطيع أن نبرهن على أنه في هذه النقطة وفي هذا المكان يرتبط العقل او النفس بماده الروح .^(١)

والذى دل عليه صريح القرآن أن العقل بمعنى التعقل والتدبر والتفقه
انما مقره القلب . فالقلب هو آله التفكير .

قال الله تعالى :
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبًا يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانًا يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَآتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ^(٢)

قال الرازي : " وقوله (يعظون بهما) كالدلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل
فوجب جعل القلب محلا للتعقل ."^(٣)

وقال ايضا في بيان الحكمة من ذكر " الصدر " في الآية مع أن القلوب
لا تكون الا في الصدور : " وعندى فيه وجه آخر وهو أن القلب قد يجعل كناية عن
الخاطر والتدبر . . . وعند قوم أن محل التفكير هو الدماغ فالله تعالى بين أن محل
ذلك هو الصدر"^(٤)

وقال تعالى : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"^(٥)

وقال : " فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ"^(٦)

فبين سبحانه ان المانع من التدبر هو اقفال القلوب . وان الطبع عليها ينتج عنه
عدم التفقه مما يدل أنها هي آلة التدبر والتفقه .
اما بقية الوظائف الاخرى التي توصف بأنها عقلية - كالوظائف الغريزية المتعلقة
بتحصيل المعرفة والمذكورة في المعنى الاول للعقل ، وكذلك حصيله العلوم والتجارب

(١) الصدر السابق ص ٦٤ . (٢) سورة " الحج " ٤٦ .
(٣) التفسير الكبير ، ح ٤٥ / ٢٣ . (٤) نفس الصدر ، ح ٤٥ / ٢٣ .
(٥) سورة " محمد " ٢٤ .
(٦) سورة " المنافقون " ٣ .

المطلب الثاني : الاعتقادات .

الاعتقاد هو حكم الذهن الجازم ، وهو تصديق القلب الجازم . فاذا كان مطابقا للواقع كان صحيحا . واذا كان غير مطابق له كان فاسدا . (١)

الآن الاعتقاد يطلق على العلم تارة ، وتارة على اليقين . وتارة على التصديق مطلقا ، فيكون - على الاخير - اعم من ان يكون جازما او غير جازم ، مطابقا او غير مطابق ثابتا او غير ثابت . (١)

والاعتقاد باعتبار ثباته في القلوب ثلاثة انواع :

الاول : اعتقاد تقليدي تلقاه الانسان من آباءه او علماء ملته او مجتمعه ، دون ان يعرف أدلته وراهينه .

وهذا النوع قد يكون صحيحا او باطلا ، ولكنه يقبل التشكيك في قلب معتقده لجهله بأدلته .

الثاني : اعتقاد عن اقتناع :

" وهو اذعان نفسي لما يجده المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاحتمال كاف لتوجيه عقله الا أنه دون اليقين " (٢)

فهو امر تبين للمعتقد صحته في النظر في محاسنه وعواقبه وراهينه على وجه الاجمال ، دون التمكن في معرفة براهينه على وجه التفصيل . وهذا اكثر رسوخا في قلب صاحبه من النوع الاول وان كان اقل من اليقين .

(١) كشف اصطلاحات الفنون ح ٩٥٤/٢ .

والمعجم الفلسفي ح ١٠٤/١ .

(٢) المعجم الفلسفي ح ١١١/١ .

الثالث : اليقين :

وهو اعتقاد الامر عن بصيرة ومعرفة بادلته مراهينه القاطعة .
فهو اعتقاد عن اقتناع مستند الى اسباب وحجج ثابتة قاطعة . وهذا هو
الاعتقاد الراسخ الذى لا يقبل التشكيك الا ان يشاء الله .
وقد وردت نصوص تدل على ان العقائد التى يؤمن بها الانسان محلها
القلب .

قال تعالى : " قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلُوبُنَا لَمْ نُوْمِنُوا وَلَكِن
قُلُوبُنَا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " (١)

فدخلت الآي على ان الايمان - وهو جملة اعتقادات يدخل فى القلب .

وقال : " يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ " (٢)

اى انهم لا يعتقدون الايمان الذى يتلفظون به ، فقولهم ليس عن عقيدة قائمة فى
قلوبهم .

وقال : " أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ " (٣)

(١) سورة " الحجرات " ١٤ .

(٢) سورة " آل عمران " ١٦٢ .

(٣) سورة " المجادلة " ٢٢ .

المطلب الثالث : الارادات .

(١) الارادة هي : نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحطها عليه .

فهى تتركب من امرين :

رغبة فى الفعل أو شعور بالحاجة اليه او تعلق أمل به ، ثم قصده وميـل النفس لفعله .

(٢) فتكون بمعنى النية .

وهى نوعان :

احدهما : قصد الفعل المعين . كتوجه الارادة الى القتال .

والثانى : تمييز المقصود بالفعل كأن يقصد بالقتال وجه الله .

وقد وردت كثير من النصوص تدل على ان الارادات والنيات محلها القلب

من ذلك :

قوله تعالى : " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ " (٣)

وقال تعالى : " وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ " (٤)

وقال : " وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ " (٥) ففى هذه الآية

بين تعالى تمكنه من قلوب العباد فيصرفها كيف يشاء بما لا يقدر عليها

صاحبها فيفسخ عزائمه وغيـر مقاصده وولهم رشده ويزيغ عن الصراط

السوى قلبه . . . (٦)

وعلى هذا فالعزائم والمقاصد والارادات تقوم بالقلب .

-
- (١) كشف اصطلاحات الفنون - ١ / ٥٥٢ .
(٢) جامع العلوم والحكم ص ٨ . (٣) سورة " البقرة " ٢٢٥ .
(٤) سور قالا حزب ٥ . (٥) سورة " الانفال " ٢٤ .
(٦) روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - ٩ / ١٩١ ، شهاب الدين محمد الالموسى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

المطلب الرابع : العواطف ،

العواطف تتعلق بالمحبهات والمكروهات . وكل عاطفة عبارة عن مجموعة انفعالات .

فمثلا : مجموعة انفعالات سارة نحو شخص ما - كالأعجاب والشهوة ، والسرور والراحة والامتنان - تكون عاطفة محبة له اوحنوًا عليه .

ومجموعة انفعالات غير سارة - كمشاعر الضيق ، والاشمئزاز والاحتقار والحقد فانها تكون عاطفة كراهية^(١) .

فالعواطف السارة مثل : المحبة ، والحنو ، والاشفاق ، والرحمة ، والرجسا ونحوها .

والعواطف غير السارة مثل : الكراهية ، والابتئاس ، والقنوط ونحوها .

والعواطف من اعمال القلوب . وتكون مستقرة أو سائدة .

فالعاطفة المستقرة هي : " استعداد وجداني مكتسب يجعل صاحبه قابلا للانفعال ، ولاتخاذ سلوك معين كلما اتصل بالموضوع او الشخص الذي ركز حوله هذه العاطفة " (٢)

وهي بعضها بعضهم بأنها : " صفة نفسية ثابتة مكتسبة لها أثر كبير في تكوين الشخصية " (٣)

ويراد بوصفها بالثبات : تميزا لها عن الانفعالات الطارئة - كالغضب

والفرح - فانها توجد مع وجود المهيج وتزول بزواله . اما العاطفة فهي شعور

معين يقوم بالنفس نحو شخص معين أو أرض او فكرة معينة وتكون ثابتة نسبيا .

-
- (١) انظر : معجم المصطلحات النفسية والتربوية ، اعداد : د . محمد مصطفى زيدان ، ص ١٨٨ ، دار الشروق ، جدة ، ط الثاني ، ١٤٠٤ هـ وانظر : علم النفس المعاصر ص ١٣٧ .
- (٢) بحوث في علم النفس العام د . فائز محمد علي الحاج ، ص ١٥٨ / ١ ، المكتب الاسلامي ، ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ .
- (٣) معجم المصطلحات النفسية والتربوية ، ص ١٨٨ .

والمراد بوصفها مكتسبة : أى أنها وان كانت تمت بالاصل الى دافع فطرية^(١) ، الا انها تتأثر بالعوامل الاجتماعية فتتمو وتقوى تحت تأثير التفكير والتأمل والتجارب الانفعالية وتكرارها وتتوجه نحو موضوع معين او شخص اوجهه معينه .^(٢)

ووصفها بأن لها تأثيراً كهرافى تكوين الشخصية : أى أن العواطف لها تأثير على ارادات الانسان ونواياه الدائمة التى تأخذ شكل العادات او العبادات المتكرره ، ومواقفه الثابتة .

" فتقوم العواطف بتنظيم الحياه الانفعالية للفرد ، وتنظيم السلوك والدافع الفطرية ، وتعديلها وتوجيهها وجهه معينه . ونتيجة لذلك يكتسب المرء قسطاً ضخماً من الثبات والاستقرار ، مما يساعد على التنبؤ بسلوكه ويرجع هذا الى الاتجاه الثابت الذى تكونه العاطفة لدى الفرد تجاه موضوعات معينه او اشخاص وافكار . . . الخ " ^(٣)

وقد اشار ابن القيم - رحمه الله - الى العاطفة المستقرة بقوله :
" حتى تصير الطامعات او المعاصى هيئات راسخة ، وصفات لازمة وملكيات ثابتة " .^(٤)

(١) الدافع الفطرية المراد منها : الفرائز التى جُبل الانسان عليها ، كحسب الأكل والجماع مثلاً ، الا أن الدافع الفطرى يكون عاماً فير متوجه الى معين . بخلاف العاطفة فانها تكون متوجهة الى معين . مثلاً : حب الأكل دافع فطرى ولكن حب التفلح يكون عاطفة . والميل الى النساء دافع ولكن توجهه الى الزوجه المعينه يكون عاطفة .

(٢) انظر : بحوث فى علم النفس العلم ، ج ١ / ١٥٧ ، ١٥٨ . وعلم النفس المعاصر ص ١٦٦ .

(٣) علم النفس المعاصر ص ١٦٨ .

(٤) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ، للإمام ابن قيم الجوزية ، ص ٥٧ ، ٥٨ . المطبعة السلفية ، ط الاولى ، ١٣٩٤ هـ .

اما "العاطفة السائدة" :

فهى عاطفة من عواطف الانسان الا أنها تزيد على غيرها من العواطف
وتستحكم حتى تسيطر على جميع عواطفه وتصبغا بصفتها وتعمل على توحيدها
وتتحكم فى تعلقاتها .^(١)

ومرفها بعضهم بقوله :

" هى الاستعداد النفسى للتأثر والتفكير والانفعال بموضوع معين
يصبح محور الحياة وتسخر الدوافع النفسية لاروا هذه العاطفة بزيادة التضحية
والانفعال والعمل من هذا الموضوع فى كل موقف من مواقف الحياة " .^(٢)

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - الى هذه العاطفة بقوله :

" انما نعى بالمحبة الخاصة هى التى تشغل قلب المحب وفكره وذكوره
لمحبته " .^(٣)

وقال ايضا : " وكذلك فمرات الحب ، وهى ما يغطى قلب المحب فيغمره " .^(٤)

ومن امثله العاطفة السائدة :

حب الله فى قلب المؤمن ، عاطفة سائدة توجه جميع عواطفه وانفعالاته
واراداته ، فيحدد مواقفه وسلوكه فى مختلف نواحي الحياة بناه عليه .
وكذلك حب شهوة معينة كالعمال او النساء ونحوها قد تكون سائدة فى قلب
الانسان فتسير وظائف القلب وتوجهها لوجهتها . كحب العجل الذى شربته
قلوب بعض بنى اسرائيل . ومن امثلتها ايضا الحقد فقد يصبح فى وقت من
الاقوات عاطفة سائدة كحقد ابن المقتول - مثلا - على قاتل والده . حيث
يستغرق فكره وجهده ويسخر جميع امكانياته فى طلب ثأره .

(١) انظر : علم النفس المعاصر ، ص ١٧٠ . (٢) بحوث فى علم النفس العام ، ح ١ / ١٥٨ .

(٣) الجواب الكافى لمن سأل عن الدوا الشافى ١٧٨ .

(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين للعلاء محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية ، ص ٣٤

دار الباز للطباعة والنشر ، مكة المكرمة ، ط ١٣٩٧ هـ .

امسا مكان العواطف فقد وردت نصوص تدل على أن مقرها في القلب. من ذلك :

قوله الله تعالى : " وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً " (١)

وقال تعالى : " قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ "

أي اشربوا حبه حتى غلب ذلك الى قلوبهم واستقر بها . (٢)

فهذه عاطفة سائدة حملتهم على عصيان التكليف الالهي .

والخسوف والوجل قد يكون عاطفة وقد يكون انفعالا . فباعتباره حالة مستقرة

ملازمة للقلب كالخوف من الله في قلوب المؤمنين فهو عاطفة . وباعتباره حالة

مؤقتة كالفزع والخوف من مكروه طارىء فهو انفعال .

وقد ورد في القرآن ما يدل على أن الخوف يقوم بالقلب من ذلك قول الله

تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ " (٤)

وقال : " سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ " (٥)

ولكل عاطفة انفعال معين . الا أنه انفعال هادي . ستقر لاستقرار العاطفة

- كما تقدم - هذا الانفعال ينشط القلب ويحرك الارادة الى السعى لما يوافق

العاطفة اي لارواء العاطفة . وهذه الانفعالات المنبعثة من العواطف

ضرورية لحركة الانسان ونشاطه . فلها تأثير كبير على سلوكه المعتاد بخلاف

الانفعالات الحادة التي سيأتي الكلام عليها في المطلب التالي :

(١) سورة الحديد " ٢٧ .

(٢) سورة البقرة " ٩٣ .

(٣) انظر : جامع البيان لابن جرير ، ج ١ / ٤٤٢ ، ٤٢٣ .

(٤) سورة الانفال " ٢ .

(٥) سورة آل عمران " ١٥١ .

المطلب الخامس : الانفعالات .

الانفعالات منها ما يكون هادئاً ومنها ما يكون حاداً . وهي تغير وشورة داخلية طارئة توجد لوجود مهيج ما ، وتزول لزواله .^(١)

والانفعالات كثيره منها : الغضب ، والخوف ، والفرح ، والحزن والاندحاش التعجبي . . ونحوها .

فهي اذاً حالات اضطراب وتغير في الكائن الحي استجابة لمؤثر معين تميز بمشاعر قوية واندفاع نحو سلوك ذا شكل معين .^(٢)

ويصاحب هذه الانفعالات ثلاثة انواع من التغيرات :

١ - مشاعر داخلية وجدانية لا يدركها الا الشخص نفسه كشعور الغضب بالاضيق ، وانتقاص الذات والاهانة .

٢ - تغير في اجهزة الجسم الداخلية كما يهد وعلى الغضبان من اضطراب في الجهاز التنفسي ، وسرعة خفقان القلب ، وازدياد افرازات الغدد الصماء وارتفاع ضغط الدم . . . الخ .

٣ - تغيرات جسمية خارجية فالمغضب مثلاً يقطب جبينه ، وتتقلص عضلات وجهه وتظهر عليه حركات وايماءات غير طبيعية .^(٣)

والانفعالات بحسب قوة هيجانها ثلاثة أنواع :

١ - انفعال خفيف يحمل النفس على طلب ما يلائمها ويروي عواطفها المختلفة ، او ماتعتقد فيه النفع كما يحتملها على ترك المنافر او ماتعتقد فيه الضرر . وهذه انفعالات لازمة لقيام الانسان بنشاطاته المعتادة ، وتصاحب العواطف كما تقدم في المطلب السابق .

٢ - انفعال طارىء مصحوب بشيء من الهيجان لكنه ليس بحاد . كما أنه

(١) علم النفس المعاصر ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٤ .

(٣) انظر : نفس المصدر ص ١٥٥ و ١٥٦ (مع التصرف)

بزيادة عن الانفعال الخفيف الناتج عن العواطف . كما يتميز عنه بأنه طارىء
وذلك مستقر .

وهذا الانفعال الطارىء الهادى لازم للانسان ليتخذ موقفاً مناسباً من
الاحداث الطارئة طلبها او هرباً او غير ذلك ^(١) . فالخوف من خطر داهم انفعال
مهم للهرب منه او مقاومتها . ورؤية الوالد ولده مع قرنا السوء - مثلاً - يولد
عنده انفعالاً . يحمله على توجيه النصح والعمل على عزله عنهم . . وهكذا .

٣ - الانفعالات الشديدة الهيجان وهى غالباً غير بناءة ولها اثر سىء على
السلوك خاصة اذا اخرجت الانسان عن حدود النشاط المعتدل السوى . ويهدو
الاشتر السىء لتلك الثورة العارمة على الوظائف العقلية حيث يشل التفكير ، ويشوه
الادراك وتضعف الذاكرة ويقل مستوى الذكاء وبالتالي يسوء فهم الفرد
للموقف ويفتقد القدرة على حل المشكلات وتصبح احكامه فاسدة حيث يعنى عن
رؤية الكثير من الحقائق ^(٢) .

وقد يدفعه الى اعمال سيئة ضارة به وبغيره .

وقد وردت نصوص كثيرة تبين ان الانفعالات عموماً محلها القلب ، من ذلك

قوله تعالى : " وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ

قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ

دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ " ^(٣)

فذكر تعالى فى هذه الآية انفعالين : الاول : انفعال الانقباض والنفوس

الذى يقوم فى قلوب المنكرين للبعث والمعاد من توحيد الله .

والثانى : انفعال الفرح والسرور والاستبشار اذا أشيد بالآلهة التى يعبدونها

من دون الله .

(١) انظر: علم النفس المعاصر، ص ١٥٩، ١٦٣، ١٦٤ .

(٢) انظر: المصدر السابق ص ١٦٠، ١٦١ .

(٣) سورة " الزمر " ٤٥ .

وقال تعالى : قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ (١)

واجفة : أى خائفة . وهو انفعال يحصل لهافى ذلك اليوم معاينته من عظيم الهول النازل . (٢)

وقال تعالى : قَتَلُوهُمْ يَعَذَّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ (٣)

أى يشف صدور المؤمنين مما يجدونه من الموجدة والغيط على الكافرين بسبب ما كانوا ينالونه من الأذى على أيديهم ، وقد هم بهم ونقضهم لعهودهم . فهو انفعال طارىء وجد مع وجود المهيج ويزول بالتشفى من العدو . وهو غير عاطفة الكراهة والبغضاء ، للكفار الملازمة لقلوب المؤمنين . فدلّت هذه الآيات على أن انفعال النفور والاشمزاز ، وانفعال الفرح والاستبشار ، وانفعال الخوف والفرح ، وانفعال الغيط والغضب ، انما تكون فى القلوب فدل ذلك على أن القلوب هى محل الانفعالات . والله أعلم .

(١) سورة " النازعات " ٨ .

(٢) سورة " التوبة " ١٤ ، ١٥ .

(٣) انظر : جامع البیان لابن جرير ، ١٠٠ / ٩١ .

المعهد الثاني : العلاقة بين الوظائف القلبية .

تبيين مما تقدم أنه يقوم بالقلب أهم الوظائف الانسانية التي تميز بها الانسان عن الحيوان ، وتميز بها العقلاء عن المجانين وهي : التعقل والاعتقادات ، والارادات الموجهة ، والعواطف والانفعالات .

وبينها ترابط وثيق وتلازم دقيق . مع ان لكل منها دوره في التلقى من الحواس والتأثير في نشاط الانسان .

ومعلوم ان سلوك الانسان وعمله الظاهر يبدأ بالارادة ويشترط لـه القدرة وتتهيأ الاسباب . الا ان الارادة قبل أن تحدث وتتبلور تمر بمراحل وتخضع لمؤثرات قلبية حتى تخرج في صورتها النهائية قاصدة فعلا معيناً وهدفاً محدداً .

فالارادة تتأثر بأربعة وظائف هي :

الدوافع الفطرية ، والعواطف ، والمعائد ، والانفعالات وكل منها له أثره في حصول ارادات الانسان المختلفة كما قد تشترك وظيفتان أو أكثر في حصول ارادة معينة .

والمقصود ببيان أثر كل وظيفة منها على الارادة من حيث وجودها وتوجيهها . ثم بيان اثر هذه الوظائف في بعضها البعض . ليسهل بعد ذلك - بعون الله تعالى - بيان أثر الايمان في تكون هذه الوظائف وتوجيهها الوجهة السليمة الصالحة وتحصن القلب به وآثاره من الافكار الهدامة وما يتضرع منها .

فالدوافع الفطرية هي : استعدادات يولد الفرد مزودا بها ، وهي حاجات تتصل بأعضاء الجسم الداخليه ، كالجوع والعطش والاعراج والتعب والحاجه الجنسيه .^(١)

فيقوم بالقلب ارادة مع كل دافع من هذه الدوافع .

اما العواطف فهي انفعالات قلبية ثابتة مكتسبة كما تقدم نحو أمر معين تدفع القلب الى ارادة سلوك معين نحو من توجهت له العاطفة اما سلبا او ايجابا . فالعواطف هي هوى القلب ورفضاته .

فعاطفة الحب تدفع الى الاتصال بالمحبيب ، والتعلق به وفعل ما يرضيه . وعاطفة الكراهية تدفع القلب الى النفور من المكروه ، والتخلص منه وفعل كل ما يبعد منه .

والعقائد لها تأثير عظيم على الارادة ، حتى ان البعض فسر الارادة بالميل الناتج عن عقيدة فقال :

" هي ميل يتبع اعتقاد النفع أو ظنه ، فانا نجد من انفسنا بعد اعتقاد ان - الفعل الفلاني فيه جلب نفع او دفع ضرر ميلا اليه مترتب على ذلك الاعتقاد وهذا الميل مغاير للعلم بالنفع ودفع الضرر ضرورة . " .^(٢)

وهذا التعريف لا يصلح تعريفا للارادة البشرية مطلقا ، وذلك أن الارادة

(١) الانسان في الاسلام والانسان المعاصر ، عبدالغنى عبود ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، دار الفكر العربي ، ط الاولى ، ١٩٧٨ .

(٢) كشف اصطلاحات الفنون ، المولوى محمد على التهانوى ، ج ١ / ٥٥٣ ، دار قهرمان للنشر والتوزيع ، استانبول ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .

قد تكون منبعثة من الاعتقاد ، او من العواطف والهوى ، او من الانفعال ، وعليه فهو تعريف لنوع من الارادات .

كما أنى أرى أنه يصلح لتعريف ارادة نوع من الناس ، وهم المؤمنون كاملوا الايمان . الذين اتفقت عواطفهم وانفعالاتهم مع عقاودهم .

اما الانفعالات فأثرها على الاراده واضح . وذلك أن الانفعال تهيؤ نفسى النفس يدفع الى سلوك معين يتناسب مع مهيجات الانفعال .

فالانفعال الذى يقوم بالقلب - مثلا - عند رؤيه من يفعل المنكر او الضار او من يترك المعروف او النافع ، يوجه الارادة نحو سلوك مناسب تقتضيه طبيعته الاصلاح .

فرهبة الأسد - مثلا - ينتج عنها انفعال خوف يتولد عنه ارادة الهروب . ورهبة المنقطع قافلة مارة ينتج عنه انفعال فرح واستبشار يتولد عنه ارادة - طلبها واللحاق بها .

والانفعال الحاد الشديد ينتج عنه - فى الغالب - ارادة فعل سىء ضار - فالذى بغضب غضبا شديدا قد تتوجه ارادته الى قتل نفسه او احسد اقاربه او الذى افضبه . كما قد يطلق زوجته ، أو يتلفظ بأقوال تعود عليه بالشرفى دينه او دينه .

وكما ان الوظائف القلبية تؤثر فى الارادة ، فانها ايضا يؤثر بعضها فى بعض . فتوجه بعض الوظائف وظائف اخرى الى وجهات تتفق معها . وحال القلب فى النهاية من حيث الصلاح او ضده متوقف على صلاح تلك الوظائف افسادها .

وذلك ان وظائف القلب خلقت متقلبه غير مجبرة على حال واحد . بل هي قابلة للتوجه مع مايتناسب مع الموجبات الواردة لها والمؤثرة فيها .

فاذا كانت تلك الموجبات صحيحة ، وتجاوب القلب معها صلحت وظائفه واراداته ، فاصبح صالحا . واذا صلح سائر عمله واحواله .

واذا كانت الموجبات فاسدة ، وتأثرت الوظائف القلبية بها وتغذت منها ، فسدت القلب ففسد سلوك الانسان واحواله .

فالعلوم الواردة الى القلب ، اوجطة المشاهدات والمسموعات التي ينقلها السمع والبصر هي السبب الأهم الذي جعله الله لتغذية وتوجيه وظائف القلب المختلفة .

والجسر الذي ينقلها الى القلب هي وظيفة التعقل .

فالتعقل - الذي هو اعمال الفكر بمايورده السمع والبصر - تنتج عنه العلوم والحكم والمعارف . وهذه اذا صدقها القلب وركن اليها اصبحت عقائد يتولد عنها عواطف .

فمثلا : يعمل الانسان فكره في تفهم كلام الله عز وجل ، فيفيده ذلك علما بأن الله لا اله الا هو . فاذا صدق القلب بذلك وركن اليه أصبح عقيدة . يتولد منها عاطفه هي حب الله . ويتولد من ذلك كله ارادة التقرب الى الله بطاعته .

فيكون الفكر والتعقل وماينتج عنه من العلوم هو الخطوة الاولى والاساس لمايقوم بالقلب من التصورات والعقائد والعواطف والارادات والانفعالات . ومايكون في القلب هو الاساس لمايقوم بالجوارح من الاعمال الاختيارية .

قال ابن القيم - رحمه الله - مشيراً الى تأثير الوظائف القلبية بعضها في بعض :

" مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والافكار ، فانها توجب التصورات ، والتصورات تدعو الى الارادات ، والارادات تقتضى وقوع الفعل . وكثرة تكراره تعطى العادة . فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والافكار . وفسادها بفسادها " (١)

وقال ايضاً - رحمه الله - :

" اصل الخير والشر من قبل التفكير ، فان الفكر مبدأ الارادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض " (٢)

ويستخلص من ذلك :

ان العلوم الواردة من التفكير هي البانية للعقائد والتصورات ، وما يتفق معها تكون العواطف من المحبوبات والمكروهات .

وان العقائد والعواطف هي الموجهة للارادات .

فالاصل ان الانسان يحب ما يعتقد فيه النفع ، ويكره ما فيه الضرر

لكن قد يقترن بالنافع مكروه كالمشقة او توقع الأذى فيكره النافع لكراهية

ما اقترن به ، او تخلف الارادة عنه . وكذلك قد يقترن بالضرار محبوب ، كراحة

اولذة ، فيحبه وتتعلق ارادته به .

وقد بين الله هذا المعنى بقوله :

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم :

" حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات " (٤)

(١) كتاب الفوائد ، لابن القيم ، ص ٢٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٥ . (٣) سورة البقرة ٢١٦

(٤) رواه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها ، رقم الحديث (٢٨٢٣) ح ٢١٧٤/٤

رواه البخاري بلفظ : " حفت " كتاب الرقاق باب حجب النار بالشهوات رقم

(٦٤٨٧) الصحيح مع الفتح ح ١١ / ٣٢٠ .

وكما ان العقائد مؤثرة فى الارادة فهى ايضا موجهة للانفعال . فالمؤمن مثلا - ينفعل منكرا محذرا اذا رأى من يخالف مايعتقده معروفا ، او رأى من يفعل مايعتقد انه منكرا .

وكذلك العواطف موجهة للانفعال - فينفعل الانسان مع من يوجب شوقا وسودا . كما ينفعل غضبا له اذا اعتدى عليه اوعلى حق من حقوقه .

كما أن الانفعال تختلف صفته بحسب العقيدة والعاطفة فاذا نال الولد - مثلا - مكروه من والده الذى يحبه ويحسن الظن به ، ويعتقد انه لا يريد به الا الخير كان أنفعاله مختلفا عن لو اصابه ذلك المكروه من شخص آخر لا يشعر نحوه بتلك العاطفة ولا يعتقد فيه ذلك الاعتقاد .

وهذا يبين أثر العلم فى تكون وتوجه العقائد والعواطف ، وأثر العواطف والعقائد على الارادات والانفعالات .

وما يحسن التنبيه عليه أن العكس صحيح . أى ان العواطف والعقائد اذا استحكمت كان لها تأثير عظيم فى توجيه الفكر والتعقل .

فالعقائد الباطلة اذا استحكمت فى قلوب معتنقيها وألغوها صدفتهم عن تفهم ما يخالفها عموما وعن الحق خصوصا . ولو فهموه وعرفوه عرضوا عنه ولم يقبلوه .

وهذه خاصية نفسية للعقائد والعواطف الباطلة المستحكمة تشل القلب والفكر . فالباطل عقيم يميت القلب .

اما عقائد الحق وما يتبعها من عواطف طيبة فانها تحيي القلب وتخصبه وتكسبه ملكة وخاصية نفسية اخرى وهى محبة الخير والبحث عنه وتقبله . كما انها تحصنه من الباطل وتنفره منه .

وقد بين الله اثر العقائد والعواطف الباطلة فى صرف أهلها عن العلم

بالحق والعمل به فقال : " وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ

اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ

﴿٨﴾ وَإِذْ أَعْلَمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُرُوقًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ " (١)

فبين تعالى ان هذا الافاك الاثيم لا ينتفع بسمع آيات الله البينات ، بل يصر على باطله ويستكبر عن تفهم الحق والانقياد له ، ولا يبالي به كحال الذى لا يسمع . (٢)

وقد بين سبحانه سبب هذا الموقف ، الا وهو استحكام العقائد الفاسدة والاعمال السيئة فى قلبه حتى فطته وحجبه عن معرفة الحق والانقياد له فقال تعالى :

" إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ أَسْطِيرُ

الْأُولَئِينَ ﴿١٢﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (٣)

فبين تعالى ان ما كسبوه من العقائد الباطلة والافعال القبيحة ومدامتهم عليها ، قد رانت على قلوبهم ، اى رسخت فيها وفطتها حتى حجبت عنها الحق وحالت بينها بين رؤيته . (٤)

ومن امثلة ذلك ما قصه الله من حال بنى اسرائيل الذين استحكمت فيهم عقيدة ألوهية العجل ومحبتهم له فصرفتهم عن تدبر الحق والعمل به :

(١) سورة " الجاثية " ٧ - ٩ .

(٢) انظر : التفسير الكبير للرازي ج ٢٧ / ٢٦٠ ، ٢٦١ (بتصرف) .

(٣) سورة " المطففين " ١٣ و ١٤ .

(٤) انظر : التفسير الكبير للرازي ج ٣١ / ٩٤ (بتصرف) .

” وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
بِسْمَايَا مُرْكُم بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ” (١)

ومن آفات قلوبهم ايضا الحسد ، وهو عاطفة سائدة ، تسيطر على القلب
والعمل فقال تعالى مهينا اتصافهم به: **وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا
وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ” (٢)

من ذلك استحكام الوثنية في قلوب المشركين من كبار العرب وتقليدهم

لآبائهم فيها حطهم على عدم الرضخ للحق علما وعملا :

قال تعالى: **” وَإِذْ أَيْقَلَ لَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا أُولُو كَأَن ءَابَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ”** (٣)

فكل ذلك يجمعه تكون العواطف - كحب الآلهة ، اوجب الآباء والاعجاب بهم
اوجب العادة والالف - من العقائد ، وقوة تلك العواطف بكثرة الاكتساب حتى
تصبح عواطف راسخة متكنة من القلوب .

ومن العواطف السائدة التي تحجب القلوب عن العلم : الهوى . قال الله
تبارك وتعالى :

” **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ** ” (٤)

فبين الله تعالى في هذه الآية حال فريق من الناس . وما فعله بهم جزاء
لتلك الحال :

بين حالهم بقوله : **” اتخذ الهه هواه ”** اى سيطر عليه الهوى
حتى صار معبودا له .

” فمعبد ماهوى من شىء دون الإله الحق الذى له الالهية من كل شىء ” (٥)

(١) سورة البقرة ٩٣ . (٢) سورة البقرة ١٠٩ .
(٣) سورة البقرة ١٧٠ . (٤) سورة " الجاثية " ٢٣ .
(٥) جامع البيان لابن جرير ح ٢٥ / ١٥٠ .

وبين عقابه لهم على ذلك بقوله : " واضله الله على علم . . . " " اى خذله عن محجة الطريق ، وسبيل الرشاد فى سابق علمه علم منسه بأنه لا يهتدى ولوجآته كل آيه " (١)

واقبهم ايضا بأن منعهم من الانتفاع بموارد العلم التى هى السمسم والبصر والقلب .

فدل على أن استحكام الهوى (وهى العواطف الفاسدة) سبب للضلال ومانع من التعقل والمعرفة السليمة .

وهذا يتبين المقصود وهو تأثير العواطف والعقائد على التعقل وتحصيل العلوم .

وخلاصه ماتقدم ان العلم الوارد الى القلب هو الموجه الاول والمؤثر الاساسى السببى - باذن الله - للعقائد والعواطف . وللعقائد تأثير على العواطف ولهما تأثير على الانفعالات .

كما تبين الاثر العكسى وهو تأثير العواطف والعقائد المستحكمة على التعقل واكتساب العلوم . والله اعلم .

والا تبين ذلك فان الغرض هو معرفة أثر الايمان على هذه الوظائف القلبية بحيث يقطع الصلة بينها وبين الافكار المخالفة الضالة وذلك ما سيجرى الكلام عليه فى الفصل الثانى والثالث من هذا الباب - ان شاء الله تعالى - .

(١) المصدر السابق - ٢٥ / ١٥٠

المبحث الثالث : أحوال القلوب .

ان الكلام على تأثير الايمان على القلب فى مجال تحصينه من الافكار الهدامة يتطلب معرفة احوال القلوب . وذلك لكى يتبين أى القلوب التى يجرى البحث فى أثر الايمان فى تحصينها .

فالقلوب عامة لا تخلو من ثلاث حالات . فأما أن يكون القلب حيا صحيحا وأما أن يكون مريضا ، وأما أن يكون ميتا . وهذه الاحول قد يعربها قلب واحد فينقلب من حال الى حال . وقد تلازم حال منها بعض القلوب دائما .

والكلام على احوال القلوب و انواعها قد ورد بيانه فى الوحي المطهر ، ولذا سوف يكون الكلام فى هذا المبحث من خلال استعراض بعض النصوص التى تكلمت عن القلوب .

فالحال الاولى : هى حال القلب السليم .

قال - تبارك وتعالى - عن خليفه ابراهيم - عليه السلام - انه قال فى دعائه :

" وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ " (١)

وقال :

" وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٢﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٣﴾ " (٢)

والقلب السليم هو الذى عمر بالعلم والايمان والعقائد والعواطف المستمدة

منها - وسلم من ضد ذلك .

قال ابن القيم - رحمه الله - : " وقد اختلفت عبارات الناس فى معنى القلب السليم ، والامر الجامع لذلك : انه الذى قد سلم من كل شهوة تخالف امر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره . . هو الذى سلم من ان يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما ، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى : ارادة ومحبة وتوكلا ، وانابة ، واخبارا وخشية ، ورجاء ، وخلص عمله لله ، فان أحب أحب فى الله

(١) سورة " الشعراء " ٨٧ - ٨٩ .

(٢) سورة " الصافات " ٨٤ .

وان ابغض ابغض في الله ، وان اعطى اعطى لله ، وان منع منع لله ، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله - صلى الله عليه واله وسلم - فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الائتمام والافتداء به وحده دون كل أحد (١)

والقلب السليم هو الذي لا يشوب اعتقاده شئ من رجس الشرك او الشرك ولا تميل عواطفه الى محبة غير الله او محبة ما يمتقه ولا تتوجه اراداته الى الاعمال القبيحة ، فهو طاهر من الشبهات الموجبة للشك في العلم والاعتقاد ومن الشهوات الموجبة للميل الى الشهوات والقباح .

(٢) ومن اوصافه انه منيب ، قال تعالى : " مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ " والقلب المنيب هو الثابت من ذنوبه ، الراجع ما يكرهه الله الى ما يرضيه . (٣)

ومن اوصافه انه مطمئن . قال تعالى : " اِلَّا مَنْ اُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْاِيْمَانِ " (٤) وقال : " اَلَا يَذِكُرُ اللّٰهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوْبُ " (٥) فالقلب المطمئن هو الذي انشرح للايمان وركن اليه ، وارتاح واستأنس به ، قد ادرك من الادلة المشاهدة والمعلومة - على ما يتطلب الايمان التصديق به - ما اكسبه اليقين ، وهو الذي يأنس ويرتاح لذكر الله .

ومن اوصافه انه طاهر . قال الله تعالى : " وَاِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ اَطْهَرُ لِقُلُوْبِكُمْ وَقُلُوْبِهِنَّ " (٦)

(١) اغاثة اللهبان في مسايد الشيطان ، لابن القيم ، ج ١ / ١٢ تحقيق : محمد عفيفي .

(٢) سورة " ق " ٣٣ .

(٣) انظر : جامع البيان لابن جرير ج ٢٦ / ١٧٣ .

(٤) سورة " النحل " ١٠٦ .

(٥) سورة " الرعد " ٢٨ .

(٦) سورة " الاحزاب " ٥٣ .

ومن اوصافه انه قلب لين . قال تعالى :

" اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ

جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ " (١)

ولين القلوب ضد قساوتها الذي وصفت به قلوب الكفار . فالقلب اللين هو

الذي ينتفع بالذكر والمواعظ - فيرق ويطنن للحق ويقبله ويدعن له وينقاد .

الحاله الثانيه : القلب الميت .

وهو القلب الخالي من الايمان . قد أقدم من الخير وأصبح مرتعا للشر .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

" وهو القلب الميت الذي لا حياة به . فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبد به بأمره

وما يحبه ويرضاه . بل هو واقف مع شهواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه

وغضبه ... " (٢)

ومن صفاته انه قد غلفه الران فحتم وطبع عليه فهو مقل عن كل خير

أعنى لا يبصر الهدى .

(٣)

قال تعالى : " أَكَلَابِلٌ رَّانٌ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "

وقال : " خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (٤)

وقال : " كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ " (٥)

وقال : " ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ "

وقال : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا " (٦)

قال مجاهد - رحمه الله - : " الران ايسر من الطبع ، والطبع ايسر من الاقفال

والاقفال أشد ذلك كله " (٨)

(١) سورة " الزمر " ٢٣

(٢) اغاثة اللهبان ، لابن القيم ح ١ / ١٣ .

(٣) سورة " المطففين " ١٤ .

(٤) سورة " البقرة " ٧ .

(٥) سورة " الاعراف " ١٠١ .

(٦) سورة " المنافقون " ٣ .

(٧) سورة " محمد " ٢٤

(٨) جامع البيان لابن جرير ح ١ / ١١٢ ط ٣

وقال ابن جرير فى تفسير قوله تعالى : " وَإِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْبُرْجَانَ الْقَدِيمَ... " الآية :
" يقول تعالى ذكره : اذا قرى عليه حججنا وأدلتنا التى بينها فى كتابنا
الذى انزلناه الى محمد - صلى الله عليه وسلم - (قال اساطير الاولين) يقول
هذا ماسطره الاولون من الاحاديث والاخبار . وقوله : (كلا بل وان على قلوبهم)
يقول تعالى ذكره مكذبا لهم قلوبهم ذلك : كلا . ماذك كذلك ، ولكنه وان على
قلوبهم يقول قلب على قلوبهم وغمرها واحاطت بها الذنوب فغطتها (١)

ومعنى ذلك - والله اعلم - ان اصرارهم على الكفر والمعاصى سبب لهم فيها
واستحكام معتقداتهم الباطلة وهواطفهم المائلة ، فان العواطف تقوى مع
تكرار الممارسة فتصبح عواطف مستحكمة . والعواطف المستحكمة تستولى على
القلب وتغمره وتسيطر عليه ، وتتحكم فى تعقله وارادته وانفعالاته فلا ينفذ
بشيء من ذلك الا لما يلائمها . واستحكام العقائد الفاسدة هو على القلب . قال
تعالى : " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " (٢)

وقال ابن جرير - رحمه الله - بينا العلاقة بين الران وبين الطبع والختم :
" والحق فى ذلك ماصح بنظيره الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . . .
عن ابي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ان المؤمن
اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه
فان زاد زادت حتى يغلف قلبه ، فذلك الران الذى قال جل ثناؤه " كلا بل وان
على قلوبهم ما كانوا يكسبون " (٣) فاخبر - صلى الله عليه وسلم - ان الذنوب
اذا تتابعست على القلوب اظلمت ، واذا اظلمت اظلمت حينئذ الختم من قبل
الله عز وجل والطبع فلا يكون للايمان اليها سلك ، ولا للكفر منها مخلص فذلك
هو الطبع والختم الذى ذكره الله تبارك وتعالى . . لا يصل الايمان الى قلوب

(١) المصدر السابق ح ٣٠ / ٩٧ . (٢) سورة الحج ٤٦ .

(٣) رواه احمد ، المسند ٢ / ٢٩٧ . والترمذى وقال : " حديث حسن صحيح " .

تحفة الاحوذى ٩ / ٢٥٤ ، والحاكم وقال : " صحيح على شرط مسلم المستدرک

ح ٢ / ٥١٧ ووافقه الذهبى .

(١)

من وصف الله انه ختم على قلوبهم الابعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها "

وقلب كهذا عليه اقبال كثيرة تحول بينه وبين تدبير كلام الله ، فالعقائد
والعواطف المستحكمة اقبال ، والران الحاجب للبصيرة قتل ، والختم والطبع
الذى عاقب الله ذلك القلب به لِمَا قام به من السوء قتل . قال تعالى :
" أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (٢)

قال ابن كثير - رحمه الله - : . اي بل على قلوب اقبالها ، فهي مطبقة
لا يخلص اليهاشيء من معانيه " (٣)

ومن اوصاف القلب الميت انه لاه غافل ، قد أشرب حب الله واشتغل

به .
قال تعالى :
" أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُحَدِّثُ إِلَّا أَصْغَوْهُ وَّهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ " (٤)

وقال : " وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرَهُ فُرُطًا " (٥)

قال ابن جرير - رحمه الله - :

" يقول تعالى ذكره لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : ولا تطع يامعد من شغلنا
قلبه من الكفار . . . ، بالكفر وظلمة الشقاء عليه ، واتبع هواه ، وترك اتباع امر
الله ونهيه ، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه " (٦)

ومن اوصافه أنه قاس . قال تعالى " أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٦﴾ " (٧)

(١) جامع البيان ح ١١٢ / ٣ ، ١١٣ . (٢) سورة " محمد " ٢٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٠٢ / ٦ . (٤) سورة " الانبياء " ١ - ٣ .

(٥) سورة " الكهف " ٢٨ . (٦) جامع البيان لابن جرير ح ١ / ٢٣٦ .

(٧) سورة " الزمر " ٢٢ .

والقسوة هي غلظ القلب وجفافه ، واصله من حجر قاس .^(١)

قال الشوكاني - رحمه الله :- "والقسوة : الصلابة واليبس ، وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان لآيات الله . . ." ^(٢)

فالمادة القاسية مثل للقلب القاسي . والاشياء القاسية تنقسم الى قسمين : قسم صلب لا يحتوى على الماء ولا يلين بنزول الماء عليه كالحجارة . وقسم لا يحتوى على الماء حال شدته وهبوطه ، لكن يتر عليه الماء فيلينه ، كالطين الهابس .

وكذلك الطوب . منها طوب قاسية كالحجارة . لا يوجد فيها ايمان ولا تنتفع بالذكر والمواعظ والآيات فتلين . وهذه طوب نوع من الكفار ، اشار الله الى هذا النوع بقوله : " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً " ^(٣)

وحيث ان الحجارة لا تحتوى على الماء ، ولا يلينها الماء اذا نزل عليها ولكن قد يوجد فيها فجوات يستقر فيها فيخرج من الشقوق التي فى الصخور أو يجرى على شكل أنهار فينتفع منه الناس . الا أن هذه الصفة النافعة الموجودة فى الحجارة ليست عندهم ، فهم ليسوا بمهتدين ، ولا يذعنون للهدى ، وليس عندهم خير ينتفع منه الناس .

كما أن الحجارة أفضل منهم من وجه آخر حيث انها تخشع وتسقط من خشية الله . كما قال تعالى :

^(٤) " لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ "

بين الله هذه الفروق التى تدل على أن قساوة طوب هؤلاء أشد من

الحجارة بقوله :

(١) انظر: المفردات للرافى الاصفهانى ص ٤٤٠ ، وجامع البيان ح ٢٣ / ٢٠٩ .

(٢) فتح القدير ح ١٠٠ / ١

(٣) سورة " البقرة " ٧٤

(٤) سورة " الحشر " ٢١ .

” ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ “ (١)

ومن القلوب قلوب قاسية لكنها تنتفع بالعلم والخير والمواعظ اذا جاءت بها
كما يلين الماء الطين اليابس فتزول شدته ويمكن الانتفاع به . وهذه قلوب المؤمنين
الذين تقسو قلوبهم احيانا بالغفلة والمعاصي .
والحال الثالثة : هي حال القلب المريض .

قال ابن القيم - رحمه الله - في وصف هذا القلب :

” قلب له حياة وه علة ، فله مادتان ، تمده هذه مرة ، وهذه اخرى . وهو
لما قلب عليه منهما ، ففيه محبة الله تعالى والايان به والاخلاص له ، والتوكل عليه
ما هو مادة حيات . وفيه من محبة الشهوات وايتارها والحرص على تحصيلها والحسد
والكبر والعجب ، وحب العلو والفساد في الارض بالرياسة : ما هو مادة هلاكه
وعطبه ، وهو مستحق بين داعيين : داع يدعو الى الله ورسوله والدار الآخرة وداع
يدعو الى العاجلة . وهو انما يجيب اقربهما منه بابا ، وادناهما اليه جوارا .
فالقلب الاول ، حتى مخبت لىن واع . والثانى يابس ميت . والثالث مريض ، فاما
الى السلاة أدنى ، واما الى العطب أدنى .
وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة فى قوله :

” ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ،
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ “ (٢)

فجعل سبحانه وتعالى القلوب فى هذه الآية ثلاثة : قلبين مفتونين ، وقلبا

ناجيا . فالفتونان : القلب الذى فيه مرض ، والقلب القاسى .

والناجى : القلب المؤمن المخبت الى ربه . وهو المطمئن اليه الخاضع له ، المستسلم
المنقاد " (١) .

وامراض القلوب نوعان :

مرض شك وريب ، يصيب المعتقدات ، ويتولد من الخوض فى الشبهات ومنه يكون
الكفر والنفاق .

ومرض الشهوات ، يصيب العواطف والرغبات ، ومنه تكون المعاصى وبعض البدع

وقد اشار الله الى ان هذين الامرين هما اساس فساد الدين بقوله :

" كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا
بِمَخْلَقَتِهِمْ فَاَسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقَتِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقَتِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَالَّذِي خَاضُوا أَوْلِيَّتِكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَوْلِيَّتِكُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ
قال ابن تيميه - رحمه الله - :

" وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض : لان فساد الدين اما ان يقع

بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، او يقع فى العمل بخلاف الاعتقاد الحق . . .

والاول : من جهة الشبهات . والثانى : من جهة الشهوات " (٢)

فبين - رحمه الله - ان الفساد فى القول والعمل اصله شبهة او شهوة قاطمة

فى القلب :

وقد ذكر الله نوعى مرض القلب فى كثير من الآيات :

فقال فى مرض الشك والريب : " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " (٤)

(١) اغاثة اللفان لابن القيم - ١٤/١

(٢) سورة " التوبة " ٦٩ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم تحقيق د. ناصر العقيل

١٠٢/١ ، ١٠٣ .

(٤) سورة " البقرة " ١٠ .

وقال : " وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا " (١)

(٢) فهذا مرض النفاق .

ومن صفات هذا القلب المريض بمرض النفاق انه زائغ .

قال تعالى : " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ " (٣)

اي : لماعدلوا وجاروا عن قصد السبيل ازاع الله قلوبهم فامالها عنه ، عقوبة (٤) منه لهم موافقة لفعالهم .

فالقلب الزائغ هو الذى عرف الحق ثم مال عنه بسبب الشبهات ، كحلال

أهل الاهواء والهدع ، لذلك شرع الله للمهتدين سؤال التثبيت بقوله : —

(٥) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ()

ومن صفاته انه مرتاب . قال تعالى : " إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَوَاتُ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ

فِي رَيْبٍ مِّنْهُمْ يَتَرَدَّدُونَ " (٦)

فالريب والشك الحاصل فى هذا القلب بسبب الجهل والخوض فى الشبهات

هو الداء الحقيقى الذى ترتب عليه الزيغ والنفاق والسلوك السيئ .

والنوع الثانى من امراض القلوب : هو مرض الشهوة .

قال تعالى : " يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ

فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ " (٧)

والمراد - والله اعلم - مرض شهوة الزنا . (٨)

والقلب المريض هو الذى تمكن حب الشهوة المنحرفة فى عواطفه ، فينبهعنت

عند ورود دوافعها ، فهو مرض يصيب العواطف ، كما ان مرض الشك والريب

يكون فى العقائد .

ومن الامراض التى تصيب العواطف : عاطفة حب المال الباعثة على الحرص عليه

(٢) انظر : جامع البيان لابن جرير ح ٢٩ / ٣

(٤) انظر : جامع البيان ح ٢٨ / ٨٦

(٦) سورة " التوبة " ٤٥ .

(٨) انظر : جامع البيان ح ٢٢ / ٣

(١) سورة " المدثر " ٣١ .

(٣) سورة " الصف " ٥

(٥) سورة " آل عمران " ٨ .

(٧) سورة " الاحزاب " ٣٢ .

والتعلق به وحب الرئاسة الباعثة على ارادة العلو والاستكبار، والكبر والعجب
وهي ترجع الى عاطفة حب الذات.

ويشتد خطر هذه الامراض عندما يتمكن حب شىء من ذلك فى القلب
حتى يصبح " عاطفة سائدة " ولا يكون متوجها الى الله . فانه والحالة هذه
يكون شركاء، وذلك ان القلب لا ينبعث لشىء الا وفق هذه العاطفة المستحكمة
وهذا يكون هوى القلب وميله موافقا لها ، فيسرى أثرها على كل وظائف القلب
وهذا دا^١ خطير يعيت القلب .

قال تعالى : " أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ

وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً " (١)

والقلب العريض بشبهة اشهوة محرمة فيه من صفات القلب العيت بحسب ما فيه
من المرض . ففيه من الران والقلق والقسوة والغفلة واللهو ما يتناسب مع قوة
المرض . الا انه لم يصل الى درجة الختم والقل والطبع . فهو قلب مريض ينتفع
فيه العلاج باذن الله ، كما انه فى طريقة الى الموت ان اهمل علاجه واستمر
به داه .

ماتقدم تبين ان للقلوب على وجه الاجمال ثلاث حالات :

القلب السليم وهو الذى عمر بالعلم النافع والمعتقد الصحيح ، والعواطف
السليمة ، فهو ظاهر بذلك سالم من ضده ، مطمئن للحق راكن اليه ، ليس
ينتفع بالذكر والمواعظ ويتفاعل معها .

وقلب ميت خراب من الايمان والخير ، عقائده باطلة ، وطنونه سيئة
وعواطفه مائلة ، قد استحكم عليه الران فغطاه فهو أعمى عن الهدى ، غافل
عما فيه سعاده وهداه ، مشتغل فيما يهواه ، قلب غليظ قاس لا يلين للمواعظ
والذكر فينتفع بها .

(١) سورة " الجاثية " ٢٣

وقلب مريض فيه ايمان وه داء من جهة الشبهات والشهوات أو منهما معا ففيه من الشك والريب والزيغ ، أو الغفلة والقسوة والران والقلق بقدر تلك الشبهات والشهوات الناخره فيه . فهو قابل للسلامة ان تعاهده صاحبه بالعلاج باذن الله ، والافهوفى طريقه الى الهلاك . اعاذنا الله من ذلك .

والقلب الذى يجرى البحث فى أثر الايمان فى تحصينه ضد الافكار الهدامة هو القلب السليم الذى عمر بالايمان ويخشى من تسلل الشبهات والشهوات اليه فجعل الله الايمان سببا فى تحصينه ودفع تلك الاخطار عنه كما سيأتى ان شاء الله .

اما القلب المريض فليس البحث فى تحصينه حيث انه قد دخل بعض الداء فيه وانما للايمان أثر عظيم فى شفاؤه وتطهيره اذا سلك صاحبه اسباب ذلك .

اما القلب الميت فان كان لم يختم عليه ، فحياته بالايمان ممكنه .

قال تعالى : **أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي**

النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِنْهَا . (١)

واما ان كان قد ختم وطبع عليه فلا سبيل للايمان اليه ، وذلك ان الله

لا يختم على قلب الاعن علم بأنه لن يؤمن ابدا وانه سيلزم الفى والضلال ولو

رأى كل أية ، بل وعلم الله انه من الذين لوردوا لعادوا لعانها عنه ، بهين

ذلك سبحانه وان الختم عن علم بقوله :

" أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ

وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . (٢)

(٢) سورة " الجاثية " ٢٣ .

(١) سورة " الانعام " ١٢٢ .

فقد بين سبحانه في هاتين الآيتين انه يهدى من اتصف بالانابة ،
والانابة صفة يوصف بها من اقبل على الحق ورجع عن الباطل .

وقد حصر ابن جرير - رحمه الله - ماورد في تعريف الانابة في : الرجوع
والاقبال (١) .

فمن كان بهذه الصفة مقبلا على الحق اذا تبين له ، راجعاتائبا
عن ضده من الباطل ، فان الله يهديه حيث اقتضت حكمته ان يهدى
من طلب الهداية وسعى لها .

اما الذى ليس له همة فى معرفة الحق ، او عرفه ولم يقم به شوق ولا طلب
له ولم يرفع به رأسا ، فهبة الله أغلى من ان تعطى لمن لا يقدرها ولم
ينبعث لطلبها .

ونور الهداية الذى يقذفه الله فى قلب المؤمن يحدث أثرا عظيما على
وظائف القلب ، أهمها توجيهه وظيفه التعقل الوجهة الصحيحة ، حيث يركن
الى الوحي وحده يستقى منه العقائد والشرائع . فلا يزال القلب يتعقل -
المعارف والحكم من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فتبني
عقائده على اساس ثابت ، وتغذى عواطفه بمعين الخير الصافى ، ويخرج ما يضاعف
ذلك من ظلمات الجاهلية ، ويزداد ذلك بازدياد العلم الوارد الى القلب
فلا يزال الخير اليه واصل ، والشر منه نازل حتى يصلح القلب ويستنير ، فتنبعث
الجوارح بالعبودية لله عن علم به وبحقه سبحانه .

فالقلب الذى رسخت عقائده بالدلائل البينات ، وتوجهت عواطفه
الى الله بالحب والرغبات ميلا اليه ، واعراضا عن سواه . واصبحت ارادته
وانفعالاته طوعا لمراد الله وشرعه ، هذا القلب هو المحصن باذن الله

(١) انظر : جامع البيان ، ج ١٢ / ٨٠ ، ١٠٣ ، ج ٢٥ / ١٦

من الشبهات التي يزخر بها شياطين الانس والجن، والشهوات التي يزينونها .

وحصانة القلب وعمرانه بالخير لا بد لها من ان يكون طاهرا زكيا . فصلاح

القلب قائم على التطهير والتزكية .

قال ابن القيم - رحمه الله - : " والمعصود : ان زكاة القلب موقوفة

على طهارته ، كما ان زكاة البدن موقوفة على استغرافه من اخلاطه الرديثة

الفاسدة " (١) وقال ايضا :

" . . . فكذلك القلب اذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه

فتخلصت قوة القلب وارادته للخير ، فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة

والمواد الرديئة : فزكا ونما وقوى واشتد ، وجلس على سرير ملكه ، ونفذ حكمه

في رعيته ، فسمعت له واطاعت ، فلا سبيل له الى زكاته الا بعد طهارته

... (٢)

فاثر الايمان على القلوب دائر بين تطهيرها وتزكيتها . وكلا هذين

الامر من التطهير والتزكية لهما دور هام في تحصين القلب من الافكار

الفاسدة .

والتطهير مقدم على التزكية من باب : " التخلية قبل التحلية " فالتطهير

هو اخراج دغل القلب وفساده فيكون مهيا لاستقبال الخير والترقي

فيه .

وقد وردت الاشارة الى تقديم التطهير على التزكية في كثير من النصوص

منها :

٣) قول الله تعالى : " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ

وقوله : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا " (٤)

(٢) نفس المرجع ص ٧٧

(١) اغاثة اللهيان - ٨١ / ١

(٤) سورة " المتوهمة " ١٠٣

(٣) سورة " البقرة " ٢٥٦

واذا تبين هذا فان أهم وأول أثر للايمان هو تطهير القلب ، ثم
تزكياته . وسوف اتكلم على كل منهما في فصل مستقل أبين فيه الآثار التي
يحدثها الايمان من خلال كل منهما . والله المستعان .

الفصل الثاني

الفصل الثالث : أثر الايمان فى تطهير القلب .

وفيه المباحث الآتية :

المبحث الاول : أثر الايمان فى تطهير القلب من العقائد الباطلة

والظنون السيئة .

المبحث الثانى : أثر الايمان فى تطهير القلب من الرأى ودرن

المعاصى .

المبحث الثالث : أثر الايمان فى تطهير القلب من العواطف

الفاسدة .

والمقصود هو الكلام على أثر الايمان فى تطهير نفس المؤمن ، وهى ان ذلك جزء هام من الحصن المتين الذى يُحصن به القلب ضد الافكار الخبيثة .
والتطهير : اسم للفعل الذى تحصل به الطهارة .
وطهارة النفس : تشمل تنقية القلب من العقائد الباطلة ، والظنون السيئة ، والعواطف المنحرفة ، والارادات الفاسدة ، وتنقية من ادراك - الذنوب والران الجاثم عليه .

كما تشمل تنقية السلوك من الاعمال القبيحة والعادات الرديئة .
وهذا الفصل يدور حول الامر الاول " تنقية القلوب " وهو الاصل والاساس لصلاح السلوك .

هذا وسوف اتكلم على آثار الايمان فى تطهير القلب - مع الاشارة الى علاقة كل أثر بتحسين القلب - فى عدة مباحث على النحو التالى :-

- المبحث الاول : أثره فى تطهير القلب من العقائد الباطلة والظنون السيئة .
- المبحث الثانى : أثره فى تطهير القلب من الران ودرن المعاصى .
- المبحث الثالث : أثره فى تطهير القلب من العواطف الفاسدة .

والى المبحث الاول من هذا الفصل بحالله التوفيق ...

المبحث الاول : أثر الايمان في تطهير القلوب من العقائد الباطلة والظنون

السيئة .

كل انسان يحمل في قلبه عقائد ومفاهيم تخصه عن مختلف القضايا التي يتوجه اليها اهتمام الناس . استقى هذه المعلومات من مصادر مختلفة أهمها : كتب ورجال ملته ، وعن طريق والديه ومجتمعه . كما ان للقصاص والاساطير التي غالبا ماتنتشر بين الناس أثرافى تكوين ذلك . وفي وقتنا الحاضر تحتل وسائل الاعلام مكانة عظيمة كموجه ومؤثر على الفكر ، وتكوين العقائد والمفاهيم .

وهي هذا فالخطوة الاولى التي يعنى بها الاسلام هي تنقية وتطهير قلوب معتنقيه ، من العقائد والظنون السيئة الموروثه لديهم . ويتم ذلك بتعليمهم الحق ، وبيان الباطل ودحضه في جميع المطالب الاساسية التي تشتاق قلوب العباد لمعرفة ، والتي لا بد منها لحصول الهداية للبشر . كمعرفة الخالق تبارك وتعالى ، واصل الانسان ، ودوره في الحياة والحكمة من خلقه ، ومصيره ومايكون بعد الموت ، وحق خالقه عليه ، وغير ذلك من الامور الغيبية : كالملائكة ، والكتب المنزله ، ورسول الله الى البشر ، واليوم الآخر ، والقدر .

ومن أجل ترسيخ هذه المفاهيم المصلحة للقلب لا بد من تطهيره من ضدها .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

" قبول المحل لمايوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده ، وهذا كما انه فسي الذوات والاعيان فكذلك في الاعتقادات والارادات فاذا كان القلب ممتلئا بالباطل اعتقادا ومحبة لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع" (١)

(١) الفوائد لابن القيم ، ص ٤٣ ، دار الفنايس ، بيروت ، ط السابعه ١٤٠٦ هـ .

وقد أكد - سبحانه - هذا المعنى بقوله :
" فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ " (١)

فقدم - سبحانه - الكفر بالطاغوت على الايمان بالله تنبيها الى وجوب تخلية القلب من الضد . فلا يصح ايمان بالله وايمان بشئ من الطواغيت ، كما لا يكتفى برآة من الطاغوت بدون ايمان بالله . فلا بد من تطهير تصاحبه تزكية .

قال ابن جرير - رحمه الله - فى تفسير الآية :

" فتأويل الكلام اذا : فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به ويؤمن بالله ، يقول : ويصدق بالله انه الهه وربه ومعبوده ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، يقول : فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه . " (٢)

وهكذا فى جميع المطالب الالهية فانه يجب على المسلم أن يتبرأ ممن الباطل فوراً انكشافه له ويلتزم الحق .

والمؤجر الأهم فى تحقيق هذا المطلب هو العلم المستقى من كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم ان العلم هو المؤسس والمغذى - باذن الله - للعقائد والعواطف . وعلى هذا فلا يتصور ايمان بلا علم . ذلك أن الايمان هو علم صدقه القلب وقبله وانقاد لموجبه ، الا انه قد يوجد علم بلا ايمان .

وقد بين الله - تعالى - فى كتابه الكريم أثر العلم فى اخراج الناس من ظلمات الضلال وتطهيرهم منها فى مواضع عديدة منها :

قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ " (٣)

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "

(٢) تفسير ابن جرير ج ٣ / ١٩

(١) سورة " البقرة " ٢٥٦

(٣) سورة " الجمعة " ٢ .

فدلت الآية على ان خروجهم من الضلال المبين كان ببعثة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - الذى يعلمهم الكتاب والحكمة . ومقدر حظهم من الكتاب والسنة يكون انفصالهم عن الضلال . والعكس صحيح ، اى انهم كلما ابتعدوا عن الكتاب والحكمة رجعوا الى الضلال المبين بقدر ذلك الابتعاد .

ومن ذلك قوله تعالى : " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ " (١)

فارسال الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الكتاب العظيم المشتمل على العلم الصحيح والطريق القويم ، انما هو لاجراجهن من الكفر ودواعيه ، وادخالهم فى الايمان وشرائعه . واعظم ظلمات الكفر هى عقائده الباطلة النجسة والظنون السيئة القائمة فى قلوب أهله .

وقد احكم الله آياته وبينها بيانا واضحا بالادلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والخطاب الواضح لحلاء الحق وكشف زيف الباطل . قال تبارك وتعالى : " هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ؕ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ " (٢)

وقال تعالى : " قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (٣)

فدلت هذه الآية على اميرها فى مجال التطهير منها :

١ - ان الذين ينتفعون بالعلم الذى جاء فى كتاب الله وعلى لسان رسوله

- صلى الله عليه وسلم - فيحصل لهم اثره فى التطهير والتزكية هم

المؤمنون الذين اتبعوا رضوان الله ، فهم الذين تحقق لهم نفعه ، كما قال

(٢) سورة " الحديد " ٩

(١) سورة " ابراهيم " ١

(٣) سورة " المائدة " ١٦

تعالى : " **الَّذِي كَتَبَ لَارِبِّهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** " (١)

اما سائر الناس فان الوحي هو سبيل هدايتهم كما قال تعالى :
" **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ**
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ " (٢)
لكن تحقق الهدايه يتم للمتقين الذين اتبعوا رضوان الله .

٢ - دلت الآية على ان العلم المستقى من الوحي المطهر هو السبب الأهم
فى هداية المؤمنين ، واخراجهم من الظلمات الى النور ، دل على
ذلك قوله " **يهدى به الله ...** " الآية . فبالقرآن يهدى الله عباده المؤمنين -
ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى صراطه المستقيم .
٣ - ان تأثير العلم فيمن اتبع رضوان الله شامل لتطهيرهم باخراجهم
من الظلمات وابعادهم عن الضلالات ، كما هو شامل لادخالهم فى
النور بتزكيتهم وهدايتهم الى سبل السلام ، والصراط المستقيم .
فالنور والكتاب مؤثر فى التطهير والتزكية . فالله تعالى عند ما يذكر
اخراجهم من الظلمات يقرن بها ادخالهم فى النور . ما يدل على ان -
التطهير من الظلمات لا يكفى بدون الدخول فى النور ، كما ان التزكية
لا تتم بدون التطهير . كما دلت الاية على ان الطريق اليها يكون بالعلم
المستمد من الكتاب والسنة والعمل به .

هذا يتبين ان بداية الاهتداء تكون بتطهير القلب من العقائد الفاسدة
والظنون السيئة وما يتبع ذلك من النجاسات والعواطف ، وتبين ان العلم هو
المؤثر الأهم لتحقيق هذا الغرض .

والعلم الذى يتم به حصول المراد هو علم التوحيد المتعلق بمعرفة الله
باسمائه وصفاته وافعاله وحقه على عباده . والذى يتحصل عليه الصائم

(١) سورة " البقرة " ٢٤١ .

(٢) سورة " البقرة " ١٨٥ .

بدراسة ماورد فى القرآن الكرم واحاديث خاتم المرسلين - صلى الله عليه وسلم ، وفق منهج السلف الصالح ، بعيدا عن مناهج المتكلمين ، -
او الفلاسفة الضالين ، والمتصوفة المبتدعين .
والرجوع الى القرآن العظيم وسنة النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم -
وواقع دعوته ، نجد انها تولى أهمية بالغة وناية خاصة بازالة ماعلق
فى قلوب الناس من مفاهيم وعقائد وظنون خاطئة وذلك بالتركيز على تجلية
اسماء الله وصفاته وافعاله وحكمته وقدره وحقه على عباده ، والرد على من
اثبت خلاف الحق فى ذلك . جهذه التجلييه والبيان الواضح والرد الحاسم
ينفك المسلم عن الطاغوت وكل مايمت اليه بصله ، ويستمسك بالامان وكل مايتصل
به .

والخلل فى معرفة الخالق تبارك وتعالى ، او حكمته وقدره ، او حقه على
عباده ، يوجد سوء ظن بالله يتناسب مع هذا الخلل . سواء كان بجهل
تلك الاسماء ، وما تدل عليه من الصفات ، او جهل بعض تفاصيل القدر وتوحيد
الالهية ، او كان بفهمها فيما يخالف الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة .

والظن السىء دافع الى الفعل السىء ، فقطع ذلك الظن قطع
لارادات الشر وخواطره من القلب ، والتي ينفذ من خلالها الشيطان
لاضلال الانسان .

وكل جهل اضلال فى معرفة اسم من اسماء الله وما يتضمن من الصفة
يتولد عنه ظن سىء ينعكس اثره على سلوك الفرد . ومن امثلة ذلك ماقصه
الله علينا من حال فريسق من الناس حصل فى قلوبهم خلل فى اثبات صفة

العلم لله تعالى تولد عنه ظن سىء وعمل خبيث ، قال تعالى :
" وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ اَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا ابْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ اَنْ
اللَّهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ اَرَدْتُمْ فَاَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ

قال ابن جرير - رحمه الله - فى تأويل هذه الآية :
" يقول تعالى ذكره : وهذا الذى كان منكم فى الدنيا من ظنكم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح اعمالكم وسامياتها ، وهو ظنكم الذى
ظننتم بربكم فى الدنيا ارداكم ، يعنى اهلككم " (١)

فدلت الآية على ان الظن السىء ناتج عن خلل فى معرفة توحيد الاسماء
والصفات . وأثر ذلك على السلوك .

كما دلت على امر آخر له صلة وثيقة بهذا البحث ، هو ان الظن السىء
يتسبب فى هلاك صاحبه . فهو شجرة فى قلبه يتسلل منها الشياطين لافساد
يهوديته وتوحيده . وتطهير القلب من هذه الظنون الفاسدة المرديئة
لازم لبقاء حصن القلب منيعا قويا صامدا .

وقال تعالى : " ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً
مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ " (٢)

قال ابن القيم - رحمه الله - حول هذه الآية :
" . . . واخر ان من لم يصبه ذلك النعاس ، فهو من أهمته نفسه لاديينه
ولانهيه ولا أصحابه ، وانهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . وقد
فسر هذا الظن الذى لا يليق بالله ، بانه سبحانه لا ينصر رسوله ، وان امره
سيضمحل ، وانه يسلمه للقتل . وقد فسر بظنهم أن ما اصابهم لم يكن بقضائه
وقدره ، ولا حكمة له فيه ، ففسر بانكار الحكمة ، وانكار القدر ، وانكار ان يتم
امر رسوله ويظهره على الدين كله ، وهذا هو ظن السوء الذى ظنه المنافقون

(١) جامع البيان لابن جرير ، ١٠٩ / ٢٤

(٢) سورة " ال عمران " ١٥٤

والمشركون به سبحانه وتعالى ، (فى سورة الفتح) حيث يقول : **(وَيُعَذِّبُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنَّ السُّوءِ**
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

ثم بين - رحمه الله - علاقة الظن السيء بالضللال فى توحيد الاسماء والصفات
فقال : " وانما كان هذا ظن السوء ، وظن الجاهلية المنسوب الى أهل الجاهل
وظن غير الحق ، لانه ظن غير ما يليق باسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وذاته
المبرأه من كل عيب وسوء ، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده ، وتفرد به بالربوبية
والالهية ، وما يليق بوعده الصادق الذى لا يخلفه . . . " (٣) ثم قال :
" واكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعلونه -
بغيرهم ، ولا يسلم عن ذلك الامن عرف الله وعرف اسماءه وصفاته ، وعرف
موجب حمده وحكمته . . . " (٤)

واذا كان الانحراف فى توحيد الاسماء والصفات متولداً عن ظن سىء يرب العالمين
فكذلك الانحراف فى توحيد الالهية متولد عن ظن سىء قائم فى قلوب المنحرفين
أشار الى ذلك ربنا - تبارك وتعالى - فى معرض ذكر مجادلة ابراهيم لقومه
حيث قال :

**وَإِن مِّنْ شَيْعَةٍ لَّا يَرْهِيْمَ ۗ إِذْ جَاءَ رَبُّهٖ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ ۗ إِذْ قَالَ
لَأَبِيهِ وَقَوْمِيءِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۗ أَفَكُلٌّ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
ۗ فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ " (٥)**

قال ابن القيم - رحمه الله - مبينا العلاقة بين الظن السيء الناتج عن تعطيل
اسماء الله ، وبين الشرك فى عبادة الله :

- (١) سورة " الفتح " ٦ .
(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد ، لابن القيم الجوزية ج ٣ / ٢٢٨ مؤسسة
الرسالة ، بيروت ، ط ٨ ، ١٤٠٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٢٩ .
(٤) نفس المصدر ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
وقد بسط ابن القيم - رحمه الله - الكلام على هذا الموضوع من ص ٢٢٨ - ٢٣٧
وذكر فوائد جلييلة وجملة من الظنون الفاسدة الناتجة عن المعتقدات
الباطلة والجاهل والضللال فى معرفه اسماء الله وصفاته وقدره وحكمته
تركزت ايراد ذلك لان الغرض من هذا البحث هو معرفة الاثر والمؤثر .
والله موفق . (٥) سورة " الصافات " ٨٣ - ٨٧

فالشرك والتعطيل منبئان على سوء الظن بالله ، ولهذا قال امام
الحنفاء لخصائمه من المشركين : (أَيَفْكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ

فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾) وان كان المعنى : ماظنكم به أن يعاملكم
وجازيكم به ، وقد عبدتم معه غيره ، وجعلتم له أندادا ؟ فأنت تجد تحت
هذا التهديد : ماظننتم بربكم من سوء حتى عبدتم معه غيره . . . (٢) . (٣)

فالله - سبحانه - فى هذا السياق قابل بين سلامة قلب امام الموحدين -
الذى كان به موحدا - وبين ظن قومه المشركين برب العالمين الذى أوقعهم
فى الشرك . مما يدل على أهمية تطهير القلب وسلامته من العقائد الباطلة
والظنون الفاسدة ليتزكى بعد ذلك بالتوحيد .

وعلى هذا فالضلال فى معرفة توحيد الاسماء والصفات هو السبب فى
تولد الظنون السيئة الباعثة على الوقوع فى الشرك والسلوك المنحرف .

وإذا تبين أهمية التطهير ووجوب البدء به ، وان ذلك مطلوب فى كل
زمان ومن كل انسان لشدة الضلال وتنوعه وانتشاره فى كافة اجناس البشر
وقست البعثة النبوية بعدها ، تبين بوضوح الحكمة من العناية العظيمة بمسائل
الايمان ، وتكرارها فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث المصطفى - صلى
الله عليه وسلم - .

فمعرفة الله هى اساس الهداية ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه
الله - . (٤) . والهداية بمعناها الاشمل الذى يعنى الرشد والسداد فى كل

(١) هذا التفسير هو المشهور الذى عليه معظم المفسرين .

انظر : جامع البيان لابن جرير ح ٧٠ / ٢٣ .

(٢) ذكر هذا التفسير ايضا : القرطبي فى الجامع لاحكام القرآن ح ٩٢ / ١٥ ، واهى
السعود فى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ح ٥٤١ / ٤ .
والشيخ عبد الرحمن السعدى فى تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كرام
العنان ح ٣٨٦ / ٦ .

(٣) افاتة اللفهان ح ١٠١ / ١ .

(٤) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ، ص ٥ .

نشاط انساني . فمرجع ذلك كله الى معرفة الله معرفة صحيحة، والعمل بموجب تلك المعرفة . وكلما كان في معرفة الله خلل عند الفرد أو الجماعة كان في سلوكها وهدايتها خلل بقدره . فهناك تلازم وثيق بين الاعتقاد وبين السلوك البشري فصلاح وهداية النشاط البشري عائد الى صلاح الاعتقاد وفساده راجع الى فساد .

والحقيقة المرة التي يجب على كل مخلص يهتم بأمور المسلمين أن يدركها ويعترف بها هي ان المنتسبين الى الاسلام اليوم بأشد الحاجة الى عملية التطهير . وذلك ان عقائد المسلمين وعباداتهم قد شابتها الاكدار ←

واستحكمت فيها الانحرافات ، وابتعدوا على مستويات مختلفة عما كان عليه
النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام - في جميع قضايا الدين
وأشد ذلك خطرا الانحراف فيما يتعلق بتوحيد الاسماء والصفات وتوحيد
الالهية والقدر وسائر مباحث العقيدة الاسلامية .

فقد اهلقت أهم قضية قررها القرآن ودعا اليها النبي - صلى الله
عليه وسلم - الا وهي تطهير الاعتقاد ، وتأسيس التوحيد في قلوب العباد
على اساس معرفة الله باسمائه وصفاته ، واخراج ما يضاف ذلك من العقائد
الباطلة والظنون السيئة ، ثم عبادته تعالى وحده عن علم به وبحقسه ،
فلا يصرف شئ مما تفرد به - سبحانه من الافعال والصفات لغيره . ولا يحرف
شئ مما وصف به نفسه تبارك وتعالى الى غير مراده . كما لا يُقصد بشئ مما تفرد
به من الطاعات اى مخلوق ايا كان .

فقلَّ ان يوجد في مناهج الدعاة والجماعات المعاصرة الدعوة السليمة
تصفيه الفكر الاسلامي من المناهج المبتدعة ، والعلوم الزائفة الدخيلة ، والى
تنقية القلوب من العقائد الباطلة والظنون السيئة ، والى ترك العبادات
المبتدعة الناتجة عن تلك المناهج ، والى ازالة مظاهر الانحراف والشرك من
المساجد والمشاهد التي كثر في بلاد المسلمين .

الا ان الساحة الاسلامية لم تخل - والحمد لله - من القائمين بدين الله
الداعين الى ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام
وسلف الامم الصالح - . مبتدئين بالدعوة الى تطهير الاعتقاد وتطهير
الفكر والسلوك وكل ما ادى اليه اونتج عنه . ملتزمين بأخذ العلوم من منابعها
الصافية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - وفهم السلف الصالح

وقال ايضا :

" واصل هذا كله ان القلب كلما كان ابعد من الله كانت الآفات اليه
أسرع وكلما كان أقرب من الله بعدت عنه الآفات. والبعد من الله مراتب
بعضها أشد من بعض ، فالغفلة تبعد العبد عن الله ، وبعد المعصية
اعظم من بعد الغفلة ، وبعد البدعة اعظم من بعد المعصية . وبعد النفاق والشرك
اعظم من ذلك كله " (١)

٢ - تظلم القلب :

وذلك ان الران اذا زاد فى القلب حجب بصيرته واطعف وظيفة التعقل
فيظلم قلبه ويسير فى الحياة بلا نور يتخبط فى الظلمات ومنها الافكار الهدامة
التي تحيط به من كل اتجاه ويروج لها كل شيطان .

قال ابن القيم - رحمه الله - فى بيان بعض آثار المعاصى على قلب
العاصى : " يجد ظلمة فى قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل
فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره ، فان الطاعة نور والمعصية
ظلمة ، وكلما قويت ازدادت حيرته حتى يقع فى البدع والضلالات والامور المهلكة
وهو لا يشعر . . . " (٢)

وقال ابن عباس - رضي الله عنه :-

" ان للحسنة ضياء فى الوجه ، ونورا فى القلب ، وسعة فى الرزق ، وقوة فى
البدن ، ومحبة فى قلوب الخلق ، وان للسيسة سوادا فى الوجه ، وظلمة فى
القلب ، وهنأ فى البدن ، ونقصا فى الرزق ، وخضة فى قلوب الخلق^(٣)
وكما ان المعصية تضعف البصيرة فهى ايضا تضعف التعقل وقد تقدم
ان الايمان له تأثير فى وظيفة التعقل ، وكلما كان الايمان قويا كان العقل
اقوى وارشد ، واذا ضعف الايمان باقتراف المعاصى وزاد الران أضعف هذه
القوة .

(١) المصدر السابق ص ٨٣ .

(٢) (٣) نفس المصدر ص ٥٥

قال ابن القيم - رحمه الله - :

" ان المعاصى تفسد العقل ، فان للعقل نورا ، والمعصية تطفى نور العقل ولاهد ، واذا طفى نوره ضعف ونقص " (١)

٣ - تغذى مادة الشرفى القلب :

ان المعاصى تصرف القلب عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه فلا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالاغذية التى بها حياتة وصلاحة ، فتأثير الذنوب فى القلوب كتأثير الامراض فى الابدان ، بل الذنوب امراض القلوب ولادوا لها الاثر كها . (٢)

فالمعاصى تقسى القلب ، وتقوى العواطف الفاسدة التى هى من موجبات الارادة فيكون القلب مهياً بمافيه من الدوافع للتفاعل مع المفريات الخارجية التى تزين له الشهوات ، وتلبس عليه الشبهات ، وتكون استجابته لها بقدر مافى قلبه من الران والفساد .

وتكرر المعاصى " تكرر الممارسة " لمعصية ما يسبب فيها او ما يسمى " العاطفة المستقرة " (٣) التى تجعل الانسان يمارسها اشباعا لهذه العاطفة حتى ولو لم يلتذ بها . وكذلك الطاعات مع تكرر الممارسة تكون عواطف مستقرة . اشار الى ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله :-

" ومنها ان المعاصى تزرع امثالها ، وتولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها كما قال بعض السلف : ان من عقوبة السيئة

(١) المصدر السابق ص ٦١ .

(٢) انظر: نفس المصدر ص ٨٠ .

(٣) تقدم الكلام على العواطف المستقرة ص (٣٥) .

السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فالعبد اذا عمل حسنة
قالت اخرى الى جنبها اعطيت ايضا فاذا عملت قالت الثانية كذلك وهلم جرا ،
فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات ، وكذلك كانت السيئات ايضا حتى تصير
الطاعات والمعاصي هيئات - راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة ، فلو عطل
المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت . . . حتى
يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت
عليه نفسه وضاقت صدره واعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا
من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها . . . " (١)

والعواطف المستقرة المتوجهة الى حب المعاصي مخالفة للفطرة وذلك
ينتج عنها قلق وخوف يلازم القلب ، يقوى بقوه تلك العواطف ويضعف
بضعفها .

والقلق والخوف من اقوى الموجهات القلبية الى الجنوح الى العديس
من العادات والاعمال التي يصطاد بها المروجون للأفكار الهدامة . واذا كان
القلق ناتجا عن شبهة ثارت في القلب لضعف اليقين كان دافعا الى الخوض
في المناهج المخالفة للحق طلبا لليقين . وسيأتى تفصيل ذلك عند الكلام
على اثر الايمان في طمأنينة القلب في الفصل القادم - ان شاء الله - .

وخلصه ماتقدم ان المعاصي تحدث اثرا عظيما في القلب ، ينتج عنه بعد
العاصي عن الله ، ويغشى الران القلب فيظلم وتضعف بصيرته وتعقلبه
كما تزداد فيه مادة الشر ، وتتوجه الارادات اليه ، وذلك تنهد الاسوار

(١) المصدر السابق ص ٥٧ ، ٥٨

المنيعّة التي كانت تحوط القلب وتحصنه من مخططات وساوس شياطين
الانس والجن ، هل يكون مقبلا عليها طالبا لها بقدر ما فيه من الشر والظلمه .

وحيث ان كل بنى آدم خاطؤون ، ونظرا لخطورة المعاصى على القلوب
- كما تقدم - فقد أوجد الله المخرج من ذلك ويسره ، حيث أوجد اسبابا
لتكفير الذنوب وتطهير القلوب من آثارها وهذا من عظيم رحمته بعباده وله
الحمد والمنه .

وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الاثر للذنوب فى تدنيس
القلوب ، وكيف يتم تطهيرها منه بقوله :

" ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع
واستغفر وتاب سقل قلبه ^(١) ، وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه . وهو

الران الذى ذكر الله (١) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٢) (٣)

فبين - صلى الله عليه وسلم - أن المعاصى سبب لحصول الظلمة
والران فى القلب ، والتوبة والاستغفار وعدم الاستمرار على الذنب سبب
لجلائها وزوالها وتطهير القلب من آثارها .

ومكبرات الذنوب - من فضل الله - كثيرة جدا ، هل ان كل الاعمال
الصالحة مكبرات للذنوب ، الا ان اثر بعضها اقوى واشمل من بعض .
وسوف اذكر باختصار اهم تلك المكبرات .

فمن اعظم اسباب تكبير الذنوب وتطهير القلوب من آثارها التوحيد
قال ابن رجب - رحمه الله - :

(١) سَقِلَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، وفى رواية الامام احمد صقل ، السنن
٢٩٧/٢ ، قال فى القاموس : السقل : الصقل ، وقال : صقله اى جللاه .
القاموس المحيط ط مؤسسة الحلبي وشركاه ح / ٣ / ٣٩٦ ، ح / ٤ / ٢
(٢) سورة " المطففين " ١٤
(٣) الحديث تقدم تخرجه ص (٢١٤)

" من اسباب المغفرة التوحيد وهو السبب الاعظم ، فمن فقداه فقد المغفرة ،
ومن جاء به فقد أتى باعظم اسباب المغفرة
فان كل توحيد العبد واخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه
وجوارحه ، اهتبطه ولسانه عند الموت ، اوجب ذلك مغفرة ماسلف من الذنوب
كلها ومنعه من دخول النار بالكلمة ، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه اخرجت
منه كل ماسوى الله محبة وتعظيمها واجلالا ومهابة وخشية ورجاء وتوكلا ، وحينئذ
تحرق ذنوبه وغطاياها كلها ولو كانت مثل زبد البحر . وربما قلبتها حسنة . . .
فان هذا التوحيد هو الاكبر الاعظم . فلو وضع ذره منه على جبال الذنوب
والخطايا لقلبها لحسنات . " (١)

قوله - رحمه الله - في حق التوحيد :

" فمن فقداه فقد المغفرة . ومن جاء به فقد أتى باعظم اسباب المغفرة "
مفاده ان لاحظ لغير الموحد في رحمه الله الموجبة لمغفرة الذنوب ، والنجاة
من العذاب ودخول الجنة . وذلك ان الشرك يعمل عملا يضاد عمل التوحيد .
فالتوحيد يكسر السيئات والشرك يحبط الحسنات . كما قال تعالى :

" وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن

أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (٢)

فالتوحيد هو الشرط الاساسى لانقاع العبد باعماله الصالحة في مجال تكفير
الذنوب وغيره . والتوسل به هو ابرك التوسلات النافعة في حصول المغفرة
واستجابة الدعاء . لذلك توسل به ذوالنون - عليه السلام - وهو في تلك الشدة

الرهيبية كما اخبرنا الله عنه بقوله : " وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ

فَكَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾

فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُثَبِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ " (٣)

(٢) سورة " الزمر " ٦٥

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٧٤ .

(٣) سورة " الانبياء " ٨٢ ، ٨٨

ومن اجل ذلك كانت افضل صيغ الاستغفار تشمل على الاقرار بالتوحيد
بالنطق بالشهادة كفاي دعاء سيد الاستغفار الذي طمناه النبي - صلى الله
عليه وسلم - بقوله :

" سيد الاستغفار أن يقول : اللهم انت ربي لا اله الا انت ، خلقتني وانسا
على عهدك ووعدك ما استطعت ، اعوذ بك من شر ما صنعت ، ابوء لك بنعمتك
علي ، وابوء لك بذنبي ، افرلني فانه لا يغفر الذنوب الا انت " (١)

ومن المكبرات التسه والاستغفار قال تعالى :

" إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَالْأَمَانَ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾ " (٢)

وقال :

" وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَأَلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلٰى
مَآفَعِلُوْا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ " (٣)

ومن المكبرات الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان والحج . قال الله تعالى :

" وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ
الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ " (٤)

(١) رواه البخارى ، كتاب الدعوات ، باب افضل الاستغفار ، رقم الحديث
(٦٣٠٦) الصحيح مع الفتح - ٩٧/١١ .

(٢) سورة " الفرقان " ٢٠ .

(٣) سورة " آل عمران " ١٣٥ .

(٤) سورة " هود " ١١٤ .

وقال صلى الله عليه وسلم : " أرايتم لو أن نهرا بهاب احدكم يفتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء " ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا" (١)

وقال عليه الصلاة والسلام : " من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه " (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : (الصلوات الخمس ، والجمعة السببية الجمعة ، ورمضان الى رمضان مكبرات ما يهنهن اذا اجتنبت الكبائر " (٣)

وقال - صلى الله عليه وسلم - في الحج : " من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " (٤)

ولا يقتصر تكفير الذنوب على الفرائض بل يشمل النوافل ايضا .

قال - صلى الله عليه وسلم - : " الا أدلكم على ما يحواله به الخطايا يرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط " (٥)

-
- (١) متفق عليه - البخارى : كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلوات الخمس لقارة ، رقم (٥٢٨) ، الصحيح مع الفتح ح ١١ / ٢ . وسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المشى الى الصلاة تحمى به الخطايا . . رقم (٦٦٧) ، ح ٤٦٢ / ١ .
- (٢) متفق عليه : البخارى : كتاب الايمان ، باب قيام ليلة القدر احتسابا من الايمان باب صوم رمضان احتسابا من الايمان ، رقم (٣٨ / ٣٥) الصحيح مع الفتح ح / ٩٢ ، ٩١ . وسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب التعزيب فى قيام رمضان رقم (٧٦٠) ح ٥٢٤ / ١ . واللفظ له .
- (٣) ورواه مسلم . كتاب الطهارة . باب الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة مكبرات ما يهنهن رقم (٢٣٣) ح ٢٠٩ / ١ .
- (٤) متفق عليه . البخارى : الحج ، باب فضل الحج المبرور . رقم (١٥٢١) - الصحيح مع الفتح ح ٣٨٢ / ٣ وسلم : كتاب الحج باب نضل الحج والعمرة رقم (١٣٥٠) ح ٩٨٤ / ٢ .
- (٥) رواه مسلم فى كتاب الطهارة ، باب فضل اسباغ الوضوء على المكاره . رقم (٢٥١) ح ٢١٩ / ١

ومن ذلك الذكر . قال - صلى الله عليه وسلم - : " من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت احد أفضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك ، ومن قال سبحان الله وحده فى يوم مائة مرة حطت خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر " (١)

والنصوص الدالة على فضائل الاعمال وتكفيرها للذنوب كثيرة جدا . وليس الغرض الحصر وانما الاشارة الى العناية الله بهذا الامر الذى فيه جلاء القلوب وتطهيرها من ادران الذنوب لتبقى قهوة حصينة من كل فكر خبيث ، متوجهة بارادتها الى الخير .

وهذه الاعمال المكفرة منها ما يكون تكفيره عام لجميع الذنوب ومنها ما يقتصر

على الصفات ، فالكبائر لا بد لها من توبة نصوح . كما قال تعالى :
" وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا " (٢)

(١) متفق عليه . البخارى : كتاب الدعوات ، باب فضل التهليل ، الصحيح مع
الفتح ح ٢٠١ / ١١ ج (٦٤٠٣)
ومسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء رقم
(٢٦٩١) ح ٢٠٧١ / ٤ واللفظ له .

(٢) سورة " الفرقان " ٦٨-٦٩ .

فاشترط التوبة مع الاعمال الصالحة بدل على لزومها لتكفير الكبائر
واكد ذلك - سبحانه - في الآية التي تليها فقال :

" وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا " (١)

اما الصفائح فانها تكفر بالاعمال الصالحة فرائض ونوافل . كما قال - صلى
الله عليه وسلم - :

" الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكبرات ما بينهن
اذا اجتنب الكبائر " (٢)

وما يجدر التنبيه عليه ان هذه الأعمال جميعها لا يحصل منها المقصود
وهو تكفير الذنوب وتطهير القلب من نكدها الا اذا كانت صادرة من موحد ، عالم
بربه ، مخلص قصده باعماله لله وحده . وعطفا عن علم وموافقة لشريعة
النبي - صلى الله عليه وسلم .

وخلاصة هذا المبحث ان تطهير القلب من الران ودرن المعاصي أثر هام
من آثار الايمان يجعل القلب محافظا على سلامته ونوره ، وقوي فيه مادة الخير
ويقلل نوازغ الشر ، ويزيد من صلته بربه . حيث يزال ما يجثم عليه من السران
وكدر المعاصي اولا باول بفعل المكبرات . وذلك بحافظ القلب على درجة عالية
من حب الايمان وكره الكفر والفسوق والعصيان . فلا يميل الى الافكار الهدامة
ولا تستهويه . ولو تولد في قلبه شيء منها - مما يلقى الشيطان - او مرضا عليه
شياطين الانس كان فيه من النور ووعي الخير ما يكشفها وحرقها وينفر القلب
منها . والله اعلم .

(١) سورة " الفرقان " . ٧٠ .

(٢) رواه مسلم - تقدم تخريجه من (٢٤٧) .

المبحث الثالث : أثر الايمان في تطهير القلب من العواطف الفاسدة .

تقدم بيان أن العواطف تتعلق بالمحبهات والمكروهات^(١) . وعواطف المحبة والكراهة تكون صحيحة اذا توجهت وجهة صحيحة كمحبة الله تعالى ، وكراهية الطاغوت ، وتكون فاسدة اذا اتجهت وجهه فاسدة ، كمحبه الباطل وكراهية الحق .

وقد يكون أصل هذه العواطف صحيحا لكن تتجاوز الحد فتخرج عن صحتها الى مرضها . مثل : حب المال اذا زاد اصبح حرصا مذموما يسيطر على القلب . وكراهية الموت عاطفه جبلت عليها النفوس ، لكن اذا زاد الحد الى الخور والجبين اصبحت عاطفة فاسدة .

ويمكن حصر أهم العواطف الفاسدة التي تقوم في قلوب الناس فتحرف سلوكهم عن الصراط المستقيم فيما يلي :-

- ١ - حب التأله (العبادة) المتوجة لغير الله .
 - ٢ - حب الشهوات المحرمة .
 - ٣ - الحقد والحسد . (وهما مرضان نابعان من عاطفة الكراهة للمحقوق عليه والمحسود وشهوة التشفى منه) .
- ووجود أحد هذه الامراض أو أكثر يكون خلافا في القلب تتسلل منه شياطين الانس والجن . وهو ثغرة في حصن القلب ومقتل عظيم قد يؤدي الى هلاكه .

وسيجرى الكلام في هذا المبحث - ان شاء الله - حول هذه الامراض العاطفية والتي يعود اليها مرض . وينبعث منها كل سلوك سيء مع بيان أثر الايمان في تطهير القلب منها مما يؤدي الى حصانته . وقد افردت لكل منها مطلقا مستقلا .

(١) انظر: مبحث الوظائف القلبية (العواطف) ص (١٩٥)

المطلب الاول : أثر الايمان في تطهير القلب من محبة فير الله .

والمراد محبة العبادة ، التي تجمع بين الحب مع الذل (١) .
وهذه العاطفة متعلقة بالاعتقاد كما تقدم . فان من اعتقد في ذات انها تنفعه
وتجلب له الخير وتدفع عنه الشر ، أحبها . كما انه يكره الشر والباطل واهله .
وعلى هذا فالطريق الى تطهير القلب منها هو تطهيره من العقائد الفاسدة
والظنون السيئة . ويكون ذلك بالعلم المستقى من الوحي كما سبق تقريره في المبحث
الاول من هذا الباب .

وقد أشار الله تعالى الى العلاقة بين الحب والاعتقاد في سورة - البقرة - فبين
سبحانه اولا انه المتفرد بالذات المقدسة التي لا تسامىها ذات اخرى لتفرداها
بصفات الكمال والانفعال الحميدة التي لانقص فيها ، كما بين انه المتفرد وحده
بانه الاله الحق المستحق للعبودية فقال :

(٢)

وَاللَّهُ كُؤِرُ إِلَهٍ وَاحِدٌ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣﴾

فحقه سبحانه لهذا ان يحب ويعبد ولا يشرك به . ومع ذلك أقام الادلة
القاطعة المهيبة لما تقدم ، والمبينة لنعمه وافضاله على عباده التي سخرها لهم
على الارض ، والتي هي دافع آخر لمحبه وحده . فهو محبوب لذاته الكريمسة
المقدسة ، ومحبوب لانه المنعم المتفضل فقال :

(١) مجموع الفتاوى ح ١٠ / ٢٠

(٢) سورة - البقرة - ١٦٣ .

" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ " (١)

ومع ان هذا العلم الواصل لهم عن طريق رسله بأنه ربهم والهيم لارب لهم
سواه . وهذه الآيات البينات الشاهدات على ذلك مما يستدعى محبته وحده
مع ذلك كله يوجد من يحب غيره لعدم قيام موجب ذلك العلم بقلبه . اما المؤمنون
الذين شربست قلوبهم موجب هذا العلم فانهم أشد حبا لله قال تعالى :

" وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ " (٢)

وقد ذكر الله عباده في كثير من الآيات بنعمه والآلاء عليهم ، وكرر ذلك في كثير
من السور ، مع بيان الأدلة والبراهين على تفردده بذلك وعجز غيره عن احداث -
شيء من تلك النعم لو حبسها الله عن عبادة .

والحكمة من ذلك - والله اعلم - أن يستثير عواطفهم لمحبهه والتعلق به
سبحانه ، وتوحيده والانقياد لطاعته .

فاذا آمن العبد بالله واستشعر قلبه معاني اسماء الله وصفاته وتفردده بالربوبية ،
وعلم ان مابه من نعمه فمن الله وحده وما يرجوه من خير او يدفع شرفه وحده ، وفقه
قلبه تلك العلوم التي تغرسها الآيات البينات في قلوب العباد . عندها يذعن
القلب لله بالحب والخوف . فيتوجه لطاعته يدفعه الحب والأمل والرجاء وهجوم
عن معصيته يردعه الخوف .

(١) سورة " البقرة " ١٦٤ .

(٢) سورة " البقرة " ١٦٥ .

وما أن محبة الله هي أساس التوحيد والعبودية ، فذلك محبة غير الله هي أساس الضلال والكفر . وعلى ذلك فالإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً كقيل بتطهير القلب من محبة غير الله وما يمت اليه بصلة في أي ناحية من النواحي . قال

الله تعالى : **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** **فَضَلَّامِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ** (١)

ومحبة غير الله تابعة للاعتقادات الفاسدة . وزوالها يكون بزوالها . وقد تقدم ان زوال العقائد الباطلة انما يكون بالعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . الذي كشف الباطل وأهله على مختلف احوالهم . واستبان بذلك سبيل المجرمين . فاذا نسفت العقائد الفاسدة ، زال ما يترتب عليها من العواطف . وقد جرى الكلام حول ذلك بمفاهيم الكفايه - ان شاء الله - فلا داعي لتكراره . (٢)

(١) سورة " الحجرات " ٧ ، ٨ .

(٢) انظر صحت : أثر الإيمان في تطهير القلب من العقائد الباطلة والظنون

السيئة . ص (٢٢٦)

المطلب الثاني : أثر الايمان في تطهير القلب من حب الشهوات المحرمة .

الشهوة المحرمة هي . عاطفة مستقرة " تقوم في القلب نحو أمراضار
مخالف للفطرة جاءت الشريعة بتحريمه ، يحن القلب المريض لذلك الامر
وينبعث اليه ويرتاح لمزاولته وملاهيته ، ويزيد مرضه بتلك المزاولة والممارسة
وتقوى تعلقه به .

وقد تقوى العاطفة حتى تصبح " عاطفة سائدة " تستولى على القلب
وتتحكم به فتسميته .

وهذه العواطف الجانحة المتوجهة الى امور مذمومة هي ماقلب عليه
اسم الهوى .

واذا سيطر الهوى على القلب أمرضه اواماته وينافسه ويضاده العقل
الذى هو ماعظه القلب من العلوم النافعة والعقائد الصحيحة من معرفه الحق
والخير ، ومايضاده من الباطل والشر . فاذا كانت السيطرة للعقل على العواطف
والارادات كان ذلك سبب صلاح القلب ومادة حياته .

واذا سيطر احدهما اضعف الآخر وقل انبعث القلب لموجبه . فهمسا
يتجادبان القلب المريض الذى فيه ايمان ومرض . أما القلب الميت فقد استحکم
فيه الهوى . والقلب السليم قد سيطر فيه الايمان والعقل .

فلا يوجد الايمان وثمر الا اذا جاهد نفسه في تطهيرها من هواها وزجرها عنسه
قال تعالى : " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٢﴾ " (١)
قال ابن القيم - رحمه الله - بعد أن ذكر حال عباد الله المؤمنين الذين شمروا
لدار النعيم .

(١) سورة " النازعات " . ٤٠ ، ٤١

" وهذا ثمرة العقل الذى به عرف الله سبحانه وتعالى واسماؤه وصفات كماله ونعوت جلاله ، وه آمن المؤمنون بكتبه ورسله ولقائه وملائكته ، وه عرفت آيات ربهيته وأدلة وحدانيته ومعجزات رسله ، وه امتثلت اوامره واجتنبت نواهيه وه الذى تلمح العواقب فراقبها ، وعمل بمقتضى مصالحها ، وقاوم الهوى فسرده جيشه مغلولاً ، وساعد الصبر حتى ظفر به بعد ان كان بسهامه مقتولاً ، وحسث على الفضائل ونهى عن الرذائل (١)

واذا قوى الهوى واستحكم فان العاطفة عندئذ تكون سائدة فيكون لها السلطان الاقوى على ارادات القلب وهواطفه ، هل وتعقله . فيصبح هذا الهوى موجها لقلبه له بوالى عليه يعادى ، وله يفعل ويشور ، ولا امره يأتمر ولنهيته ينتهى ، فيكون ذلك المحبوب الذى توجهت له تلك العاطفة ندا لله بحبه الحب الذى لا ينهض الا لله ، فقد اتخذ الهامن دون الله .

قال تعالى :

" أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ " (١)

والشهوة ركبها الله فى طبيعة الناس . قال تعالى :

" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ " (٢)

وجعل الله العقل للانسان ، وانزل اليه العلم لتنظيم الشهوات ووضعها

فى مكانها المناسب واستخدمها بالقدر المناسب . فقد أحل الله له ما يناسبه

ويحصل له به السكن والطمانينة ويعود عليه بالخير والصلاح فى نفسه ومجتمعه .

وحرم عليه الضار الفسدى الذى يهلكه ويسبب له التعاسة فى نفسه ومجتمعه .

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن القيم الجوزية ، ص ٧ ، دار البازللطباعة والنشر ، مكة المكرمة .

(٢) سورة " الفرقان " ٤٣ . سورة " ال عمران " ١٤

قال ابن القيم - رحمه الله - :

" واذا كانت الدولة للعقل سالمه الهوى ، وكان من خدمه واتباعه
كما ان الدولة اذا كانت للهوى ، صار العقل فى يديه ، محكوما عليه . ولما
كان العبد لا ينفك عن الهوى مادام حيا - فان هواه لازم له - كان له الامر
بخروجه عن الهوى بالكلية كالممتنع ، ولكن المقدر له والمأمور به ان يصرف
هواه عن مراتع الهلكة الى مواطن الامن والسلامة . . فما حرم الله على عبادة
شيئا الا عوضهم خيرا منه ، كما حرم عليهم الاستقسام بالالزام وعوضهم عنه
دعاء الاستغارة ، وحرم عليهم الربا وعوضهم منه التجارة الرابحة . وحرم
عليهم القمار واعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة فى الدين بالخيل
والاهل والسهام ، وحرم عليهم الحرير واعاضهم منه انواع الملابس الفاخرة
من الصوف والكتان والقطن ، وحرم عليهم الزنا واللواط واعاضهم منها بالنكاح
والتسرى بصنوف النساء الحسان ، وحرم عليهم شرب السكر واعاضهم
منه بالاشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن ، وحرم عليهم سماع آلات اللهو
والمثاني^(١) ، واعاضهم عنها بسماع القرآن والسبع المثاني ، وحرم عليهم
الخبثات من المطاعم ، واعاضهم عنها بالمطاعم الطيبة . ومن تلح هذا
وتأمله هان عليه ترك الهوى المردي واعتاض عنه بالنافع المجدي ، وعرف حكمة
الله ورحمته وتما نعمته على عباده فيما امرهم به ونهاهم عنه وفيما اباحه
لهم ، وأنه لم يأمرهم بما امرهم به حاجة منه لهم ، ولأنهاهم عنه بخلا
منه تعالى عليهم ، بل أمرهم بما امرهم احسانا منه ورحمه ، ونهاهم عنه
صيانة لهم وحمية"^(٢)

(١) المثاني : جمع " ثنى " وهو اسم للوتر الثانى من اوتار آلة اللهبو التى تسمى
العود . انظر : لسان العرب لابن منظور ج ١٤ / ١٢٠ ، مادة " ثنى " .

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ١٢

العواطف الفاسدة المنسرة في القلب :

وقبل ان اتكلم عن أثر الايمان في تطهير القلب من سلطان الهوى والعواطف الرديئة الكامنة فيه ، أذكر بعض النصوص التي تدل على ان العواطف الفاسدة والشهوات المحرمة شجرة في حصن القلب تردي صاحبها ، ويتسلل من خلالها الشيطان لاهلاك الانسان . وقد يقع الانسان في المبالك بسبب جريانه لاشباع شهوة من هذه الشهوات . حيث ان الشهوات هي اصول المعاصي والدافع اليها . وهي تختطف عن الران الناتج عن المعاصي ، فان الشهوة تسبق الفعل وهي صفة لازمة ، اما الران فهو أثر المعصية وناتج عنها .

فمن هذه النصوص قوله تعالى :

" وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْءَاوِيٖنِ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ ءَأَخٰذًا إِلَى ٱلْءَرْضِ وَٱتَّبَعْهُ هُوَ ءُفْئٰتًا كَمَثَلِ ٱلْءَكْلِ ٱبٍ ٖن تَحْمِيْلِ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ءَوْتَرَكُهُ يَلْهَثُ ءَذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوٓآءِ يٰٓءَايٰتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَءَءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوٓآءِ يٰٓءَايٰتِنَا وَءَنفُسُهُمْ كَانُوٓآءِ يٰظَلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ " (١)

فهذا نبياً عظيماً أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - ان يتلوه على أمته

ويقصه عليهم رجاء ان يتفكروا فيه وينتفعوا به .

وهذا قصة رجل آتاه الله العلم والآيات البينات . وكان حقه

ان يتولاه الله ويزيده هدى ليعمل بموجب ذلك العلم ، كما قال : " يَهْدِي بِهٖ ٱللَّهُ

مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ ... " (٢) لكنه انسلخ من العمل بموجب

(١) سورة " الاعراف " ١٧٥-١٧٧ .

(٢) سورة " المائدة " ١٦ .

تلك الآيات ، واخلد الى الارض ، واتبع هواه ، فتخلى الله عنه وتسلط عليه الشيطان فكان من الغاوين . ففيه اكبر الدلالة على ان اتباع الهوى شفرة نسي القلب يتسلل منها الفسادون .

وهو مثل مضروب لكل من تعلم العلم ووعاه لكنه لم ينتفع به ولم يعمل بموجبه بل اخلد الى متاع من متاع الدنيا وسار خلف شهواته ومانهواه نفسه دون ما يرضى ربه . فهو ملازم لغيره وضلاله حال جهله وحال تعلمه لم ينتفع بالعلم فيترك - النفس . فهو نسي ذلك أشبه الكلب الذي لا ينتفع بالراحة فيترك اللبث فهو ملازم لللبث حال راحته وحال تعبته . اعادنا الله من الخذلان واسبب الضلالة والحرمان .

ومن أخطر العواطف الفاسدة المهلكة الحرص على المال ، والشهوه السي الفاحشه وقد جمعها الرسول صلى الله عليه وسلم محذرا عنهما بقوله :
" أن الدنيا حلوة خضرة ، وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فان أول فتنه بنى اسرائيل في النساء " .

والمطلوب اتقائه من الدنيا هو التعلق بها والركون اليها ، فانه يقود السي الحرص والشح وهو داء قلبي عضال خطير ، ينتج عنه ويتفرع منه كثير من المعاصي وقد يؤدي بصاحبه الى النفاق او الردء .

قال صلى الله عليه وسلم : " ما ذهبان جائعان ارسلنا في فمهما بافسدتهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه (١) "

(١) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء والاستغفار ، باب اكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء ، ح (٢٧٤٢) ح ٢٠٩٨ / ٤ .

(٢) رواه الامام احمد والترمذي وغيرهما ، السنن ٤٥٦ / ٣ ، ٤٦٠ ، سنن كعب بن مالك . ورواه الترمذي . كتاب الزهد ح (٢٣٧٦) ح ٥٨٨ / ٤ - وقال : " هذا حديث حسن صحيح " وللهديث شواهد ذكرها الهيثمي نسي مجمع الزوائد وحكم على كل منها . ح ٢٥ / ١٠ .
وصححه الالباني في صحيح سنن الترمذي ح ٢٩٠ / ٢ .

والحرص على المال والشرف مرضان قلبيان يجمعهما حب الدنيا والقسوة

والعلو فيها . قال ابن رجب - رحمه الله - :

" وقد تبين بما ذكرنا ان حب المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء حتى لا يبقى منه الا ماشاء الله كما اخبر بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - .

واصل محبة المال والشرف حب الدنيا ، واصل حب الدنيا اتباع الهوى .

قال وهب بن منبه ^(١) : من اتبع الهوى الرغبة في الدنيا ومن الرغبة فيها حب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم .

وهذا كلام حسن ، فان حب المال والشرف يحمل على الرغبة في الدنيا وانما تحصل الرغبة في الدنيا من اتباع الهوى ، لان الهوى داع الى الرغبة في الدنيا وحب المال والشرف فيها ، والتقوى تمنع من اتباع الهوى وتردع عن

حب الدنيا . قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾ ﴾ (٢) . (٣)

وفي هذا الكلام البديع بين الامام ابن رجب ضرر عاطفة حب المال والشرف

على الدين . كما بين اثر الايمان في تطهير القلب منها بقوله :

" والتقوى تمنع من اتباع الهوى وتردع عن حب الدنيا "

والحرص على المال هو شدة محبته الدافعة الى شدة طلبه . ولا شك انه لو

سلم صاحبه من الحرام فانه سيؤدى به الى بعض المخالفات والتجاوزات -

والمواهنات التي تستدرجه شيئا فشيئا فتبعده عن التقوى . مع ما في ذلك

من الغفلة عن طلب العلم والعمل الصالح . وتضييع العمر في جمع حطام زائل

(١) الامام العلامة وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذى كبار الصنعاني أحد التابعين أخذ عن ابن عباس وابي سعيد والنعمان بن بشير وغيرهم توفي سنة عشر ومائة . انظر سير اعلام النبلاء ٤/٤٤٤ ، والبداية والنهاية ٩/٢٨٨ .

(٢) سورة النازعات ٣٧ - ٤١ .

(٣) شرح حديث " ما ذئبان جائعان . . " للحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، تحقيق بدر البدر ، ص ٥٧ ، الدار السلفية ، الكويت ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ .

وحرص لا يغير من قدر الله شيئا .

أما ان تجاوزه الحرص الى الشح الذى يطلب به المال من كل طريق حتى ولو كان محرما . ويمنع حق المال . فان هذه قاصمة الظهر .
قال - صلى الله عليه وسلم - :

" واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا
دماءهم واستحلوا محارمهم " (١)

فالشح الذى هو شدة الحرص على المال يكون عاطفة سائدة اذا استولى على
القلب وسيطر عليه . فيقدم الهم له والعمل من أجله على كل شىء فيصبح الانسان
صدداً للمال يتوجه حينما رجا زيادته ويحجم اذا توقع نقصانه . وهذه عبودية
المال . قال - صلى الله عليه وسلم - :

" تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفه والخميصة ، ان اعطى رضى
وان لم يعط لم يرضى " (٢)

قوله - عليه الصلاة والسلام - : " ان اعطى رضى ، وان لم يعط لم يرض " دليل
على قوة استحكام هذه العاطفة حيث أشرت على انفعالات واعماله القلبية الاخرى
وسلوكة . ولذلك سمي عبدا لما توجهت اليه تلك العاطفة من متاع الدنيا .

والحاصل أن الحرص على المال والشرف الدافع اليه عاطفة فاسدة تقوم فى
القلب . وهى ثغرة فى حصنه يتسلل منها شياطين الانس والجن لافساد الانسان

(١) رواه مسلم . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم الظلم ، ح (٢٥٧٨) ج ٤ / ١٣٣٦ .

(٢) القطيفه هى الثوب الذى له خمل . والخميصة هى الكساء المربع .

انظر : فتح البارى لابن حجر ح ٢٥٤ / ١١

(٣) رواه البخارى . كتاب الجهاد . باب الحراسة فى الغزوى سبيل الله .

ح (٢٨٨٦) ح ٨١ / ٦ . وفى كتاب الرقاق . باب ما يهتقى من فتنه الدنيا

ح (٦٤٣٥) ح ٢٥٣ / ١١

بترويح الافكار الهدامة وغيرها من ضروب الفساد عليه . فكثيرا ما استخدم أئمة الضلال ودعاته المال والمناصب فى ترويح باطلهم . فاذا وجد الدافع القلبي وعرضت المغريات فان انقياده عندئذ يكون سهلا والمعصوم من عصمه الله وعافاه .

قال ابن رجب رحمه الله - فى معرض شرحه لحديث ماذن بن جاعمان - :
" فاخبر النبى - صلى الله عليه وسلم - ان حرص المرء على المال والشرف افساد لدينه ليس بأقل من افساد الذئبين لهذه الغنم بل امان يكون مساويا واما اكثر يشير الى انه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف فى الدنيا الا القليل كما انه لا يسلم من الغنم افساد الذئبين الا القليل ، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف فى الدنيا " (١)

ومن العواطف الفاسدة المهلكة محبة الفاحشة ، وهى ميل القلب الى اشباع غريزة النكاح فى غير ما احل الله . وهى ممرض قلبى .
وقد تكون العاطفة مستقرة ، فتدفعه الى هذا العمل ، ويزاوله كلماتيسر له .

وقد تتوجه العاطفة الى ذات وصورة معينة . ويحب ذلك الشخص كأشدد ما يكون الحب . وهذه عاطفة سائدة تستولى على القلب وتعميه . وتصبح حياة ذلك الانسان بصفتها فاراداته وانفعالاته وحركاته وسكناته خاضعه لها . وذلك تصبح عبودية لغير الله تميل بالقلب عن التوحيد .

قال - صلى الله عليه وسلم - :

(ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء " (٢)

(١) شرح حديث ماذن بن جاعمان ، ص ١١٠ .

(٢) متفق عليه . البخارى ، كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤون المرأة ، ح (٥٠٩٦) الصحيح مع الفتح ح ١٢ / ٨١ . وسلم : كتاب الرقاق ، باب اكثر اهل الجنة الفقراء ٠٠٠٠ ح (٢٧٤١) ، ح ٢٠٩٨ / ٤

ضرر الفواحش المحرمة على القلوب :

ان العواطف الفاسدة المتوجهة نحو الفواحش محبةً وتعلقاً ، تضعف الايمان . وقد تزيله اذا أُشربها القلب . وفي كلا الحالين يفقد العبد ولاية الله التي اختصها للمتقين . كما يفقد حصانته فلا يزال يتردى حتى يهلك . فالفواحش سبيل مظلم نكد . قال الله تعالى :

" وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ " (١)

وقال - صلى الله عليه وسلم - :

" لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن " (٢)

قال ابن القيم - رحمه الله - مبيها الفاسد التي تنتج عن هذه العواطف الفاسدة :

" والزنى يجمع خلال الشرك لهما من قلة الدين وذهاب الورع وفساد المروءة وقلة الغيرة .

ومنها ان الزنى يجروه على قطيعة الرحم ، وحقوق الوالدين ، وكسب الحرام وظلم الخلق ، واضاعة أهل وحياله . وربما قاده قسرا الى سفك الدم الحرام وربما استعان عليه بالسحر والشرك وهو يدري أو لا يدري . فهذه المعصية لا تتم الا بانواع من المعاصي قبلها ومعها . ويتولد عنها انواع أخر من المعاصي بعدها " (٣)

اما محبة فاحشه اللواط فهي أشد خطرا واعظم قبحا ، لما ينتج عنها من عُقم من ابتلى بهما من كل خير ، وقربه من كل شر . ولا يقال أن اللواط طريق للافكار الخبيثة الى قلب متعاطيه فحسب ، بل ان غاية الافكار الهدامة هي ان يكون المسلم بهذا المنحدر . فأهل هذا الفعل مجمع لكل فساد

(١) سورة " الاسراء " ٣٢ .

(٢) متفق عليه : البخارى : كتاب الحدود باب السارق حين يسرق ، ح (٦٧٨٢) الصحيح معالفتح ح ٨١ / ١٢ وسلم : كتاب الايمان باب نقصان الايمان بالمعاصي ٠٠٠ ح (١٠٠) ج ٧٦ / ١ .

(٣) روضة المحبين ٠٠ ص ٣٦٠ .

فكسرى وخلقى وسلوكى . قد جردوا من الخلق والحياء . وجندوا أنفسهم لنشر
بذور الفساد . لذلك كانت عقوبتهم القتل وتخليص البلاد والعباد من شرهم

قال الله تعالى : " وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ " (١)

وقال : " فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ " (٢)

وقال - صلى الله عليه وسلم - :

" ان أخوف ما أخاف على امتى عمل قوم لوط - " (٣)

وما أخاف النبي - صلى الله عليه وسلم - على امته من هذا الداء الخبيث الا لانه
مجمع للشر والفساد . ولا يستمر عليه ويستمره الا من فسد قلبه بالشرك والكفر
والنفاق . لذلك كانت صلته أهل الفاحشة بالشرك وقربهم منه امرًا ظاهرًا يدركه
كل من اطلع على احوالهم ونظر في اقوالهم واشعارهم .

قال ابن القيم - رحمه الله - بينا العلاقة بين محبة الفاحشه والشرك :

" ولكن الزنا واللواط اغلظ من غيرها من النجاسات ، من جهة انها تفسد
القلب ، وتضعف توحيده جدا . ولهذا أحطى الناس بهذه النجاسة اكثرهم
شركا . فكلما كان الشرك فى العبد اغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه اكثر .
وكلما كان اعظم اخلاصا كان منها أبعد كما قال تعالى عن يوسف الصديق :

(١) سورة الاعراف " . ٨١٢٨ . (٢) سورة هود " ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) رواه الامام احمد والترمذى وغيرهما . المسند - ٣ / ٣٨٢ ، مسند جابر بن عبد الله

العمري فى كتاب الحدود باب ماجاء فى اللواطى ح (١٤٨٢) - ٣ / ٩ . ورواه -
الحاكم وقال : " صحيح الاسناد " ووافقه الذهبي . المستدرک - ٤ / ٣٥٧ .

وصححه الالبانى صحيح الجامع الصغير ٢٨ / ٤٤ .

(كذالك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴿١﴾)

فان عشق الصور المحرمة نوع تعبد لها ، بل هو من [أعلى] انواع التعبد ولاسيما اذا استولى على القلب وتمكن منه صارتتيمها . والتقيم : التعبد . فيصير العاشق عابدا للمعشوق . وكثيرا ما يغلب حبه وذكره والشوق اليه ، والسعى في مرضاته ، واثار محابه على حب الله وذكره . والسعى في مرضاته ، بل كثيرا ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية ، فيصير متعلقا بمعشوقه من الصور ، كما هو مشاهد ، فيصير المعشوق هو الهه من دون الله . .

ولهذا كان العشق والشرك متلازمين . وانما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط ومن امرأة العزيز وكانت اذ ذاك مشركة . فكما قوى شرك العبد بلى بعشق الصور . وكما قوى توحيد الله صرف ذلك عنه . . .

فليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين . ولهما خاصية في تعبيد القلب من الله ، فانهما من اعظم الخباياث . فاذا انصبغ القلب بهما بعد ممن هو طيب ، لا يصعد اليه الاطيب وكما ازداد خبثا ازداد من الله بعدا . . . ولما كانت هذه حال الزناكان قربنا للشرك في كتاب الله تعالى قال الله تعالى : (الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾) (٣)

فهذه العاطفة الفاسدة - حب الشهوات - اذا قامت في القلب فسان صاحبها يتهاوى في نوادي الفساد ويقوده شياطين الانس والجن كيفما أرادوا ، ويلبسون عليه دينه . . وقد يستخدمونه لاغراضهم في نشر الافكار المنحرفة والمبادئ الملحدة فكم استخدموا النساء الساقطات ومن تشبه بهن

(١) سورة " يوسف " ٢٤ . (٢) سورة " النور " ٣ .

(٣) افاتة اللهبان . . لابن القيم ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

فى هذا الفرض وماذا لك الا لانهن حبايل بالشيطان ومعاقل الفساد فهن اعظم طعم استعمله المفسدون واقدمه .

فاذا وجدت الفتنة وتيسرت اسبابها ودُعي اليها ، ووافقت فتنة فى القلب

كان التجاوب سريعاً . بين ذلك ربنا بقوله :

(١)

" فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ "

ولاسبيل الى استئصال هذا الداء الا بالايمان بالله والعمل الصالح الذى يوجب ولاية الله ورحمته ، فيخلص برحمته القلب من دائه . كما سيأتى ان شاء الله .

ومن العواطف الفاسدة شهوة شرب الخمر والمسكرات والمخدرات .

ان شرب الخمر والمخدر كثيره من المعاصى ، قد يزاولها الانسان دون تعلق القلب بل حتى دون اى شهوة فى اول الامر ، كأن يشرب مجاملة لرفاقه او بدافع حب الاستطلاع . لكن سرعان ما يألف القلب هذه القاذورات مع تكرار التعاطى حتى يحبها ويتعلق بها . فتقوم فى قلبه عاطفة المحبة المتوجة نحوها .
مذلك تصبح زماما يقاد به الى المهالك .

واضرار الخمر والمخدرات الصحية والدينية والاجتماعية كثيرة جدا . الا ان الذى يهمنى فى هذا البحث هو الاثر الدينى ، المتثل فى اسهام هذا الداء بتسلسل الفكر الخبيث الى صاحبه حتى يصبح العوة بأيدى اعدائه .

قال الدكتور : احمد عطية الغامدى مهنا اضرار المسكرات والمخدرات

الدينية :

" واذا تأملنا النص القرآنى الذى حرم الخمر ، وهو قوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾
إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٩١﴾ " (٢)

(٢) سورة " المائدة " ٩٠ ، ٩١

(١) سورة " الاحزاب " ٣٢ .

لعرفنا هدف الشيطان وغاية كيدته من ايقاع العداوة والبغضاء في صفوف المسلمين بكل الوسائل وكافة الطرق ، الا أن أشدها تأثيرا وتحقيقا لهذا الهدف اغراءهم بادمان الخمر والميسر ، الذي لا يفت تأثيره عند ذلك بل يتعداه الى ما هو أخطر وانكى ، وهو صدهم عن ذكر الله وعن الصلاة . ولا ريب ان للمخدرات التأثير ذاته ، لانه اذا كانت الخمر الخبيثات ، فإن المخدرات أخبت الخبيثات ولها من التأثير ما للخمر وزيادة ، كما قال عنها الامام ابن تيمية - رحمه الله - :

(والخمر توجب الحكة والخصومة ، وهذه توجب الفتور والذلة ، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل ، وفتح باب الشهوة وما توجبه من الديانة ما هي ممن شرالشراب المسكر)^(١) فإى مكيدة اعظم من هذه ، وإى وسيلة لابعاد الانسان عن الخير وابقاعه في حبال الشر ابلغ من هذه الوسيلة ؟

ومكائد الشيطان بين المسلمين ملموسة مشاهدة ، واغراء المسلمين بتعاطي الخمور وما شابهها من المخدرات - التي هي أشع آثارا في هذا المجال منها - كان له أثره السيئ في تفريق كلمة المسلمين وابعادهم عن دينهم ، وفساد عقولهم وذهاب هيبتهم ، وضعف كيانهم وتفكك مجتمعاتهم^(٢) .

بعد الاشارة الى أهم العواطف الفاسدة التي تعود الى مرض الشهوة والتنبيه على أثرها في دفع صاحبها الى الافكار الخبيثة . واضعاف حصن القلب عن التصدي لها ، بعد ذلك ، اصل بعون الله تعالى

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٤٤ / ٢١١

(٢) أشر المخدرات على الامة وسبل الوقاية منها ، د . أحمد عطية الغامدى ضمن مجموعة بحوث في المخدرات ، البحث الثالث ، ص ١٩ ، ٢٠ ، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، ط الاولى ، ١٤١٠ هـ .

الى المقصود وهو بيان أثر الايمان فى تخليص القلب منها واقتلاعها من جذورها وأبداً بذكر أثره فى تطهير القلب من الشح والحرص على المال .

أثر الايمان في تطهير القلب من الشح والحرص على المال .

تقدم ان الشح والبخل سلوك مشين ينتج عن داء^(١) قلبى هو شدة المحبة للمال ، وتعلق القلب به ، والحرص الشديد على جمعه ، والمحافظة عليه فيصبح القلب عابدا للمال متوكلا عليه ، فلا يهون عليه انفاقه .

وقد جعل الله اسبابا لازالة هذا الداء من القلب هذه الاسباب تتعطل في بعض شعب الايمان التى لها أثر عظيم في تطهير القلب من هذا المرض الفسدى .

وأول هذه الاسباب هو التوحيد . فاذا كان الحرص والشح والبخل ناتجا عن سوء ظن بالله ، وضعف التوكل عليه ، وعدم الثقة بوعده بالخلف للمنفقين وقله ايمانه بالقدر وأن الرزق مقوم ميسر لكى حى ، اذا كان كذلك فان تقويته الايمان بدراسة التوحيد وانقياد القلب له كهيئة باجتماع هذا الداء من اصوله .

(١) وسوء الظن بالله - كما تقدم - ناتج من جهل اوضاع فى معانى صفات الله التى تدل عليها اسماءه تبارك وتعالى . وطرد هذا الظن يكون بدراسة توحيد الاسماء والصفات وفق نهج السلف الصالح واستشعار القلب لها . وفى هذا المجال اذا استشعر القلب معانى اسماء الله : الرزاق ، والكريم والمنعم ، ونحوها ، وادرك القلب معانى الآيات التى تدل على أن الرزق بيد الله وحده لا يزيده حرص حريص ، ولا يؤخره حقد حاسد . كقوله تعالى :

(٢) " وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ " .

(١) انظر مبحث : أثر الايمان في تطهير القلب من العقائد الباطنية والظنون السيئة . ص (٢٢٧)

(٢) سورة " الذاريات " ٢٢

وقوله : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ " (١)

ونحوها .

فهذه المعرفة باسماء الله ، ومدلول آياته ، مع ما يشاهده من آثار رحمته من نزول المطر ، وحياة الارض بمختلف الاصناف من الثمار ، وانواع الحيوان الذى سخره الله لاهل الارض رزقا لهم . وكيف هيا للمخلوقات الضعيفة ارزاقها كل ذلك يوجب للقلب محبة الله ، وحسن الظن وتعلق القلب به ، والركون اليه .

وكذلك اذا وقرنى القلب ثقة وتصديق بوعده الله للمتصدقين بالخلقى

والنماء كقوله تعالى :

" وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَّاقِينَ " (٢)

فان ذلك كله يكسر حده الحرص على المال ويصرف القلب عن التعلق به كما يجلب للقلب حسن الظن بالله والثقة بما عنده .

ومن جهة اخرى فان نمو التوكل على الله بصرف القلب عن التوكل والتعلق بالمحال . وذلك أن الانسان انما يحرص على المال رجاء نفعه واتقاء الشر به . واذا قوى يقينه على ربه باستشعار آيات التوحيد التى افاضت فى تقرير هذا المعنى وان الايمان هو السلم والعروة الوثقى للحصول على ولاية الله ومعيته فى الدنيا والآخرة وان كل غير يأمله فى الدنيا والآخرة وكل شر يحاذره انما هو

(١) سورة " الذاريات " ٥٨

(٢) سورة " سبأ " ٣٩ .

بيد الله والسبب الى ذلك هو قوة المله به والتوكل عليه .

بين ذلك بقوله :

(١)

" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٢﴾ "

وقوله تعالى :

(٢) "

" فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَافَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ "

وكذلك الايمان بالقدر بمعرفة ما جاء في بيانه في كتاب الله وسنة رسوله -

صلى الله عليه وسلم - من ان الرزق مقسوم بين العباد ، وأن ارادة العباد

له وحرصهم عليه لا تغير من ارزاقهم شيئا ، وانما عليهم طلب الرزق -

بالاسباب المشروعة والتعلق بالله لاعلى السبب في حصوله ، دون الحصر

الشديد على جمعه قال تعالى :

" مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيْنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٨﴾ " (٣)

وقال :

" وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٤١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٤٢﴾ " (٤)

وقال - صلى الله عليه وسلم : " ان احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما

ثم علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر

(١) سورة " الطلاق " ٣٤٢ . (٢) سورة " الليل " ٥ - ٧ .

(٣) سورة " الاسراء " ١٨ . (٤) سورة " الاسراء " ٢٩ ، ٣٠ .

باربع : برزقه واجله ، وشقى أوسعيد . ثم ينفخ فيه الروح ... الحديث^(١)
فى رواية لمسلم : " ويكتب عمله وأثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف
فلا يزاد فيها ولا ينقص " (٢)

فالإيمان بالقدر وأن ما جرى عليه من الأرزاق وسائر الأحوال بيد الله
عز وجل وأنه سبحانه المانع المعطى ، الضار النافع ، وإن اجتهد الخلق
جميعاً على خلاف إقدار الله فير مجد البتة ، يوجب للعبد توكل على الله
وتعلقاً به ، فيضعف تعلقه بالأسباب ، وذلك يستقيم توحيده وعبوديته ويسلم
قلبه من الآفات الفاسدة . وهذا يتجلى أثر التوحيدى تطهير القلب
من هذا الداء .

أما شعب الإيمان الأخرى كالصلاة والزكاة . . ونحوها ، فلها أثر مهم فى
تخليص القلب من مرض الشح والحرص . أشار إليه ربنا بقوله :

" إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
الْمُصْلِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِیَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى
أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْغَى وَرَاءَهُ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾
﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٥﴾
﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ " (٣)

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى . البخارى : كتاب القدر . الباب الاول ح (٦٥٩٤)
الصحيح مع الفتح ح ٤٧٧/١١ . مسلم : كتاب القدر الباب الاول ، ح
(٢٦٤٣) . ح ٢٠٣٦/٤ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب القدر ، الباب الاول ، ح (٢٦٤٤) ح ٢٠٣٧/٤

(٣) سورة " المعارج " ١٩ - ٣٥

(١) الهلع هو شدة الحرص وقلة الصبر .

وقد فسره الله - تعالى - بقوله :

" اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا "

قال بعض العلماء :

" قد فسره الله ولا تفسير أبين من تفسيره . هو الذى اذا ناله شر اظهر

شدة الجزع ، واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس " . (٢)

والمراد بالانسان فى هذا السياق فيه قولان . قال الرازى :

" قال بعضهم المراد بالانسان ههنا الكافر ، وقال آخرون بل هو على عمومته

بدليل انه استثنى منه . . . الصلین " (٣)

والذى أراه - والله أعلم - أنه لا تعارض بين القولين . فالذى قال المراد

به الكافر يعنى الذى تحقق فيه هذا الوصف بكماله . والذى قال بعمومه

لجميع افراد الجنس لاحظ أصل الخلقه وهى قابليه الناس جميعا بطبيعتة

خلقهم لقبول هذه الصفه . ولا يتخلصون منها الا بسباب تزكيتهم . فمن

التزم الاسباب المذكوره فى الآيات تخلص من الهلع والافحاله صائرا اليه

لامحاله .

ونظير ذلك كثير فى القرآن ، نحو قوله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٤﴾ . (٤)

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ج ٢٩ / ٧٨ . والتفسير الكبير للرازى ج ٣ / ١٢٨ .

(٢) التفسير الكبير للرازى ، ج ٣ / ١٢٨ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) سورة " العصر " .

فالمراد بالانسان هنا عموم الناس فهم واقعون في الخسران ، واستثنى منهم من جاء بهذه الامور الاربعة . ومن قال ان المراد به الكافر فهو صحيح حيث انه هو الذي تحقق فيه الخسران .

وهذا يتضح ان الله جعل الايمان مؤثرا في اخراج هذه الصفة الذميمة من القلب . متشلا في هذه الشعب المذكوره في الآيات من قوله " الا الصالحين " الى قوله " اولئك في جنات مكرمون " .

فقد وصف المتخلصين من الهلع بالمصلين . ثم ذكر صفاتهم على وجه التفضيل فذكر منها في بداية السياق وختامه مداومتهم ومحافظةهم على الصلاة وايتائهم الزكاة ، وتصديقهم بيوم الدين . . ثم استرسل السياق في بيان صفاتهم المباركة الخيرة .

والعناية بامر الصلاة في هذا السياق دليل على شدة أثرها في التطهير من هذا الداء . الا أن أثرها في التطهير عام لجميع ادواء القلب ، بين ذلك ربنا بقوله " **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** " (١) ولاشك ان الشح من اعظم منكرات القلوب ، وما ينتج عنه من العمل من اقبح منكرات الاعمال . والمداومة على الصلاة والمحافظة عليها شرط لحصول هذا الاثر الهام في تطهير القلب من ادراجه . وسيأتي مزيد ايضاح لهذا الامر - ان شاء الله - عند الكلام على تطهير القلب من محبة الفواحش .

اما الزكاة فأثرها في التطهير من هذا الداء بارز ظاهر . قال تعالى : " **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** " (٢) فقد اشار تعالى في هذه الآية الى أثر الزكاة في التطهير والتزكية .

وفي المراد بالتطهير أورد ابن جرير - رحمه الله - فيما نقله عن بعض السلف - رضوان الله عليهم - (٣) ما يدل على أن اثر الصدقة يكون في ثلاثة مجالات هي :

(١) سورة " العنكبوت " ٤٥ (٢) سورة " التوبة " ١٠٣

(٣) انظر : جامع البيان ، ١١ / ١٦ ، ١٧٠

الاول : انها تطهير للمال .

فالمال الحلال الذى يتكسبه صاحبه من طرق مشروعة فيه حق معلوم
لله يصرف فى مصارفه . ومنع هذا الحق شؤم يفسد نى المال ويعرضه
للعقوبات والآفات . ولا يطهر المال الا باخراجه .

كما ان الانسان فى معاملاته قد يبدر منه بعض التقصير والمخالفات
التي هى من باب المتشابهات او المكروهات التي قد تلوث المال دون ان تصل
الى درجة تحريم التكسب . وفى اخراج الزكاة والصدقة تطهير له من ذلك .
والمال الذى يتطهر بالزكاة هو المال الحلال . اما المال الحرام
الذى جاء عن طريق غير مشروع من نهب وسلب وسرقه واختلاس ورشوة
وربا وقمار . . . فانه لا تطهره الزكاة ولا تباركه .

الثانى : تطهيرها لهم من دنس الذنوب وراى العصيان .

قال ابن جرير - رحمه الله - :

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد خذ من اموال
هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم .. (١)

فالزكاة كفرها من شعب الايمان لها أثر فى تكفير الخطايا ومحو
آثارها من القلب . وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع فى المبحث الثانى
من هذا الفصل .

الثالث : تطهيرهم من صفات المنافقين .

قال ابن جرير فى الاشارة لهذا :

" (وتزكيتهم بها) ، يقول : وتنميتهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل
النفاق " (٢)

(١) جامع البيان لابن جرير ، ج ١١ / ١٦٠ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .

وخاصة خلق الحرص على المال والشح الذي يتصف به المنافقون حيث

اشار الله الى ذلك من حالهم بقوله : " الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ

بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَمْرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ

إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ " (١)

فالمزكى الذى يبذل من ماله الذى جبل على محبته والذى صرف كسيرا

من الوقت والجهد فى جمعه ، وقد ادرك منفعته له فى قضاء حاجاته

وتيسير اموره ، انما وجوده به امتثالا لامر الله ، وحسن ظن به وثقه بوجهه .

فهذه المعانى من اقوى الاسباب فى تخلص القلب من دائه ، بل ان مرض

الحرص والنفاق لا يقوم له قائمة فى قلب استشعر هذه المعانى . والزكاة

والصدقة بالانفاق من المحبوب جالبه للبر الذى هو مادة صلاح القلب . قال

تعالى : لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢﴾

وقال جل ذكره مبينا حقيقة البر :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ

الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ

وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَاتَّقَى

وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧﴾ " (٣)

(١) سورة " التوبة " ٦٧ .

(٣) سورة " البقرة " ١٧٧ .

(٢) سورة " ال عمران " ٩٢ .

ولاشك ان عمران القلب بهذه العقائد القيمة . وانبعث الجوارح للعمل بموجبها لا يكون الامن قلب قد تخلص من دائه ، وتمكن منه حب الله وحسب ما يحبه . والفرح بفعل ما يرضيه . فقد ذكر الله ان من اعمال أهل البرأنهم يؤتون المال على حبه ، وهذا الفعل ضد الشح الذى يحمل على منع حرق المال . فدل على أن الايمان قد هذب وكسرحدة حبه للمال الى بذله لاستجلاب محبوب أهم منه وهو القرب من الله ، والترقى فى منازل الايمان .

وخلصه ماتقدما ان اثر الايمان فى تطهير القلب من هذا الداء يتجلى فى دراسه التوحيد وتقويه الاعتقاد بمعرفة اسماء الله وافعاله والتوكل عليه والايان بالقدر وفق ما دل عليه كتاب ربنا وسنة نبينا - صلى الله عليه وسلم - كما يتجلى ذلك الأثر فى اقامة الصلاة والمداومه والمحافظة عليها ضمن اثرها العام فى النهى عن الفحشاء والمنكر . وفى اثر الزكاة التى يتخلص من أداها من خلق الحرص والشح . اما سائر شعائر الاسلام الاخرى فهى مؤثره فى هذا الجانب من جهه انها تزيد الايمان الذى هو مادة الخير فى القلب . والذى اذا تمكن اخرج ما يضاذه من خصال الكفر والنفاق .

أثر الايمان فى تطهير القلب من محبة الفاحشة :

تقدمت الاشارة الى أن من ابتلى بحب الفواحش لا يخلو امان ضعف توحيده وايانه اوسيله الى الشرك . وهذا يتبين ان أهم مؤثر فى سلامة القلب من هذا الداء - اذا أراد الله له السلامة - هو قوة الايمان ورسوخ التوحيد . قال ابن القيم - رحمه الله - :

" ومحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك ، وكلما كان العبد اقرب الى الشرك وابعد من الاخلاص كانت محبته لعشق الصور أشد . وكلما

كان أكثر إخلاصاً وأشد توحيداً ، كان أبعد من عشق الصـور
ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها ، ونجائه
يوسف الصديق بإخلاصه ، قال تعالى :

(١)(٢)

(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾)

وقد بين - رحمه الله - سر ذلك بقوله : " فمحببة الله عز وجل
أصل المحاب المحمودة ، وأصل الايمان والتوحيد . . . ، والمحببة مع الله
أصل الشرك والمحاب المذمومة . . . " (٣)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

" . . . وذلك ان القلب اذا ذاق حلاوة عبودية لله ومحبته له لم يكن
شيء أحب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وذلك يصرف عن أهمل
الإخلاص لله السوء والفحشاء ، كما قال تعالى :

(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)

فان المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره
ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره ، اذ ليس عند القلب لأحلى
ولا أذا ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الايمان المتضمن عبوديته
لله ومحبته له ، وإخلاصه الدين له ، وذلك يقتضى ان يجذب
القلب منها خائفاته راقبها راقبها ، كما قال تعالى :

(مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْعَلِيمَ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٧﴾) (٤)

فلا يكون عبد الله ومحبه الابن خوف ورجاء ، قال تعالى :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥﴾) (٥)

(١) سورة يوسف " ٢٤ .

(٢) اغاثة اللهبان في مصائد الشيطان - ٢ / ١٩٧ ، ١٩٨

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) سورة الاسراء " ٥٧

(٥) سورة ق " ٣٣ .

وإذا كان العبد مخلصاً له اجتباؤه ربه فيحیی قلبه ، واجتذبه اليه
فيمصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء .^(١)

ومما تقدم من اقوال أهل العلم يتحصل ان عمران القلب بالايمان والاخلاص
لله القائم على قوة المحبة لله والخوف منه ورجائه ، ينتج عنه حياة القلب
وانجذابه الى الله وما يقرب اليه من العمل الصالح ، وانصرافه عما يضاد ذلك
من السوء والفحشاء .

فقيام هذه الثلاثة في القلب موجب صلاحه واستقامته فالمحبة تدفعه الى
فعل ما يرضي الحبيب . والخوف يمنعه من تعاطي الاسباب التي تفضبه
وتحجب عنه . والرجاء يقوى الأمل في اقالة العثرات وحصول البركات والمسرات .
وقيام المحبة لله في القلب مع الخوف والرجاء ، لا يكون الا بمعرفة الله
وذلك لا يكون الا بالتفكر والتعلم لما دلت عليه اسماؤه الله الحسنى من المعانسي
واستشعار القلب لذلك .

قال ابن القيم - رحمه الله - في بيان ذلك :-

" القلن كلام الله وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته ، فتارة يتجلى في
جلبات الهيبة والعظمة والجلال ، فتخضع الاعناق ، وتنكسر النفوس ، -
وتخشع الاصوات ، ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء ، وتارة يتجلى في
صفات الجمال والكمال ، وهو كمال الاسماء وجمال الصفات وجمال الانفس
الذال على كمال الذات فيستنفذ حبه من قلب العبد قوة الحب كلها ، بحسب
ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله ، فيصبح فؤاد عبده فارفا الا من محبته
وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللفظ والاحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد
وانهبط امله وقوى طمعه وسار الى ربه وحادي الرجاء يحد وركاب سـيره .

(١) مجمع الفتاوى ج ١ / ٢١٥ ، ٢١٦

وكلما قوى الرجاء جد فى العمل واذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة ، انقمعت النفس الأمارة وطلت اضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات ، وانقضت أغنة رمونتها ، فاحضرتالمطية حظها من الخوف والخشية والحذر^(١) .

ومما تقدم تبين أن المؤثر الاول فى تخليص القلب من هذه العواطف الفاسدة من حب الفواحش هو عمران القلب بالتوحيد والايان ، حيث تقوى محبته لربه وخوفه منه ورجائه له . وان الطريق الى ذلك هو معرفة الله باسمائه وصفاته وافعاله ، واستشعار القلب لذلك . ثم عبادته تعالى بهذه المعرفة ، واهم العبادات تأثيرا فى قطع هذا الداء - باذن الله تعالى - بعد التوحيد ، الصلاة التى آن اوان الكلام على أثرها فى ذلك .

أثر الصلاة فى تخليص القلب من حب الفاحشة ؛
للصلاة أثر عظيم فى صلة العبد بربه ، لعافيهما من اظهار العبودية والخضوع والافتقار ، والذكر والدعاء والاستغفار الذى هو اعظم الاسباب مع التوحيد لنيل ولاية الله تعالى .

كما ان للصلاة أثرافى تطهير القلب من ران الذنوب ودرنها - كما تقدم ذكره^(٢) - مما يجلب للعصلى طمأنينة قلبه ، وسكون نفسه وراحتها . وقد اخبر - سبحانه - أن لها أثرافى تطهير العبد من محبة الفاحشة والمنكر ، تلك المحبة الدافعة الى طلبها وسلوك طريقها . فالصلاة سبب لتقوية وازع الخير ، واضعاف الدافع الى الشر والفواحش . قال تعالى مشيراً الى هذا الأثر:

(١) الفوائد لابن القيم ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) تقدم فى المبحث الثانى من هذا الفصل . ص (٢٤٧)

" أَتْلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥٠﴾ "

قال ابن كثير - رحمه الله - حول هذه الآية :

" بمعنى ان الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش اى مواظبتهم
تحمل على ترك ذلك . . .

وتشتمل الصلاة ايضا على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الاكبر ولذلك
قال : (ولذكر الله اكبر) اى اعظم من الأول " (١)

وروى ابن جرير عن قتادة والحسن - رضى الله عنهم - : " من لم تنهه
صلاته عن الفحشاء والمنكر فانه لا يزداد من الله الا بعدا " (٢)
وبين ذلك ابو العالية - رحمه الله - بقوله :

" ان الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شئ من هذه
الخلال فليست بصلاة : الاخلاص والخشية وذكر الله . فالاخلاص بأمره
بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر وذكر الله القرآن بأمره وينهاه " (٣)

وكثيرا ما استخدم شياطين الانس والجن النساء فى تحقيق افراضهم
الخبية فى نشر الفساد وافواء العباد والترويج للافكار الهدامة .
ومعلوم انه لا تحصل الفتنة بهن الا بعد افوائهن وفساد قلوبهن
فساد القلب دافع الى قبول الشر والرديلة .

لذلك اهتم الاسلام بصلاح قلوب النساء وسلامتهن من محبة الفاحشة ،
وارشدهن الى ماله اثر فى قطع ذلك .

فعند ما نهى الله سبحانه عن بعض الاسباب المؤدية للفاحشة ارشد فى
نفس السياق الى العلاج المعين على ترك ذلك . فقال تعالى :

-
- (١) سورة " العنكبوت " ٤٥ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ط الشعب ، ج ٦ / ٢٨٩ ، ٢٩١ .
(٣) الامام الفقيه الحسن بن أبى الحسن بسار البصرى ، روى عن عمران بن حصين والمغيرة
بن شعبه ، وابن عباس وغيرهم . توفى سنة ١٢٠ هـ .
انظر : سير اعلام النبلاء ٤ / ٦٣ ، ٥ ، والبداية والنهاية ٩ / ٢٧٨ .
(٤) جامع البيان ، ج ٢٠ / ١٥٥ . (٥) تفسير القرآن العظيم ج ٦ / ٢٩١ .

يُنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾
﴿٣١﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣٢﴾ يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِن تَقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٤﴾ • (١)

فبعد ان نهاهن عن الخضوع بالقول عند مخاطبة الرجال الاجانب وامرهن بملازمة البيوت ، ونهاهن عن التبرج عند الخروج من البيوت لحاجة تستدعي ذلك - وهي تعليمات تؤدي مخالفتها الى فتنتهن او الفتنة بهن ، وماخالفتها النساء في مجتمع الافشست فيه الفاحشة - أرشدهن بعد ذلك الى ملازمة القول المعروف عند مخاطبة الرجال الاجانب ، واقام الصلاة وابتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وهين سبحانه ان ذلك الترك لمانهى عنه ، والفعل لما امر به ، سبب لذهاب الرجس عنهن وطهارتهن ، فقد شرع سبحانه هذه الاعمال واراد أن يحصل لمن التزم بها مارتبه عليها وجعلها سببا له من الطهارة وذهاب الرجس .

وقد ذكر منها سبحانه الصلاة فدل على ان لها اشرا عظيمافي شفاء القلوب من داء محبة الفاحشة واقتلاع دوافعها .

وعلى هذا فان النتيجة الحتمية لاضاعة الصلاة هي اتباع الشهوات ، من شهوة الفاحشة او شهوة الظلم والبغى والتكبر في الارض .

قال تعالى : " خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا " (٢)

وعلى هذا فالصلاة أشر عظيم في سلامة القلوب وصلاحها وانبعاثها للخير وعدها عن الشر. وما ذلك الا لانها اشتملت على معان وافعال عظيمة أشير السى أهمها :

فمن جهة فهي تحقيق للتوحيد ، فالمصلى يظهر ذلك وخضوعه وافتقاره لربه ، يدعوه ويستغفره ، يفزع الى الصلاة يرجو الخير والسلام ، ويعوذ به من الشر والهلاك فهو يتصل بالله معلناً فقره وحاجته ، ومعلناً شكره وامتنانه عالماً مستشعراً ان ذلك بيد الله وحده فلا يقصد فيه في ذلك .

ومن جهة أخرى انها جامعة لاركان الايمان الثلاثة ، القبول والعمل والاعتقاد . فالاعتقاد والتصديق لا يفارق السلم في جميع اوقاته مادام العقل باقياً ، فهو ملازم له حال صلاته . والعمل يتمثل بالقيام والركوع والسجود والقعود ونحوها . والقول يتمثل بقراءة القران والذكر والتشهد ونحوها .

لذلك سمي الله الصلاة ايماناً في قوله " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ " (١) .
اي صلاتكم تجاه بيت المقدس قبل ان تحول القبلة كما ورد في صحيح البخارى . (٢)

ومن جهة ثالثة فهي جامعة لانواع الذكر . فالذكر بالعمل حاصل بااداء - الفرض . وفي القلب حاصل حيث ان قلب المصلى الخاشع موصول متعلق بمن يقف بين يديه ويناجيه . والقول فجميع الاذكار القولية تقرىباتشتمل عليها الصلاة . فقراءة القران في القيام ، والتكبير والتحميد والتسبيح والتشهد في اركانها . والدعاء في قراءة الفاتحة والسجود بين السجدين والتشهد الاخير ، والاستغفار بين السجدين ، وبعدها مباشرة . وفي ذلك من الاذكار العظيمة التي اشتملت عليها .

قال تعالى : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي " (٣) .

وقال : " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ، فَصَلَّى ﴿١٥﴾ " (٤) .

فيالله اي خير جمعت ١٢ واي بركة تعود على من حافظ عليها واستشعر أهميتها

وحاجته اليها ١٢

(١) سورة " البقرة " ١٤٣ .

(٢) انظر : صحيح البخارى مع الفتح - ١ / ٩٥ . كتاب الايمان . باب الصلاة من الايمان .

(٣) سورة " طه " ١٤ . (٤) سورة " الاعلى " ١٤ ١٥٤ .

ومن اعظم بركاتها أن صاحبها - بإذن الله - يكون في حصن حصين من الشياطين وكيدهم . وذلك لاشتمالها على الذكر كما تقدم فقد ورد ان الذكر سبب لتحصين العبد من الشياطين . من ذلك ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم - من ان الله أوحى الى يحيى بن زكريا - صلى الله عليه وسلم - بخمس كلمات ان يعمل بهن ويأمر بني اسرائيل ان يعطوا بهن فذكر منهن الذكر ومثله فقال :

" وأمركم ان تذكروا الله فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو ففسى أشره سراعا حتى اذا أتى على حصن حصين فاحرز نفسه منهم . كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله " (١)

قال ابن القيم - رحمه الله - :

" فلو لم يكن في الذكر الا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقا بالعبد أن - لا يفتتر لسانه من ذكر الله تعالى وان لا يزال لهجا بذكره ، فانه لا يحرز نفسه من عدوه الا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو والامن باب الغفلة ، فهو يورصده فاذا فغل وثب عليه وافترسه واذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصافر وانقطع " (٢) فملازمة ذكر الله تعالى تجعل العبد في حصن حصين من الشياطين وساوسهم وتلبساتهم .

ومرد ذلك الى ان الذكر - كغيره من الحسنات - يذهب السيئات ، ويكفرها ويجلو القلب فيبقى منيرا يقطا يكشف لصاحبه الضلال وينفره منه .

(١) رواه الامام أحمد . المسند ٤ / ٢٠٢ . سند الحارث الأشعري . ورواه الترمذي

وقال : " حديث حسن صحيح غريب " سنن الترمذي ، ابواب الاثال ، ح ٢٢٥ .

وصححه الالباني ، صحيح الجامع الصغير - ٢ / ١٠٠ .

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لابن قيم الجوزية ، ضمن مجموعة الحديث

ص ٦٥٩ ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - ط الخامسة ، ت بدون .

كما أن الذاكر موصول بالله بجازه بما يناسب عمله ، فيذكره سبحانه كما قال
" فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ^(١) " ذكرا خاصا يوجب معيته وتوفيقه
وحفظه وتسد يده ، فيصرفه عن المهالك ويوفقه لما فيه هدايته وصلاحه ، ومن
ذلك حفظه من الافكار الخبيثة اذا طرأت على قلبه او عرضت عليه .

أثر الصيام في تخليص القلب من الميل للفواحش :

الأصل في هذا الاثر هو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :

" يامعشر الشباب ، من استطاع منكم البائة فليتزوج فانه اغض للبصر واغصن
للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء " ^(٢)

قال النووي - رحمه الله - :

" واختلف العلماء في المراد بالبائة هنا على قولين يرجعان الى معني
واحد اصحهما ان المراد معناها اللغوي وهو الجماع ، فتقديره من استطاع منكم
الجماع لقدرتة على مؤنه وهي مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه
عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منه كما يقطع الجاه ^(٣) وعلى
هذا القول وقع الخطاب مع الشبان الذين هم مظنة شهوة النساء لا ينفكون
عنها غالبا " ^(٤)

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - ارشد الى عبادة عظيمة تؤدي الى

تحصين المسلم من ثوران شهوته وجريانه خلفها اذا لم يكن له زوج .

(١) سورة البقرة ١٥٢ .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم . البخارى : كتاب النكاح باب من لم يستطع البائة
فليصم ، ح (٥٠٦٦) - ح ١٣٣ / ٩ . مسلم : كتاب النكاح الباب الاوّل ،
ح (١٤٠٠) - ح ١٠١٨ / ٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) قال النووي : " الجاه " هو مرضى الخصيتين والمراد هنا : ان الصوم
يقطع الشهوة ويقطع شر المعنى كما يفعل الجاه " شرح النووي على صحيح
مسلم - ح ١٧٣ / ٩ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

هذه العبادة تؤدي الى ترك الطعام والشراب الذي يضعف الشهوة ويكسر حدتها لكنه لم يرشد الى مجرد ترك الطعام والشراب ، وانما ارشاد الى العبادة التي تتضمن ذلك :-

قال ابن حجر - رحمه الله - :

" عدل عن قوله فعليه بالجوع وقلة ما يثير الشهوة ويستدعى طغيان الماء من الطعام والشراب الى ذكر الصوم اذ ما جاء لتحصيل عبادة هي برأسها مطلوبة

(١)

فالامر المتمثل في كسر الشهوة واضعافها ليس ناتجاً عن الجوع والعطش

فحسب ، بل هو ناتج مع ذلك عن الايمان والتقوى في الصيام كما قال تعالى :

" يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ ﴿١٨٣﴾ " (٢)

فالصيام يشتمل على امور هامة تعمل مجتمعة في احداث هذا الاثر

منها :

انه علة لحصول تقوى الله عز وجل ، وزيادة الايمان . وهومن الصبر على طاعة الله . ويشتمل على ذكره سبحانه وهذه الامور تستجلب ولاية الله وعنايته ومعيته الخاصة لاوليائه .

قال تعالى : " اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا وَالَّذِيْنَ هُمْ يُحْسِنُوْنَ ﴿١٨٨﴾ " (٣)

وقال : " يَتَأْتِيهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ ﴿١١٥٣﴾ " (٤)

وذلك يقوى القلب وينصرف فكره عن الشهوة ودواعيها . ويسهل عليه الصبر عن معصية الله . فمن صبر على طاعة الله اعان الله على الصبر عن معصيته .

(١) فتح الباري شرح صحيح البخارى ج ٩ / ١١٠ .

(٢) سورة " البقرة " ١٨٣ . (٣) سورة " النحل " ١٢٨ .

(٤) سورة " البقرة " ١٥٣ .

والصوم ايضا يؤدي من جهة أخرى الى ضعف الشهوة وسكونها
لانقطاع مادة هيجانها وهو الشراب والطعام .

وللصيام خاصية عظيمة فى ردع القلب عن التهور والعجلة والاندفاع فهو
فعال فى تهذيب السلوك وتعويد من لازمه على التأنى والصبر مما يعينه
على الرويه والتبصر فى أمره . وذلك يقود صاحبه الى الخير قال تعالى :

" وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ عَظِيمُونَ (١) "

ومن أجل ذلك - والله اعلم - نجد أن الكفارات المغلظة - ككفارة القتل
والظهار ، ووقاع الأهل فى نهار رمضان ، التى كثيرا ما يكون الدافع اليها
العجلة وعدم ضبط النفس والضعف عن كبح الانفعال - شرع فيها الصوم شهرين
متتابعين . وما ذلك الا لتربية من حصل منه شىء من ذلك بالصوم ليحصل على
هذا الاثر الهام .

فلازمة الصوم تجعل الانسان فى حصون منيعة تحول دون عدوه والتسلل
من خلال شهوة الجماع الى استدراجه الى مراتع الرذيلة التى يتوصل بها الى
افساد دينه ودينه . كما انه يقوى قلبه على الصبر وكبح جماح النفس عند
الانفعال . وذلك من آثار عناية الله بعبده حيث ان الصوم من التقوى التى
تستجلب بها ولاية الله .

ومما تقدم يتبين أن اثر الايمان فى تطهير القلب من محبة الفواحش يتجلى
فى اثر التوحيد الذى يعمر القلب بمحبة الله والخشية منه . وان ذلك يتحقق
بدراسة ومعرفة أسماء الله الموجبة لحبه وخشيته ، واستشعار القلب لذلك . كما
يتجلى فى أثر الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر . وفى الذكر الذى يحصن
العبد من عدوه ويوجب ذكر الله له . وفى الصيام الذى يزيد فى تقواه وقربه

من مولاة . ويضعف الشهوة ويكسر من حدتها . وفي غير ذلك من الاعمال
الصالحه التي تزيد في الايمان ، وتقرب العبد من الرحمن . وتحبب اليه
الخير والاحسان . وتنفره من الشر والفحش والطفيان .

واختتم هذا المطلب بأبيات تعبر عن معان ثارت في نفسى عند
كتابة ما يختص بأثر الايمان في تحصين القلوب من حب الفاحشة :

الحمد لله العلى المنجد	لعباده من كل فكر ملحد
للشر مكر بالنساء الخرد	صبوا جميلا صاح لا تتمرد
فيها أحل الله غنية عاقل	ولذيذ عيش العره في أن يهتدى
وإذا نظرت الى الحرام وجدته	متعا نزول ووحشة تطلبه
لله در المؤمن المتجلد	في دربه يسعى بغيرت مرد
علم الفتى بالله أصل حياته	وربيع قلب العبد حب الأوجد
وذكره تكسى القلوب حلاوة	فهو الشفاء وللهموم يبيد
والعلم نور للفتى في سعيه	والعقل يحكم سيره ويسد
والقلب يأنس للموافق فطيرة	والنفس ان تجهل تميل وتعتدى
لا يلتقى في القلب حب الهه	ومحبة الفحش العقبت الأنكد
المخلصون مخلصون من الردى	في أمر يوسف عمرة للمقتدى

الطلب الثالث : أثر الايمان في تحصين القلب من الحقد والحسد .

تقدم أن أهم العواطف الفاسدة التي تقوم في قلوب الناس هي : حسب العبادة المتوجة لغير الله . وحب الشهوات المحرمة . والحقد والحسد وتم - يعون الله - الكلام على القسمين الاولين . ويجرى الكلام هنا على مرضي الحقد والحسد وأثر الايمان في تطهير القلب منهما .

الحقد والحسد مرضان صدرهما عاطفتا الكراهية والبغضاء للمحسود والمحقود عليه .^(١) وقد يكون الدافع للحسد حب الذات ، وكراهية أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل .^(٢)

والحسد هو تمنى زوال نعمة عند غيره . وقد يتمنى ان تؤل اليه ، وقد لا يتمنى . كما انه قد يعمل بموجب حسده فيسمى لازاله نعمة المحسود بالبغى عليه بالفعل او القيل ، وقد لا يعمل .

واشده فتكا واعظمه خطرا وحرمة الحسد الذي يعمل صاحبه في الحاق الضرر بالمحسود .^(٣)

الحقد والحسد ثغرتان في القلب

لا يوجد مرض يكون سببا لرد الحق من أول وهله بعد معرفته أشد من الحسد . فهو داء عضال اذا استحكم في القلب مال به عن القصد واوقعه في المهالك . قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" فالبخل والحسد مرض يوجب بغض النفس لما ينفعها ، بل وحبها لما يضرها ، ولهذا يقرون الحسد بالحقد والغضب"^(٤)

(١) مجموع الفتاوى ج ١٠ / ١١١ .

(٢) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٣٠٨ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ج ١٠ / ١١٢ ، ١٢١ . وجامع العلوم والحكم ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٤) مجموع الفتاوى ، ج ١٠ / ١٢٩ .

والحسد هو الدافع لأول ذنب قُصِيَ الله به ، حيث رفض إبليس السجود
لآدم حسداً له على ما ولاه الله من الكرامة باسجاد الملائكة له ، وكثيراً أن يسجد
لن يرى نفسه أفضل منه .

وقد كانت امهات المعاصي الكبار الدافع اليها الحسد . فقد قصى الله
علينا ما كان من إبليس ، وما كان من بنى اسرائيل وتكذيبهم لنبينا - عليه
الصلاة والسلام - بل وعداوته وعداوة اتباعه ، وان الدافع لذلك هو الحسد

قال تعالى :
" وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا
مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ " (١)

كما قص علينا أول حادث قتل بين بنى آدم . وقد كان الدافع اليه الحسد .
" ولهذا قيل أول ذنب عصى الله به ثلاثة : الحرص ، والكبر ، والحسد
فالحرص من آدم ، والكبر من إبليس ، والحسد من قابيل حيث قتل هابيل " (٢)

فاصول المعاصي ترجع الى : شهوة ، أو كبر ، أو حسد .

والحسد كما انه مضر بين الحاسد ، فهو ايضا مرض اجتماعي يورث البغضا
بين افراد المجتمع المسلم . ويحمل على البغى . اشار الى اثره الاجتماعى
الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله :

" لا تبغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله
اخوانا . ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث " . وفى روايه : " وكونوا
عباد الله اخوانا كما امركم الله " (٣)

عباد الله اخوانا كما امركم الله " قوله : " وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم
الله " دليل على انهم ان سرت فيهم هذه الادواء لم يكونوا اخوانا كما امرهم
الله . مما يدل على اثرها فى هدم او اضعاف الاخوة الايمانية .

(١) سورة " البقرة " ١٠٩ (٢) مجموع الفتاوى ح ١٠ / ١٢٦
(٣) متفق عليه . واللفظ لمسلم . البخارى : كتاب الادب . باب ما ينهى عن التحاسد
والتدابير ، ح (٦٠٦٥) ح ١٠ / ٤٨١ وسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب
تحريم التحاسد والتباغض والتدابير ، ح (٢٥٥٩) ح ٤ / ١٩٨٣
(٤) رواه مسلم : الكتاب والباب وقم الحديث كسابقه ح ٤ / ١٩٨٤

فالظلم والبغى الناتج عن الحقد والحسد عند الفقراء وخاصة الاقوياء منهم هو مرض يقابل الشح والحرص على المال الذى يقوم فى قلوب الاغنياء فيحطهم على امساك حقوق المال والظلم فى تحصيله وانفاقه . لذلك جمع الرسل - صلى الله عليه وسلم - بينهما فقال :

" اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فشان الشح اهلك من كان قبلكم ، حطهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا ^(١) محارمهم .

وينتج عن هذين الامرين - حقد وحسد الفقير ، وشح الغنى - داء - اجتماعى خبيث هو بمثابة السرطان الذى يفتك بالابدان ، ألا وهو تفسير القلوب وتنافؤها وتباغضها ، مما يؤدى الى تسلط وتآمر بعض المسلمين على بعض .

وقد استفل الحاقدين على الاسلام المتربصون بأهله ، وجود هذا الداء بين افراد المجتمع المسلم - قديما وحديثا - أسوأ استفلال لنشر المبادئ الهدامة والافكار الخبيثة والتفريق بين المسلمين ، ولعل آخرها الفكر الشيوعى الذى يقوم على تسليط الفقراء على الاغنياء مستثيرا كوامن الحسد والبغضاء المنتشرة بين المسلمين بسبب البعد عن منهج الله ، - وضعف الايمان وانتشار الجهل وشح الاغنياء وامساك الزكاة . . ونحو ذلك . وهذا يتضح ان الحسد وما يتفرع عنه من ادواء هى ثغرات فى حصون القلب تتسلل منها دعوات الشياطين لافساد الدنيا والدين . كما ينتج عنها ايضا امراض اجتماعية كالحقد والتباغض والتنازع والبغى ، وهى انهيارات فى حصون المجتمع المسلم تكشف ظهورهم لعدوهم . قال تعالى :

(١) رواه مسلم : تقدم تخريجه من (٢٦٠) .

” وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنَفْسًا وَأَنْتُمْ تَذْهَبُونَ رِيحًا
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ” (١)

وليس الغرض التوسع في عرض هذه الادوية وما ترتب عليها من المفسد
وانما القصد بيان أن هذه العواطف الفاسدة اذا قامت في القلوب
كانت من اقوى الدوافع لتقبل او طلب الافكار الهدامة . ثم بيان اثر الايمان
في تطهير القلب منها .

(١) " الانفال " ٤٦ .

الايمن مخلص للقلب من الحقد والحسد .

ان الحقد والحسد - كغيرها من امراض القلوب - انحرافات فى صحة القلب نتيجة لتغذيته من شرور الجاهلية . وعلاجها يكون بقطع مادة الشر التى تغذيه ، وامتداده بضمها من مادة الخير والصلاح .
قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" . . . فهكذا امراض القلب يحتاج فيها الى حفظ الصحة ابتداءً والى اعادتها - ان عرضه المرض - دوماً ، والصحة تحفظ بالمثل ، والمرض يزول بالضد ، فصحة القلب تحفظ باستعمال اشال مافيهما ، وهو ما يقوى العلم والايمن من الذكر والتفكر والعبادات المشروعة ، وتزول بالضد ، فتزال الشبهات بالبينات ، وتزال محبة الباطل ببغضه ومحبة الحق " (١)

وهذه قاعدة جامعة نافعة للعلماء والدعاة والمربين . تدور حول معرفة سبب الداء ثم علاجه بالحمية منه وتعاطى ضده .

ولأجل معرفة أثر الايمان فى تطهير القلوب من أدواء الحسد والحقد ونحوها يجدر ان نتعرف على اسبابها ثم العلاج المضاد لكل سبب والذى يزيل - باذن الله - ذلك السبب ومن ثم المسبب .

وأسباب هذه الامراض بعضها يعود الى نفس الحاسد ، وبعضها يعود الى المجتمع ، وفى الايمان علاج لجميعها .

فاما الاسباب التى مردها الى نفس الحاسد او الحاقد فهى ضعف ايمانه ، وقلة استشعاره لمعانى اسماء الله التى تدل على تفسرده بالملك والتدبير ، وان ما يصيب الناس من خير اوضده فهو من الله . وكذلك ضعف ايمانه

(١) مجموع الفتاوى - ١٠ / ١٤٥

بقدر الله ، وعدم الرضى بالمقدور .

وعلاج هذا انما يكون بالعلم بالتوحيد والقدر واستشعار ذلك . وبالمحافظة على الصلوات ، والتوجه الى الله بالدعاء والضراعة ، وحسن الظن به ، والرضى بفعله وقدره .

فهذا الجانب من الايمان اذا علمه الانسان واستشعره وقام بموجبه فانسه يؤثر تأثيرا قويا فى صلاح قلبه وتخليصه من غله وحسده وحقده .

اما العوامل الاجتماعية فهى رئيسية حيث تمثل الدافع لقيام الحسد والحقد والكراهية فى قلوب ضعاف الايمان من المسلمين من الفقراء ضد الاغنيا .

واخبت هذه الاسباب هو الشح والبخل من الاغنيا بمنع حق المال من الزكاة والصدقة والبر والاحسان . أوالسعى الى جمع المال بالظلم والحرام . اھصرف المال فى الترف والاسراف والمعاصى .

فهذه الامور التى تقع من الأغنيا بمرأ وسمع من الفقراء من اعظم الاسباب اشارة للحقد والحسد .

وقد شرع الله الزكاة والصدقة ورفب فيها لمالها من الاثر العظيم فى اقتلاع هذه الادواء واحلال المحبة وسلامة الصدر محلها . وحول هذا الاثر العظيم قال الدكتور : يوسف القرضاوى :

"فالانسان اذا عضته انياب الفقر ، ودهته الحاجة ، ورأى حوله من ينعمون بالخير ، ويعيشون فى الرغد ولا يمدون له يدا بالعون ، بل يتركونه لمخالب الفقر وانياه . . . هذا الانسان لا يسلم قلبه من البغضاء والضيفنة على مجتمع يهمله ، ولا يعنى بامرہ . وتربة الشح والانانية لاتنبت

الا الحقد والحسد لكل ذى نعمه . . .

ولم يحارب الاسلام هذه الآفات النفسية الاجتماعية الخطيرة بالوسط
المجرد ، والارشاد النظرى فحسب ولكنه عمل على اقتلاع اسبابها
من الحياة ، واستئصال جذورها من المجتمع ، فليس يكفى الجائع والمحروم
او العريان أن تلقى عليه درسا يلهيها فى خطر الحقد والحسد ، وكل
لحظة فى حياته . . . البائسة ، وحياة الطاعمين الناعمين المترفين من حوله
تلقنه دروسا عظيمة أخرى :

كيف يحسد ؟ وكيف يحقد ؟ وكيف يينفض ؟ وكيف يغلى قلبه كراهية
وغيظا ونقمة ؟

ومن اجل ذلك فرض الاسلام الزكاة لييسر للعاطل العمل^(١) ، ويضمن
للعاجز العيش ، ويقضى عن الغارم الدين ، ويحلل ابن السبيل السى
أهله ووطنه . فيشعر الناس أنهم أخوة بعضهم اولياء بعض
وفى هذا الجو النقى يمتد ظل الايمان بما يتبعه من حب واثار^(٢)

وهذا يتبين ان للزكاة أثرا عظيما فى شيوع المحبة بين المسلمين فهسى
تجلب المحبة والشفقة لقلب المزكى نفسه . ويشعر بالفرحة والسرور لشعوره
انه فى طاعة الله وان الله راض عنه . ولمساهمة فى تفريخ كرب اخوانه
المؤمنين وادخال السرور على قلوبهم ، واحساسه بأداء واجب التعاون والتكافل
والاخوة الايمانية .

(١) مراد الشيخ : يوسف القرضاوى - والله اعلم - انه يترتب على نظام الزكاة
ايجاد كبير من فرص العمل . حيث تستحدث اجهزة فى الدولة والمؤسسات
والشركات الكبيرة للاشراف على الزكاة . فتخصص وظائف للعاطلين على
جمعها وتوزيعها ، وسائقين وحرس . كما أن وجود المال بيد الفقير
يمكنه من الانتفاع به كراس مال لعمل ولوسطى فى زراعة او صناعة أو تجارة
وعلى هذا تترتب وجود فرص كثيرة للعمل ببركة الزكاة .

(٢) فقه الزكاة ، د . يوسف القرضاوى . ج ٢ / ٨٧٦ ، ٨٧٨ . مؤسسة
الرسالة بيروت . ط الرابعة ، ١٤٠٠ هـ .

كما ان أئسرها على الآخذ اشد واعظم فالظوب قد جعلت على محبة المحسن .

" فان الناس اذا علموا فى الانسان رغبة فى نفعهم ، وسعيه فى جلب الخير لهم ، ودفع الضرر عنهم ، أحبه بالطبع ، ومالت نفوسهم اليه لامحالة (١) ."

ومن اخطر جرائم الافنيا التى تسبب الحقد والحسد والكراهية التعامل بالربا وما ينتج عنه من اضرار اقتصادية واجتماعية مدمرة .
وحقيقة الرباهى أخذ زيادة وفائدة دون مقابل حقيقى صحيح مشروع .
ومن ذلك المتاجرة بالمال باقراضه الى أجل معين وأخذ زيادة على ذلك .
فيزيد المال ويتضاعف لصاحبه دون أن يقدم فائدة حقيقية للمجتمع .

فالمرابى لا يجلب بضاعة الى الاسواق تساهم فى نماء التجارة واتساعها ، ولا يستثمر ماله فى مشاريع زراعية او صناعية او مزاربات تعود على البلاد والعباد بالخير ، وتؤمن فرصا للعمل ، وضائع تتداول يستفيد منها المسلمون ويستغنون بها عن غيرهم .

فالربا عقيم محقوق . فنتيجته النظرية والواقعية هى تراكم المبالغ الدائنة لصالح الافنيا على الفقراء ، مما يزيد فى فقرهم ، وكثيرا ما تؤل منجزات الفقراء من مصانع ومزارع ومعارات ونحوها - والتي أنشأها من الربا - الى الافنيا نتيجة لتراكم الدين على اصحابها وعجزهم عن سدادها فيتسلمونها فى مقابل الدين على اصحابها . فيذهب كدح الفقراء لسنين طويلة الى المرابين الذى لم يبذلوا فيه ادنى تعب .

(١) المصدر السابق ح ٢ / ٨٦٧

وعلى هذا فحصول الربا النهائية هي ازدياد الحرص والجشع والاحتكار والاستغلال من جانب الاغنيا . والحقد والحسد والبغضاء من جانب الفقراء مما يزيد في اتساع الهوة بينهم ويؤدي الى العداوة والبغى والظلم .

وأثر الايمان في ازالة هذا الداء العضال تكمن في تحريمه للربا .
والتحذير الشديد منه ، وجعل المصطفى الربا محاربا لله ولرسوله
- صلى الله عليه وسلم - قال تعالى :-

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحُوكُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّرْفَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا
فَأذُنُوا حَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ * (١)

وجانب تحريم الربا شرع الله لعباده الاسباب العشرة التي تكفل للعباد
العيش المستقر الكريم . فشرع البيع ، واستثمار المال في الزراعة والصناعة

والعقار، والتي اذا اقيمت على النظام المشروع كفلت لامة ازدهارا اقتصاديا واجتماعيا. وتوفرت البضائع وفرص العمل وسار كل فى مجال عمله قير العين مفتبطا لا يشعر بتسلط ولا حرمان .

كما ان قيام المجتمع بالتكافل الاجتماعى فى ايجاد صناديق للاقراض الحسن وساعده المحتاج للزواج اوسداد الدين اوبناء مسكن . وقيام الشركات والمؤسسات بالبيع بالتسيط كل ذلك يقلل من المحتاجين الى الاقتراض بالربا ، مما يقطع مصدر الشر ويساهم فى ايجاد التعاون على البر والتقوى الباعث على الحسب والخير .

قال تعالى :

" وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " (١)

وقال : ^(٢) وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
وقال صلى الله عليه وسلم :

" من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه
الحديث " (٣)

وهذه النصوص وغيرها تشمل اساسا فى التعاون والتكافل الاجتماعى سواء كان على مستوى فردى أو عمل جماعى . وهذا الباب مفتوح لكل من يسهم فيه بفكرة جيدة أو مشروع مفيد ، فكل من سن سنة حسنة فى ايصال النفع ومساعدة المسلمين فله اجرها وأجر من عمل بها الى قيام الساعة وفى ذلك قال - صلى الله عليه وسلم :-

(١) سورة " المائدة " ٢ . (٢) سورة " البقرة " ٢٨٠ .

(٣) رواه مسلم . كتاب الذكر والدعاء . . . باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن . . .

" من سنن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء " ، ومن سنن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء " (١)

وهي هذه القاعدة النبوية فمن الامثلة على السنن السيئة في هذا الزمان : البنوك الربويه ، ومن الحسنة الصناديق الخيرية ، والجمعيات التعاونية ومن السنن السيئة ايضا المحلات التي تباع أشربة الغناء والافلام الفسدة ومن الحسنة محلات بيع أشربة القرآن والمحاضرات المفيدة .

فالسنة الحسنة المراد بها ان يعمل الانسان بعمل صالح عند اناس لا يعطون به او يجهلون فيكون اول من عمل به فيقتدون به . والسنة السيئة ان يعمل بمعصية عند من لا يعطونها او يجهلون بها فيقتدون به فيها . وفي هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم :

" لا تقتل نفس ظلما ، الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها ، لانه كان اول من سن القتل " (٢)

وليس من السنة الحسنة الابتداء في الدين باحداث فعل على وجه التعبد ، وذكر بهيئة مخصوصة او عدد معين ، او جعل فضل لعمل لم يأذن الله بها ولم يأت لها أصل في شريعة النبي - صلى الله عليه وسلم - فالعبادة مبناهما على الاتباع ويحرم فيها الابتداء .

(١) رواه مسلم كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة ولهشق تمره . ح (١٠١٧)

ح ٧٠٥ / ٢ وفي كتاب العلم باب من سن سنة حسنة او سيئة . .

ح ٢٠٥٩ / ٤

(٢) متفق عليه . البخاري : كتاب احاديث الانبياء ، باب خلق آدم وذريته

ح (٢٣٣٥) الصحيح مع الفتح ح ٣٦٤ / ٦ . مسلم : كتاب القسامة

باب بيان اثم من سن القتل ح (١٦٧٧) ح ١٣٠٤ / ٣ واللفظ لمسلم .

قال تعالى: " فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ " (١)

وقال: " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ "

ذَلِكَ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ " (٢)

وقال: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ "

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو

رد (٤)

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب يقول :

" أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد

وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . . . " (٥)

والنصوص في ذم البدعة في الدين كثيرة ، وفيما ذكرناه بالمقصود

إن شاء الله .

ومعد الكلام على الريا وما يسببه من أمراض قلبيه وكوارث اقتصاديه

واضرار في العلاقات الاجتماعية . اذكر أمرا آخر له أثر في تغير القلوب

وتناورها ، وذهاب ودها ومحبتها . الا وهو التكبر من القوى على الضعيف

والغنى على الفقير . والكبر مرضى قلبي لكن من أهم دلائله

الظاهرة ترك السلام تكبرا .

(٢) سورة " الانعام " ١٥٣

(١) سورة " يونس " ٣٢ .

(٣) سورة " آل عمران " ٣١ .

(٤) متفق عليه : البخاري كتاب الصلح ، باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح

مردود ح (٢٦٩٧) ح ٣٠١ / ٥ . ومسلم : كتاب الاقضية ، باب نقص الاحكام

الباطلة . ح (١٧١٨) ح ١٣٤٣ / ٣

(٥) رواه مسلم :

كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ح (٨٦٧) ح ٥٩٢ / ٢ .

وأثر الايمان فى تطهير القلب من هذا المرض يكمن فى الايمان القلبي القائم على معرفة الله باسمائه الحسنى وصفاته العلا وأفعاله العظيمة الحكيمة . فاذا استشعر العبد عظمة الله وكبريائه وجلاله ، والمقابل استشعر ضعفه وذله وحقره وحاجته الى ربه فان ذلك من اعظم البواعث على ابتعاده عن التكبر وجنوحه الى التواضع . وايضا اذا كل توكله على الله واستشعر ان النعمة التى هو بها وغيرها من الخير الذى يأمله والشر الذى يحاذره انه بيد الله وحده ، حمله هذا العلم على ترك الاعتداد بنفسه اوقوته اوجاهه اخناه وغير ذلك .

وقد أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - الى عمل له أثر كبير فى نشر السلام والمحبة والوثام بين افراد المسلمين . لما يحمله من رسالة من الاخ ل اخيه بانه يحترمه ويحله ويعتسرف بمساواته فى الحقوق بموجب رباط الايمان هذا الامر الجليل هو افشاء السلام .

قال - صلى الله عليه وسلم - :

" لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . اولا أدلكم على شئى اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم " (١)

مساتقدمت بين أن الحقد والحسد والكراهية والبغضاء ثغور فى حصن القلب والمجتمع المسلم اذا انتشرت بين الافراد . وهى منفذ خطير للافكار المنحرفة . وأن أثر الايمان يتجلى فى ازالة الدوافع لها بتقوية الايمان بتعليم الناس اسماء الله وصفاته وافعاله ، وغيرها من حقائق التوحيد . وفرض الزكاة والحث على الانفاق ، وتحريم الربا ، والتحريض على التعاون والتكافل بين المسلمين والامر بافشاء السلام وحسن الخلق .

(١) رواه مسلم . كتاب الايمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون.....

وهذا ينتهى مايسره الله من الكلام على هذا الفصل (أثر الايمان
فى تطهير القلب) وانتقل -بعون الله - الى الفصل الذى يليه (أثر
الايمان فى تزكية القلب) . والله من وراء القصد وهو الهادى الى سواء
السبيل .

الفصل الثالث

الفصل الثالث : أشر الايمان فى تزكية الطوب .

وفيه محثان :

- المحث الاول : أشر التزكية فى طمأنينه فى القلب .
- المحث الثانى : أشر التزكية فى حصول النور والفرقان .

ان صلاح القلب بسلامته من الشر وعمرانه بالخير يجعله في حصن حصين من دعاة الضلال واسبابه . وقد تقدم الكلام في الفصل السابق عن أثر الايمان في تطهير القلب ، وهو أثر هادم للوظائف الذميمة القائمة بالقلب والتي تشمل شغرات ومداخل في حصته للأفكار والمساوئ الشيطانية الفسدة . وفي هذا الفصل يجرى الكلام - بعون الله تعالى - على أثر الايمان في تزكية القلب ، وهو الأثر الباني للخصال الحميدة فيه . والتي يتحصن بها ضد اعدائه ومخططاتهم الرامية الى التسلل اليه وافساده .

" والزكاة في اللغة : النماء والزيادة في الصلاح . يقال : زكا الشيء اذا نما في الصلاح ، فالقلب يحتاج ان يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح .." (١)

وسميت الزكاة بذلك : " لما يكون فيها من رجا البركة أو لتزكية النفس أى تنميتها بالخيرات والبركات اولهما جميعا فان الخيرين موجودان فيها " (٢)

والمقصود بهذا الفصل هو زكاة القلب ، ومعرفة أثر الايمان في ذلك . ثم الاشارة الى تحصنه بهذه التزكية من موارد الافكار الهدامة ودافعها . وزكاة القلب امر زائد على طهارته . فالتزكية وان كان أصلها النماء والبركة وزيادة الخير ، فانما تحصل بازالة الشر ، فلهذا صار التزكي يشمل هذا وهذا . (٣)

(١) مجموع الفتاوى ج ١٠ / ٩٦ .

(٢) المفردات في فريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢١٣ ، مادة " زكا "

(٣) مجموع الفتاوى ج ١ / ٩٦ ، ٩٧ .

فطهارة القلب لازمة لتزكياته متقدمة عليها . قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" ولن ينمو الخير الا بترك الشر ، والزرع لا يزكو حتى يزال عنه الدفـل
فكذلك النفس والاعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها ، ولا يكون الرجل متزكيا
الامع ترك الشر . . . (١) "

وتزكية القلب المتضمنة لتطهيره من المحرمات ، وتغذيته بالصالحات
هي طريق الفلاح والسعادة والأمن والهداية في الدنيا والآخرة .
قال تعالى :

" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ " (٢)

وتزكية القلب تكون بالتوحيد والاعمال الصالحة وتدسيته تكون بالشرك
والمعاصي . (٣)

وقد تقدم (٤) ان العقائد والعواطف هي المؤثرة على الارادات .

وان العلم هو المؤثر - باذن الله - في بناء العقائد والعواطف وتزكيتها
او تدسيتها .

وعلى هذا فان العلم هو العاطل الـاهم في تزكية القلب وصلاحه لـمـالـه
من تأثير على العقائد والعواطف .

(١) مجمع الفتاوى ج ١٠ / ٦٢٩ .

(٢) سورة " الشمس " ٧ - ١٠ .

(٣) مجمع الفتاوى ج ١٠ / ٦٣٢ .

(٤) تقدم ص (٢٠٦) .

وتقدم ايضاً^(١) الاشارة الى أثر العلم فى تزكية القلب ، وأن كسلا من التطهير والتزكية انما يكون بتعلم الوحي المطهر واتباعه اعتقاداً وفعلاً وتركساً .

وحيث ان البحث يجرى فى دراسة أثر الايمان الكامل القائم على العلم المستقى من الوحي ، والعمل الخالص الصواب ، ذلك الايمان الذى يثمر العقائد الحققة ، والعواطف الصالحة ، والارادات الطيبة ، فان القصد والحالة هذه هو بيان الآثار التى تنتج عن هذا الايمان الذى زكى به القلب والتى لها دور فى تحصينه من الافكار الخبيثة الفسدة .

ويمكن حصر أهم هذه الآثار بما يأتى :

١ - حصول الطمأنينة فى القلب .

٢ - النور والبصيرة والفرقان .

وسوف أتكلم بحول الله تعالى عن كل منها فى بحث مستقل . وبالله التوفيق .

(١) تقدم ص (٢٣٠)

المبحث الاول : أثر الزكوة في طمأنينة القلب .

طمأنينة القلب هي من اعظم نعم الله على المؤمن . وذلك أن سكون النفس واستقرارها هو الدافع للخير ، والشعور بالغبطة والسعادة ، وقيمة الحياة وهدفها ، والثقة بالله وموموده .

ولذا كانت طمأنينة القلب هي حصنه الحصين الذي يستعص على الشياطين . وذلك ان النفس المطمئنة والقلب الثابت لا سهيل الى زعزعة . بإذن الله .-

ولكى يتبين أثر الطمأنينة في تحصين القلب ، ينبغي أن أشير الى ما يحدثه ضدها وهو القلق من شعور في القلب تتسرب من خلالها القاذورات من مستنقعات الجاهلية .

فالقلق : هو انزعاج القلب وانفعاله ، وخروجه من استقراره وطمأنينته وراحته . فهو شعور بالضيق وعدم الراحة او الرضا .^(١)

والدواعي للقلق كثيرة أهمها الخوف من حصول مكروه أو فوات محبوب . ومنها الشوق فإذا اشتاق القلب لشيء قلق من أجله واهتم له ، ومن هذا النوع الشوق الى المعرفة .

(١) انظر : المعجم الفلسفي ، د . جميل صليبا ، ج ٢ / ١٩٩ ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط الاولى ١٩٧٣ م .
وانظر : الموسوعة الطبية الحديثة ، ج ١١ / ١٥٧٩ ، تأليف نخبة من علماء مجمع " قولدن برس بأمريكا " ، ترجمة لجنة تحت اشراف الادارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي بمصر ، الناشر مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

وهناك نوع من القلق لم يجد له علماء النفس سببا معروفا . وهو عبارة عن انزعاج واضطراب القلب يصحبه حزن وكآبة وضيق صدر . وقد انتشر هذا النوع انتشارا واسعافى السنوات الاخيرة ، كشفت ذلك بعض الدراسات المتخصصة . وهذا النوع من القلق معروف سببه لدى أهل الايمان . فمرجعه الى مخالفة الفطرة . وذلك ان الانسان مجبول على الركوب للخير والحق والاطمئنان له . والقلق من الشر والضيق به .

فهذا النوع اذا مرده الى قيام الكفر والشرك او النفاق او المعاصي بالانسان واستمراره عليها .

وسوف أتكلم على نوعين من انواع القلق لعالهما من أثر في جنوح الفرد الى الافكار الخبيثة المخالفة للحق .

النوع الأول : القلق الناتج عن الشوق للمعرفة .

النوع الثاني : القلق الناتج عن مخالفة الفطرة بالشرك أو المعاصي .

النوع الاول : القلق الناتج عن الشوق للمعرفة .

هذا النوع من القلق أصله فطري قد جبل عليه اكثر الخلق ، فكل انسان عاقل لديه رغبة في المعرفة . واذا أحس بجهله بأمر انفعلى طلبها لمعرفة . وقد ذكر الله لنا مثلا على هذا القلق الذى يصيب الانسان طلبا للمعلم

(١) انظر: علم الصحة النفسية ، د . مصطفى خليل الشرقاوى ، ص ٢٧٣ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط الاولى ، ١٩٨٣ .
وانظر: دراسته حول ذلك فى جريدة الشرق الاوسط ، ص ٢٢ المسدد
٤١٢٤ الاربعاء ١٤ / ٣ / ١١٩٠ .

فاذا حصل ماتشوف القلب اليه من العلم سكن واطمئن ، قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ
تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦١﴾ (١)

أورد المفسرون أن هذا القلق والشوق لهذا النوع من العلم انما وجد عند
ابراهيم - عليه السلام - بعد حاجته للنمرود في قضية ان الله هو الذي يحيى
وميت .

فقد ذكر ابن جرير - رحمه الله - عن بعض السلف أن سبب مسألة ابراهيم
ربه ذلك المناظرة والمحاجة التي جرت بينه وبين نمرود في ذلك . من غير شك
في الله تعالى ذكره ولا في قدرته ولكنه أحب ان يعلم ذلك وتاق اليه قلبه
فقال ليطمئن قلبي اي ماتاق اليه اذا هو علمه . (٢)

وهذا الشوق للمعرفة عند المؤمنين انما يرويه ما نزل من الحق في كتاب الله
وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - خاصة في الامور الغيبية والمطالب الالهية
والشرايع التمهيدية .

الا ان هذا الشوق يتحول الى مرض اذا صاحبه عدم الرضى او عدم الثقة
بالنصوص الناقطة للعلم نتيجة لاستحكام الشبهات فيجنع عند ذلك الى طلب
الحق من مصادر أخرى .

(١) سورة " البقرة " ٢٦٠ .
(٢) نمرود هو ملك بابل زمن نبي الله ابراهيم - عليه السلام - قيل انه ملك الدنيا
وانه استعفى ملكه اربعمئة سنة ، كان من الطفاه المتجبرين ، ادعى لنفسه الربوبية
فأبطل الخليل عليه السلام دليله والجهه الحجة . انظر: البداية والنهاية - ١٤٨ / ١ .

(٣) انظر: جامع البيان - ٤٨ / ٣ .

يقول عبد الرحمن بدوي :

" فان اشال هؤلاء الفكرين الذي يشعرون بالتوتر العظيم بين النقيض
والعقل اصين الدين والعلم ، لا يجدون خيرا من هؤلاء (الفلاسفة) ... لكى
يشبعوا هذه الرغبة " .^(١)

فجنح المنسبين الى الايمان الى كتب الفلاسفة والاديان الباطلة كالهندية
والفارسية ونحوها ، مردة الى عدم الطمأنينة الى مصدر الحق وهو الوحى
المطهر وقلة الثقة به كصدركاف لمعرفة الحقائق أو عدم الثقة بنقلته الذين بلغوه .

اما زعم من قال ان الفلسفة تشبع هذه الرغبة فهذا ادعاء كاذب مردود
بشهادة المختصين فى دراسة الفلسفة قديما وحديثا وخاصة فى هذا العصر
الذى بلغت فيه الفلسفة أوجها ، وقمة مجدها ، حيث تبنيتها الحضارة
الغربية ، واقامت نظمها الاجتماعية عليها . واليك بعض هذه الشهادات :
ورد فى كتاب " مدخل الى الفلسفة " :

" من الطبيعي ان يصبح الباحث حين يواجه هذه الحالة مرتبكا مشدوها
فاتر الهمة . فبينما كان يرجو ان يجد الحقيقة الواحدة وجد نفسه بدلا من ذلك
سوقا الى ان يسأل : ما هو الحق ؟ لقد رجا ان يمسخ على شكوك بيد اليقين
لكنه بدلا من ذلك وجد ان التفلسف يثير شكوكا وارتباكات اكثر مما يطمئن
وانه يثير اسئلة هي أعسر بكثير من أن يقدر على الاجابة عنها . والحاصل
فالبها هو انقضاء الرجا فى الفلسفة ... فما الفائدة ؟ ان الفلسفة لا تقدر
ان تبرهن على شىء ... والفلاسفة لا يتفقون ابدا . كلها استراق وتحايل على
كل حال . وهكذا يقع العتشكك فريسة سائفة لمعتقد يشر به أهله تشبيرا
تعسفيا " .^(٢)

(١) كتاب أرسطو ، لعبد الرحمن بدوي . ص ٢٧٥ . مكتبة النهضة المصرية
القاهرة ، ط الثانية ، ١٩٤٤م .

(٢) مدخل الى الفلسفة ، تأليف : جون هرمان راندال ، وجوستاس يوخلر ص ٣٠
ترجمة د . طحم قربان . دار العلم للطابعين ، بيروت ، ١٩٦٣م

وورد في " الموسوعة الفلسفية المختصرة " كلمة المحرر قوله :
" ومن هنا كانت أي مجموعة من الاجابات التي توضع لمشكلات الفلسفة الرئيسية ... اما أن تشمل وجهة نظر واحدة من بين ما لا يحصى من وجهات النظر وأن تكون بمثابة بيان حزي ، واما ان يظل يناقش بعضها بعضا . ويترتب على هذا أن لا يمكن لأية موسوعة فلسفية ان تضطلع بتقديم اجابات قاطعة لمشكلات الفلسفة دون أحد امرين : فاما ان تخدع قراءها بأن تصور لهم ماهو في حقيقة الأمر احد الآراء المتخاصة على انه الاجابة المظق عليها .

واما أن تربكهم بسلسلة من الاجابات المتعارضة . ولما كان الامر كذلك فقد آثرنا الانجيب عن هذه الاسئلة اطلاقا .^(١)

وهذا الكلام الذي يقوله الذين يشرحون الفلسفة للقراء وييسطونها لهم هو بمثابة اعلان للافلاس واشعار للقارىء انه لن يجني خيرا منها ، فمأقربه من تحذير الطكين الذي ذكره الله بقوله :

" وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا حُضِرْنَا فِتْنَةً فَلَا تَكْفُرْ " (٢)

وهذا الدافع جنح كثير من المنتسبين الى العلم الى الفلسفة وعلم الكلام طلبا للحق في المطالب الضيية بزعمهم فلم يجنوا لانفسهم الا الحيرة والضلال والخلاف والانقسام لامة الاسلام فضلوا واضلوا .

والغرض هو بيان ان قلق القلب وتشوفه للعلم الصحيح بأى نوع من انواع عدم الثقة او القناع بالوحى ، يكون دافعا للوقوع فى الافكار المنحرفة المخالفة وهذا يتبين اثر الايمان فى طمأنينة القلب وثقته فيما جاء من عند الله من الهدى والنور .

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ، يشرف على تحريرها : جى . بيورسون ، تصدر

باللغة الانجليزية ، ترجمة نخبة من المترجمين ، المقدمة ص ١ . مكتبة

الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

(٢) سورة " البقرة " ١٠٢ .

النوع الثانى : القلق الناتج عن مخالفة الفطرة بالمعصيان .

(١) لقد خلق الله عباده على فطرة سوية . قال تعالى : " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا " .
قال ابن كثير - رحمه الله - : " اى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمية " (٢) وقال تعالى : " فَأَقْرُبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ " (٣)
وقال - صلى الله عليه وسلم - : " ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه (٤) .

قال ابن رجب - رحمه الله - : " وهذا يدل على أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله ، وركز فى الطباع محبة ذلك والنفور من ضده " (٥) ثم استدل ببعض النصوص المتقدمة .

واذا تبين هذا فان الاعتقاد الصحيح والعواطف الرشيدة من محبة الايمان وما يتصل به ، وكرهية الكفر وما ينتسب له او يؤدى اليه ، كل ذلك يوجب للقلب والنفس طمأنينة وراحة وسكينة .

وخلاف ذلك من الشرك او الكفر والنفاق والمعصيان يوجب للقلب الخوف والوحشة والقلق والانزعاج .

قال ابن القيم - رحمه الله - فى معرض بيان لعقوبة المعاصى :

-
- (١) سورة - الشمس - ٧ .
(٢) تفسير القرآن العظيم - ٤ / ٥١٦ .
(٣) سورة - الروم - ٣٠ .
(٤) متفق عليه - البخارى : كتاب الجنائز - باب اذا اسلم الصبي فمات ... ح (١٥٣٨) الصحيح مع الفتح - ٣ / ٢١٩ .
مسلم : كتاب القدر . باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ... ح (٢٥٦٨) -
- ٤ / ٢٠٤٧ .
(٥) جامع العلوم والحكم ، ص ٢٣٩ .

" ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي فلاتراه الا خائفا مرعوبا فان الطاعة حصن الله الاعظم من دخله كان من الآمنين من عقوبات الدنيا والآخرة ومن خرج منه احاطت به المخاوف من كل جانب " (١)

وقال : " وهل العذاب الاعذاب القلب ، واي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر " (٢) وقال ايضا :

" ومن عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة في القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشا قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبين الخلق وبين نفسه وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة " (٣)

وقال في سر ذلك :

" وسر المسألة ان الطاعة توجب القرب من الرب سبحانه وكلما اشتد القرب قوى الأنا . والمعصية توجب البعد من الرب وكلما زاد البعد قويت الوحشة " (٤)

ولاشك أن هذه الادواء المزمعة المتشكلة في الخوف والقلق والوحشة والضيق سوف تؤدي بماحبها الى طلب الخلاص منها . واذا أضيف اليها ضعف البصيرة وقسوة القلب الناتجة عن المعاصي ، وكون المعاصي تطلب ما يلائمها ، فان الغالب على من قامت به أن يطلب الخلاص منها في أمور محرمة أخرى تزيد في مرضه بعدة عن الطمانينة - فالمعاصي يجرب بعضها بعضا .

والكثير المشاهد ان هذه القلوب التي احرقها لهيب الوحشة والقلق والضيق تهرع الى وسائل الترفيه والمرح التي لا يخلو بعضها من محرمة وقتنة . وبعضها ينطوي على جملة من المحرمات ، كمارسة الغناء والرقص أو سماعه ومشاهدته ومشاهدته مواد التلفزيون وأشرطة الفيديو الفاسدة . والتردد على المسارح

(١)(٢)(٣)(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ج ٥٠ ، ص ٥١٠ .

والسينما التي تُبث من خلالها الافكار الهدامة على نطاق واسع واساليب مختلفة .
ومن ذلك كثرة النزعات والتردد على المراهى التي لا يخلو الكثير منها من الفتنة
واختلاط الرجال بالنساء وبعض المحرمات . والافراط فى الاشتغال بالادب -
والرياضة والفنون وقراءة الروايات والمجلات التي تصدعن ذكر الله وتوقد
الفرائز وتحرف الافكار .

وقد تزيد الوحشة والقلق فهجأ الى تعاطى المسكرات والمخدرات أو يهجنح
الى الفواحش والجريمة أو الانتحار أو يصاب بالجنون .

وقد بين بعض الباحثين فى أحوال الامم الكافرة - المولعة باللهو واللعب
والترفه - أن الناس يهجون الى هذه الوسائل للتخلص من القلق^(١) . ويقول
الكاتب " بسكال " :^(٢) " ان الناس قد اخترعوا شتى ضروب اللهو أو التسليمة
حتى يتجنبوا الخوف من الوحدة أو العزلة " .^(٣)

وكثيرا ما استخدم شياطين الانس والجن هذه الوسائل كطعم لصيد
الناس وابقاعهم فى الفواحش والافكار الهدامة الخسدة للعقائد والاخلاق .

(١) انظر الموسوعة الطبية الحديثه ح ١١ / ١٥٨٠ . وجريدة الشـرق
الوسط ، ص ٢٢ ، العدد ٤١٢٤ ، الاربعاء ١٤ / ٣ / ١٩٩٠ م ، زاوية
" دراسات " .

(٢) " بسكال " مؤلف فرنسى ولد عام ١٩٢٣ م وتوفى ١٩٦٣ م . انظر : دائرة
المعارف ، بطرس البستاني . ح ٥ / ٤١٨ . مطبعة المعارف ، بيروت ،
١٨٨١ م .

(٣) نقلا عن كتاب : فى سبيل موسوعة نفسية ، تغلب على الخوف ، المجموعة
من علماء النفس الغربيين ، عرض وتقديم د . مصطفى فالب ، ص ١٣ ، دار
مكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٥ م .

قال الشيخ محمد قطب حين استغلال اعداء الاسلام لهذه الوسائل فسي
هدم الاسلام :

" كان من الفاسد الجديدة التي جاء بها الاستعمار : التعالين بالفاحشة
باسم " التحرر " و " الانطلاق " و " المدنية " والدعوة الى السفر والدعوة الى
الاختلاط ، وكان منها توسيع دائرة " اللهو " باسم " الفن " و " الرقي " و " الحضارة "
فمرة مسرح ، ومرة سينما ، ومرة اذاعة ما جنة تقدم الفناء الفاحش ، والتأوهات
المريضة والالفاظ العاتية ، ومرة يكتب عليها صراحة اسم " طهى " ومرة
.. ومرة .. ومرة (١) .

وقال ايضا :

" وجدت بعد ايام الاستعمار الاولى وسائل اخرى كلها للفساد ، من ابرزها
التلفزيون والفيديو ... واتخاذ الصحافة النسوية ثم السينما والتلفزيون لافراء
المرأة بمزيد من التبذل والفساد (٢) "

ولخص بعد ذلك أهم أهدافهم من وراء نشر ذلك بانها صرف الناس
عن الصلاة بعد ما صرفوهم عن تحكيم شريعة الله ، والقضاء على روح الجسد
فى الامة . والقضاء على ما بقى من روح الجهاد فيها (٣) .
ولاشك ان زمرة اعتقاد المسلمين وافقادهم الثقة والعزة بدينهم من
أهم أهدافهم .

والحق ان هذه الامور التي يلجأ اليها الناس للتخلص من القلق لا تحقق لهم
هذا المطلب ، بل تزيدهم قلقا ووحشة . فهي تصرف فكر الانسان وتشغله
عما يعنيه من القلق مؤقتا مادام فى لهوه ، ثم يعود بعد ذلك أسوأ
حالا مما كان عليه .

(١)(٢) الجهاد الافغانى ودلالاته ، محمد قطب ، ص ٢٥٠ . مؤسسة المدينة

للصحافة والطباعة والنشر ، جدة ، ط الأولى ، ١٤١٠ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٢ ، ٥٣ .

ورد في الموسوعة الطبية الحديثة :

" اما الاقبال على المشروبات الكحولية والترويح السلبي من امثال مشاهدة التلفزيون والسينما فلا يخفف القلق بل على العكس يزيد من سوءه ^(١) .
" فاللهو حصر أكال ، يُرهق النفس ، ويقتل الوقت ، ويمنع التوجه لمعالي الامور وهو في الوقت ذاته مفر بالمزيد ، ولا تشبع منه النفس اذا وجهت همها اليه وانما تسعى للاستزادة منه مع " التفتن " الدائم في التغيير! ^(٢) .

فالنفس لا تشبع من اللهو لانه ليس علاجا صحيحا لانها من القلق والضيق اذا لو كان علاجا مناسباً لقطع القليل منه دابر الداء او خففه .

كما يحدث للمؤمن عند فعل الطاعات . لكن القلق مسكن ، تماما كالحبوب المسكنة للآلام البدنية يشعر المريض بالراحة ويسكن الالم اذا تعاطاها . والمرض في الحقيقة يزيد اذا لم يعالج بعلاجه المناسب .

وسعى النفس للاستزادة حيث انها كلما جربت نوعا من اللهو بحثت عن غيره دليل على زيادة الدافع للهو الا وهو القلق والضيق والكآبة .
وهذا يتبين ان القلق وعدم سكون القلب دافع لطلب الافكار الهدامة وتعاطى الامور التي تستخدم لنشرها ، فهو اذا شغرة في القلب خطيرة قد تؤدي بها الى الوقوع فريسة للافكار الهدامة الخسده للدين .

وهذا تتبين الاهمية الكبرى للايمان في جلب الطمأنينة للقلب ، وتحصنه بذلك من الجنوح الى شئ من اباطيل الجاهلية او افعالها القبيحة .

وقد جاء المجال للكلام على الطمأنينة كأثر فعال في تحصين قلب المؤمن

ولله المستعان .

(١) الموسوعة الطبية الحديثة ، ج ١١ / ١٥٨٠ .

(٢) الجهاد الافغاني ودلالاته ، محمد قطب . ص ٥٣

الطمأنينة حصن للقلب

إذا تقرر أن قلق القلب الناتج عن مرض الارتباب او محبة الفاحشة انما هو فقر وحاجة تدفعه الى طلب ما يرويهها وبلائمها من الشهوات المحرمة او وسائلها من اللهو واللعب ونحوه . او الى تطلب الحق في غير محله ومن غير أهله وفي ذلك وقوع في الافكار الفاسدة ، أو في صائد الفسدين التي يستدرجون بها أهل الخير الى مهاوى الرذيلة والخلال ...

إذا تقرر ذلك ، فان طمأنينة القلب وسكونه تعنى غناه وركونه الى الايمان وعقائده وشرائعه . فلم يعد فيه قلق او حيرة في اى مطلب علمي تدفعه الى طلب الحق فيه من غير الوحي المبارك . وليس في قلبه مرض يميل به الى الفاحشة او موارد ها حيث حهب الله اليه الايمان وزينه في قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان فهو مطمئن سليم .

فالطمأنينة اذا هي غنى القلب الذي يتحصن به المؤمن من كل شر فكري يؤثر في عقائده . او عاطفي يخل بعواطفه واراادته .

سبب طمأنينة القلب .

طمأنينة القلب وسكون النفس قضية تهتم البشر جميعا .
فكل انسان يبحث عن هذا الامر . لذا كثر كلام المفكرين قديما وحديثا عن
اسباب الطمأنينة وكيفية حصولها . واختلفوا في ذلك اختلافا واسعا كما دت لهم
في كل القضايا الرئيسية الهامة .
والقرآن الكريم أنزله الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - هاديا للبشرية
الى الحق في جميع نواحي الحياة .

" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ " (١)

" شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ " (٢)

ونظرا لاهمية هذه القضية وخطورتها ، فلا بد أن يأتي البيان لها
فيما نزل من الوحي بوضوح يتفق مع أهميتها .
وقد جاء البيان للسبب الذي به تطمئن القلوب في كثير من النصوص من ذلك
قول الله تعالى :

" الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " (٣)

ففي قوله : " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله "

علاقة المؤمنين الذين صدقوا في ايمانهم وتمكن من قلوبهم . وهي انهم
تطمئن قلوبهم لذكر الله أي : " تسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله " (٤)

(٢) سورة " البقرة " ١٨٥ .

(١) سورة " الاسراء " ٩ .

(٣) سورة " الرعد " ٢٨

(٤) جامع البيان لابن جرير ، ج ١٣ / ١٤٥

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - :
" ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله)
أي يزيل قلقها واضطرابها وتحضرها افراحها ولذاتها ^(١)
وهذه العلامة مهم أن يتحقق وجودها في نفسه كل من ينتسب للإيمان
فإن كان من الذين تنشرح صدورهم عند قراءة القرآن أو سماعه ، وفي حلق
العلم وسماع الدروس ، ويتلذذون ويرتاحون في الصلاة ، ومجالسة الصالحين
وفي كل ما يذكرون الله به أو يذكروهم به ، فهو من " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله " فليحمد الله وليلزم .

أما إن كان يجد ثقلا وانقباضا عند ذلك . وفي المقابل ينشرح صدره ويرتاح
عند سماع الغناء ، واللهاو ، وأمام الطهيات وفي مجالس القيل والقال والغفلة
أوفي المعاصي ، فهو ليس من " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله " بل
إيمانه ضعيف وفي قلبه مرض وهوى خطر عظيم فليستغمد من هذه العلامة
وليهتد أرك نفسه .

أما قوله : " الأبد ذكر الله تطمئن القلوب " فلها مدلول أعمق .
فهى مع تأكدها لما تقدم من طمأنينة قلوب المؤمنين بذكر الله حيث أنه
هو الحقيق بان يطمئن له ويسكن إليه ، ^(٢) فهى مع ذلك تشير إلى حقيقة هامة
يحتاج إلى ادراكها كل إنسان وعلى ادراكها وهدى يتحدد سلوكه في الحياة .
هذه الحقيقة هى أنه لا طريق إلى طمأنينة القلوب وسعادتها وأنسها
وهجتها إلا بذكر الله . الأبد ذكر الله تطمئن القلوب " لا يفهمه .

فالسبب الوحيد لطمأنينة القلوب وشفائها من أمراضها ، وزوال قلقها

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ح ٤ / ١٠٨ ، طبع ونشر الرئاسة
العامه لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض

١٤٠٤ هـ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ح ٢ / ١٢٥

ووحشتها هو ذكر الله . ذكر الله بمدلوله الواسع الشامل لكل ما يذكر بالله أو يذكر الله به .

ما يذكر بالله من العلوم النافعة والادلة القاطعة في الآيات البينات الناطقات او المشاهدات .

وما يذكر به الله من سائر الاذكار والعبادات ، واقامة الاحكام والمعاملات على شرع الله .

ويجمع ذلك العلم بما نزل من الوحي والعقل به . فذلك هو الطريق السوي طمأنينة القلوب وسعادتها في الدنيا والآخرة

قال تعالى مشيراً الى هذه الحقيقة : **قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾** **قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ ﴿١٢٦﴾** (١)

قال سيد قطب - رحمه الله - : في تعليقه على قول الله تعالى :

" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله "

" تطمئن باحساسها بالصلة بالله ، والانس بجواره والأمن في جانبه وفي حماه تطمئن من قلق الوحدة ، وحيرة الطريق ، بادراك الحكمة في الخلق والعباد والعصير وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ، ومن كل ضرر من كل شر الابعاشاء مع الرضى بالابتلاء والصبر على الهلاك . وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة :

(١) سورة " طه " ١٢٣ - ١٢٦

(الابدكر الله تططن القلب)

وذلك الاطمئنان فى قلوب المؤمنىن حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الايمان قلوبهم ، فاتصلت بالله . يعرفونها ، ولا يملكون بالكلمات ان ينقولها الى الآخرىن الذين لم يعرفوها ، لانها لاتنقل بالكلمات ، انما تسرى فى القلب فىستروحها ويهبش لها ويندى بها ويستريح اليها ، ويستشعر الطمأنينة والسلام .^(١)

وقد يقال : اذا كانت القلوب لاتطمئن الابدكر الله ، فكيف نجد من يطمئن بغير ذلك من اللهو والمعاصى وغير ذلك مما هو مخالف لذكر الله !؟

فالجواب :

ان طمأنينة من يتعاطى ذلك فى رصحة . فهى راحة كاذبة لمواقمتها ما قام فى قلوبهم من الشر والمرض . فىشعر بنشوة وراحة لذلك . لكنها راحة مؤقتة لاتطبخ ان تنشق عن نار محرقة فى القلب لذلك يغلب على هؤلاء ادمان اللهو واللعب والمرح ، او المسكرات والمغدرات هروبا من مجابهة ما يثور فى قلوبهم من النكد والضيق اذا فتر اللهو .

وقد اشار شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - الى هذا النوع من الراحة التى يجدها مرضى القلوب وانها ليست ناتجة عن منفعة حقة ، صلاح نفسى القلب وزوال لمرضه ، وانما هى راحة مؤقتة مع بقاء أصل المرض الذى كد القلب ، فالقلب فى الحقيقة قلق مضطرب منكود . فقال :

" والتحقيق ان الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود وهو نوعان :

(١) فى ظلال القرآن - ٥ / ٩٤

(احدهما) كراهة للنعمة عليه مطلقا . فهذا هو الحسد المذموم ، واذا ابغض -
ذلك فانه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه ، فيكون ذلك مرضا في قلبه ، وملتذ بزوال
النعمة عنه ، وان لم يحصل له نفع بزوالها ، لكن نفعه زوال الالم الذى كان
فى نفسه ... وهو راحة ، وأشدّه كالمرضى الذى عولج بما يسكن وجعه والمرضى
باق . (١)

وقد بين الله فى كتابه حالة بعض من يطعنون بغير ذكر الله وان سبب
ذلك مرض فى قلوبهم نتج عنه ذلك الاطعنان المنحرف . قال تعالى :

” إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَاوَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَاؤُنْهَمُ
النَّارُ يَمَآكُتُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ” (٢)

فبين سبحانه أن رضوانهم بالحياة الدنيا واطعنانهم بهاناتج عن مرض الكفر
بالله وعلقائه سبحانه . وان ذلك كله مترتب على مرض الجهل الحاصل من الغفلة
عن آيات الله .

وهذا يتبين أن الطمأنينة الحقّة هي طمأنينة القلب السليم الذى عمّر
بالايان وتغذى من الوحي المطهر . وانصبغت عقائده وعواطفه وانفعالاته
واراداته بالعلوم المستقاة منه . وكلما زاد الايمان زادت الطمأنينة واستفسنى
القلب وعظم انفكاكه وابتعاده عن افكار الجاهلية واعمالها .
الايان .. والطمأنينة :

والمقصود بهذا العنوان بيان ان الايمان بمختلف شعبه يحقق للقلب
ما يصبو اليه ويتشوق لتحصيله من المعلومات والمحبهات التى تُوجده الخسائر
والصلاح وتعمل على ثباته وقوته واستقراره .

ومن أجل بيان هذا المطلب المهم ينبغى معرفة ما يحتاج اليه الانسان السوى

(١) مجمع الفتاوى ج ١٠ / ١١١ ، ١١٢

(٢) سورة يونس ٧ ، ٨

وستظلي الفطرة الانسانية تحس بالتوتر والجمع والظماً ، حتى تجد الله وتؤمن به ، وتتوجه اليه .

هناك تسريح من تعب وترتوى من ظمأ ، وتأمين من خوف ، هناك تحسس بالهداية بعد الحيرة ، والاستقرار بعد التخبط ، والاطمئنان بعد القلق ووجدان المنزل والأهل بعد طول الغربة والضرب في ارض التيه^(١) .

وقد بين الامام ابن القيم - رحمه الله - حاجات القلب الفطرية وأثر الايمان في اشباعها بقوله :

" ففي القلب شعث لا يلحمه الا الاقبال على الله . وفيه وحشة ، لا يزيلها الا الاالنس به في خلوته .

وفي حزن : لا يذهب الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته .

وفي قلق : لا يسكنه الا الاجتماع عليه^(٢) ، والفرار منه اليه .

وفي نيران حسرات : لا يطفئها الا الرضى بأمره ونهيه ، وقضائه ومعانقته الصبر على ذلك الى وقت لقاءه .

وفي طلب شديد : لا يقف دون ان يكون هو وحده مطلوبه .

وفي فاقة : لا يسدها الا محبته ، والاناة اليه ، ودوام ذكره ، وصدق الاخلاص

له . ولوا عطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه ابدا^(٣) .

(١) الايمان والحياة ، د . يوسف القرضاوى ، ص ٩٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ٩ ، ١٤٠٣ هـ .

(٢) يقصد - رحمه الله - بالاجتماع على الله : " جمع الهمة على الله سبحانه محبة واناة وتوكلا وخوفا ورجاء ومراقبة . وجمع الهمة على تنفيذ اوامر الله في الخلق دعوة وجهادا . فهما جمعان : جمع القلب على المبعود وحدة وجمع الهمة له على محض عبوديته " مدارج السالكين - ٣ / ٤٥٩ .

(٣) مدارج السالكين ، ٣ / ١٧٢ .

أثر معرفة الله باسمائه وصفاته وأفعاله في طمأنينة القلب .

ان معرفة الله باسمائه وأفعاله وصفاته تخصب القلب بالخير في عقائده
وعواطفه وأراداته، كما انها عامل مهم في توازن القلب واستقراره . وكما
كانت معرفته اكمل كان حظه من ذلك أكبر .

وذلك ان لكل اسم من اسماء الله تعالى عبودية خاصة . وأثر معينانسي
القلب والفكر والسلوك .

أما العبودية فتكون باثبات الاسم لله تعالى . واعتقاد أن الله متصف
بمادل عليه من الصفة . وقيام العواطف المناسبة في القلب .

ثم دعاؤه والثناء عليه به بالحال التي تتناسب مع مادل عليه من المعانسي .
فاذا كانت حال الداعي طلب مغفرة ورحمة دعاه باسمه " الغفور الرحيم " واذا
كانت حاله استشعار الرحمة وفيض النعمة اثنى عليه بالجواد الكريم المعطى
النعيم .. وهكذا .

اما أثر الاسماء - وهو المقصد الأهم في هذه المجال - فكل اسم له أثر

خاص يتناسب مع ما يدل عليه من المعنى والصفة . فان اثبات الاسم للـه تعالى واعتقاد انه متصف بالصفة التي دل عليها يحدث أثران في القلب . فالقلب باستشعاره لمعنى الصفة يتفاعل ويتجاوب مع ذلك المعنى ويتأثر به ، وينبعث لموجبه ، محبة او خوفا ، رغبة او رهبة ، وتعظيما واجلالا ، او توكلا ورجاء . ذلك الانفعال في القلب الناتج عن الاعتقاد له تأثير على العواطف والارادات والتفكير وبالتالي على السلوك .

ولكل اسم من اسماء الله معنى خاص وتأثير خاص .

ولا تزال معاني الاسماء والصفات تتوارد على القلب وتحدث فيه تأثيرا مناسباً لكل منها ، حتى تصبح فيه معرفة متكاملة لربه - سبحانه وتعالى - وأثر متكامل يخصص فيه نوازع الخير في عواطفه وأعماله الصالحة . كما يصبح فيه توازن استفاد من استشعار جميع أو أغلب الصفات التي وردت في الكتاب والسنة . دون ان يستشعر معاني بعض الصفات ويتأثر بها وينفعل لموجبها ، ويفضل عن استشعار ما يقابلها فيصبح عنده خلل في أعمال القلب والتفكير والسلوك . فكل جهل أو ضلال بمعنى اسم من اسماء الله ينتج عنه خلل في القلب والفكر وانحراف في السلوك ويفقد من الطمأنينة والاتزان بقدر جهله او ضلاله .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

" . . . والتعرفات الى عباده باسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له ، وذكرهم له ، وشكرهم له ، وتعبدهم له باسمائه الحسنى ، اذ كل اسم فله تعبد مختص به ، علما ومعرفة وحالا . واكمل الناس عبودية : المتعبد بجميع الاسماء والصفات التي يطلع عليها البشر . فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كما يحجبه التعبد باسمه " القدير " عن التعبد باسمه " الحلیم الرحيم "

او يوجب عبودية اسمه " المعطى " عن عبودية اسمه " العانع " أو عبودية اسمه " الرحيم والعفو والغفور " عن اسمه " المنتقم " او التعبد باسماء " التودد ، والبر واللفظ ، والاحسان " عن اسماء " العدل ، والجبروت ، والعظمة ، والكبرياء " ونحو ذلك . (١)

أشلة على أثر بعض الاسماء في طمأنينة القلب :
من ذلك أن ادراك العبد لمعاني اسماء الله " العليم ، الخبير ، الحكيم " يوجب له ثقة واطمئنانا الى أن أمره ومصيره وما يجرى عليه بيد ملك مدبر عليم حكيم خبير . فيزيل عنه كابوس الخوف والقلق من المستقبل والمجهول الذي ينخر قلب الكافرين الجاهلين برهيم .

ومثال ذلك ، " **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " (٢) :
لو أن ركابا في سفينة تجرى في البحر علموا ان قائد السفينة عاقل حليم ماهر عالم باحوال البحر وامواجه ، له خبره في معرفه الطريق والجهات ، فان هذه العلم يوجب لهم أمنا واطمئنانا وثقة به . بخلاف ما لو ادركوا أنه طائش اوجاهل بالقيادة اواحوال البحر ، فان ذلك يوجب لهم خوفا وقلقا يزيد كلما زاد علمهم بالاخطار .

ومن ذلك ان استشعار القلب لصفات معينة كالتى تدل عليها اسماء الله " الرحمن ، الرحيم ، المنعم ، اللطيف ، المنان ، الودود ، الكريم ، الجواد الغفور ، العفو ، التواب ، ونحوها .

(١) مدارج السالكين - ١ / ٤٥٢ .

(٢) سورة " النحل " ٦٠ .

بعض الاخبار الواردة عن الله من أن الله واسع المغفرة ، وان يدها مسوطةتان
ينفق كيف يشاء ، وان رحمة الله قريب من المحسنين ، وان رحمته وسعت كل
شيء .

وشهود القلب لآثار هذه الصفات في الكون : كنزول المطر ، وتجدد النعم
وحصول البركات ، والهداية ، والأمن . . ونحوها كل ذلك يوجب للقلب تأثرا
معينا يتخلل في محبة النعم ورجائه سبحانه وتعلق القلب به وتوكله عليه وذلك
يوجد فيه قدرا عظيما من الطمأنينة . كما ان فقه القلب لمدلل تلك الصفات
يجعله يحبها ويتخلق بتلك المعاني الحسنة التي يحبها الله فيحرص ان يكون
كريمها رحيمها غفوا . . الخ .

كما أن ادراك القلب لمعاني صفات أخرى كالتى تدل عليها أسماء الله
" العزيز ، الجبار ، المتكبر ، القهار . . ونحوها " .

والاخبار الواردة عنه من أن أخذه اليم شديد ، وأنه سريع العقاب ، وفعال
لعايريد ، وأن بطشه شديد . . ونحوها .

ومشاهدة آثار ذلك في الكون من حصول العاصب والكوارث والحروب ، وذهاب
الآمن ووقوع الفتن ، والزلازل والبراكين . . ونحوها .

فان ذلك يحدث في القلب أثرا آخر من الخوف والخشية والتعظيم والمهابة .
وهذه الأعمال التى قامت بالقلب تؤثر في العواطف والارادات نفورا من الظلم
والشر والمعاصى التى يمقتها الله وتوجب سخطه وعقوبته .

فيقوم في القلب نتيجة لذلك محبة ورجاء استفادة من ادراك القلب لمعاني بعض
الاسماء . وخوف ورهبة وتعظيم استفاد من معرفة القلب لمجموعة أخرى من
الاسماء .

محبة تدفعه وخوف يمنعه .

محبة تهبث فيه الرجاء وتدفعه الى فعل الطاعات والمساورة
الى الخيرات طلبا لرضوان المحبوب والقرب منه . وخوف يمنعه من كل
ما يفضب الله خوفا من بعده عن محبوه والتعرض لسخطه وعقوبته .

ولذلك جمع الله بين الخوف والرجاء في سياق واحد في معرض مدحه

لعبادة المؤمنين فقال :

" أُولَئِكَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ يَدْعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ (١)

وقال :

" إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٦٠﴾ (٢)

في الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - :

" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على شاب وهو في الموت

فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله بإرسول الله وأخاف ذنوبي . فقال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو

وآمنه مما يخاف " (٣)

(١) سورة " الاسراء " ٥٧ .

(٢) سورة " الانبياء " ٩٠ .

(٣) رواه الترمذى - ابواب الجنائز الباب العاشر (٩٨٨) ح ٢٢٢٧ / ٢ .
وابن ماجه في كتاب الزهد . باب ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٦١) ح
١٤٢٣ / ٢ واللفظه . واورده الالبانى في السلسلة الصحيحة ح ٤١ / ٣
وحسنه بالمتابعة .

والقلب ليس له صلاح بدونهما - الخوف والرجاء - ولا بافراد احدهما بالسيطرة على القلب . فان ذلك يخرج عن طمأنينته واستقراره . ويجنح في عواطفه وسلوكه ، وتضطرب عبوديته .

فلو غلب جانب الرجاء بأن استشعر الاسماء والاخبار وما يفيد الاعتبار مما يدل على عفو الله ورحمته وكرمه ولطفه ونحوها ، وحجب قلبه عما يقابلها مما يدل على مكر الله بالظالمين واستدراجه لهم وانتقاه منهم ، وعقوبته لمن خالف أمره ، فانه ينتج عن ذلك الأمن من مكر الله . وذلك يؤدي بصاحبه الى ان يضرب بالمعاصي ولا يبالي . فيتوزع القلب في محبة الشهوات وسعى الارادات فيتنازعه الهم والقلق . وفي اقل احواله يخلد الى الدعة والراحة وترك العمل فيها يعود عليه بالنفع في الدين والدنيا . اذ أن الطمأنينة الناتجة عن الامن والرجاء المطلق الذي بدون خوف ، هي عامل فساد وخمول وعقم في القصد والطلب . وهي ناتجة عن جهل بالله ولا يسلم من كان كذلك من مرض في عقائده او عواطفه وسوء ظن بربه .

وقد حذر الله من الأمن من مكره وبين انه من احوال الخاسرين . فقال

تعالى : (١)

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾

اما اذا كان العكس بأن ادرك قلبه من معاني الاسماء والصفات ما يدل على عظمة الله وجبروته وسرعة عقابه وشدة انتقاه ، وحجب قلبه عن الاسماء الدالة على الرحمة واللطف والتوبة والمغفرة . . الخ ، فيسيطر على القلب الخوف فيسلطه ذلك الى اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله : مما يؤدي به الى ترك العمل ، اذ لا فائدة منه بزعمه . وهذه طامة من الطوام وكبيرة من كبائر الذنوب ، تخرج القلب عن سكينته وأنسه الى انزعاجه وقلقه وهمه .

وقد حذر الله من القنوط من رحمته والياس من روحه فقال : " قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ " (١)

وقال حاكما عن نبيه يعقوب - عليه السلام - :

" يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُّوْا

مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ " (٢)

وهكذا سائر اسماء الله صفاته فان لمعرفة أثرها كبيرا فى سلامة القلب واطمئنانه . وبالتالى سلامة واتزان التفكير والسلوك . كما ان لها اثرهما فى طمانينة القلب وتوكله وركونه الى ربه ، وتسليمه لشرعه ، راضيا بقدره ، واثقا بعدله وحكمته ، مطمئنا الى عفو ومغفرته عند زلته وتوبته .

قال ابن القيم - رحمه الله - كاشفا هذا الاثر العظيم لمعرفة العبد اسماء الله صفاته . وكيف انها تعطل فى اصلاح القلب واطمئنانه واستقراره :

" القرآن كلام الله وقد تجلى الله فيه لعباده بصفات ، فتارة يتجلى فى جلاب الهيبة والعظمة والجلال ، فتخضع الاعناق ، وتنكسر النفوس ، وتخضع الاصوات ، ويذوب الكبر كما يذوب الملح فى الماء ، وتارة يتجلى فى صفات الجمال والكمال ، وهو كمال الاسماء وجمال الصفات وجمال الافعال الدال على كمال الذات فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها ، بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله ، فيصبح فؤاده حبه فارغا الامن محبته ...

واذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والاحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد وانسبط أمله وقوى طمعه وسار الى ربه وحادى الرجاء يحد وركاب سيره . وكلما قوى الرجاء جد فى العمل ...

واذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة ، انقمعت النفس الامارة وبطلت اضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب

(١) سورة " الحجر " ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) سورة " يوسف " ٨٧ .

والحرص على المحرمات ، وانقبضت أعنة رعونتها ، فأحضرت العطية حفظها
من الخوف والخشية والحذر ...

وإذا تجلى بصفات السمع والبصر والعلم ، انبعثت من القلب قوة
الحياة فيستحيى من ربه أن يراه على ما يكره ، أو يسمع منه ما يكره ، أو يخفى
فى سريره ما يهتبه عليه ، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع
غير مهطلة ولا مرسلّة تحت حكم الطبيعة والهوى .

وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد وسوق أرزاقهم
اليهم ، ودافع المصائب عنهم ونصره لآلئائه وحمايته لهم ومعيته الخاصة
لهم ، انبعثت من العبد قوة التوكل عليه والتفويض اليه والرضى به وكل
ما يجربه على عبده وبقية فيه مما يرضى به هو سبحانه . والتوكل معنى يلتئم من علم
العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقة به ورضاه بما يفعله ويختاره له .
وإذا تجلى بصفات العز والكبرياء اعطت نفسه المطمئنة ما وصلت اليه مسن
الذل لعظمته والانكسار بعزته والخضوع لكبريائه وخشوع القلب والجوارح له
فتعلوه السكينة والوقار فى قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ، ويذهب طيشه وقوته
(١)
وحدته .

ومما تقدم يتجلى أثر معرفه الله باسمائه وصفاته وافعاله ستبارك وتعالى -
فى طمأنينة القلب . وكلما زادت المعرفة زادت الطمأنينة والشعور
بالثقة والأمن .

أثر معرفة الصدا والغاية والمصير فى طمأنينة القلب :

ان الشوق الى معرفة هذه المطالب فطرى قائم فى اعماق كل انسان يسأل
عنها بالحاح منتظرا الجواب الذى يزيل قلقه وتطمئن به نفسه .

(١) الفوائد لابن القيم ص ٩١ ، ٩٢ .

والاسلام يقدم اجابة متميزة عن اجابة غيره ، تميزاً أمدها قوة وثباتا يبعث على الثقة والاطمئنان . والسرفى ذلك انها قائمة على مرتكزات اختصت بها أهمها :

- ١ - شعور العظمى انه يتعلم من خالقه الذى هو أعلم به وما يصلحه .
- ٢ - قيام الدلائل على اعجاز القرآن . وعلى صدق النبى - صلى الله عليه وسلم . وكلما زاد علمه بهذه الدلائل والمعجزات كانت ثقته واطمئنانه بالعلم المستقى منها اعظم .
- ٣ - موافقه تلك الاجهه للفطرة :
فالعلم الذى قرره الاسلام يروى المطالب الفطرية . والتكاليف والشرائع تراعى الغرائز الفطرية . فالانسجام والتوافق فى اعلى قمة بين الاسلام والفطرة الانسانية . ولا عجب فالاسلام هو الدين الذى شرعه خالق الانسان .

قال تعالى : " فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

- ٤ - انسجام تلك الأجهه مع العقل السليم .
فليس فى شىء من تلك الاجهه وتفاصيلها ما يستحيله العقل السليمة . بل ان التفكير السديد يدل على أنها متناسقة مع واقع الانسان وما مضى به من العقل والخلق . ويتجلى ذلك فى ظهور التكريم للانسان وتفضيله وتكليفه ومؤاخذته فى تفاصيل هذه المطالب فالحكمة ظاهرة متناسقة .
فالعقل يدرك ان ما حصل من تكريم الله للانسان من خلقه له بهيئته واسجاد الملائكة له ، انه يتناسب مع مكانة الانسان ووظيفته التى كلفه بالقيام بها من الخلافة فى الارض وتحقيق العبودية .

كما ان العقل يقرر ان عبودية المخلوق لخالقه ، المتفضل عليه والسبذى يملكه ويديره هى الحق المتعين ، والخلافة فى الارض على منهجه هو الفرض المتحتم . كما يحكم بأن الانسان بما أعطى من عقل وقدرات نفسه ويدينه هو المهيأ وحده للقيام بهذه الوظيفة على الارض .

والعقل يرى ان العدل أن يبعث الناس للحساب فيقتص للمظلوم من الظالم ويجازى المحسن بالاحسان والمسىء بالعقاب والحرمان .

فاذا تحققت هذه الخصائص فى أجوبة الاسئلة الفطرية الموجودة فى قلوب الناس وغيرها من العلوم ، كان تقبلها الهاعظيما وركونها المبهاقويا . واحدثت فيها سكونة واطمئنانا ، وثقة فى مصدر التلقى ينسحب على العلوم المستفادة منه . ويستغنى به عن غيره .

وقد بين الشيخ يوسف القرضاوى التوافق العظيم بين الفطرة والعقل وبين ما جاء به الوحي المطهر فقال :

" تقول الفطرة والعقل : ان الناس لم يخلقوا من غير شئ . ولم يخلقواهم انفسهم ، ولم يخلقوا مما حولهم ذرة فى الارض اوفى السماء .

ويقول القرآن : (**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾** أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾) (١)

وتقول الفطرة والعقل : لا بد - اذن - من خالق لهذا الانسان العجيب ولهذا الكون العريض ، ولا بد أن يكون هذا الخالق واسع العلم ، بالسبع

الحكمة ، نافذ المشيئة ، عظيم القدرة ، ويقول القرآن : (**ذَٰلِكُمْ** **أَللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاَن تُوَفَّكُونَ**

(١) سورة " الطور " ٣٥ / ٣٦

﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ
 ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ
 بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ (١)

وتقول الفطرة والعقل : ان هذا الخالق الحكيم لابد ان يكون وراءه تنظيمه
 لهذا الكون ، ووضع الانسان فيه غاية وحكمه . وتعالى حكمته ان يكون
 خلق هذا كله عبثا . ويقول القرآن :

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِيْمًا ﴿٢٨﴾
 (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾)

وهذا الحق الذى به خلقت السموات والارض هو ما يستشفه العقل ، وتحسس
 به الفطرة - وان يكن احساسا غامضا - ان لهذا الانسان فى الوجود رسالة
 وأن وراء هذه الحياة - حياة الابتلاء - والفناء - حياة أخرى ، هى الغاية واليهما
 المنتهى ، يجرى فيها المحسن باحسانه والعسى باسائه ، حتى لا يستوى
 الخبيث والطيب ، والبر والفاجر ، وهذا ما تقتضيه الحكمة . ويقول الله تعالى :

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (٣)

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾) (٤)

وتشعر الفطرة والعقل أن لهذا الخالق العظيم - بحكم خلقه لعباده ، -
 واعدادهم بنعم لا تحصى - حقا عليهم : ان يعرف فلا يجحد ، ويشكر فلا يكفر
 ويطاع فلا يعصى ويفرد بالعبادة فلا يشرك به . وينادى القرآن الناس جميعا :

(١) سورة " غافر " ٦٢-٦٤ .

(٢) " الدخان " ٣٨-٣٩ .

(٣) " ص " ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) " المؤمنون " ١١٥ .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾) (١)

وبين القرآن الغاية من خلق السموات والارض عامة ، ومن خلق الجنس

والانس خاصة ، فيقول : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٤﴾) (٢)

(وَمَا

خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾) (٣)

هذه الأوجه القرآنية اهتدى المؤمن الى سر وجوده ، ووجود العالم
كله . لقد عرف الله فعرف به كل شى* ، وحل به كل لغز ، واهتدى به الى
كل خير . فالعالم ملكة الله ، وكل مافيه من اثار رحمة الله ، والانسان خليفة
الله ، خلق لعبادة الله ، وتحمل أمانة الله ، والحياة هبة من الله ، والموت قدر
من الله ، والدنيا مزرعة لطاعة الله ، والآخرة موعد الحصاد والجزاء من الله
والسعيد من اهتدى بهدى الله ، والشقى من اعرض عن ذكر الله .

والانسان مبتلى ومثول فى هذه الدار الفانية ، ليصقل ويعد للخلود فى
تلك الدار الباقية ، والموت هو القنطرة التى تصل ما بين الدارين (٤)
وحيث ان خلق الانسان ليس للانسان اشر فيه .

وما ان العير والمنتهى شجرة ونتيجة لسعى الانسان فى الدنيا متوقف على
مدى تحقيقه للغاية التى من أجلها خلق .

(٢) " الطلاق " ١٢

(٤) الايمان والحياه ، ص ١٠٣-١٠٥

(١) سورة " البقرة " ٢١ ، ٢٢

(٣) " الذاريات " ٥٦ ، ٥٧

فلذلك كانت معرفة الغاية والحكمة من خلق الانسان مطلباً أساسى فى سلوك المسلم واستقراره النفسى.

والاسلام يجعل غاية الانسان وهدفه الاساسى هو حسن الصلة باللله تبارك وتعالى والحصول على مرضاته بالقيام بالعبودية الخالصة فهذه غايته ومنتهى سعيه وأمله .

" يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلَمَّا لَقِيَهُ ^(١)

والكدح المجدى الذى ينتهى بصاحبه نهاية سعيدة هو القيام بحق اللله وهو عبادته وحده لاشريك له .

وعلى هذا فمن المهم هنا بيان أثر توحيد الألوهية فى حصول الاستقرار والطمأنينة فى نفس المؤمن .

أثر توحيد الألوهية فى طمأنينة القلب

ان شعور المسلم أن لسعيه وكدحه وجهة وغاية واحدة ، هى وجهه الله وابتغاه مرضاته وحده ، وان السعى والكدح يتم وفق شريعة محددة شاملة واضحة ، جاءت من معبوده الذى أسلم له وجهه وتعلقت به غايته ، ان لذلك كله آثارا عظيمة على نفسه من أهمها :

اولا : احساسه أن لحياته معنى وقبلة ، ولعيشه طعما . وأنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى . فهو لا يعيش فى ظلام ولا يخبط خبط عشواء بل يسير على هدى من ربه وبينة من امره ، واستبانة لعصيره ، بعد ان عرف اللله وأقر بالوحدانية ^(٢) .

(١) سورة " الانشقاق " ٦ .

(٢) انظر : سلسلة دراسات اسلامية ، النفس العطمئنة ، د . عبد الحميد مرسى ص ٢٠ مكتبة وهبه ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٤٠٣ هـ .

فالله الذى خلقه ويديره ، منه وحده يستمد منهجه ، وهو الذى يهتبه
ويبعثه ، ويغفر ذنوبه ويرحمه ، ويده وحده مصيره يوم القيامة .

" فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ
﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يَحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ (١) .

له وحده سمع به وكده ومنه وحده يرجو الجزاء عليه .

" قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (٢) .

" بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ (٣) .

فطله كم يشعر الانسان بالبهجة والغبطة والرضى وهو يشعر أن لوجوده -
معنى ساميا وفرضا نبيلاه، وبطمع فى ثمرة طيبة لهذا السعى فى الدنيا
والآخرة!

ثانيا : سلامة النفس من التمزق والصراع الداخلى ، والتوزع والانقسام بين مختلف
الغايات وشتى الاتجاهات. (٤)

" ولقد اختصر الاسلام غايات الانسان فى غاية واحدة هى ارضاء الله تعالى .
وركز همومه فى هم واحد هو العمل على ما يرضيه سبحانه ، ولا يربح النفس
الانسانه شىء كما يربحها وحدة غايتها ووجهتها فى الحياة . . فتعرف من
أين تبدأ ؟ والى اين تسير ؟ وفى اى اتجاه تعضى ؟

(١) سورة " الشعراء " ٧٧ - ٨٢ .

(٢) " الانعام " ١٦٢ / ١٦٣ .

(٣) " البقرة " ١١٢ .

(٤) انظر: النفس العطشنة ، د . عبد الحميد مرسى ، ص ٢١ .

ولا يُشقى الانسان شىء شل تناقض غاياته ، وتباين اتجاهاته ، وتضارب نزعاته . . فهو حينما يشرق وحينما يغرب ، وتارة يتجه يمينا ، وطورا يتجسس يسارا ، ومرة يرضى هذا فيفضب ذاك وهوى كلا الحالين حائر بين رضا هذا ورضب ذاك .^(١)

وقد أشار الله الى هذا الاثر الذى يحدثه التوحيد فى نفس الموحد من الاستقرار والطمأنينة ، . . . وضده من الشرك وما ينتج عنه من تشتت النفس

واضطرابها . فقال تعالى : " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ " (٢)

فى هذه الآية مثل الله مثلا للكافر الذى يعبد آلهة شتى ، ويطلب جمعها من الشياطين ، والمؤمن الذى لا يعبد الا الله الواحد .^(٣)

وحول هذه الآية قال سيد قطب - رحمه الله - :

" يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك يعبد يملك شركاء" بخاصم بعضهم بعضا فيه ، وهوينهم موزع ، ولكل منهم فيه توجيه ، ولكل منهم عليه تكليف ، وهوينهم حائر لا يستقر على نهج ، ولا يستقيم على طريق ولا يملك ان يرضى أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التى تمزق اتجاهاته وقواه ! وعبد يملك سيد واحد ، وهو يعلم ما يطلبه ، ويكلفه به فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح ..

(١) د . عبد الحميد مرسى ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٢) سورة " الزمر " ٢٩ .

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير ، ج ٢٣ / ٢١٣

(هل يستويان مثلا)

انهما لا يستويان فالذى يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين ، وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه ، ووضوح الطريق . والذى يخضع لسيادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يرضى واحدا منهم فضلا على أن يرضى الجميع ! .

وهذا المثل بصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك فى جميع الاحوال .

فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذى يقطع الرحلة على هذه الارض على هدى ... ولانه يعرف مصدرا واحدا للحياة والقوة والرزق ، ومصدرا واحدا للنفع والضرر ، ومصدرا واحدا للمنع والمنع ، فتستقيم خطاه الى هذا - المصدر الواحد ، يستمد منه وحده ، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته ويطلق اتجاهه الى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره ، ويخدم سيدها واحدا يعرف ماذا يرضيه فيفعل وماذا يفضيه فيتقيه ..

وهذا كذلك تتجمع طاقاته كذلك وتتوحد ، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الارض متطلع الى اله واحد فى السماء ..

ويعقب على المثل الناطق الموحى بالحمد لله الذى اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة والاستقرار وهم مع ذلك ينحرفون واكثرهم لا يعلمون .^(١)

ان عقيدة التوحيد التى منحت المسلم الرضى بالله ربا ومعبودا عليه يتوكل واليه ينيب ، وفى فضله يطمع ، ومن قوته يستمد ، وله يتوكل واليه يحتكم ، جعلت منه معتصما بالله مهتديا الى صراطه المستقيم . قال تعالى :

” وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٧﴾ ”^(٢)

(١) فى ظلال القرآن ، ج ٧ / ١٣٨ ، ١٣٩ ،

(٢) سورة " آل عمران " ١٠١

والاعتصام بالله بافراده سبحانه بالعبودية والتوكل والدعاء والاستعانة ،
كما انه يجلب للقلب الاستقرار والطمأنينة كما تقدم فهو ايضا حصن منيع يحمي الله
به العبد من الاخطار جميعا الخارجية والداخلية المادية والفكرية . قال
تعالى :

" وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ " (١)

قال ابن القيم - رحمه الله - مينا ثمرة الاعتصام بالله :

" هو الدفع عن العبد . والله يدافع عن الذين امنوا ، فيدفع عنه الشبهات
والشهوات وكيد عدو الظاهر والباطن وشر نفسه ويدفع موجب اسباب الشربعد
انعقادها ، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه " (٢)

وخلاصه ما تقدم أن لمعرفة الهدأ والغاية والعصير أثرها ما في حصول
الطمأنينة في القلب من جهة تلبية الرغبة الفطرية لمعرفة ذلك على وجهه
بلائم الفطرة ولا يتعارض مع العقل .

كما أن سعى الانسان وفق هذه المعرفة بتحقيق توحيد الالهية باخلاص
العبودية لله ، والاستسلام له في كل شؤون الحياة من المقاصد والوسائل
والغايات ، عامل مؤثر في حصول السكينة وسلامة النفس من الصراع والتشتت
والقلق .

وكل ذلك يجعل القلب فنيا بدينه مطمئنا به واليه بعيدا كل البعد عما
يضاده من الافكار والعبادى الهدامة .

(١) سورة " الحج " ٧٨ .

(٢) مدارج السالكين ، ج ١ / ٤٩٧ .

اثر التوكل على الله في طمأنينة القلب

تقدمت الاشارة^(١) الى أن الانسان فطوره على الحاجة الى ركن شديد يعتمد عليه ، ويركن اليه ، في حصول الخير الذي يصبو اليه ، ويطمئن تحت حمايته من الاخطار الكثيرة التي تحيط به الظاهرة والباطنة .
والى هذه الحاجة يعود تدين جميع البشر على اختلاف شعوبهم واديانهم . فكل طائفة اتخذت معبودا تعتقدانه مصدر النفع لها ودافع الضرر عنها . تستنصره اذا خافت وتفرغ اليه في الشدائد . واكثر الامم قد ضلوا في تعيين المعبود الحق ، وأشركوا معه غيره .
ويرى فريق من علماء النفس ان مصدر الخوف ليس وجود المخاطر والمكروهات - المحدقة بالانسان ، وانما سببه هو الشعور بأنه ليس هناك وسيلة تضمن له عدم التعرض لأى خطر من الاخطار أو ملاذ آمن يلوذ به الانسان ويحتمى به من ضربات القدر المفاجئة .^(٢)
ويحلل هؤلاء رأيهم بأن الطفل يتعلق بامه لاشباع حاجته الى الحماية حيث انها تمثل - في نظر الطفل - الملجأ الحصين الذى يلقى حاجته الى الطمأنينة والأمن والسلام .^(٣)
واذا كبر ونما عقله وادرك عجز والديه عن تلبية حاجاته الى ذلك انتابته الخوف والقلق لعدم ركونه الى من يلقى ذلك .
وهذه حقيقة تصور حال الكافر الخائف الحيران الذى لا يرى فى الوجود وسيلة تضمن له الأمن ، ولا ملاذاً يحتمى به من المخاطر والشروع .

(١) انظر ص (٣٢١)

(٢) فى سبيل موسومة نفسية ، تغلب على الخوف ص ١١

(٣) نفس المصدر ص ١١

وهذا تبين أهمية التوكل على الله للمؤمن ، ومدى أثرها البالغ في حصول
الطمأنينة والسكينة في نفسه .

فالمسلم هداه الله الى وسيلة تضمن له الأمن والهداية ، هي الايمان الخالص
بعبادة الله وحده لا شريك له .

(١) " الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ اُولَٰئِكَ لَهُمُ الْاَمْنُ وَهُمْ مُّهُتَدُونَ ﴿٨٢﴾ "

وهو يعرف ركنا شديدا يعتمد عليه ويلوذ به ، ويحتمى بحماه ، هو رب العالمين

الذى بيده ملكوت السموات والارض ، وأمره يقوم كل شئ .
(٢) "

" وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ "

(٣) " وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ "

(٤) " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ "

وإذا انتابه هم ، وانزلت به مصيبة ، او اصابه فزع ، فهو موصل بمولاه والهـ

الملك المدبر الرؤوف الرحيم ، يدعوه ويضرب اليه ، واثقا بوعده ستشعرا قريبه

ومعيته ، يترقب نصره وتأبيده وفرجه وحفظه والدفاع عنه .

(٥) " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ "

(٦) " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ "

(٧) " إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ "

(٢) سورة " الطلاق " ٣ .

(٥) سورة " الانفال " ٦٤ .

(٦) سورة " التغابن " ١١ .

(١) سورة " الانعام " ٨٢ .

(٣) سورة " الحج " ٧٨ .

(٥) سورة " الطلاق " ٣٤٢ .

(٧) سورة " الحج " ٣٨ .

" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ "

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ " (١)

وهو في ذلك كله مفتبط بما شرع الله منقاد اليه . راض بما قدر الله محتسب للأجر ، صابر يتربط بالفرج وحسن العاقبة .

فأمره كله له خير ، ونفسه مطمئنة واثقة بالله وشوابه .

فياله من شعور عظيم بالغبطة والأمن والثقة والطمأنينة ينتاب من

استشعر هذه المعاني !

قال ابن القيم - رحمه الله - مهينا اثر التوكل في طمأنينة القلب :

" فالتوكل : محض الاعتماد والثقة ، والسكوت الي من له الأمر كله . وعلـم

العبد بتفرد الحق تعالى وحده بملك الأشياء كلها ، وأنه ليس لـه

شارك في ذرة من ذرات الكون : من أقوى أسباب التوكل . واعظم دواعيه .

فاذا تحقق ذلك علما ومعرفة ، وهاشركه حالا : لم يجد بدا من اعتماد

قلبه على الحق وحده وثقته به ، وسكونه اليه وحده ، وطمأنينته به وحده ، -

لعلمه ان حاجاته وفاقاته وضروراته ، وجميع مصالحه

كلها : بيده وحده ، لا بيد غيره .

فأين يجد قلبه مناصا من التوكل بعد هذا ؟ " (٢)

فالتوكل على الله ثمرة من ثمرات معرفة الله ، وتعلق القلب بموجب اسمائه

وصفاته تبارك وتعالى .

فيتوكل على الله في مغفرة الذنوب وصرف شؤونها وعقوباتها عنه استشعـارا

لاسمائه : " الغفار ، والتواب ، والعفو ، والرؤوف ، والرحيم " .

وفي حصول الرزق والاحسان يتعلق قلبه باسمائه : " الفتاح ، والوهـاب

والرزاق ، والمعطي ، والمحسن " .

(١) سورة البقرة " ١٨٦ .

(٢) مدارج السالكين - ٢ / ١٤٢ .

ويتعلق باسمائه : " المعز ، المذل ، الحافظ ، الرافع ، المانع " في حفظه
ونصره على عدوه ، وفي اذلال اعداء دينه وخفضهم ومنع اسباب النصر عنهم .

وللتوكل تعلق عام بجميع الاسماء الحسنی ، وكلما كان بالله أعرف كان توكله
عليه أقوى (!)

واذا تبين أن التوكل على الله وثقة العبد واطمئنانه الى ربه ومليكه
ومدبره يمثل حصنا يحمي الله به العبد فيكون راسخ الايمان قويا ثابتا عند
الابتلاء وفي مجابهة الفتن والمغريات التي تستهدف زعزعة دينه ...

اذا تبين ذلك ، فان القلق الناتج من عدم التوكل على الله عند من قام
في قلبه مرض الريب والنفاق ، يكون دافعا الى التوكل على غير المسلمين والركون
اليهم والتعاون معهم على نشر الفكر الخبيث والتخطيط والمكر لأهل الاسلام .

قال تعالى مبينا هذا الأثر :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نخشى أن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾

(٢)

(١) انظر: مدارج السالكين ، ٢٠ / ١٣٠ (بتصرف) .

(٢) سورة " العائدة " ٥١ ، ٥٢ .

قوله تعالى : " فتوى الذين فى قلوبهم مرضى " يدل على أن الدافع لهم للتوكل على غير الله وموالة اليهود والنصارى هو مرض القلوب بالشك والريب والنفاق . وعلى العكس من ذلك ، فالإيمان الصحيح الراسخ دافع للتوكل على الله وحده .

قوله : " يسارعون فىهم " : أى يسارعون فى موالاتهم وصانعتهم ومناصحتهم ومساعدتهم فى فتن المؤمنين .^(١)

قوله : " يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة " : بيان لغاية موالاتهم للكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار وأنه بغية الحماية منهم ان دارت على المنافقين الدوائر ، والظفر لديهم ان كانت الدائرة للكفار . فهم اذا سارعوا الى موالاتهم بعد أن توكلوا عليهم .

ولا يبق الأمر عند محبتهم وموالاتهم ، وانما يتعدى ذلك الى الدخول مع الكفار فى مخططاتهم الشريرة لحرب الاسلام ، من سماع الاشاعات ، وترويج الكذب والباطيل والشبهات ، والتجسس لصالح اعداء الاسلام .

قال الله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
هَادُوا وَسَمَّعُوا لِلْكَذِبِ سَمَّعُوا لِقَوْمٍ
آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِينَا هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَأَحْذَرُوا
وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ " (٢)

(١) جامع البيان لابن جرير ، ج ٦ / ٢٧٩ .

(٢) سورة " المائدة " ٤١ .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" نزلت هذه الآيات الكريمة في الصارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله ، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) أي أظهروا الايمان بالسنتهم وقلوبهم خراب خافية منه وهؤلاء هم المنافقون (ومن الذين هادوا) اعداء الاسلام وأهله وهؤلاء كلهم (سماعون للكذب) أي مستجيبون له منفعلون عنه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي يستجيبون لقوم آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد . وقيل المراد أنهم يتسمعون الكلام وينهونه الى قوم آخرين من لا يحضر عندك من اعدائك " (١)

وكلام ابن كثير هذا يدل على أن علاقة المنافقين باعداء الدين تقوم على التعاون في الكيد لجماعة المؤمنين في جانبين :

الاول : استماعهم للقوم الآخرين من رؤس الكفر والشر ، وتصديقهم لكذبتهم واستجابتهم لما يأمرونهم به من الشر والباطل .

الثاني : تجسس المنافقين على المؤمنين لحساب اعداء الدين ، فينقلون ما يسمعون وشاهدون اليهم ويدلونهم على عورات المؤمنين .

وقال تعالى :
وَإِذَا الْقَوْمُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ (٢)

(١) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ / ٥٨ .

(٢) سورة " البقرة " ١٤ ، ١٥ .

فهذه الآية تؤكد استماع المنافقين وتعلمهم الشر واستجابتهم للأوامر الشريفة التي تصدر من اعداء الاسلام من اليهود والنصارى وغيرهم . يدل على ذلك قوله " شياطينهم " فوصف اعداء الله ورسوله ودينه بأنهم شياطين وأضافتهم اليهم يدل على أن العلاقة علاقة شر وفساد في الارض وتآمر على الاسلام وأهله ، وذلك من فعل الشياطين واتباعهم .

قال ابن جرير - رحمه الله - :

" وكذلك أخبر عنهم في هذه الآية أنهم يقولون للمؤمنين الصادقين بالله وكتابه ورسوله بالسنتهم : آمنا وصدقنا بمحمد وما جاء به من عند الله ، خداعا من دمائهم وأموالهم وذراريهم ، ودرءا لهم عنها ، وأنهم اذا خلوا الى مردتهم وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذى هم عليه من الكفر بالله وكتابه ورسوله وهم شياطينهم - وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن شياطين كل شىء مردته - قالوا لهم (انا معكم) أى أنا معكم على دينكم وظهراؤكم على من خالفكم فيه ، وأولياؤكم دون أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - انما نحن مستهزون بالله وكتابه ورسوله وأصحابه " (١)

فالمنافقين الذين ركنوا الى اعداء الله ، وتوكلوا عليهم ، وأحسنوا الظن بهم وأحبوهم وأعجبوا بحالهم هم الجسر والمنفذ الذى يتسلل منه الفكر الجاهلى وشاد برجاله ، وتحسن احواله ، وتثبت نظرياته وفلسفاته وسائر شروره من خلاله بين المسلمين .

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين مبينا بعض علامات النفاق :

" ومنها محبة اعداء الاسلام وأئمة الكفر ومدحهم ونشر آرائهم المخالفة

(١) جامع البيان ، ١ / ١٢٩

للاسلام . قال الله تعالى :

(الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَآهُمْ مِنْكُمْ وَلَا مَنَّهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ (١) * (٢)

وخلصه القول : أن التوكل على الله باعث على طمأنينة القلب وثقته بربه وتعلقه به وحده ، مما يخل حصنا يحميه من الركون الى اعداء الله والثقة بهم والتأثر بافكارهم وشبهاتهم . كما أن عدم التوكل على الله أضعفه الناتج عن النفاق أضعف الايمان ثغره في القلب تميل به الى الركون الى اعداء الله وموالاتهم ومحبتهم ، والاعجاب وحسن الظن بهم ، والتأثر بجاهليتهم ومآثلهم وفكرهم الخبيث وسلوكهم المنحرف ، ثم التعاون على نشره والترويج له في المجتمعات الاسلامية .

(١) سورة " المجادلة " ١٤ .

(٢) مجالس شهر رمضان ، الشيخ محمد بن صالح بن عثمان ، ص ١٣٠ ، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، ط الثانية ، ١٤٠٦ هـ .

أمر زكاة القلب بالعلم والايمان بالقدر في طمأنينة .

إذا عرف العبد ربه وخالقه ومدبره ، وعرف الحكمة من خلقه ، وأنها تنحصر في تحقيق العبودية لله ، والخلافة في أرضه بشرعه . وعرف مصيره ومنتهاه فان ذلك سيحقق له قدرا عظيما من الطمأنينة والسكون ويصرف عنه الطيق الناتج عن الجهل أو الضلال في معرفة هذه المطالب .

الأنه سيقتفى في القلب قلق كما من وشوق مستمر يثور ويشتد احيانا إذا وجد ما يثيره ويبعثه ، الا وهو حاجة لمعرفة الكيفية التي ينبغي ان تكون عليها استجابته لأوامر الله المتوجهة اليه بمختلف انواعها .

وأمر الله : هو كلامه الذي يأمر به . (١) وهو ينقسم الى قسمين :

١ - أمر شرعى متوجه الى المكلفين من الانس والجن بالأمر والنهى والتكليف

وهو كلام الله الذى يأمر به المكلفين طلبا للفعل ، كقوله :

" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ " (٢)

وقوله : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ " (٣) . او طلبا للترك ، كقوله : " وَلَا تَقْرَبُوا

الرِّفْعَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ " (٤)

٢ - أمر قدرى كونى : وهو كلامه الذى يأمر به الشئ الذى أراد خلقه وابعاده

فيقبل له : " كن " فيكون كما أراد وقدر . كما قال تعالى : " وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ " (٥) وقوله " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ " (٦)

(١) وبأتى " أمر الله " : بمعنى مأموره . أى الشئ الذى وجد أو سيوجد بأمره

كقوله تعالى : " أَنْ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ " النحل آية ١ " وقوله : " وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي " (الاسراء ٨٥) ونحوها . وقد جمع الله

بين الأمر بمعنى الأمور والأمر بمعنى كلامه الذى يأمر به فى أول سورة النحل

بقوله : " أَنْ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ

مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ " "

(٢) سورة " البقرة " ٤٣ . (٣) سورة " البقرة " ٢١ .

(٤) سورة " الاسراء " ٣٢ . (٥) سورة " الاحزاب " ٣٨ .

(٦) سورة " يس " ٨٢

ومن ذلك قوله : " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١﴾ "

والأمر الشرعى ينقسم الى أمر بالفعل أو أمر بالترك .
والأمر الكونى له متعلقات كثيرة . منها ما يتعلق بالانسان مما يقدر له فى طبيعته خلقه ؛ كالحسن أو القبح ، والطول والقصر . . ونحوها . أو حالة : كالغنى أو الفقر . وما يجرى عليه من العصاب والنعم وما يصدر منه من الطاعات والمعاصى . ومنها ما يجرى على مجتمعه ومحيطه من النوازل الضار منها أو السار . . الى غير ذلك .

ولاشك أن التفريق بينهما ومعرفة الاستجابة المناسبة لكل منها أساس عظيم فى صلاح القلب وسلامته وطمانينته . وبالتالى صلاح العبودية واستقرارها على الصراط المستقيم .

وهذا أمر عظيم زل فيه كثير ممن ينتسب الى الزهد والعبادة والعلم فضلا عن غيرهم ممن قلى حظهم من العلم والعبادة . لذلك نجد شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى كتابه الجليل " العبودية " بعد أن بين معنى العبودية وحقيقتها ، وما تستلزمه ، وشمولها لجميع الدين والفرق بين العبودية الكونية والشرعية بعد ذلك ناقش حال فريق من الناس لم يفرقوا بين الأمر الكونى القدرى ، والأمر الشرعى . واستغرق ذلك معظم الكتاب . وقال فى بداية مناقشتهم :

" والفرق بين هذين النوعين ^(١) يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة فى عبادة الله ودينه وأمره الشرعى التى يحبها ويرضاها ويوالى أهلها ويكرمهم بجنته . وبين الحقائق الكونية التى يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والتى

(١) سورة " الانبياء " ٦٩ .

(٢) بين - رحمه الله - هذين النوعين فيما سبق من كلامه فى الكتاب المذكور وخلاصته :

النوع الاول : هى العبودية التى يحتل فيها أمر ربه الشرعى الذى كلفه به . ويكون العبد بمعنى : العابد .

النوع الثانى : العبودية العامة التى يخضع لها جميع الخلق . والمتعلقة بأمر الله القدرى الكونى الذى يجرى على المؤمن والكافر والبر والفاجر ويكون العابد بمعنى المُعبَّد (انظر ص ٥٠ ، ٥١ بتصرف) .

من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية ، كان من اتباع ابليس اللعين ، والكافرين برب العالمين . ومن اكتفى فيها ببعض الامور دون بعض ، اوفى مقام (دون - مقام) أحوال (دون حال) نقص من ايمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية . وهذا مقام غلط فيه الغالطون ، وكتر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه من اكابر الشيخ المدعين للتحقيق والتوحيد والعرفان ما لا يحصيه الا الذي يعرف السر والاعلان ^(١) .

وبين ابن القيم - رحمه الله - أهمية هذا الفرق بين الأمر القدرى الكونى الذى يرضى به العبد . وبين الأمر الشرعى الذى يجب عليه فيه فعل ما أمر به وهدم الرضى بفعله الذى يخالف الشرع . كما أشار الى اضطراب كثير من الناس فى ذلك فقال :

" وهذا هو التفصيل الواجب فى الرضى بالقضا " .

وقد اضطرب الناس فى ذلك اضطرابا عظيما ، ونجا منه أصحاب الفـرق والتفصيل ^(٢) .

وبعد هذه الاشارة الى أهمية التفريق بين الأمر القدرى ، والأمر الشرعى واستجابة العبيد لكل منها . وقبل بيان أثر هذه المعرفة المتزنة ، وأثر الرضى بالقدر فى حصول الطمأنينة للقلب ، أذكر قبل ذلك باختصار انواع الاوامر الشرعية والقدرية والاستجابة المناسبة لكل منها لتتم الفائدة - باذن الله -

(١) العبودية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ص ٥٠ ، ٥١ ، المكتب الاسلامى بيروت ط الخاصة ، ١٣٩٩ هـ .

(٢) مدارج السالكين ، ١٩٧/٢٠

اولا - الأمر الشرعى :

التكليف الالهى للانسان ينحصر فى أمرين : عبادة الله ، والخلافة
فى الارض وعمارتهما .

ففى مجال العبادة :

فهو مأمور بفعل الطاعات ، واجتناب المعاصى والمحرمات .

قال تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾ "

والاستجابة المناسبة لذلك تكون بأصلحين :

الاول : الاجتهاد فى فعل اسباب الهداية والنجاة علما وعملا بقدر استطاعته
واجتناب اسباب الضلال والهلاك .

قال تعالى : " وَمَاء أَنزَلْنَاهُ لَكُمْ لَسُقًى فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْهُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴿٢﴾ "

وقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٣﴾ "

الثانى : التوكل على الله والاستعانة به فى التوفيق لذلك وتيسيره والشبات عليه
والاحسان فيه واتمامه .

(٤)

وقد جمع الله بين هذين الأصلين بقوله : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ " وقوله :

" فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴿٥﴾ "

وفى مجال الاستخلاف فى الارض :

فالانسان مأمور أن يسعى فى الارض لاصلاحها واقامة الحق والعدل فيها
ويسعى فى صالح نفسه ومجتمعه ، كل ذلك وفق شريعة الله .

قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٦﴾ "

(٢) سورة " الحشر " ٧ .

(١) سورة " الذاريات " ٥٦

(٣) سورة " الانفال " ٢٤

(٤) سورة " الفاتحة " ٥ .

(٥) سورة " هود " ١٢٣

(٦) سورة " البقرة " ٣٠

وقال : " بَدَأُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ " (١)

والاستجابة لذلك تكون بالاصلين السابقين وهما :

فعل الاسباب المناسبة . والتوكل على الله والاستعانة به في انجاحها والباركة
فيها وحصول الخير منها .

ففي الحكم بين الناس يطبق شرع الله وأحكامه وحدوده وهي الاسباب التي
شرعها الله لتسير عليها حياة الناس سيرا صحيحا آمنا .

وفي جوانب الحياة الأخرى - التي يحتاج اليها المسلمون لصلاح حياتهم
كالتجارة ، والصناعة ، والزراعة .. ونحوها . ولحمايتهم وجهادهم كاعداد
السلاح وتصنيعه - يأخذوا بكافة الاسباب المتاحة المشروعة ويجتهدوا في
ذلك علما وعملا . مع التوكل على الله في تيسيرها وتسهيلها وانجاحها
والباركة فيها .

قال تعالى : " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (٢)

وقال : " وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ " (٣)

وقال : " أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٣﴾ أَمْ تَنْزَعُونَهُمْ أَمْ تَحْنُ الزَّرْعُونَ ﴿١٤﴾ " (٤)

وقال : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ " (٥)

وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم :

" والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير
أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز . . . " (٦)

(٢) سورة " الجمعة " ١٠ .

(٤) سورة " الواقعة " ٦٤ ، ٦٥ .

(١) سورة " ص " ٢٦ .

(٣) سورة " الانبياء " ٨٠ .

(٥) سورة " الانفال " ٦٠ .

(٦) رواه مسلم ، كتاب القدر . باب الامر بالقوة وترك العجز والاستعانة

بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤) ح - ٢٠٥٢ / ٤ .

ثانيا : الأمر القدرى الكونى : ونقصد هنا ما كان له علاقة أو أثر على الانسان .

وهو فى الجمله ينقسم الى أربعة أقسام رئيسية هى :

- ١ - النعم والمسرات . من حصول الأمن وورغد الغيش ، وتيسر اسباب الحياة . واستجابة العبد لذلك تكون بالشنا على النعم ، والاحسان فى عبادته والى خلقه . وتقدير النعمة بصيانتها عن الترف والاسراف والطفيان وذلك يكون شكرها .

قال تعالى : " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧١﴾ " (١)

- ٢ - نعمة الهداية والتوفيق وما يتصل بهما من البركات العاط لجماعة المؤمنين والخاصة لافرادهم .

والاستجابة لذلك تكون بالفرح بها ، والشنا على الله وذكره وشكوره عليها . ويتم ذلك بالعناية بها والمحافظة عليها علما وعلا ، والتواصى بالخير ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والدعوة الى الله والجهاد فى سبيله . قال تعالى :

(٢)

" قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ "

وقال : " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ "

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ " (٣)

- ٣ - الحائب التى تقع على عامة الناس ، أو تخص بعضهم . والاستجابة المناسبة

لهذا النوع تكون بالصبر والرضى وحسن الظن بالله . قال تعالى فى آية

البر فى معرض بيان صفات الابرار :

(٢) سورة " يونس " ٥٨ .

(١) سورة " ابراهيم " ٧ .

(٣) سورة " البقرة " ١٥١ . ١٥٢ .

(١)

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ

وقال جل ذكره :

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

٤ - المعاييب والمعاصي التي يقع فيها الانسان .

والاستجابة المناسبة لذلك ، أن يتوب ويستغفر ولا يرضى بفعله الذي

خالف به شرع ربه .

وَالَّذِينَ إِذَا

قال تعالى :

فَعَلُوا فَنجَسَتْهُ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

لذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يُغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَيَّ

مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

بعد هذه الاشارة الموجزة الى أهم انواع الاوامر الالهية المتوجهة

للعباد ، وما ينسب في ان تكون عليه استجابتهم ازايا كل نوع منها ، أصل - يعون

الله - الى المقصود وههنا أثر هذه المعرفة ، وأثر الرضى بالقدر - وفق التفصيل

المتقدم - في تزكية القلب وطماننته .

فأقول وبالله التوفيق :

لاشك أن استقرار القلب على يقين في هذه المطالب الهامة ، وهذا الوضع

يجلب للقلب الثبات والثقة ، ويرفع عن كاهله الحيرة والشك والمخاوف ، ويسهل

عليه الطريق .

وسر هذا الأثر القلبي هي الواقعية في التكليف المتوجه الى العباد ، المتخلطة

في التفريق بين الاستجابات بما يتناسب في كل أمر مع استعدادات الانسان

وطاقاته .

(٢) سورة " البقرة " ١٥٥-١٥٧ .

(١) سورة " البقرة " ١٧٧ .

(٣) سورة " آل عمران " ١٣٥ .

ففى جانب الأمر الشرعى يراعى تمتع الانسان بالعقل والقدرة .
فالعقل يفهم به الخطاب ، ويميز به . والقدرة يزايل بها الاسباب التى كلف
بها .

فالمؤمن يؤدى ماكلف به عن رضى بالله وبشرعه ، حيث يدرك أنه بمقدوره وليس
شاقا عليه . " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا " ^(١) فهو يدرك أنه مسئول مطلوب منه
بذل الجهد المستطاع فى امتثال الامر .

ومن جهة أخرى يشعر بالغبطة والرضى ، حين يشعر أنه فى طاعة
ملك الملوك مدبر السموات والارض ، وأنه يرضى عنه مادام قائما بطاعته . ويكسبون
معه يحوطه بعنايته وتوفيقه فى الدنيا . ويجزيه خير الجزاء فى الآخرة .
مما يجعله يؤدى الواجبات ويتجافى عن المحرمات متلذذا بذلك مرتاحا
إليه .

ومن جهة ثالثة يشعر بالأمل والثقة لمعرفة أن باب التوبة مفتوح فيما
لوزل وخالف شرع ربه . وان بإمكانه التوبة والرجوع الى ربه والاطلاع عن ذنبه
وسوف يجد الله توابا رحيمًا . وفى هذا عظيم الأثر فى طرد اليأس والقنوط ومنع
انغلاق النفس ، وغلبة الوسوس .

وهذه الاسس المتمثلة فى : الشعور بالمسؤولية والتكليف ، والرضى والغبطة
بالقيام بذلك . واستشعار محبة الله مع الامل والثقة بحسن العاقبة ، هى العوامل
الرئيسية فى طمأنينة النفس وعطائها الثمر الخير . وفى احساسها بالسعادة
والرضى .

وفى جانب الأمر القدرى يراعى فيه ضعف الانسان وان عقله صغير ، وعلمه
قاصر ، وقدرته محدودة محكومة بإرادة الله النافذة فمعليه الا ان يصير عيسى
مايجرى عليه من الشدائد والعصائب التى لاقدرة له على ردها . ويرضى ، محسنا
الظن بربه الحكيم الخبير محتسبا الأجر وحسن العاقبة .

(١) سورة " البقرة " ٢٨٦ .

والباعث له على الرضى على العقادير امور :

منها علمه أنه لم يخلق ليدوم وإنما خلق ليكدرح ويعمل ثم ينقطع أثره من هذه الدنيا ، والخلود انما هو فى الدار الآخرة . ويعلم ان الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار ، وان كل ما يجرى عليه انما هو نوع من ذلك كما ان السلامة والأمن التامان فهما في دار السلام . كما يبعث على الرضى حسن ظنه بالله واستشعاره لاسمائه وصفاته الحسنى وانه رحيم بعباده عليم بما هو خير لهم ، فالرضى بالله وعن الله هماركنا الهداية وفتح السعادة فى الدنيا والآخرة .^(١)

وقد بين الله تعالى أثر الايمان بالقدر فى تخليص القلب من القلق الناتج - عن الحزن على فوات محبوب ، أو الخوف من حصول مكروه ، فقال :

مَا أَصَابَ

مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ لِكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٤﴾ " (٢)

ففى هذه الآية بين سبحانه عموم قدره وأنه شاطى لعموم العصاب التى تصيب الخلق من خير وشر ، فكلها قد كتبت فى اللوح المحفوظ .

وحيث أن الناس ليس فى مقدورهم دفع العقادير ولا تغييرها ، فما هى الحكمة اذا من اخبارهم بالقدر السابق ؟

(١) الرضى بالله : أى الرضى به ربا والهيا . قال ابن القيم :
" فالرضى به ربا متعلق بذاته واسمائه وصفاته ، وربوبيته العاطة والخاصة ، فهو الرضى به خالقا ومدبرا وآمرا وناهيا ، وملكا ومعظيا ومانعا ، وحكما ، ووكيلا ووليا ، وناصرا ومعينا ، وكافيا ، وحسيبا ورقيبا ، ومبتليا ومعافيا ، وقابضا وباسطا ، الى غير ذلك من صفات ربوبية . . . فالرضى بالله يتضمن توحيد عبادته والانابة اليه ، والتوكل عليه ، وخوفه رجاءه ومحبتة ، والصبر له وبه والشكر على نعمه . . " (مدارج السالكين ح ٢ / ١٩٢ ، ١٩٣) .
والرضى عن الله : أى الرضى عنه فيما أولى وأعطى . قال ابن القيم :
" وأما الرضى عنه : فهو رضى العبد بما يفعله به ، ويعطيه اياه . ولهذا لم يجرى فى الاثاب والثواب والجزاء " (نفس المصدر ح ٢ / ١٩٢)
(٢) سورة الحديد " ٢٢ ، ٢٣ .

ان الحكمة من ذلك بينها ربنا بقوله : " لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تظنوا بما آتاكم "

قال الشيخ عبدالرحمن السعدى - رحمه الله - :
" وأخبر الله عباده بذلك ، لاجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم ، وبينوا عليها ما أصابهم من الخير والشر .
فلا يأسوا ويحزنوا ، على ما فاتهم ، مما طمحت له أنفسهم ، وتشوفوا اليه لعلمهم ان ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ ، لا بد من نفوذه ووقوعه ، فلا سهيل الى دفعه .

ولا يفرحوا بما آتاهم الله ، فرح بطر وأشر ، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم ولا قوتهم ، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه ، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم .^(١)

فالله تعالى أخبر بأنه قدر المقادير ، وجعل ذلك جزءاً من اعتقاد المسلم كى يحدث ذلك الاعتقاد أثره فى نفسه ، فلا يحزن حزناً شديداً عند الصيبة يخرجها الى الجزع والسخط واليأس . ولا يفرح فرحاً شديداً عند النعمة يحمله على البطر والبغى . وهذا أثر عظيم يكسبه توازناً فى مشاعره وسلوكه ، واستقراراً وطمانينة فى حياته ، ورضى وتسليماً لربه العليم الحكيم .

الآن هناك نوعاً من العصاب تكون شديدة الوطأة ، تحدث فى النفس انفعالا حاداً ، يخرج الانسان بسببه من سلطان عقله ، وتصبح تصرفاته طائشة غير منضبطة ، مما قد يدفعه الى بعض الافعال التى تعود عليه بالضرر فى دينه اوديناه .

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ج ٧ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

وازاء هذا النوع من العصائب نجد أن للايمان أثرا معيننا يتناسب مع طبيعته ما تحدثه من الأثر. فالانسان فى مثل هذه المواقف - التى يضعف فيها تأثير العقل - بأشد الحاجة الى مؤثر خارجى يكبح جماحه ويسد تصرفاته. وهذا هو الذى يحدث تماما للمؤمن ، فقد بين الله تعالى ان الايمان سبب لحصول ولاية الله وبنائته بعبده عند المصيبة فيهدى قلبه ويربط عليه ويثبته فلا يتصرف تصرفا احقما يعود عليه بالضرر فى دينه اودنياه . قال

تعالى مينا هذا الأثر: " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ "

قال ابن كثير - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية :

" أى ومن اصابته مصيبة فعلم انها بقضاء الله وقدره فصر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه ، وعوضه عفاته من الدنيا هدى نفسى قلبه وبقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أخيرا منه " (٢)

فالمراد بقوله : " ومن يؤمن بالله " : أى يعلم ويؤمن بقدر الله ويطمئن الى ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن لمصيبه .

وقوله : " يهدى قلبه " : أى يزيد ايمانا وتصديقا وصلاحا وثباتا ، وتكون الهداية متناسبة مع شدة العصاب وحاجة العبد وهو فى هذه الحالة فى أشد الحاجة الى أن يربط على قلبه ويسد دوافع انفعالاته واراداته . فالله يثبت عبده بما شاء وكيف شاء .

(١) سورة " التغابن " ١١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ / ٣٧٥ .

وهي هذا فالعلم والايمان بالقدر ، والرضى به من أهم أسباب طمأنينة القلب .

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - ثنتين وستين فائدة للرضى .^(١) أذكر منها ما له علاقة في أثر الرضى في حصول الطمأنينة والسكينة لقلب المؤمن فقال - رحمه الله - :

" ان السخط باب الهم والغم والحزن ، وشتات القلب ، وكسف البال وسوء الحال ، والظن بالله خلاف ما هو أهله . والرضى يخلصه من ذلك كله ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة ."^(٢)

وقال ايضا :

" ان الرضى يوجب له الطمأنينة ، ورد القلب ، وسكونه وقراره ، والسخط يوجب اضطراب قلبه ، وريبته وانزعاجه ، وعدم قراره ."^(٣)

كما قال : " ان الرضى ينزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها .

ومتى نزلت عليه السكينة ، استقام . وصلحت احواله ، وصلح بآله ، والسخط يبعده منها بحسب قلبه وكثرته . واذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والامن والدعة والراحة ، وطيب العيش . فمن اعظم نعم الله على عبده : تنزل السكينة عليه . ومن اعظم اسبابها : الرضى عنه في جميع الحالات ."^(٤)

(١) انظر: مدارج السالكين - ج ٢ - من ٢١٤-٢٣٩ .

(٢)(٣) نفس المصدر - ج ٢ / ٢١٦

(٤) " " " " - ج ٢ / ٢١٦

بهذا يتبين ان زكاة القلب بالعلم والايمان بالقدر وفق ما دل عليه الكتاب والسنة ، وقرره السلف الصالح يجلب للقلب الاتزان والطمأنينة والسكينة .

وفى مقابل ذلك فان اضطراب تلك المعرفة بالجهل أو الضلال بهذا الباب يجلب للقلب قلقا وحيرة ، وسوء ظن بالله ، وعدم رضى عن الله بزيادة ذلك وينتقص بقدر الجهل والضلال الحاصل فى العلم والايمان بتفاصيل القدر . وهذا القلق وعدم الرضى يدفع صاحبه الى البدع والاهواء والمعاصى وقد اشار ابن القيم - رحمه الله - الى هذه الشجرة الخطيرة فى حصن القلب بقوله :

" ان عدم الرضى يفتح باب البدعة ، والرضى يخلق عنه ذلك " (١)

وقال ايضا : " ان اول معصية عصى الله بهافى العالم : انما نشأت من عدم الرضى . فابليس لم يبرض بحكم الله الذى حكم به كونا ، من غضبى آدم - وتكريمه ، ولا بحكمه الدينى ، من أمره بالسجود لآدم . وآدم لم يبرض بما ابهع له من الجنة ، حتى ضم اليه الأكل من شجرة الحمى ، ثم ترتبت معاصى الذرية على عدم الصبر وعدم الرضى " (٢)

وعلى هذا يتبين بجلاء أثر تزكية القلب بالعلم والايمان بالقدر فى طمأنينة القلب واستقراره ورضاه عن ربه وزوال القلق الدافع الى الافكار الهدامة او موارد ها .

(١) نفس المصدر السابق ٢/٢٢٠ .

(٢) // // ح ٢٢٣/٢٠ .

وخلصه هذا المحث :

ان طمأنينة القلب تنتج عن تزكيتة بالايمان الصحيح القوى ، القائم على معرفة الله باسمائه وصفاته وافعاله ، واعتقاده تفرد به بذلك واخلاص العبادة له وحده ، واستشعار القلب بأن الله خالقه ومدبره واليه مرجعه ، وان سعيه سوف يرى ويجازى عليه ، وتوكل العبد على ربه وحده والايمان بالقدر القائم على التمييز بين الامر الشرعى المكلف به العبد ، والامر الكونى الجارى على السعي وفق القدر السابق ، ومعرفة الاستجابة الصحيحة المناسبة لكل منها .

واذا اطمأن القلب استغنى بالايمان والعلم المتلقى من الوحي ، وسكن واستأنس بربه ، واشتغل بما يرضيه ، وفتح له باب الرضى عن ربه ، والأمل بمعونته وتوفيقه له فى الدنيا .

والرضى عليه واکرامه فى الآخرة .

كما ان القلب اذا اطمأن زال قلقه ومرضه الذى يدفعه الى الافكار الهدامة المخالفة ، او ممارسة اساليب اللهو والترفيه ونحوها التى كثيرا ما تكون سببا لترويجها .

المبحث الثاني : اثر التزكّيه في حصول النور والفرقان .

ان القلب اذا تزكى بالعلم المستمد من الكتاب والسنة ، وما يتولد عن ذلك من العقائد الصحيحة ، والعواطف السليمة ، والارادات الخيره ، فانه يشرق بالنور ويصبح لديه - بفعل هذه الامور - ملكة يعرف بها الحق ويميز بها بين الخير والشر والهدى والضلال ويتجافى بها عن الافكار الهدامة وسائر الاخطار .

وهذا الأثر من أهم آثار الايمان التي يكرم الله بها المؤمن .

فمن المعلوم أن اجتناب الطافوت شرط لصحة الايمان ، كما قال تعالى :

• فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ
(١) اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

وقال

• وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ (٢)

فالمسلم الذي اجتنب الطافوت ، وتبرأ من الكفر والشرك وأهله ، وتجافى عن كسل خصائص الجاهلية ، يلزمه الاستمرار على ذلك ، لاستمرار ايمانه وصحته .
وحيث ان امور الجاهلية - ومنها الافكار الهدامة - كثيرة متشعبة ، يروج لها دعاة الضلال ، ويزخرفونها بالشبهات ، كما أخبر الله بذلك بقوله :

(١) سورة " البقرة " ٢٥٦ .

(٢) سورة " الزمر " ١٧ .

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
شَيْطَانًا الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ
الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١)

فقد جعل الله للمؤمن حصنا يحمي به من ذلك ، الا وهو النور والفرقان الذين
فى قلبه يفرق بهما بين الهدى والضلال .

فيستمر فى اجتنابه للطافات وموارد الهلكة التى تحيط به .

قال تبارك وتعالى :

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ (٢)

قال ابن جرير - رحمه الله - :

" فاحييناه ، يقول فهدينا للاسلام فانعشناه ، فصار يعرف مضار نفسه
ومنافعها ، ويعمل فى خلاصها من سخط الله وعقابه فى معاده فجعل ابصاره
الحق تعالى ذكره بعد عماه عنه ، ومعرفته بوحدانيته وشرايع دينه بعد جهلته
بذلك حياة وضيا" يستضي" به ، فيمشى على قصد السبيل ومنهج الطريق فسرى
الناس (كمن مثله فى الظلمات) لا يدري كيف يتوجه ، وأى طريق يأخذ لشدة ظلمة
الليل واضلالة الطريق ، فكذلك هذا الكافر الضال فى ظلمات الكفر ، لا يبصر
رشدا ، ولا يعرف حقا ، يعنى فى ظلمات الكفر " (٣)

فالله تبارك وتعالى يجعل للمؤمن نورا فى قلبه يستنير به ، يهتدى به
الى سبيل السلام ويكشف له الظلمات وموارد العطب ومنها الافكار المضلة فيجهد
عنها .

(١) سورة الانعام " ١١٢ .

(٢) سورة الانعام " ١٢٢ .

(٣) جامع البيان ، ط ٣ - ٢٢ / ٨

هذا النور حصن يحصن الله به عباده المؤمنين المتقين المتبعين للرسول

- صلى الله عليه وسلم - قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (١)

فدللت هذه الآية على أنه من اتقى الله واطاعه مؤمنا مقتديا بالرسول - صلى الله
عليه وسلم - فسوف يجعل له نورا يمشى به ، ذلك النور هو نور الايمان والعلم
المستمد من الكتاب والسنة . قال ابن جرير - رحمه الله - فى المراد بقوله : " ويجعل
لكم نورا تمشون به "

" واولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : ان الله تعالى ذكره وعد هؤلاء -
القوم ان يجعل لهم نورا يمشون به . . . والقران مع اتباع رسول الله - صلى الله
عليه وسلم نور لمن آمن بهما وصدقهما وهدى ، من آمن بذلك فقد اهدى " (٢)

قوله : " . . . نور لمن آمن بهما وصدقهما وهدى " : يدل على ان نور القرآن
والسنة لا يهتدى به الا المؤمن الذى يتعلمهما ليعمل بهما . كما فى قوله

تعالى :
" قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥١﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (٣)

(١) سورة الحديد " ٢٨ . (٢) جامع البيان ، ح ٢٧ / ٢٤٥

(٣) سورة " العائدة " ١٥ ، ١٦

وقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارْسَابٍ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

دلت هذه الآيات ان الله يجعل في قلب عبده المؤمن نورا. وان سبب ذلك هو الايمان والتقوى . فالنور اذا أثر من آثار تزكى القلب بالايمان والعلم المستقى من الوحي .

وليس هناك طريق اخر لحصول النور للعبد بدون هذا الطريق . قال سبحانه في تأكيد هذا المعنى :

﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (٢) ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (٣)

وقد بين سبحانه كفاي الآيات المتقدمة أن الذين يهدى بهم لنوره ويجمع لهم نورا يمشون به هم الذين آمنوا واتقوا وآمنوا برسوله - صلى الله عليه وسلم - .
وجود النور في قلب المؤمن وجود حقيقي - كما قال تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ (٤)

أورد ابن جرير - رحمه الله - في المعنى بالهاء في قوله : " مثل نوره " عن بعض السلف قولهم : " مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الايمان والقـرآن مثل مشكاة " (٥)

-
- (١) سورة البقرة " ١ ، ٢٠ .
 - (٢) سورة النور " ٣٥ .
 - (٣) سورة النور " ٤٠ .
 - (٤) سورة النور " ٣٥ .
 - (٥) جامع البيان ح ١٨ / ١٣٦ .

وقال ابن القيم - رحمه الله - :

" والبراد نور الايمان الذي جعله الله له خلقا وتكويناً ، كما قال تعالى
(ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور) فهذا (النور) اذا تمكن من القلب
واشرق فيه : فاض على الجوارح . فيرى أثره في الوجه والعين . ويظهر في
القول والعمل . . (١)

وجود هذا النور في قلب المؤمن يصبح القلب مصراً حقيقة .
يرى مواقع السلامة ومواقع الهلكة ، كما تنصر العين الحسن والقبح
قال تعالى مبيناً هذه الحقيقة :

" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَآتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٢﴾ "

وكما أن الايمان جالب للنور وحياة القلب وصيرته ، فكذلك الكفر هو سبب موت
القلب ومماته كما قال تعالى :

" ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ
أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٣﴾ "

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤﴾ (٤)

(١) مدارج السالكين - ٣ / ٢٤٠ .
(٢) سورة " الحج " ٤٦ .
(٣) سورة " الرعد " ١٩ .
(٤) سورة " الطففين " ١٤ .

والنور الذى يجعله الله فى قلب المؤمن هو نور زائد على النور الذى يحصل له من العلم الذى قام به والمستمد من الوحي المطهر .

قال تعالى : " نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ " (١)

وقد اختلفت عبارات المفسرين حول المراد بالنورين فى الآية . ففسر بعضهم النور الاول بالحجج والبراهين الكونية التى نصبها الله لعباده والتى تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر والنور الثانى : هو القرآن الذى انزله منها على توحيده ، ومنها ومذكرا بآياته ، فزادهم حجة الى حججه عليهم قبل ذلك . (٢)

فسر بعضهم النور الاول بالفطرة السلية والنور الثانى بالقرآن .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" فشبّه قلب المؤمن وما هو فطور عليه من الهدى ، وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو فطور عليه ، كما قال تعالى :

(۳) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ مِنَ رَبِّهِ يُتْلُوهُمَا شَاهِدٌ مِّنْهُ)

فشبّه قلب المؤمن فى صفائه فى نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستهدى به من القرآن والشرع بالنزيت الجيد الصافي المشرك المعتدل الذى - لا كدر فيه ولا انحراف . (٤)

(١) سورة " النور " ٣٥ .

(٢) انظر : جامع البيان لابن جرير ، ح ١٨ / ١٤٣

(٣) سورة " هود " ١٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ط لشعب ح ٦ / ٦١ .

وفسر بعض العلماء النوريين بالايان والقرآن .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - حول قوله الله تعالى " نور على نور " : " نور الايمان الذى فى قلبه يطابق نور القرآن . كما ان الميزان العقلى يطابق الكتاب المنزل فان الله انزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط .^(١)

وقد استدلل لهذا المعنى بأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح .^(٢)
وسوف أذكر من ذلك دليلا واحدا لكونه مع دلالاته على ما ذهب اليه شيخ الاسلام ، يدل ايضا على اثر هذين النورين فى تحصين المسلم ضد الافكار الهدامة واسبابها - التى هى موضوع الدراسة .

قال - صلى الله عليه وسلم - : " ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتى الصراط سوران ، فيهما ابواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاه . وعلى باب الصراط داع يقول : يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تنفرجوا . وداع يدعو من جوف الصراط . فاذا أراد أن يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه . والصراط الاسلام . والسوران حدود الله تعالى . والابواب الفتحة محارم الله تعالى . وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله - عز وجل - والداعى فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم .^(٣)

(١) مجموع الفتاوى ج ١٠ / ٤٧٥ .

(٢) انظر : نفس المصدر من ٤٧٤ - ٤٧٧ .

(٣) اخرج الامام أحمد فى المسند واللفظ له . ج ٤ / ١٨٢ ، ١٨٣ من حديث النواس بن سميان والحاكم وقال : " صحيح على شرط مسلم " ووافقه الذهبى المستدرک ج ١ / ٧٣ . ووافقهما الالبانى . انظر : ظلال الجنة فى تخريج السنة مع كتاب السنة لابن ابى عاصم ج ١ / ١٤٠ .
وقال ابن كثير : " هو اسناد حسن صحيح " تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٤٣ ط . الشعب .

وخلصه هذه الاقوال الثلاثة أنها متفق على أن أحد النورين هو القرآن وما يدل عليه من العلم . اما النور الثاني فهو في قول : الفطرة السليمة ، وفي آخر الحجج والبراهين العقلية وفي الثالث الايمان .

وفي نظري أن القول الثالث ينتظم تلك الاقوال . وذلك ان قلب المؤمن - على الفطرة القويمة ، وهو القلب الذي ينتفع بالحجج والبراهين فيتمتع بها - وعلى هذا فبدأ هذا النور هو الفطرة ، ويزيده النظر والايمان والقرآن قوة وحدة واستقامة وقد اشار ابن تيمية الى هذا المعنى فقال :

" وايضا فالله سبحانه وتعالى فطر عباده على الحنيفية : وهو حب المعروف بغض المنكر ، فاذا لم تستحل الفطرة فالقلوب مبطورة على الحق ، فاذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الايمان ، منورة بنور القرآن (١)

فالنور في القلب يقوى بقوة الايمان والعلم المستقى من الكتاب والسنة الذي يغذى الفطرة القويمة ، الموافقة للتوحيد ، القابلة لدلائله المطمئنة لها

قال تعالى : " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾

وقد اشار الله تعالى الى أن المستحقين لهذا النور هم الموحدون والمخلصون كما في سورة " الزمر " التي تميزت بالكلام على الاخلاص وعامة قضايا التوحيد - صفة أهله وجزائهم ثم مقارنة ذلك كله بما يقابله من احوال المشركين . حيث قال الله تعالى مبينا أهم ركائز العبودية التي كلف الله بها عباده والتي حققها الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي هو امام الموحدون وقد وتهم :

(١) مجموع الفتاوى ج ١٠ / ٤٧٤

(٢) سورة " الروم " ٣٠

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ (١)

شبهين سبحانه في نفس السياق أهم أساس يقوم عليه الاخلاص وانسه
اجتناب الطاغوت والانا به الى الله وحده فقال :

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ (٢)

وفي نفس السياق ايضا معدان ذكر بعض صفاتهم التي استحقوا بها
هداية الله وبين صيرهم ومصير اعدائهم ، وبعض دلائل
التوحيد اتبع ذلك ببيان ان هؤلاء هم الذين شرح صدورهم للاسلام
فكانوا على نور من ربهم فقال :

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ
لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنِ ذَكَرَ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ (٣)

فدل هذا السياق على أن النور عطية الله للموحدين المخلصين .
وكلما رسخ التوحيد والعلم والعمل بموجبهما تم النور وقوى حتى يصبح
العبد يرى بنور الله ، ويتكلم بالحق ويعمل به .
فالنور الذي في قلب المؤمن مظهر من مظاهر عناية الله به .
وقد تكلمت فيما سبق عن أهم سبب لحصول ولاية الله لعبيده ، وانه التوحيد
الخالص ، بما يغني عن اعادته . (٤)

-
- (١) سورة " الزمر " ١١-١٤ .
(٢) سورة " الزمر " ١٧ .
(٣) سورة " الزمر " ٢٢ .
(٤) راجع (١٤١)

والذى يستفيده المسلم من هذه المعرفة - وهى اختصاص أهل الاخلاص بالنور
وزيادة تهبرسوخهم فى العلم والعبادة - هو الحرص على تعلم التوحيد والتزامه
ومعرفة الشرك وخصائص الجاهلية والطاغوت واجتنابها ثم تعلم ماورد فى الكتاب
والسنة من الشريعة والعقل بهما . وفيه ذلك من الحكم والوصايا والمواعظ
والعبر والاهتداء بها فى جميع نواحي الحياة .

كما يستفيد المسلم من هذه المعرفة أن يلازم الذين هذه صفتهم فيواليهم
ويأخذ بفتواهم فهم أهل الذكر والنور والبصيرة . وخاصة عند حصول الفتن
التي تذهل فيها عقل الرجال ، وتختلف الاقوال ، فان اللاذ من ذلك هو الفرار
الى الله ، والاستنارة باقوال واحوال عباد الله الموحدين ، فان الله قد
ضمن ان يوجد أشال هؤلاء الذين يقولون بالحق وه يعدلون فى كل زمان
حجة على العباد وقدوة لطالب الرشاد - كما فى الحديث :

" لاتزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر
الله وهم كذلك . (١)

ومن ثمرات هذا النور فى قلب المؤمن الفرقان . الذى يفرق به بين الحق
والباطل . وبذلك يصبح مشيه فى الحياة وبين الناس سليما آمنا .

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ

عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

اورد ابن جرير عن بعض السلف فى قوله : " يجعل لكم فرقانا " انه

فسره بفرقان يفرق فى قلوبهم بين الحق والباطل حتى يعرفوه ، ويبتدوا بذلك
الفرقان . (٢)

(١) رواه مسلم - كتاب الامارة - باب لاتزال طائفة من امتى ... ح ١٥٢٣/٣

(٢) سورة " الانفال " ٢٩ .

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير ، ط الثالثة ، ح ٥٢٢٦/٩ .

قال ابن القيم - رحمه الله - : "ومن الفرقان ما يعطيهم من النور الذى يفرقون به بين الحق والباطل . . ." (١)

ومن خصائص هذا النور الذى أشرق به القلب أنه يعطي القلب ملكة يتذوق بها ما يناسبه وما لا يناسبه . فالمؤمن قلبه سليم عامر بالخير ، يرتاح ويطمئن له . وينفر من الشر .

فاذا عرض له أمر من الأمور لا يجد فيه نصا من الكتاب والسنة ولم يبلغه كلام أهل العلم فيه ، فإن القلب المنور بالايمان والعلم بهذ وقسه السليم وتفرسه يقبل ذلك الأمر او يفرضه .

والذوق كما عرفه ابن القيم - رحمه الله - :

هو : " مباشرة الحاسة الظاهرة والباطنة للملائم والمنافر" (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

" ولفظ " الذوق " وان كان قد يظن أنه فى الأصل مختص بـ الذوق اللسان فاستعماله فى الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل فى الاحساس بالملائم والمنافر" (٣)

وقال ايضا ذاكرا قول بعض السلف فى قوله تعالى : " نور على نور " :
" قال بعض السلف فى الآية هو المؤمن ينطق بالحكمة وان لم يسمع فيها بأثر ، فاذا سمع بالأثر كان نورا على نور . نورا لايمان الذى فى قلبه يطابق نور القرآن ، كما ان الميزان العقلى يطابق الكتاب المنزل ، فان الله أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" (٤)

(٢) مدارج السالكين حـ ١٠ / ٣٣٤

(٤) نفس المصدر حـ ١٠ / ٤٧٥

(١) الفوائد لابن القيم ص ١٧٠ .

(٣) مجموع الفتاوى حـ ١٠ / ٣٣٤ .

وقد بين شيخ الاسلام - رحمه الله - ان الذوق الصحيح هو ذوق طوب
أهل التوحيد التي عمرت بالاخلاص لله ، والعلم المستمد من الكتاب
والسنة ، وأن كلا من المؤمنين الموحدين معه من هذا الذوق بقدر ايمانه
وعلمه .^(١)

فالمؤمن قد ذاق حلاوة الايمان وأشربه قلبه وتلذذ به .
وإذا ذاق القلب طعم الايمان عرف عند ذلك ما يناسبه وما يخالفه . كما
إذا تذوق الانسان بلسانه طعم العسل والحنظل . ثم أتى بثالث لم يذكر
له نوعه فانه اذا تذوقه عرف الى ايهما أقرب .

قال - صلى الله عليه وسلم - : " ذاق طعم الايمان من رضى باللله
ربا وبالاسلام ديننا ومحمد رسولا " .^(٢)

وقال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه
مناسواهما ، وأن يحب العراء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر
كما يكره أن يقذف في النار " .^(٣)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - معلقا على هذين الحديثين :

" فبين - صلى الله عليه وسلم - أن ذوق طعم الايمان لمن رضى باللله
ربا ، وبالاسلام ديننا ، ومحمد نبيا ، وان وجد حلاوة الايمان حاصل لمن كان -
حبه لله ورسوله أشد من حبه لغيرهما ، ومن كان يحب شخصا لله لا لغيره
ومن كان يكره ضد الايمان ، كما يكره أن يلقى في النار ، فهذا الحب للايمان
والكراهية للكفر استلزم حلاوة الايمان ، كما استلزم الرضى المتقدم ذوق طعم

(١) نفس المصدر ح ١٠ / ٣٣٥ .

(٢) رواه مسلم . كتاب الايمان . باب الدليل على أن ... ح (٥٦) ح ١ / ٦٢ .

(٣) متفق عليه - واللفظ للبخارى - البخارى : كتاب الايمان باب حلاوة الايمان

ح (١٦) ح ١ / ٦٠ وسلم : كتاب الايمان ، باب بيان خصال .. ح ١ / ٦٦

ح (٦٧) .

الايهان ، وهذا هو اللذة ، وليس هو نفس التصديق والمعرفة الحاصلة فـسـى القلب ، ولا نفس الحب الحاصل فى القلب ، بل هذا نتيجة ذاك وشمرته ولازم له وهى امور متلازمة ، فلا توجد اللذة الا بحب وذوق ^(١) .

قوله - رحمه الله - : " بل هذا نتيجة ذلك وشمرته " : فيه اشاره الى أن ذوق - القلب ووجوده لحلاوة الايمان لا يقوم به الا اذا تكن الايمان منه .

وهذا الذوق هو بمثابة ميزان حساس يستشعر ما يناسبه من الخير والايهان فيرتاح له ويأنس به . كما يستشعر ما لا يناسبه فينفرو به شمرته منه . وهذا الميزان الايماني بجانب النور العلمى هما - والله أعلم - الفرقان الذى يفسر به القلب بين الحق والباطل واللائم والمنافر . قال - صلى الله عليه وسلم - :

" البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب . والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولا يطمئن اليه القلب وان افتاك الغفون ^(٢) .

والمقصود هنا نفس المؤمن وقلبه العامر بالايمان والعلم . اذ هو الذى يطمئن ويأنس بالخير ويرتاح اليه . وينفر من الشر .

" فالقلب الذى دخله نور الايمان وانشرح به وانفسح سكن للحق واطمأن به ويقبله وينفر عن الباطل ويكرهه ولا يقبله ^(٣) .

(١) مجموع الفتاوى ج ١٠ / ٣٢٧ .

(٢) رواه الامام احمد من حديث ابى شعبة الخشنى . المسند ج ٤ / ١٩٤ . وقال

ابن رجب عن سنده : " وهذا اسناد جيد " جامع العلوم والحكم ٢٣٧ . وقال

عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد : " ورجاله ثقات " ج ١ / ١٧٦ . صححه

الالبانى فى صحيح الجامع الصغير ج ٣ / ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٣٩

ومما تقدم من النصوص وكلام أهل العلم نخرج بضوابط مهمة لهذا الأثر
القلبي الذي يحدثه الايمان في قلوب العباد فتحصن به من كيد شياطين
الانس والجن .

هذه الضوابط تتلخص فيما يلي :

١ - ان معرفة العقائد والشرايع والخير والشر والحلال والحرام والحسن والقبح
انها طريقه الكتاب والسنة .

٢ - أن الله فطر القلوب السليمة العامة بالعلم والايمان على الراحة
والأنس للخير والنفرة من الشر . وهذه علامة خص الله بها قلوب المؤمنين
بالإضافة الى النور المستفاد من العلم . وانها تزيد كلما زاد العلم ورسخ
الايمان .

٣ - انه متى استبان الحكم من الدليل الشرعي فيجب العسير اليه
وان لم ينشرح به الصدر . ولا عورة بالاحساس المخالف . كما يتخرج بعض
المسلمين من الفطر في السفر ، وكما كره بعض الصحابة التحلل من الحج
الى العمرة ، وبعض ماورد في مفاوضته لقريش في الحديبية .^(١)

٤ - ان فائدة هذه العلامة - وهي التذوق والاحساس الذي يفرق به المؤمن
بين الحق والباطل - انما تكون عند المشابهات ، واختلاف الفتيا اوفى
الامور الحادثة التي لم يتبين حكمها .

قال ابن رجب - رحمه الله - :

" فان ما شرعه الله ورسوله يجب الايمان والرضا به والتسليم له كما

قال تعالى : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " ^(٢)

(١) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب . ٢٤٠ .

(٢) سورة " النساء " ٦٥ .

اما ما ليس فيه نص من الله ولا رسوله ولا عن يقتدى بقوله من الصحابة
وسلف الامة ، فاذا وقع في نفس المؤمن - العظمى قلبه بالايمان المنشرح صدره
بنور المعرفة واليقين - منه شىء وحك في صدره بشبهه موجوده ، ولم يجد
من يفتى فيه بالرخصه الا من يخبر عن رأيه وهو ممن لا يوثق بعلمه يهدى بنسبه
بل هو معروف باتباع الهوى فهنا يرجع المؤمن الى ما حاك في صدره وأن افتاه
هؤلاء الغفتين . (١)

وهذه الضوابط تخرج المفاهيم الضالة التي احدها المبتدعون المبتلون
وجعلوها أساسا لمعرفة الحقيقة ، وعارضوا بها ما دل عليه الوحي المطهر
كفكرة الكشف والفيض والوجد ونحوها من الاوهام والظنون .

قال ابن رجب - رحمه الله :-

" وانما ذم أحمد وغيره المتكلمين على الوسواس والخطرات من الصوفية
حيث كان كلامهم في ذلك لا يستند الى دليل شرعى بل الى مجرد رأى وذوق -
كما كان ينكر الكلام في مسائل الحلال والحرام بمجرد الرأى من غير دليل شرعى
فاما الرجوع في الامور المشتبهة الى حواز القلوب فقد دلت عليه النصوص النبوية
وفتاوى الصحابه . (٢)

وخلصه هذا البحث : أن الايمان القائم على الاخلاص والعلم المستمد
من الوحي المطهر يوجد في القلب نورا وفرقانا يهدى صاحبه الى مواطن
الخير ويكشف له عن مواطن الهلكة والضلال . كما يصبح في القلب ملكة وحساسية

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٤٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٤١

يتذوق بهما مآلئهم من الخير فيميل اليه ويسكن . وما ينافره من الشر
فيشطز منه وينفر وواعظا يذكره .

وهذا يكون القلب محصناً بالعلم والنور ، والفطرة السليمة ، وواعظ الايمان
والحساسية المرهفة ضد أى فكر خبيث يستهدف زمرة عقائده او حـرف
عواطفه والميل باراداته .

واذا ضعف الايمان وقل العلم ضعفت هذه الحصون . وخفت نور القلب
وقلت حساسيته فيكون عرضه للانخداع ببعض الافكار الضالة .
وخاصه ما كان منها مزخرفا بالشبهات الموهمة ولبس فيه الحق بالباطل .

الباب الثالث

الباب الثالث

أثر الايمان في تحصين المجتمع المسلم ضد الافكار الهدامة .

(الاثر الاجتماعي)

فيه ثلاثة فصول :

الفصل الاول : أثر الرابطة الايمانية والاخلاق والنظم الاسلامية في صيانة

المجتمع المسلم من الانحراف الفكري .

الفصل الثاني : دور ولاة الامر في حماية المجتمع من الافكار الهدامة .

الفصل الثالث : أثر وضع الدولة المتمكن في الارض في تحصين المجتمع ضد

الافكار المخالفة .

لقد خلق الله الانسان لعبادته . فالعبودية هي المقصد الأهم ، والمحور الذى يجب أن تدور حوله وتنطلق منه جميع أعماله ومعاملاته ، واهتماماته ، ومقاصده . والاسلام عندما بين جميع نواحي العبادة ، وما يتصل بها ، لم يتجاهل كون الانسان اجتماعيا بطبعه ، وما للمجتمع الذى يعيش فيه من تأثير على نفسه وتفكيره وسلوكه .

ومن أجل ذلك جاء الاسلام بالاسس المتكاملة للنظام الذى يقوم عليه المجتمع المسلم . وهو نظام يمتاز بالشمول والواقعية ، ويضمن سير الحياة فيه على وجه يحقق العدل والأمن والحياة الكريمة لكافة افراده . كما يمنح الفرصة لهم بالمشاركة فى التنمية الحضارية . ما يدفع المجتمع إلى مستوى رفيع من الانتاج الاقتصادى والزراعى والتجارى والصناعى ، وفى كافة المجالات .

بهذا يحصل التوازن فى سعى الناس فى المجتمع المسلم بين قيامهم بمتطلبات العبودية التى من أجلها خلقوا ، وبين كدهم فى استثمار واستغلال ماسخره الله لهم على الارض طلبا للرزق ومتطلبات الحياة .

وهم فى سيرهم فى كلا الأمرين يحكمون بمنهج ونظام ربانى يسترشدون به فى كل ما يأتون أو يذرون . فيأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم ، ويباعدتهم عن سبل الضلال وظلمات الجاهلية .

والحق أن المجتمع المسلم بتعاليمه وشرائعه ، وقيمه ، وانظمته ، وضوابطه وكوابحه حصن متين يتحصن به المسلمون من خصائص الجاهلية ، وافكارها الضالمة وشرايع الطاغوت . وهذا الحصن مكون من دعائم وسدود يقوم كل منها بسد ثغرة يحتمل تسلل الفساد من خلالها إلى قلب المجتمع المسلم .

وقدر صلابة وتماسك هذه الدعائم تكون قوة وتماسك الحصن الاجتماعى وإذا ضعفت فتحت فيه ثغرات بتسلل منها الضلال الفكرى والسلوكى إلى جسد

الامة ، فيضعف المجتمع وتنخر فيه عوامل الفساد .

وهذا الأثر العظيم للمجتمع المؤمن - وهو كونه حصنا لافراده - يفسر بعض جوانب الحكمة في عناية الشارع باقامة المجتمع المسلم ، وتنظيمه ، والتأكيد على وجوب لزوم جماعة المسلمين ، وايجاب الهجرة إلى بلاد الاسلام ، والنهي عن مساكنة المشركين والاقامة بينهم ، والسفر إلى بلادهم بغير حاجة شرعية .

فالاسلام يحتم على اتباعه الانضمام إلى المجتمع المسلم ليصبغوا بصبغته ويسايروا تعاليمه ، ويوالوا أهله ، ويحكموا بنظامه ، ويحتموا بحماه من شـرور الجاهلييات والافكار المضلات .

قال سيد قطب - رحمه الله - مبيّنًا أهم الاسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم :
• والحضارة الاسلاميه يمكن أن تتخذ اشكالا متنوعة في تركيبها المادى والتشكيلى ولكن الاصول والقيم التي تقوم عليها ثابتة ، لانها هي مقومات هذه الحضارة :
(العبودية لله وحده . والتجمع على آصرة العقيدة فيه - واستعلاء انسانية الانسان على المادة . وسيادة القيم الانسانية التي تنمى انسانية الانسان لحيوانيته .. وحرمة الاسرة . والخلافة في الارض على عهد الله وشرطه . . وتحكيم منهج الله وشريعته وحدها في شؤون هذه الخلافة)^(١) .

فالاسلام باقراره هذه الاسس يقدم للناس المجتمع المتحضر حقا . الذي يشعر فيه الانسان بانسانيته وتكريم الله له . ويحس بسمو هدفه ، واثمار سعيه في عبوديته ولاية الله في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة . ويرى ثمرة كدحه في شؤون دنياه تقدا علميا وصناعيا وزراعيا وتجاريا واجتماعيا .

(١) معالم في الطريق ص ١٣٢

ويولى الاسلام هذه الاسس عناية خاصة لعالمها من الالهية فى استقرار المجتمع المسلم ، وتحصينه وسلامته من المؤثرات الجاهلية . وتتجلى هذه العناية بدقة الهيان لتفاصيل كل منها ، وبالتشديد على اقامتها والتحذير من الاخلال بشئ منها .

وقدر اهتمام الاسلام بتوطيد هذه الاسس ، يعمل اعداء الاسلام جاهدين على زعزعتها واضعافها . ليسهل عليهم التوفل فى المجتمع المسلم والافساد فيه .

قال سيد قطب - رحمه الله - فى معرض كلامه عن جانب من جوانب الفكر الهدام وأثره على اسس المجتمع المسلم :

• ولذا تقرر أن مناهج الفكر الغربى ، ونتائج هذا الفكر فى كل حقول المعرفة يقوم على اساس تلك الرواسب السامة بالعداء لأصل التصور الدينى جلية فإن تلك المناهج وهذا النتاج أشد عداءً للتصور الاسلامى خاصة . لانه يتعمد هذا العداء بصفة خاصة ، ويتحرى فى حالات كثيرة - فى خطة متعددة - تمييع العقيدة والتصور والفهوم الاسلامية ، ثم تحطيم الاسس التى يقوم عليها تميز المجتمع المسلم فى كل مقوماته (١) .

وهذه الاسس - كما تقدم - تشكل حصنا منيعا للمجتمع إذا طبقت واقبمت على الوجه الصحيح .

فالمؤمنون فى مجتمعهم يحاطون بأسوار ايمانية تحميهم من الاخطار الداخلية والخارجية . وهذه الاسوار يؤثر بعضها فى بعض . فإذا انهدم سور منها أو اختل انهدم أو اختل سور آخر قائم عليه أو متأثر به .

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

ويمكن حصر هذه الاسوار الایمانیة فی ثلاث مجموعات :

المجموعة الاولى : ما يتعلق بالرابطة الایمانیة التي تشد افراد المجتمع بعضهم إلى بعض ، بالشعور المشترك بالعبودية لله وحده ، والتجمع على أسرة الاخوة فيه ، وعلى العمل لنشره والدفاع عنه .

وما يتصل بذلك من الاخلاق الفاضلة الجالبة للمحبة والتراحم والتلاحم ، والتعاون على البر والتقوى .

وما يلزم لاستمرارها وازديادها من وجود نظام متكامل يتمثل بتعاليم الاسلام وشرائعه وحدوده وضوابطه التي تنظم العلاقات والمعاملات وسائر جوانب الحياة على وضع يحقق العدالة ويعمق المودة ، يعرف كلا بماله من حق وما عليه من واجب .

ويتصل بذلك نظام الردع المتمثل بالحدود والعقوبات الاخرى المانعة من ظهور الفساد في المجتمع المسلم وانتشاره .

ونظام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي بقيامه ضمن المجتمع المسلم سير جميع اموره سيرا صحيحا على منهج الله ويكون واعيا متيقظا لكل طارئ غريب فكري أو سلوكي يحاول التسلل إلى المجتمع .

المجموعة الثانية : ما يتعلق بقيام الدولة وعلى رأسها ولي الامر وأعوانه من الوزراء والامراء والقضاة بما عليهم من واجب تنفيذ الدين والدفاع عنه .

المجموعة الثالثة : ما يتعلق بوضع الدولة المتمكن في الارض ومنزلتها المهيبة بين الامم ، وماله من الاثر في استقرارها الداخلي وحصانتها الفكرية وذلك يرجع إلى أخذها باسباب القوة والاعداد للجهاد واقامته .

هذا وسوف أفرد لكل منها فصلا مستقلا ابين فيه - إن شاء الله - اثرها في تحصين المجتمع المسلم ضد الشرور عامة والفكرية منها خاصة - والله المستعان .

الفصل الأول

الفصل الاول :

أثر الرابطة الايمانية والاخلاق والنظم الاسلامية في صيانة
المجتمع المسلم من الانحراف الفكرى .

فيه بحثان :

المبحث الاول : أثر المحافظة على الرابطة الايمانية في الحصانة
الفكرية .

المبحث الثانى : أثر العمل على سلامة مقومات المجتمع في حمايته من

غزو الافكار الضالة .

إن المجتمع الاسلامى - كغيره من المجتمعات - يتكون من السلطان ورجال دولته ، ومن افراد المجتمع .

صلاح المجتمع يكون بصلاح كلا الفريقين وقيام كل منهم بدوره فى نصرة الاسلام تنفيذا و دفاعا .

وسوف يجرى الكلام على : دور الامام ودولته فى حصانة المجتمع فى الفصل القادم - إن شاء الله - .

أما فى هذا الفصل فيجرى الكلام - بعون الله تعالى - على أهم الامور التى تكفل قيام افراد المجتمع بدورهم فى حصانة المجتمع وقوة جبهته الداخلىة والعوامل التى تضمن تلاحمهم وتراحمهم وتعاونهم ، وقد اجملتها فى أمرين :-

الأول : المحافظة على الرابطة الايمانية والعمل على تنميتها .

ويتم تحقيق ذلك بما يلى :-

- ١ - الالتزام بالاخلاق الفاضلة .
- ٢ - أداء الحقوق المفروضة لبعضهم على بعض .
- ٣ - الالتزام بالنظام الاجتماعى والاقتصادى الاسلامى .
- ٤ - المحافظة على الوحدة الفكرية .

الثانى : العمل على سلامة مقومات المجتمع المسلم .

ويتحقق ذلك بالتواصى بالحق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على ذلك .

وسوف أفرد لكل منهما مبحثا مستقلا أبين فيه أثره فى حصانة المجتمع المسلم من الشرور الفكرية وغيرها . والله المستعان .

المبحث الاول : أثر المحافظة على الرابطة الابمانية فى الحصانة الفكرية .

إن لكل مجتمع انسانى خصائص تميزه عن غيره ، وروابط تشد بين افراده ، ومقومات تحكم تعاملهم مع بعضهم ومع غيرهم فى المجتمعات الاخرى .

ويتوقف على حظ المقومات والروابط من الصلاح والتناسق ، قوة المجتمع وصلاحه من عدمها .

وقد وردت تعاريف كثيرة لمصطلح المجتمع الانسانى وكل من هذه التعاريف يتناول جانباً من جوانب المجتمع وخواصه الرئيسية كالعلاقات الاجتماعية أو النظم والضوابط السلوكية أو التجمع والتفاعل الانسانى او البقعة الجغرافية التى يعيش عليها الافراد والجماعات أو اللغة والتاريخ أو العادات والتقاليد والاهداف المشتركة التى يؤمن بها ابناءه وهكذا (١) .

ورابطة الدم والعقيدة واللغة هى أقوى الروابط التى يجتمع عليها افراد المجتمعات الانسانية . أما الوطن فهو البقعة الجغرافية التى تقيم عليها تلك الجماعة وشكل الحنين والولاء له رابطة تشد ابناء الوطن بعضهم إلى بعض . كما أن المصالح المشتركة تكون فى كثير من الاحيان رابطة يجتمع عليها الناس .

ويعتبر المجتمع متماسكاً قوياً إذا كانت الرابطة بين افراده قوية والتزامهم بها شعوراً وولاءً قوياً .

لكن تماسك المجتمع وقوته لا تعنى أنه يسير على الحق والهدى والصراط المستقيم ذلك أن القوة غير الهداية وإنما تمام الامر أن تقترن القوة بالهداية . فتكون القوة مجندة لنشر الحق والدفاع عنه ، والحق موجهاً للقوة .

(١) انظر : دراسات فى المجتمع العربى ، تأليف نخبة من اساتذة الجامعات ، الفصل الاول بعنوان : المجتمع الانسانى طبيعته ومقوماته ، د . حسان محمد الحسن ، ص ١٧ . الناشر : اتحاد الجامعات العربية ، الامانة العامة ، بيروت ، ط الاولى ١٤٠٦ هـ .

وعلى هذا فالمجتمع السليم المهتدى هو الذى يسير على الهدى الذى جاء به الوحي المطهر النازل على أنبياء الله ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم .

ذلك المجتمع الذى ربط بين اعضاءه رباط الايمان وشدهم التوحيد والشعور بالانتماء اليه ومسئولية نشره والدفاع عنه . وقوى ولاؤهم جميعا له . واتحدت أهدافهم التى يؤملونها فى الدنيا والآخرة . وحكموا جميعا بنظامه وشرعه ، وتعاملوا باخلاقه والحقوق التى أوجبها لكل منهم . ولذلك فإن الرابطة الايمانية هى أهم الاسس التى يقوم عليها المجتمع المسلم ، وبالتالى فهى أهم وأقوى الحصون التى تحصن المجتمع من كيد اعدائه وافكارهم السمومة ، وتخطيطاتهم الخبيثة .

وهذا يكون الاسلام قد ابطل جميع الاعتبارات كرابطة ولاء واخوة تناصر وإنما تبقى روابط تعارف وتراحم ، تعتبر فى الانساب وبعض الاحكام الشرعية كالدية التى تكون على العاقلة ، وولايات التزويج ، والميراث ونحو ذلك .

قال الدكتور :- مصطفى عبد الواحد :

• الاساس الاول الذى يشىد عليه الاسلام بناءه الاجتماعى هو الاخوة بين افراده جميعا . . .

فمن الطبيعى وهو مجتمع يقوم على عقيدته تجمع بين ابنائه أن يجعل منها رابطة قوية تشد كل المسلمين وتؤلف بين قلوبهم .

إنه يجعل تلك الاخوة علاقة حقيقية تزيد على علاقة الدم والنسب وتفضلها وقد كان الاسلام بذلك اول من أقام اجتماعا على أساس رابطة روحية يجعل لها الاعتبار الاول ، ويعتمد عليها فى تقرير الحقوق والواجبات .

إن بين المؤمنين رباطا روحيا يتغل في ايمانهم به واحد واعتقادهم
بغاية واحدة للحياة ومصير واحد . ومن أجل ذلك فهم اخوة . . .

هكذا يقرر القرآن الكريم : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ " (١)

وهذا الرباط من القوة والاصالة بحيث يجعل اساسا يتجمع حوله المسلمون
دون اعتبار لما تواضع عليه البشر أزمانا طويلة ، فلا اعتبار - في المجتمع
الاسلامى - للنسب وشرفه ، فقد وضع الاسلام عن الناس وزر التفاخر بالانساب -
والتعصب لها . . .

ولا اعتبار للجنس ، فالاسلام يرفض أن يفرق الناس اجناسا مختلفه وأن تفصل
بينهم فواصل من صنع أيديهم .

ولهذا فقد احتضن المجتمع الاسلامى الاول المسلمين من كل جنس ، ولم
يجد الحبشى أو الفارسى أو الرومى حائلا يمنعهم من الانتساب لهذا المجتمع ، بل
والتصدرفيه . . .

وقد كانت تلك الاخوة نوعا جديدا من العلاقات لم يعهده المجتمع العربى
قبل الاسلام ، إذ كان ذلك المجتمع يقوم على رباط النسب والجنس فجاه الاسلام
ليجعل الترابط فى مجتمعه على ذلك الاساس الروحى والفكرى من وحدة العقيدة
ووحدة الغاية ، متخطيا فى ذلك الروابط التى تحمل فى طياتها عوامل التفكك
مذور الانهيار . . . (٢)

وقد قرر الله هذه الرابطة والاخوة الایمانية بقوله :

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ " (١)

(١) سورة " الحجرات " ١٠ .
(٢) المجتمع الاسلامى ، اهدافه ودعائه ، اوضاعه وخصائصه ، فى ضوء الكتاب والسنة
د . مصطفى عبد الواحد ، ص ٤٤ ، ٤٥ . مطبعة دار التأليف ، مصر ، ط الأولى
١٣٨٩ هـ .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" أى الجميع اخوة فى الدين " (١)

والاخوة من مدلولها معنى التقارب والمحبة والتراحم والتعاون والمناصرة وهذه الامور ثمرات الايمان . نابعة منه ودالة عليه ولا يمكن أن يوجد بدونها
قال - صلى الله عليه وسلم - سبنا الترابط الوثيق بين الحب والايمان : " والذى
نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على
شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم " (٢)

ولا يجوز أن يبقى بين المسلمين ما يعكس صفو هذه الاخوة . لذلك قال تعالى
" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ " وقال : " فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ " (٣)

وقال - صلى الله عليه وسلم - محذرا من بعض الامور التى تعكس صفو الاخوة
الايمانية وتضعف الرابطة : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " (٤) كما بين
الله تعالى ، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ما ينهى أن يكون عليه المؤمنون فيما
بينهم لتقوى الرابطة وتحقق الاخوة . فمن ذلك قول الله تعالى : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " (٥) وقال - صلى الله عليه وسلم - :
" والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه " (٦)

وقال : " ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى
عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " (٧)

-
- (١) تفسير القرآن العظيم ، ط الشعب ، ج ٨ / ٣٥٥ .
(٢) رواه مسلم ، كتاب الايمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون ، رقم ٥٤٥
ج ١ / ٧٤ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
(٣) سورة " الانفال " ١ .
(٤) متفق عليه ، البخارى كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ، الصحيح مع
الفتح ج ٥ / ٩٧ . مسلم كتاب البر . . / باب تحريم الظلم ، ج ٤ / ١٩٩٦ .
(٥) سورة " الفتح " ٢٩ .
(٦) خرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء . . . باب فضل الاجتماع على الذكر ، ج ٤ / ٢٧٤ .
(٧) متفق عليه واللفظ للبخارى ، البخارى كتاب الادب ، باب رحمة الناس والبهائم
الصحيح مع الفتح ج ١٠ / ٤٣٨ . مسلم فى كتاب البر ، باب تراحم المؤمنين . . ، صحيح
مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٤ / ١٩٩٩ .

وهذا الحديث مع بيانه لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من التواد والتراحم والتعاطف والتواصل ، مع ذلك بين أمرأ هاما ، ألا وهو أثر هذه الاخوة القائمة على الرابطة والتعاون الايماني في حصانة المجتمع وتماسكه وقوته ، حيث شبهه مجتمع المؤمنين بالجسد الواحد الذي يهتم سائراً فراده لما يحصل لبعضهم أو يحدث في مجتمعهم من خلل أو خطر ويتكاتفون لصدده .

ويؤيد هذا المعنى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

" إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " وشبك بين أصابعه .^(١)

وتشبيه المجتمع المسلم بالبنيان من أبلغ التشبيهات ، وذلك أن البنيان يتكون من لبنات ومن مادة تشد بينها . وكذلك المجتمع المؤمن يتكون من افراد ومن رابطة تشد بينهم .

ففي البناء كلما كانت اللبنة متقاربة مرصوفة ، والمادة اللاصقة قوية ، كان البناء أشد قوة وتماسكا .

وكذلك الحال في المجتمع المسلم كلما كانت الرابطة الايمانية قوية كانت القلوب متقاربة متحدة ، وبذلك يكون المجتمع قويا متماسكا .

فأول أساس لوحدة المسلمين هي الرابطة العقدية والاخوة الايمانية .

وهذه الرابطة لا تستحكم إلا إذا كان اعتقاد الجميع مستمداً من نصوص الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، وكانت العقيدة نقية من شوائب الشرك والبدع والعقائد المستمدة من المناهج المحدثنة المخالفة لما كان عليه السلف في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين ، والائمة المهديين ، الذين شهدت لهم الامة بالخير والامامة في العصور الثلاثة الغضلة ، ومن سار على طريقهم في سائر العصور .

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى ، البخارى في كتاب الصلاة ، باب تشبيك الاصابع في المسجد وفيه الصحيح مع الفتح ، ج ١ / ٥٦٥ ، وسلم في كتاب السير باب تراحم المؤمنين . . ، صحيح مسلم ج ٤ / ١٩٩٩ .

على هذا فأول خطوة في الطريق إلى وحدة المسلمين اليوم هي العمل على تنقية العقائد وتصحيحها ، ونشر الايمان المبين في الكتاب والسنة والدعوة إلى نهد ماخالفه .

ومالم تجتمع كلمة علماء الاسلام ودعاته على هذا ، وينطلقوا منه سيقسى المسلمون في شتات وذلة وحيرة ، وسيبقى العمل لا يثمر إلا مزيدا من الفرقة والتحزب واعجاب كل فرقة برأيها ، " كل حزب بما لديهم فرحون ^(١) . فلا اجتماع إلا إذا اجتمعت القلوب ، ولا اجتماع لها إلا بالتوحيد ، فإن التوحيد يجمع أهله ، ويفرق بينهم وبين من خالفهم . قال ربنا تبارك وتعالى :

" وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " ^(٢)

وإذا كانت الرابطة الايمانية هي الاساس للوحدة الاسلامية ، وكانت الوحدة حصنا قويا للمجتمع من كل فكر دخيل هدام ، وسلوك منحرف ، فإن الفرقة والنزاع الناتج عن ضعف أو انعكاس الرابطة الايمانية بين افراد المجتمع المسلم يمثل شجرة خطيرة تسهم مسرعه في تفككه وضعفه ومن ثم حصول الشربيين افراده .

قال تعالى : " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا أُنْفُسَكُمْ تَذٰهَبَ رِحٰكُمُ " ^(٣)

ومرد التنازع بالدرجة الاولى إلى الفرقة في الدين الناتجة عن الانحراف في العقيدة ، أو الابتداء في الشريعة .

وكم خطط أعداء الاسلام للتفريق بين المسلمين ، ولم يجدوا انجح في تحقيق ذلك من نشر الافكار المخالفة .

(٢) سورة الانعام " ١٥٣

(١) سورة " الروم " ٣٢
(٣) سورة " الانفال " ٤٦

فكلما وجدوا شغرة في المجتمع الاسلامي اطلقوا فكرة ضالة جملوها بتبسيسات مزخرفة فاستهوت بعض افراد المجتمع ومالت بهم عن الجادة . وهكذا حتى تفرق المسلمون شيئا واحزابا وطرقا .

ولم يقف الحد عند ذلك بل أوجدوا افكارا تهدف إلى ازالة الرابطة الایمانية والاخوة الدينية من أساسها ، وتدعو إلى الاجتماع والاتحاد على رابطة أخرى كالشعبوية الداعية إلى التعصب للدم والعرق . ومثلها القومية والوطنية ، والوجودية ، والانسانية أو الدعوة إلى التأخي على الرياضة والفنسون وغير ذلك من الروابط .

مذلك يُقلل الولاء للدين ويخفف الحماس لنشره والدفاع عنه وهذا انتصار للكفر على الايمان بحرب باردة يذوب فيها شباب المجتمع ورجاله الذين هم جيش الاسلام وعدته تحت الوان من الافكار والدعوات المضللة ، والولاءات المختلفة . وبعد البيان لاهمية الرابطة الایمانية لقوة المجتمع المسلم ووحده وحصانته من الافكار الهدامة ، وأثر ضعف تلك الرابطة في تفككه وحدث الثغرات التي يتسلل منها كل فكر خبيث وبدأ هدام ، بعد ذلك يأتي المجال لذكر أهم العوامل التي تنمي الرابطة الایمانية وتشد منها .

وكل عامل من هذه العوامل هو شعيرة من شعائر الاسلام ، بمعنى أن الاسلام أمر بها ونظمها . وهي في نفس الوقت لبنة في حصن المجتمع بقيامها بتماسك وتقوى رابطته . وضعفها أوزوالها يهتز بناه المجتمع وتضعف رابطته ويهدب فيه الفساد .

وأهم العوامل التي تنمي الرابطة الايمانية هي :-

- اولا : التزام الاخلاق الفاضلة .
 - ثانيا : القيام بالحقوق المفروضة لبعضهم على بعض .
 - ثالثا : الالتزام بالنظام الاجتماعي والاقتصادى الاسلامى .
 - رابعا : المحافظة على الوحدة الفكرية .
- وسأتلكم بإذن الله على كل منها فى مطلب مستقل .

المطلب الاول : أثر الالتزام بالاخلاق الفاضلة في تقوية الرابطة الایمانية .

لقد تقدم أن الله تعالى جعل الرابطة بين افراد المجتمع الاسلامي الاخوة الایمانية . لذلك حث على الابتعاد عن كل ما يضعفها ، والحرص على التخلص من كل طارىء يحدث الخلل بها ، والمقابل شرع للمسلمين اخلاقا وآدابا ونظما في المعاملات ، إذا التزموا بها ساد بينهم الحب والاخاء وانقطعت مسوارد الكره والشحناء .

وأهمية الاخلاق في المجتمع المسلم تعود إلى عظم اثرها في تقوية الرابطة بين افراد المجتمع المسلم . لذلك ورد الايضاح والتفصيل لها في كثير من آيات الكتاب وحديث النبي صلى الله عليه وسلم .

قال عبد الكريم زيدان :

« كثرة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الاخلاق ، امرها بالجيد منها ومدحها للمتصفين به ، ومع المدح الثواب ، ونهيا عن الرديء منها وذم المتصفين به ، ومع الذم العقاب ، ولا شك أن كثرة الآيات في موضوع الاخلاق أمر مهم جدا لا يستغنى عنه المسلم وأن مراعاة الاخلاق تلزم المسلم في جميع الاحوال فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن بها في سورة المكية والمدنية على حد سواء^(١) . »

وهذا التشابه بين امور العقيدة والاخلاق من حيث التركيز عليها من جهة الامر بالترامها ، والايضاح والتفصيل لجميع جوانبها ، يدل على التلازم بينهما فالاخلاق لازمة لقوة العقيدة وانتشارها . كما أن العقيدة الصحيحة باعثة على الخلق الكريم .

(١) اصول الدعوة ، ص ٧٨ د . عبد الكريم زيدان ، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر الاسكندرية ، ط الثالثة ، ١٣٩٦ هـ .

فإذا كانت الاعمال الصالحة وقوة الصلة بالله من اسباب زيادة الايمان ففى قلب المؤمن ورسوخه . فإن الاخلاق الفاضلة والتعامل بها بين افراد المؤمنين سبب لتلاحمهم ووترايطهم على أساس العقيدة فتكون الاخلاق الفاضلة سبب ففى قسوة عقيدة المجتمع ورسوخ ايمانه .

كما أن التزام المؤمن بالاخلاق الفاضلة يجذب الناس إلى الايمان ويحببهم فيه فيدخلون فى الاسلام وقد اشار الله إلى هذا الاثر بقوله :

﴿ فِيمَا رَحِمْتَهُمْ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ أَتَى الْقَوْمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ لَكِنَّ اللَّهَ غَلِيظُ الْعِقَابِ ﴾ (١)

وهذا يتبين الأثر الوثيق بين المعتقد والاخلاق فى المجتمع المسلم وأن الرابطة العقدية والاخوة الايمانية تزيد كلما التزم افراد المجتمع بالخلق الفاضل وكذلك تأثير المجتمع وجاذبيته تزيد إذا سادت الاخلاق . والعكس صحيح فإن هذين الأثرين يضعفان ويكادان ينحسران إذا ساءت الاخلاق .

ونظام الاخلاق فى الاسلام يشمل امورا حث الشارع على فعلها والتحلى بها لمالها من الاثر فى صلاح المجتمع والافراد ، وقربهم من الله . فبالترامها تسود المحبة وتتقارب القلوب ويتعامل الناس بالمودة والتراحم والتعاون ، وتوجد الثقة بين افراده ، ويشعر الجميع بالرضى والأمن ومن هذه الآداب :

الصدق فى الحديث والمعاملة ، والعدل فى الحكم والعلاقات ، والامانة ففى جميع الامور ، والوفاء بالعهد والعقود ، والحياء ، والحلم والاناة والرفق ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواد والتراحم والتعاطف ، والصبر والكرم ، والشجاعة .

كما يشمل امورا من الخلق القبيح نهى الاسلام عنها وحذر منها ، لمالها من أشر فى بعد المسلمين عن ربهم ، وتنافرهم وضعف الرابطة فيما بينهم ، وانبعثت بذور الفرقة والشرب بينهم . ومن هذه الصفات الذميمة : الكذب ، والظلم ، ونقض العهد

(١) سورة آل عمران * ١٥٩ .

وتضييع الامانة ، والنفاق العلى ، والتكبر والفخر والبخل ، والنميمة والغيبة ، والفحش ، والفساد ، والتحاسد ، والخيانة ، واللعن والسباب ، والفحش ، وشهادة الزور وقذف المحصن ، . . . إلى غير ذلك من الاخلاق الرذيلة التي توفر الصدور ، وتبعث الشرور وتفرق بين المسلمين ، فتضعف الرابطة الايمانية ، ويتهدم هذا السور المنع وتصبح فيه شغرات وسمرات يدخل منها الشر الفكرى والمكر الخفى والجلي ، ويصبح المجتمع ميدانا لخييل المنافقين ، والحاقدين المتربصين ، قد اقيمت فيه سقوق الضلالات ، وصدع فيه بأنواع الجهالات ، وليس للمسلمين وحدة يقمعون بها ذلك بل صار حولهم بينهم ، وكيدهم على بعضهم ، يشط بعضهم بعضا ، وينقض الأخ فزل أخيه ، وربما تأمر عليه وفرح بالمكروه يصيبه .

وخلاصة هذا المبحث أن للاخلاق الفاضلة التي حث الاسلام عليها أثرًا عظيمًا فى قوة الرابطة الايمانية بين افراد المجتمع المسلم ، كما أنها من ابرز الاسباب التي تحمل على الدخول فى الاسلام .

المطلب الثاني :

أثر قيام افراد المجتمع بالحقوق المفروضة لعضهم على بعض في قوة الرابطة
الايمانية .

المجتمع المؤمن مجتمع انساني تميز برابطة الايمان والاخوة في الله هذه الرابطة
التي تصله بخالقه ، وتربط بين أفراده .
والمجتمع الانساني أيا كان نوعه تتم فيه مصالح متبادلة بين افراده ومعاملات
تنظم تلك المصالح ، وعلاقات وصلات وحقوق .
ولا بد من نظام صالح يحكم هذه الامور ويسددها لتسير الحياة بين افراد
المجتمع سيرا حسنا يحقق العدل ويبعث على الرضى ويزيد في رباط الاخوة .
والاسلام الذي يقيم الرابطة على اساس الايمان ، نجده ينظم العلاقات
والروابط والمعاملات منطلقا من ذلك الاساس نفسه ، فجميع النظم الاسلامية منطلقة
من العقيدة الاسلامية .

فالله وحده هو المشرع المعبود المطاع . وله وحده يخضع ويستجيب المؤمنون .
فكل سعيهم لربهم ولى منهاجه .

يقول الدكتور : عبد الله الخريجي :

" وبشكل القرآن - بسوره المكية والمدنية - كلا متكامل في بدايته ارساء قواعد
العقيدة ويتدرج منها وعلى أساسها إلى تحديد الاطار الذي على الانسان أن يلتزم -
به في علاقته بنفسه والآخرين من خلال تنظيم محكم دقيق لحياة الانسان فسسى
جماعته" (١) .

(١) نظم المجتمع الاسلامي مع التطبيق على المجتمع السعودي ، د . عبد الله الخريجي
ص ٣٠ ، توزيع رامتان ، جده ، ط الاولى ١٤٠٣ هـ .

والحديث النبوي وحى من عند الله بين فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - كثيرا من جوانب العقيدة والشريعة فأكمل بيان الدين بالقرآن والسنة المطهرة .

وقد رتب الامام البخارى كتابه الجامع الصحيح على هيئة تشعر بالترابط الوثيق بين الشرائع الاسلاميه والعقيدة . فبدأ بكتاب بدء الوحي ثم كتاب الايمان ثم كتاب العلم ، ثم ساق الابواب مرتبة على ابواب الفقه . وفى ذلك اشارة الى أن ما يورده فى صحيحه من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - وحى من الله - وتعلمه والعمل به ايمان ، وطريقة العلم ، فنبه على الترابط بين العقيدة والشريعة والعمل والايمان .

والحقوق المفروضة بين المؤمنين أداؤها ايمان ، ويزيد فى الرابطة الايمانية ويوثقها . كما أن الاخلال بها يضعف تلك الرابطة ويهللها وقد أشار الله الى هذا الترابط بين عدم الالتزام بما أوجبه من الايمان وبين تضييع تلك الحقوق ، وأن -

الاخلال باحدهما دليل ومؤد الى اختلال الآخر بقوله :
﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١)

ولاشك أن من قطع ما بينه وبين رحمه كان قطعاً لحقوق من هم دونهم أخرى . وقد امتدح الله المؤدين للحقوق المفروضة عليهم الواصلين لأمر الله به

أَنْ يُوَصَّلَ بَيْنَنَا أَنْ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (٢)

وليس الغرض هو ذكر تفاصيل الحقوق ، وإنما بيان علاقتها بالايمان وأثر تأديتها فى قوة الرابطة الايمانية مما يحصن المجتمع ويعمل على قوته وتماسك

(١) سورة " محمد " ٢٢ .

(٢) سورة " الرعد " ٢١ .

جبهته الداخلية ، وبالتفريط فيها من الاثر فى ضعف الرابطة وانهيـسار
حصتها المنبع .

ومجل هذه الحقوق مايلـى :-

حق ولى الامر على رعيته ، وحق الرعية عليه ، وحق الوالد على اولاده ،
والاولاد عليه ، وحق الزوج على زوجته وحقها عليه ، وحق الارحام والاقارب والجيران
والضيف ، والخدم والارقاء ، وابن السبيل ، وحقوق الفقراء والمساكين والعجـزة
على الاغنيا والاقويا ، وحق المسلم على أخيه المسلم عامة فى غير ما ذكر ... إلى
غير ذلك من الحقوق .^(١)

وخلصه هذا المطلب أنه إذا قام كل فرد بماعليه من الحقوق أثمر ذلك قوة
فى صلة افراد المجتمع برهم ، وفى الرابطة القائمة بينهم فأصبح المجتمع قويا
متاسكا صعبا على المفسدين .

وإذا ضيعت الحقوق حصل التذمر والخصام والعداوة ، فتضعف الرابطة
ويسهل على الخصوم اقتحام حصون المجتمع والتحرش بين المسلمين ، وإثارة الاحقاد
هذر بذور الشر .

كما أن واقع المجتمع المسلم الناتج عن ذلك يضعف ثقة بعض افراده - ممن
قل حظهم من العلم - بنظام الاسلام وتعاليمه فيحمله ذلك على تطلُّب البدائل
فى مستنقعات الشرق أو الغرب وافكارهم الفلسفية العفنه .

(١) انظر لتفاصيل ذلك : كتب السنه ، ابواب الآداب والبر والصله ، ورياض الصالحين
ومنهاج المسلم لأبى بكر الجزائري ونحوها .

المطلب الثالث : الالتزام بالنظام الاجتماعى والاقتصادى الاسلامى
واثره فى قوة الرابطة الايمانية .

إن الدارس لتعاليم الاسلام يلاحظ أنها لا تخلو من أمرين :

الاول : ما شرع منها اصلا لتقوية الرابطة الايمانية بين المؤمنين
وخالقهم ، وبين بعضهم البعض ، كالعبادات والاخلاق والآداب ، وكثير من
الحقوق والقيام بها يكون المجتمع متصلا بربه موصولا ببعضه .

الثانى : ما شرع منها لتسير عليها العلاقات والمعاملات التى يحتاجها
الناس فى تحقيق مصالحهم فنظمها الشارع على حال تحقق ذلك وتضمن استمرار
الرابطة وقوتها والبعد عن اسباب الفرقة والتنازع .

وقد تقدم الكلام على الامر الاول المتعلق بجانب الاخلاق والآداب -
والحقوق فى المطلب السابق ويجرى الكلام فى هذا المطلب على الامر الثانى وهو
ما يتعلق بالالتزام بالنظم الاسلامية .

فالنظام الاجتماعى ^(١) ويعرف بنظام الضبط الاجتماعى - يقصد به جعل
الاحكام والشرائع التى تنظم حياة الناس وعلاقاتهم فيما بينهم فى المجتمع المسلم
وعلاقاتهم مع غيرهم من الكفار ، والحدود التى تقى المجتمع من عوامل الفساد
والضرر والاعتداء^٥ من بعضهم على بعض .

والنظم الاسلامية كثيرة : منها نظام الاسرة كالزواج والطلاق ودور الرجل
والمرأة ونحوها . ونظام القضاء^٥ وما يتعلق به من الصلح والحكم فى المنازعات ونحوها

(١) انظر : نظم المجتمع المسلم ، المصدر السابق ، ص ٦٣

ونظام الجنائيات والحدود والتعزير ونظام الرق ونظام العقود والشركات والنظام الاقتصادي وما يتصل به كالزكاة والصدقات والنفقات والغرض ، والبيع والشراء والاجارة ونظام الارث وغير ذلك من الانظمة الشاملة لجميع نواحي النشاط الانساني .

ووجود هذه الانظمة ودقة الالتزام بها ضرورى لاستقرار حياة الناس واقامة العدل بينهم وحفظ حقوقهم ، وانتشار الأمن والأمل فى نفوسهم فينطلقون فى ميادين الحياة بثقة وجد للعمل على اصلاح دينهم ودنياهم وبذلك يترسخ رباط الاخوة ويستحكم ويتعاونون فى سعيهم وكدهم وهم فى أمن من بواعث الشر والنزاع بفضل صلاحية النظام وشموله ومراعاته لمبادئ الاخلاق والعدل .

والاخلال بشي من النظم الاسلامية تحصل من جرائه الفوضى والقلق والظلم والعدوان ، وينجم النفاق والبلبلة الفكرية ، والخلاف السياسى ، فتقطع الارحام وتضيع الحقوق . كما قال تعالى :-

(١) **فَهَلْ عَسَيْتُمْ اِنْ تَوَلَّيْتُمْ اَنْ تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ وَتَقَطَّعُوا اَرْحَامَكُمْ**

وإذا زاد التحلل من النظام الاسلامى اختل المجتمع ، وشغل الناس بأنفسهم واهوائهم ، وذهلوا عن العبادة والعلم ، فيضعف الايمان وتقل رابطته ويفشلوا وتذهب ريحهم ، فتزيع كثيرا منهم الاهواء ، وتتخطفهم الفتن القائمة على الافكار الهدامة . وبعضهم يقتل فى القلاقل والهرج . اعاذنا الله من الاعراض عن الدين وما يترتب عليه من الشر والفساد .

وبعد هذا الاجمال فى الكلام على النظم الاجتماعية فى الاسلام وأثرها فى صيانة المجتمع المسلم من عوامل الفساد ، أخص بمزيد الايضاح نظاميين

(١) سورة محمد * ٢٢

هامين لهما أثر بالغ وخطير في تحصين المجتمع ضد الأفكار الهدامة خاصة
وسائر الشرور ، الأوهما :-

الاول : نظام الجزاء والعقاب .

الثانى : النظام الاقتصادى .

اولا : نظام الجزاء والعقاب :

ويشتمل على الحدود المقدرة على جرائم معينة بضوابط شرعية معتبرة ، وعلى عقوبة التعزير فى المعاصى التى لم يرد فى الشرع تقدير لعقوبتها .

واقامة الحدود حصن هام فى حفظ المجتمع من سائر الشرور وخاصة الافكار الهدامة ، فلا بد من الصرامة والحزم فى تطبيقها على من استحقها وفق الضوابط الشرعية .

فحد الزنا واللواط والخمر قامع لهذه الشرور التى طالما امتطاهها المفسدون واستغلوها كطعم لايقاع شباب المسلمين فى شرورهم الفكرية ، لعالمها من الاثر فى طمس معالم الايمان فى القلوب ، فتحل الظلمة مكان البصيرة ، وذلك ينفاد من وقع فى ذلك إلى الافكار الخبيثة بسهولة ، وقد ينسلخ من الاسلام ويعاديه لتحريمه لها ، فيصبح عضوا فاسدا ينشر الفساد فى المجتمع .

أما حد الحرابة والافساد فى الارض فهو فعال جدا فى قمع الشرور الفكرية

خاصة . قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١ (١) ﴾

فالحرابة توجد وضعا قلعا يسوده الخوف والفرع ، وذلك أنسب الظروف لانتشار الشرور ، وظهور المنكرات ، ونشر الاشاعات ، والتحرير على التمرد والخلاف ، والترويج للحركات الموحدة والافكار الفسدة .

(١) " المائدة " ٣٣ .

واعظم الافساد في الارض وأخطره نشر الشر والكفر في البلاد التي أكرمها
الله بالايمان . قال الله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا
وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)

قال ابن القيم - رحمه الله - :

" والجمله فالشرك والدعوة إلى غير الله ، واقامة معبود غيره ومطاع مستبوع
غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو اعظم الفساد ، ولاصلاح لها
ولا لاهلها إلا بان يكون الله وحده هو المعبود ، والدعوة له لاغيره ، والطاعة
والاتباع لرسوله ليس إلا ، وفيه إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ، فإذا
أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلاسمع ولاطاعه ، فإن الله أصلح الارض برسوله
ودينه ، والامر بتوحيده ، ونهى عن افسادها بالشرك به ومخالفة رسوله " .^(٢)

وعلى هذا فأساس صلاح الارض هو عبودية الناس لربهم وسيرهم في جميع
جوانب حياتهم على منهج الله . ففساد الارض يكون بتعبيدهم لغير خالقهم
وتسييرهم على غير منهج الله .

والطريق إلى فساد الارض بعد اصلاحها إنما يكون بعمل شياطين
الانس والجن في الصد عن دين الله بنشر الشبهات ووضع العوائق النفسية
والحسية في الطريق إلى الله وسعيهم في الارض فسادا بنشر الافكار المزخرفسة
المخالفة لماقرره الاسلام في كل جوانب الحياة .

(١) سورة " الاعراف " ٥٦ .

(٢) التفسير القيم ، للامام ابن القيم ، جمعه : محمد أوبس الندوى ، حقه : محمد
حامد الفقى ، ص ٢٥٥ ، لجنة التراث العربى ، بيروت .

وقد كان الهجوم الأشد الذي جابه الاسلام من وقت البعثة إلى اليوم
إنما هو حرب فكرية تهدف إلى معارضة الاسلام بمبادئه الأديان الوثنية
ونظريات وتصورات الفلاسفة المجتلة بهزخرف القول فرورا .

وهذه اللواتي الفكرية هي التي جابهت الدعوات السابقة لدعوة نبينا
محمد - صلى الله عليه وسلم - ، لذلك حذر الله أهل الايمان منها ، وهو
تحذير قائم ما بقى الكفر والايان ، وقام لكل منهما أعوان . قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا
مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (١)

بين تعالى وسيلتهم في الاضلال ، وأنها قائمة على ترويج زخرف القول -

المتشغل بالشبهات والافكار الخبيثات التي غرت أصحابها ، ويغترون بها الناس
فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ
الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢)

وكان حظ دعوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - على مدى عصورها
المتعاقبة من هذه الدعوات الفكرية المسعورة أكبر من غيرها .

وقد اشتدت في هذا القرن حيث تنوعت وتطورت الوسائل الناقلة لها . وخرضت
المبادئ الالحادية على كثير من الشعوب الاسلامية . وضعت أسس العلوم
الانسانية والمادية على أيدي غير المسلمين فاقامت على قواعد الحادية فسي
معظمها ، ونظريات جاهلية ، تهدف إلى حرف العقائد والسلوك ، وتسير بمن

(١) سورة " المائدة " ٧٧ .

(٢) سورة " الانعام " ١١٢ .

يتعلمها - إلامن رحم الله - ليلتقى من حيث لا يشعر مع طريق اليهود والنصارى أو الملحدين فى فكره ومنهج حياته ، وتصورات عن الكون والحياة .

وإذا كان الامر كذلك فإن المروجين للأفكار الهدامة ، والشبهات المضللة من أعظم المفسدين فى الارض ، وافسادهم المؤدى إلى الفتنة عن الدين اعظم من أفساد المحاربين الذى يتلقون الاموال أو يزهقون الارواح ، حيث تقرر ذلك

بقوله تعالى :
(١) « وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ »

لذلك كان ايقاع العقاب المناسب عليهم من اعظم الحصون الاجتماعية الحافظة للمجتمع من الفكر الخبيث .

وعقاب المفسدين فى الارض بترويج الفساد الفكرى واجب ايقاعه والصرامة فى تنفيذها سواء كان حدا يشمله عموم المحاربة لله ولرسوله وعموم الانفساء فى الارض ، فى قوله تعالى :

" إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله . . . الآية " أو كان ذلك من باب قياس الأولى ، لأن افسادهم أشد وخطرهم أعظم فكان انزال العقاب بهم أوجب . أو كان ذلك من باب التعزير فقد نص طائفة من أهل العلم على قتل الداعى إلى البدع .^(٢)

وليس المقصد تحقيق هذه المسألة من الناحية الفقهية ، وإنما الإشارة إلى أهمية اقامة هذه العقوبة والجد فى قمع المضللين ، وأثر ذلك فى حماية المجتمع من شرهم ، وتحصنه بهذه الشعيرة الايمانية من الشرور الفكرية .

أما حد الردة القاضى بقتل المرتد عن دينه لقوله صلى الله عليه وسلم -

(١) سورة البقرة " ١٩١ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى حـ ٢٨ / ١٠٨ ، ١٠٩ .

(١) " من بدل دينه فاقتلوه " ، فهو حصن من حصون المجتمع المسلم يسد ثغرة يتسلل منها الفساد ولاضلال الناس وحملهم على المجاهرة بالردة والمجادلة بالباطل ، والمعارضة بالشبهات ، فيتجرأ على التمرد على الدين من لم يتمكن الايمان من قلوبهم . وينقاد إليهم ويتابعهم بعض الغرورين الجاهلين . فيبدأ بنيان المجتمع بالانحلال ، وتسرى فيه عدوى الضلال .

قال عبد الكريم زيدان :

" إن المرتد مع اخلاله بالتزامه يقوم بجريمة أخرى هي الاستهزاء بدين الدولة والاستخفاف بعقيدة سكانها المسلمين ، وتجرى لغيره من المنافقين ليظهروا نفاقهم ، وتشكيك لضعاف العقيدة في عقيدتهم ، وهذه كلها جرائم خطيرة يستحق معها المرتد استئصال روحه وتخليص الناس من شره ، وإنما قلنا : إن المرتد من يرتكب هذه الامور ، لأنه لايعرف ارتداده ، إلا بالتصريح وإلا لوأخفى رده لما عرف " (٢)

وهذا الاسلوب بعينه قد استخدم في مجابهة هذا الدين في عصر النبوة في محاولة اخراج أهله منه ، وخاصة من لم يتمكن الايمان من قلوبهم ، ولهم تشرب العلم نفوسهم . فيدخل فرد أو جماعة في الدين وقد يكونون من الذين وصفهم الله بقوله : " وإذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم " (٣) ممن يعجب بهم كثير من السذج والرعاغ ويعظمونهم ، فإذا دخلوا فيه لم يلبثوا أن يرجعوا عنه ، فيظن من يعجب بهم أنهم إنما رجعوا لماتهم لهم من عدم صلاحه ، أولأنهم لم يجدوا فيه شيئاً مهما ، فتضعف الثقة في نفوسهم بدينهم ويسرى إليهم الشك وقد يتابعهم بعض من أحبهم واعجب بهم .

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الجهاد ، باب لايعذب بعذاب الله ، الصحيح مع الفتح

ح ١٤٩/٦ ، ج (٣٠١٧) .

(٢) اصول الدعوة ، ص ٢٨٦ .

(٣) سورة " المنافقون " ٤

قال تعالى :

﴿ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُرُوا ءَاخِرَهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١)

ولذلك كانت اقامة هذا الحد حصنا يبقى المجتمع المسلم من هذا المكر
الخبيث بالغ التأخير في الافساد لو اتيح له المجال . وهذا من محاسن
الاسلام ودقة تشريعاته وشمولها لكل ما فيها سلامة المجتمع وحمائته .

(١) سورة " آل عمران " ٧٢ .

ثانيا : النظام الاقتصادي :

النظام الاقتصادي الاسلامي كغيره من النظم الاسلامية يقوم على أساس العقيدة الاسلامية ، فالملك لله والامور والمعاملات يجب أن تجرى على أمره سبحانه .

وقد اعتنى الاسلام بتنظيم نشاط الناس الاقتصادي عناية كبيرة ، بما وضعه من احكام وقواعد دقيقة شاملة .

وهذه العناية تتناسب مع أهمية النشاط الاقتصادي الذي يحتاج إليه الناس لتبادل منافعهم الدنيوية ومصالحهم الحيوية .

والنظام الاقتصادي الاسلامي يتجاوب مع الفطرة باقراره حق التملك وحرية التصرف بضوابط تضمن حصول المنفعة للفرد والمجتمع وتمنع الضرر .

وهو يراعى الاخلاق الفاضلة . حيث يقوم على مبدأ التعامل النظيف الذي يبنى الحب ويشد رابطة الاخوة الايمانية بين أفرادہ ، على حد قوله تعالى :

« وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّوَدُّنِ »^(١)

وهذا يقطع الاسلام جذور المعاملات الباعثة على الحسد والحقد والبغضاء والفساد الخلقى والاجتماعي . فيمنع الكذب والغش والخداع ، والغدر والغرر ، ويحرم الاتجار بالفحش والرذيلة والمتع السيئة ، والمسكرات والمخدرات ، ويشدد في تحريم الربا لما ينتج عنه من الغبن واستغلال الفقراء والاحتكار والكساد الاقتصادي . وفي الحيلة فهو يمنع المتاجرة والتعامل بكل شيء يجر شراً أو فساداً خلقياً واجتماعياً أو اقتصادياً أفكرياً .

كما أن النظام الاقتصادي الاسلامي يعتنى بسد حاجات الناس اللازمة للعيش

(١) سورة " العائدة " ٢ .

فالمجتمع المسلم متكامل متكافل متعاون على المستوى الشعبى والحكومى . فكل قد سن له فى هذا النظام دور يحقق هدف التكافل الاجتماعى ، فحث الاسلام على العمل ورغب فيه ، وأمر الاقارب بكفالة المحتاج والكبير والعريض ، وشرع الصدقة والزكاة لسد حاجات الفقراء وتحقيق بعض المصالح ، وحمل ولاية الامر رعاية من لم يجدوا من يرعاهم من اقاربهم أو جزوا عن رعايتهم .

ومما تقدم تبين أن الاسلام يقيم النظام الاقتصادى على أسس متينة تتمثل فى استمداده من العقيدة الاسلامية ، ومراعاة الفطرة الانسانية ، وقيامه على الاخلاق الفاضلة ، والتزامه بسد حاجات الناس المعيشية .^(١)

وإذا التزم المسلمون دولة وأفرادا بالنظام الاقتصادى استقامت حياتهم . وانتظم تعاملهم . وانقطعت بوادر الشر والحقد والحسد والضعف واليفضاض . وأمن الناس على أرزاقهم ومصالحهم . فتناسك جبهتهم الداخلية .

والاخلال بالمعاملات الاقتصادية الشرعية وتعدى حدود الله فيها يؤدي إلى اختلال المجتمع ، وتغير القلوب ، ويعتنب بعضهم على بعض ، ثم يحقد ويحسد . فباختلال هذا النظام تختل الاسوار الواقية للمجتمع والعاملة على تماسكه وسلامته ، فيضطرب النظام الاجتماعى ، وتضعف الرابطة اليمانية ، ويحصل الشر بين المسلمين ، ويصبح المناخ مهيأً لشياطين الانس والجن للعمل على الايقاع بينهم مستغلين ما بينهم من الضغائن .

واختلال النظام الاقتصادى مرده إلى شح الاغنيا وما يقابله من ظلم واعتداء الأقبيا من الفقراء ، وتفريط السلطة بالمحافظة عليه والصرامة فى تطبيقه .

ومما يمهّد لانتشار الافكار الضالة التهاون فى منع المتاجرة بالمتع المحرمة

(١) انظر : لهذا وما قبله ، اصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، ص ٣٣٢ - ٣٣٧ .

والمخدرات والمسكرات ، أو وسائل التأثير الفكرى كالافلام المنحرفة ، فذلك يؤدي إلى ظهور الفواحش فى المجتمع ، وكثرة الخاطئين الساقطين ، وانحراف الافكار وتغير مفاهيم المجتمع والتشكك فى العقائد ، بفعل ما تحدثه المعاصى من الظلمة فى القلوب ، وما تحدثه الافلام والقصص والمجلات الزائفة من آثار فكرية هدامة .

أما أثر المعاملات المالية على العلاقات القريبة فظاهر جدا . فكم من عداوة نشأت بين الاقارب بسبب الظلم فى المسائل المالية وأصدق شاهد على ذلك حصول كثير من المنازعات بسبب الجور فى قسمة الميراث بين الاقارب . مما يدل على أهمية الالتزام باحكام الاسلام فى تنظيم المال ومعاملاته وضرورة الرضى بذلك حفاظا على تلاحم افراد المجتمع .

ويمكن القول أن النظام الاقتصادى الإسلامى يمثل أقوى دعامة - بعد رباط العقيدة - يتحصن بها المجتمع ويواجه بها مخططات اعدائه . وخاصة فى هذا العصر الذى قامت فيه حضارات الامم الكافرة على مذاهب اقتصادية . واصبحت مسألة الاقتصاد هى المحور الذى تدور عليه السياسات والعلاقات بين الدول فقضايا المال وما يتصل بأرزاق الناس قضايا حساسة تقتضى من المجتمع العناية بها ويجاد الوعى الكافى بأهميتها وخطورة التهاون بها . كما تستلزم من ولاة الامر العمل على تحسين اوضاع الناس المالية ، ورفع الظلم عنهم ، ويجاد المجالات المشروعة للعمل والاستثمار . والصرامة فى تطبيق احكام الشريعة .

فالناس مجبولون على الشح بالمال ومحبتة وامساكه ، كما بين ربنا بقوله :

" وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّاجْمًا " (١) وقوله : " وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ " (٢) وقوله :

" إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ " (٣)

(١) سورة الفجر ٢٠ (٢) سورة العاديات ٨

(٣) سورة المعارج ١٩ - ٢٢ .

ويمن سبحانه أن الانسان تخرج ضفينته إذا أخذ ماله فقال :

” إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ
وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْئَلْكُمْوهَا فَيُخْفِمْكُمْ تَبَخَّلُوا
وَيُخْرِجْ أَضْفَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ “ (١)

قال ابن جرير - رحمه الله - :

” قد علم الله أن في مسأله المال خروج الاضعان ” (٢) ومثل أخذ المال منع الحق
كلاهما يخرج الضفينه .

فكم استغل اعداء الاسلام في الداخل والخارج الاوضاع الاقتصادية
المضطربة والضفائن الناتجة عنها في المجتمع المسلم لاثارة الرعية على الراعى
أو الدعوة إلى مذاهب اقتصادية قائمة على افكار الحادية كالشيوعية أو الاشتراكية
أو الرأسمالية . واعظم شفرة يتسللون منها هي وجود الشحنا والبغضا والحسد بين
طبقات المجتمع نتيجة للاخلال بالنظام الاقتصادي والتهاون في ايصال الحقوق
إلى أهلها ، وعدم العدل بين الناس فيها . فيعدون الفقراء الكادحين بالعدل
الذى قدوه ، وألحق الذى سلب منهم ، فينخدعون بهم ويناصرونهم على ذلك
مع جهلهم بحقيقة ما يدعون إليه عن الالحاد ، فتسير الشعوب خلف شعارات براءة
ودعاوى منسقة ، وبذلك سقطت كثير من الشعوب الاسلامية تحت الحكم الشيوعى
أو الاشتراكى القومى أو العلمانى أوفير ذلك من الحكومات الفاسدة ففرضت افكار
الحادية ومبادئ كهرية خبيثة على الشعوب الاسلامية ، وحرفوا عن دينهم
وصدوا عن طريق ربهم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وهذا يتبين أن التزام النظام الاقتصادي الاسلامى حصن يحصن المجتمع من
عوامل الفساد والفرقة والخلاف والعداوة والبغضا ، التى هى جسر يمتطيه اعداء
الاسلام المتربصون به فى الداخل والخارج لزعمزعة المجتمع وبث ذور الشرف فيه
من خلال الافكار الخبيثة والمبادئ الفاسدة والشبهات المزخرفة .

(١) سورة ” محمد ” ٣٦ - ٣٧ .

(٢) جامع البيان لابن جرير ، ج ٢٦ / ٦٥ .

المطلب الرابع : المحافظة على الوحدة الفكرية .

تقدم أن الرابطه في المجتمع الاسلامي هي رابطة عقديه ، وأخوة ايمانية . وعلى هذا فمهما رسخ الاعتقاد وقوى الايمان عند افراد المجتمع قويت الاخوة والرابطة التي تشد بينهم .

وعلى هذا فالمحافظة على سلامة المعتقد ووحده يتطلب المحافظة على الناحية الفكرية المؤثرة فيه ، من أجل استدامة تلك الاخوة القائمة عليه وسلامتها من النزعات المخالفة وماينتج عنها من فرقة وشتات .

وقبل الكلام في هذا الموضوع المهم يجدر أن أقدم ببيان المراد بالفكر الاسلامي ، والوحدة الفكرية لكي يتبين المراد بالمحافظة عليها .

فالفكر هو اسم جنس يطلق على الافكار الحاصلة من وظيفة التفكير والتعقل التي اودعها الله في قلوب الناس .^(١)

فالتفكير إذا وظيفة بشرية . وقد اشار الله لهذا في نحو قوله :
« إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ »^(٢)

والتفكير عموما هو محصول الاجتهاد البشري .^(٣)

وعلى هذا فالعقيدة الاسلاميه ليست فكرا ، وإنما وحى من عند الله وهي غذاء الفكر الاسلامي وقاعدته .

(١) انظر ما تقدم ص (١٨٤)

(٢) سورة " المدثر " ١٨ .

(٣) انظر : ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر المنعقد به البحرين في ٣ / ٦ / ١٤٠٥ هـ ص : ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٧ . الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط . الاولى ، ١٤٠٧ هـ .

وقد بين الله أن التفكير فى الآيات الكونية ، والآيات التنزيلية وما فيها من دلائل التوحيد ، والآيات والقصص المشتملة على العبر والمواعظ ، بين أن ذلك من صفات المؤمنين .

قال تعالى :- " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾ " (١)

وقال : " كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (٢)

وقال : " فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " (٣)

وقال : " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (٤)

ونحوها .

وعلى هذا فالتفكير السديد وظيفة أمر الله بها عباده المسلمين . وهم الجديرون بها . وما ينتج عنه من فكر هو فكر اسلامى قام به المسلم وفق ضوابط الشرع . ومن منطلق العقيدة .

قال الاستاذ محمد عبدالله السمان :

" إن العقيدة الاسلامية هى قاعدة الفكر الاسلامى . . . ليكون فى اطار العقيدة ، وفى خدمتها ، فإذا خرج عن اطارها ، أوتجاوز حد ودها أتحول ليكون فى خدمة غيرها ، فلن يكون فكرا اسلاميا ولوزعم هذا الف مرة ومرة " (٥)

فالفكر الاسلامى هو الذى يستند على العقيدة الاسلامية وينطلق من نصوص الوحي فى بحثه واجتهاده فى مختلف مجالات الحياة . والحضارة القومية هى الحضارة الاسلامية التى تقوم على ثمرات الفكر الاسلامى الشامل لجميع الميادين .

(١) سورة " آل عمران " ١٩١ .

(٢) سورة " يونس " ٢٤ .

(٣) سورة " الاعراف " ١٧٦ .

(٤) سورة " الرعد " ٣ ، " الزمر " ٤٢ ، " الجاثية " ١٣ .

(٥) ندوة اتجاهات الفكر الاسلامى المعاصر - المصدر السابق ، ص ٤٧ .

ويمكن حصر أهم مبادئ الفكر الاسلامى فيما يلى :-

- ١ - فهم نصوص الكتاب والسنة واستنباط الاحكام والعبر والمواعظ .
- ٢ - استنباط براهين الحق ودلائل التوحيد ومعجزات النبى - صلى الله عليه وسلم - وغير ذلك من العقائد بالتدبير آيات الله التزليية والتفكر فى آيات الله الكونية .
- ٣ - بيان محاسن الاسلام وسلامة نظمه وتشريعاته من النقص ، وأنها هى المصلحة لحياة الناس .
- ٤ - الدفاع عن الاسلام وتفنيد الشبهات المثارة حوله وبيان بطلان الافكار المنحرفة والاديان الضالة .
- ٥ - استكشاف الاسرار التى وضعها الله فى خلقه وسخرها للانسان . والانتفاع من ذلك فى تسهيل حياة الناس والرقى بها ، وفى الاعداد لقوة المسلمين فى كافة المجالات ويدخل فى ذلك العلوم المادية كالفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات ، والطب والاحياء ، والصناعات المختلفة ، والزراعة والعلوم الاقتصادية والتجارية . والفكر الاسلامى معنى بتطهير هذه العلوم مما أدرج فيها من الضلالات بالاضافة إلى نقل المفيد منها ، واستخدامه وتطويره .
- ٦ - البحث والدراسة للنفس البشرية والنشاط الانسانى واقامته على مبادئ الاسلام وسلماته . ويشمل ذلك علم النفس ، وعلم الاجتماع وفروعها ، والدراسات التاريخية ، ونحوها .
- ٧ - التفكر فى الامور الغيبية التى أخبر الله بها ، كالموت واحوال القبر وما يجرى يوم القيامة من أهوال ، وصفات الجنة والنار . مما يفيد فى اصلاح القلوب واندفاعها للخير وارتداعها عن الشر ، وعدم تعاديبها فى الحرص على الدنيا .

وعلى العموم فالنشاط الفكرى الاسلامى يشمل كل المجالات التى يحتاج إليها
الناس فى دينهم ودنياهم .

الوحدة الفكرية

تقدم أن الفكر لا يبدأ من فراغ ، بل لابد من أسس يقوم عليها ومنابع يستقى
منها ، واصل يرجع إليها فى بحثه ودراسته ومقارنته واستنتاجه .
والاسس والمنابع والاصول فى الفكر الاسلامى هى أصول الاسلام وقواعده
العقدية والتشريعية .

فالوحدة الفكرية المطلوب المحافظة عليها فى المجتمع المسلم هى :-

نشر وترسيخ العقائد والمبادئ والمعارف التى جاء بها الاسلام لدى -
اكبر عدد من افراد المجتمع وجعلها أساس التربية والتعليم فى مختلف مراحلها
والاعلام فى جميع مجالاته ، لكى تكون قاسما مشتركا يؤمن به ويخضع له الجميع
فينطلقون منه ويرتكزون عليه فى نشاطهم الفكرى . ويصبح هذا الغذاء الفكرى
المشترك ميزانا موحدًا يحتكم إليه الناس ويرجعون إليه عند النزاع ، ويوحدهم
مشارعهم ومواطنهم واهدافهم ويوجه سلوكهم ، فيتلاحم الافراد ويصبح
المجتمع كالجسد الواحد وتقل فيه نوازع الفرقة .

أثر الوحدة الفكرية فى قوة الرابطة الایمانية :

إن وجود الوحدة الفكرية - المتشكلة بطنى قلوب الناس وانارتها بالعقائد
الحقه والمفاهيم الصحيحة واستئثار الوحي بذلك وما ينتج عنه من تقارب وانسجام
فى تفكير افرادها - ضرورة اجتماعية لازمة لاتحاد المسلمين وقوة رباطهم الایمانى .
وتخلف الوحدة الفكرية ينتج عنه أحد حالين :-

الاولى : الفراغ الفكرى الناتج عن انتشار الجهل وانصرف الناس عن العلم

وفى هذه الحال يسود المجتمع خليط من الافكار الفاسدة والخرافات والتصورات والعادات الجاهلية . ويصبح المجتمع مهياً لكل فكر ضال . كما أنه فى بعض الاحيان يكون صالحاً لدعوات الاصلاح إذا لم تكن فيه بسوء مستحكمة ، ومفاهيم منحرفة مقدسة .

قال الدكتور عبد الحليم عويسى :

" ولئن كانت عوامل التجزؤ عديدة ورهيبة ، فإن هذه العوامل لا تتسلل إلى الامة إلا حيث تعاني من فراغ فكري ، وفقر إلى مجموعة القيم التى تغنيها بدراية سليمة مطمئنة عن حقيقة كل من الكون والانسان والحياة . إذ أن من شأن أى جماعة تعاني من مثل هذا الفراغ أن تغدو هدفاً لمطامع أولى الدعوات الهدامة ، التى تصطنع المبادئ والقيم لبلوغ امانيتها واغراضها^(١) .

والحالة الثانية :

الفرقة الفكرية ومردّها إلى الفوضى الفكرية . حيث تنتشر المعارف وتقوى حركة التعليم مع اختلاف مشارب الافراد الفكرية . وسبب ذلك ضعف مقاومه المجتمع - للافكار الوافدة الجاهلية المصدر أو باحتها بحجة الحرية الفكرية .

فيجهر المبطلون بالضلال ويتفننون فى عرضه على الناس . وندها يتوزع أبناء المجتمع الواحد إلى طوائف كل طائفة تسير خلف فكرة ومبدأ . ويزخرف كل فريق مبدأه ، إمامته تقريبه إلى الاسلام بالاستدلال الفاسد ، أهدت قدمه على أنه الجديد المفيد المتجاوب مع مستجدات العصر مع دعوى أنه لا يتعارض مع اصول الاسلام .

وقد يتماذى الامر فيتجرأ المفسدون على مدح الكفر والالحاد والتشكيك والاستهزاء بمسلمات الدين بلا خوف ولا حياء .

(١) ندوة اتجاهات الفكر الاسلامى المعاصر ، ص ١٨٨

وفى هذه الحال يتفكك المجتمع ويعادى بعضه بعضا . وتزول رابطة
الايمان كرهاط مشترك لجميع افراد . وإنما تبقى رابطة بين افراد طائفة
من طوائفه هى التى التزمت به واخذت على عاتقها مسؤولية تنفيذها والدفاع
عنه .

وسيجد كل فكر خبيث خارجى فئسة فى المجتمع تسير على مبدئه فيعمل
من خلالها داخل المجتمع .

عندها يصبح من المعتذر اجتماع افراد المجتمع على تحكيم نظم الاسلام
فتستبدل بالفكرة المدمرة لكيان المجتمعات الاسلامية ألا وهى الديمقراطية
التى يحكم الناس بهلبالاهواء والقوانين الوضعية .

ويصبح بذلك أهل الايمان المستمسكون به - فى أحسن احوالهم -
طائفة من طوائف المجتمع ليس لهم إلا المجادلة عن انفسهم بدل أن يكون
الاسلام هو المهيمن على الجميع وكلمة الله هى العليا .

هذا مع أن اجتماع الناس فى المجتمع الذى مزقته الفوضى الفكرية على
الديمقراطية أغيرها لا يكون فى الغالب - كما يشاهد من الواقع - إلا بعد
حروب أهلية طاحنة يتجرع فيها الناس اصنافا من العذاب ، ويذوق بعضهم
بأس بعض .

السبيل إلى المحافظة على الوحدة الفكرية :

إن العمل للمحافظة على الجانب الفكرى فى المجتمع الاسلامى - بفرض
اخلاصه للتلقى عن الوحي المطهر فى جانب العقيدة والعبادات والاخلاق
والآداب - يجب أن يكون فى اتجاهين هامين :

الاتجاه الاول : التطهير .

والمراد به تطهير الجانب الفكرى فى المجتمع الاسلامى من الفكر الدخيل

وذلك يشمل تحصين المجتمع من تسلل الافكار الغازية ومحاربة وسائل اتصالها بالمجتمع كما يشمل مراجعة ما ينسب إلى الاسلام من العلوم والمعارف وعرضه على ميزان الشرع . وذلك يبقى الوحي الالهي وحده هو المغذى للقلوب والافهام والموجه للسلوك والارادات .

والاستغناء بالوحي أصل قرره الاسلام واعتنى به لعالمه من الاهمية في خلوص قلوب العباد واعمالهم لله وحده . ثم اتحادهم على تقوى الله والولاء لدينه وعلى هذا دلت نصوص كثيرة منها :

قول الله تعالى :
” وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ” (١)

تشمل تفاسير السلف للزور كل ما كان من خصائص الجاهلية وشرايع الطاغوت ففسر بالشرك وعبادة الاصنام والكذب والفسق ، واللغو والباطل ، والغنا ، واعبياد المشركين ، ومجالس السوء والخنا . كما فسر بالشهادة الكذب . (٢)

ورجح ابن كثير أن المراد بقوله : ” لا يشهدون الزور ”

أى : لا يحضرونه حيث قال :

” والظاهر من السياق أن المراد لا يشهدون الزور أى لا يحضرونه

ولهذا قال تعالى : (وإذا مروا باللغو مروا كراما)

أى لا يحضرون الزور وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشئ* ولهذا قال :
(مروا كراما) ” (٣)

(١) سورة الفرقان ٧٢ .

(٢) انظر : جامع البيان لابن جرير ج ٤٨/١٩ ، ٤٩ ، وتفسير القرآن العظيم ح ١٤٠/٦

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ط الشعب ، ح ١٤٠/٦

وهذه حالة الوثن الحق مع الزور والباطل وأهله لا يشهده ، فلا يشاهده ولا يستمع إليه ، ولا يقوله من باب أولى ولا يخالط أهله . وكيف يتفق له ذلك وقد حبب الله إليه الايمان وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ؟ فالدافع إلى شهود الزور غير موجود عنده ، فهو لا يحببه وليس من أعماله . وقد بين الله هذا المعنى بقوله :

« وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ

لَا نَبْنِي الْجَهْلِيْنَ » (١)

وقال تعالى : « وَمَنْ النَّاسِ مِنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ » (٢)

فسر لهو الحديث في هذه الآية بالغناء وهو الأشهر . كما فسر بأخبار الأعاجم وملوك الروم والشرك (٣) .

واختار ابن جرير - رحمه الله - أنها عامة في كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله (٤) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - :

" ولا تعارض بين تفسير لهو الحديث بالغناء وتفسيره بأخبار الأعاجم وملوكها وملوك الروم ونحو ذلك مما كان النضر بن الحارث يحدث به أهل مكة ليشغلهم به عن القرآن فكلاهما لهو الحديث " (٦)

وإذا تبين عموم الآية لكل ما يمت للجاهليين بصلة من أغانيهم ولغوهم واطلهم وفحشهم وقصصهم وآدابهم ، وتبين أن الذين كانوا يشترونها وينشرونها هم الكفار

(١) سورة القصص " ٥٥ .

(٢) سورة لقمان " ٦ .

(٣) انظر : جامع البيان لابن جرير ج ٢١ / ٢٢ ، واغثة اللفغان لابن القيم

ح ٢٥٨ / ١ .

(٤) انظر : جامع البيان ح ٢١ / ٦٣ .

(٥) النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي

احد أعداء الله الذين كذبوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمكة وادوه ، أخذ أسيرا يوم بدر ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وهو

راجع الى المدينة . انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٢٦ والهداية

والنهيضة ح ٣ / ٢٠٦ .

(٦) اغثة اللفغان ، ج ١ / ٢٥٨ .

ليصدوا بها الناس عن سبيل الله ، إذا تبين هذا ، فانظر إلى حال وسائل الاعلام المسموعة والمرئية في البلاد الاسلامية ، كيف أنها جمعت ذلك كله ، وزادت أن - عرضت لهو الحديث من قصص الكفار والمشركين والفاسقين واخبارهم واغانيهم وآدابهم في افلام ومجلات ونحوها قد أعتنى بزخرفتها وحشد فيها كل ما قد در عليه من وسائل التائسير والاقناع!!

والذين يشترونها ويشترونها ويثنونها بين المسلمين هم من المنتسبين إلى الاسلام الذين حملهم الله مسؤولية تعليم الناس وارشادهم والمحافظة على دينهم واخلاقهم . فهم يساهمون في صد المسلمين عن دينهم واشغالهم بما يهدم الدين والخلق ، يفعلون ذلك بأيديهم وأيدي الكافرين ! فالمسلم يشتري بماله ، والكافر ينتج ويصدر فما أقرب من هذه حاله إلى من قال الله فيهم :

(١) (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ)

فالاعتبار اليوم من حال المسلمين الذين يخربون عقائدهم واخلاقهم - التي هي أعظم من البيوت - بأيديهم وايدي الكافرين ولا حول ولا قوة الا بالله .

فالواجب على المسلمين الاكتفاء بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -

فالخير كل الخير في الاهتداء بهما .

قال الله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)

وقال : * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشَعُرْمَةٌ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)

(٢)

(يُضَلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)

(٢) سورة " الاسراء " ٩ .

(١) سورة " الحشر " ٢ .

(٣) سورة " الزمر " ٢٣ .

فوصف الله كتابه بأنه أحسن الحديث لما يشتمل عليه من العلوم الحسنة والاخلاق والآداب الفاضلة والعبير القيمة فهو حسن لما يشتمل عليه من الدلائل والمعاني ، كما أنه حسن لفصاحته وبلاغته واعجازه . ثم بين تعالى أثر كلامه على عباده المؤمنين ، وأنه هو الطريق إلى هدايتهم لا طريق غيره حيث قال :-

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ) ومن تركه إلى غيره ضل .

وقال تعالى :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (١)

والكامل غنى بنفسه عن غيره .

وقال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ

وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (٢)

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" وما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتعلة على مدح القرآن ، وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب (٣) . ثم ساق عدة نصوص تدل على هذا الاصل وهو الاكتفاء بالكتاب والسنة .

وقبله البخارى - رحمه الله - أفرد لتقرير هذا الاصل كتابا فى " الجامع الصحيح " هو كتاب : " الاعتصام بالكتاب والسنة " جعل من ضمن ابوابه بابا لقبول النبى - صلى الله عليه وسلم - : " لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء " ثم أتبعه بباب " كراهية الاختلاف " .

وهو بذلك يشير إلى أن من لوازم الاعتصام بالكتاب والسنة الاكتفاء بالوحي وعدم سؤال أهل الكتاب عن شىء ، وغيرهم من باب أولى لكونهم ليسوا بأهل كتاب . ثم فى تعقيبه بباب " كراهية الخلاف " اشارة إلى أن فى الأخذ من

(١) سورة " المائدة " ٣ .

(٢) سورة " يوسف " ٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ط الشعب ٤ / ٢٩٥ .

الامم الاخرى فتح لباب الخلاف حيث تختلف المشارب الفكرية فتختلف القلوب
والله أعلم .

وعلى هذا الاصل سار سلف هذه الأمة من أئمة التابعين ومن تبعهم
مقتدين بمن قبلهم من الصحابة ، فكانوا ينكرون على كل من عدل عن الكتاب والسنة
وتطلب العلم في غيرهما .

قال ابن حجر - رحمه الله - :

" وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الامور التي أنكرها
أئمة التابعين وأتباعهم ، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان
وجعلوا كلام الفلاسفة اصلا يردون إليه ماخالفه من الآثار بالتأويل ولو كان
ستكرها ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم واولها
بالتحصيل ، وأن من لم يستعمل ما اصطالحوا عليه فهو عامى جاهل ، فالسعيد
من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف " (١)

ومن الائمة الذين كانت لهم مواقف بارزة في تقرير هذا الأصل والدفاع
عنه : الامام احمد - رحمه الله - حيث وقف في وجه الشاربيين من مستنقعات
الفلاسفة مدافعا عن الكتاب والسنة مبينا أن مادلا عليه هو الحق الذي لا يجوز
العدول عنه ولا معارضته .

ومنهم شيخ الاسلام احمد بن تيمية - رحمه الله - فقد كان جهاده دعوة
عامة للمسلمين لاعادة جميع احوالهم وشئون حياتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله
- صلى الله عليه وسلم - ونبذ ما خالفهما من المناهج والاحوال - وبين ضلال من
حاد عنهما من الفرق والافراد .

(١) فتح الباري ، ج ١٣ / ٢٥٣

وعلى هذا الطريق سار العلماء العاملون والدعاة المصلحون الذين اقتفوا نهج السلف الصالح ، حتى أخذ الراية الشيخ المفوق والعالم المسدد محمد بن عبد الوهاب فركز على هذا الاصل مبينا أن التفريط بالمحافظة عليه هو اساس الداء والعودة إليه هو رأس الدواء . وأقام على هذا الاصل دعوته وجهاده ، والف كتابه المبارك المشهور : " كتاب التوحيد " لتقريره . كما أفرد بابا في كتابه " فضل الاسلام " ترجم له بقوله : " وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب والسنة عن كل ماسواه " (١)

وإذا تبينت أهمية هذا الأصل وأن على الأمة - في سبيل تحقيق الوحدة الفكرية - أن تعتنى بالوحي وتستغنى به ، وتحارب كل فكر دخيل وتقطع مناقذه ، إذا تبين هذا فإن تطهير المجتمع المسلم من ذلك يتم في نظري بثلاث خطوات هامة :

الخطوة الاولى :-

هي عزل المجتمع المسلم عن افكار وثقافات وآداب المجتمعات الجاهلية . فكما أن الامم تقوم بمكافحة الامراض الحسية ، ومقاومة اسباب انتشارها ، فكذلك الامراض الفكرية لا بد من منع اسباب انتشارها ، ومقاومة الوسائل الناقلة لها وتطهير الوسائل التي بأيدينا في جميع المجالات الثقافية والاعلامية والتعليمية والتربوية من شوائبها .

فهذه الخطوة لا بد منها لتحصين المجتمع ضد الافكار المخالفة . وهي خطوة قد فرط فيها المسلمون اليوم . فوسائل الاعلام والاتصال الثقافي والتعليمي والتربوي القائم في البلاد الاسلامية تنشر افكار وآداب وفلسفة الامم الجاهلية على أوسع نطاق من خلال الافلام والمسرحيات والافاني والمجلات -

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الاول العقيدة والآداب الاسلامية ص ٢١١ ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط الاولى .

والمقابلات . والمكتبات يوضع فيها ما هب ودب من المطبوعات الوافدة من كل مكان ، وتفتح امام المسلم أيا كان مستوى وعيه وتعليمه ليطلع على ماشاء دون موجه أو رقيب . وقد تبنت كثير من الدول الاسلامية دعوى الحرية الفكرية واقامت مؤسساتها الفكرية على أساسها .

ولاشك أن هذه الفوضى الفكرية ستولد قناعات واتجاهات تخالف النهج الاسلامى القويم ، وذلك سيوجد خلافا فكريا يعمل على تمزق المجتمع وتنافره - كما أن التفريط فى هذه الخطوة يعتبر من أعظم الثغرات التى يتسلل منها الحاققون على الاسلام فينشرون المبادئ الهدامة والافكار الخبيثة التى تولد الشك والارتياب والكفر والزندقة .

الخطوة الثانية :

تأتى بعد العزل الفكرى وهى عملية التطعيم لافراد المجتمع ضد تلك الافكار الخبيثة التى يخشى من تسللها الى المجتمع أو تعرض بعض الافراد لها عند سفرهم أو احتكاكهم ببعض الجاهليين .

ويتم ذلك بنقد وتفنييد الاسس والمبادئ التى تقوم عليها تلك الافكار ودحض حججها وبيان بطلانها . والمقابل التركيز على بيان محاسن الاسلام ومزاياه العظام .

ثم تكوين القدرة العلمية لدى المسلم للدفاع عن عقيدته وقيمه عند المواجهة وتبصيره بوسائل الاعداء المباشرة وغير المباشرة للغزو الفكرى والثقافى والحضارى . وهذه الخطوة قد قام بها علماء الاسلام ومفكروه ودعاته إلى حد كبير، حيث نقدوا مقومات المجتمعات الجاهلية القديمة والحديثة ، وبينوا ما فيها من التناقض والمخالفة للمنقول والمعقول ، وما ينتج منها من اضرار محسوسة .

إلا أن هذا العطاء ، القيم ظل محصوراً عند العلماء والدعاة وطبقات العلم وعلى رفوف المكتبات ، وفي الجامعات التي تُعنى بالدعوة والدراسات الإسلامية ، وذلك أن الإعلام في معظم الدول الإسلامية لم يحمل رسالة تبليغه إلى جمهور الأمة ولم ينتفع منه . بل هو في كثير من الأحيان يضافه .

وكذلك الحال في التعليم العام وغيره من المجالات التي لها دور في التأثير على الناحية الفكرية لا يزال بعيداً كل البعد عن مساهمة ذلك العطاء ، بل هو يسير في اتجاه نشر وتأييد بعض الأفكار الجاهلية ، إن لم يكن قد أسس عليها وانطلق منها .

الخطوة الثالثة : تنقية الفكر المنسوب للإسلام في جميع ميادينه من الفكر الدخيل الزائف .

وهذه الخطوة من خطوات التطهير لازمة لتحقيق الوحدة الفكرية ذلك أن الفكر الدخيل كان من أهم أسباب تفرق المسلمين في القديم والحديث . ويتم ذلك - بإذن الله تعالى - إذا اتحدت همم العلماء والدعاة المخلصين وجميع العاملين في خدمة الإسلام ، والساعين من أجل عزته ، على أرجاء أحوال المسلمين ومناهجهم وأوضاعهم إلى الكتاب والسنة ، والاتفاق على التلقى من الوحي المطهر ونبت ما استمد من غيره .

قال الشيخ محمد قطب :

" وأول ما نبداً به من هذا الجهد هو تصحيح منهج التلقى . . من أين نتلقى فهنا لهذا الدين ؟ من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وسيرة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ؟ أم ما دخل على هذا الفهم الواضح المستقيم من أفكار دخيلة ومنحرفة ، بتأثير عوامل متعددة في أثناء المسيرة -

الطويلة للأمة الاسلامية ، واحتكاكها الدائم بأخلاق من المذاهب وأخلاق من الافكار ؟ !

فإذا صححنا منهج التلقى ، صححنا بناً على ذلك ما انحرف في حس المسلمين المتأخرين من مفاهيم الاسلام الرئيسية بقيت علينا مهمة أخرى لا تقل خطراً هي مهمة التربية على المفاهيم الصحيحة لهذا الدين .

والتربية هي الجهد الحقيقي الذي ترقى معه الثمرة . ولكنه لن يؤتى ثمرته حتى يقوم على أساسه الصحيح . (١)

فتوحيد منهج التلقى وتطهيره وإخلاصه للوحي قضية هامة لها أثرها البارز في وحدة المسلمين الفكرية والسلوكية . كما أن التفريط بهما من اعظم اسباب فرقتهم وشتاتهم .

وقال محمد بن صامل السلمى :

" وفي هذه المقالة نتعرف على بعض معالم عصر الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - لتكون مثالا يحتذى وصدى يهتدى بهافى طريق الدعوة إلى الله :

١ - توحيد مصدر التلقى :

ومصدر التلقى هو الكتاب والسنة المطهرة ، وهذه قضية مهمة جدا فما وقع التفرق والاختلاف إلا عندما قصر المسلمون في فهم الكتاب والسنة وزاحموها بمصادر ومقررات خارجية من فلسفات الامم واهواء النفوس ، والبشرية لا يمكن لها أن تتقارب وتتوحد إلا إذا وجدت مصادر فهمها وتلقيها ، فإن الناظر في الفلسفات البشرية والمذاهب الفكرية والسياسات العملية يجد بينها بونا شاسعا واختلافا كبيرا يصل إلى التضاد والتناقض ، ولذلك فإنه لا سبيل لوحدتها وإزالة ما بينها من اختلاف وتناقض ، وببإرأ من النقص والهوى ويخضع له الجميع سوى وحى الله المنزل

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح ، محمد قطب ، ص ١٢ ، ١٤ ، دار الشرق ، القاهرة

ففي كتابه وسنه رسوله - صلى الله عليه وسلم - لانه من تشريع الله الخالق لكل شيء
الحكيم الخبير الذي أحاط علمه بكل شيء^(١) .

وهذه الخطوة تعتبر بحق طرف الخيط وبدايته بالنسبة للمهتمين بالدعوة
الاسلامية . فإن قدر الله لهم الامساك بها وجمع الجهود عليها كانت البداية
صحيحة والنتائج بإذن الله طيبة فعالة في سبيل تصحيح المفاهيم الخاطئة
التي طالما كانت عائقا أمام توحيد المسلمين ، واقامة العبودية الحق الجالسية
لولاية رب العالمين . فيدخل المسلمون مضمار الكفاح بجهود موحدة وولاية من
الله مؤيده . فيتحقق لهم بذلك ما وعدهم الله من النصر والتكفين .

الاتجاه الثاني : العزكية .

والمراد أن العمل من أجل تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين في سبيل
توحيدهم وتقوية الرابطة الايمانية بينهم ، كما أنه يستلزم التطهير - كما تقدم
بيانه - فهو يستلزم ايضا تزكية الافراد بنشر العلم بينهم وتلقيهم العقائد
الاسلامية بأدلتها كما دل على ذلك كتاب ربنا وسنة نبينا - صلى الله عليه وسلم -
وسار عليه سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - .
ومن ثم تربيتهم على الاخلاق الفاضلة والآداب الحميدة ، واعطاء كل فرد ما يحتاج
اليه من أحكام الشريعة . لكي يُعبد الحق ويعامل الخلق على بصيره .
وفي سبيل تحقيق ذلك تسخر جميع طاقات الامة الفكرية ووسائل الاتصال
العامة والتعليم والتربية والتثقيف في خدمة هذا الهدف الهام .
ومن ذلك الاهتمام بالاسرة التي هي الوحدة الاجتماعية الاولى في المجتمع . وهي
أول مدرسة يتلقى منها الطفل مبادئه ومفاهيمه .

(١) مجلة البيان ، المنتدى الاسلامي بلندن ، العدد الخامس عشر ، ربيع الثاني
١٤٠٩ . مقال بعنوان : معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين ص ٧٧ ، ٧٨ .

فلا بد من تأسيسها على الارتباط الوثيق بالمعتقدات والشرائع والاخلاق والآداب الإسلامية ، وتاريخ الأمة وهمومها وأهدافها وتحدياتها ، وأن يسودها الاعتزاز بالاسلام ، والشعور بالمسئولية عن اقامته والدعوة إليه والدفاع عنه والحماس لقضاياها .
وتطهير الاسرة من الشغرات التي تتسلل منها افكار الجاهلية وخصائصها
مهم وضرورى .

وأهم هذه الشغرات : اجهزة التلفاز والفيديو والاذاعات والجراند والكتيب
ساكان منها ينشر الفكر والأدب الجاهلى .

وكذلك الاختلاط بالكفار والمشركين والمنافقين ، كاتخاذهم خدما أو سائقين ، أو مصادقة
الأسر الكافرة ، أو سفر الاسرة أو بعض افرادها إلى بلاد الكفر والفسوق .

ومن أهم مقومات تزكية الاسرة إدراك كل من الزوجين مسئوليته ودوره . وتعلمه
أمر دينه والحقوق المناطة به . وتخصيص وقت كاف لتعلم ذلك .

كما أن العناية بالمرأة أمر مهم جدا فى صلاح المجتمع وسلامة وحدته الفكرية
فصلاح المرأه سبب فى صلاح الجيل - باذن الله - ، حيث إنها المدرسة
والمرية الاولى لاطفالها كما أن فسادها فساد للجيل الذى تولت تربيته .

ولذلك يوجه الاعداء مخططات محمومة مسعورة ، وبوسائل مختلفة لافساد المرأة
لعلمهم إنهن امهات الجيل القادم وكسبهن يعنى كسب ذلك الجيل . ولعلمهن
من الأثر - عند فسادهن - فى افساد الرجال وتخريب البيوت وشتات الأسر .

وقد أهتم الاسلام بتنظيم وبيان جميع ما يخص المرأه ، فما على الزوجين إلا تعلم
ذلك والعمل به . كما اهتم علماء الاسلام ومفكروه بهذا الجانب . ومؤلفاتهم تزخر
بها المكتبات الخاصة والعامه .

وليست هذه مسئولية الزوجين فقط بل المجتمع يجب عليه أن يتخذ الاسباب
التي تضمن تعلم كل منهما ما يهيمه ويحتاج إليه من أمور الدين . ويتم ذلك بالعناية
بالجوانب التاليه :-

١ - الاهتمام بالتعليم والتربية في جميع مراحلها . واقامة انظمتها واستمرارها
مناهجها وسياساتها من الكتاب والسنة . والعناية بالمدرسين والمربين
ليكونوا من المتحسين للاسلام . الهادفين لاجرا جيل يحمل رسالة الاسلام .

٢ - تسخير وسائل الاعلام في الدعوة والتعليم والتوجيه السليم المنبثق من تعاليم
الاسلام . وضبط قضية الترفيه بالضوابط الشرعية . لكي لا تتحول إلى
اشغال وصد عن سبيل الله .

٣ - العناية بالمسجد والعمل على أن يؤدي دوره التعليمي التربوي لكافة افراد
المجتمع .

فهذه الوسائل مع أنها مؤثرة جدا في سلامة الأسرة وتزكيتها إذا استغلت
استغلالا حسنا ، فهي أيضا قنوات فكرية هامة مؤثرة في الوضع الفكري العام للمجتمع
فلا بد من تطهير وتزكية وتوحيد ما يبيث فيها ، لتساهم في تحقيق الوحدة
الفكرية المنشودة للمجتمع المسلم .

فينبغي أن تكون هذه الوسائل جميعا تخدم هدفا واحدا هو التوجيه
والتعليم والتربية والتثقيف والترويح في المجتمع المسلم من منطلق تعاليم الاسلام
وفي اتجاه تحقيق اهدافه .

فرسالتها واحدة ، ويكمل بعضها بعضا ، في سبيل تحقيق وحدة فكرية
وسلوكية في مجتمع يحافظ على قيمه الدينية مع أخذها بمعطيات العصر الحضارية
وينتفع بها في مصالح دينه ودنياه .

وخلاصة هذا المطلب : أن الوحدة الفكرية - القائمة على المفهوم الصحيح
للإيمان بالله كما قرره الكتاب والسنة وسلف الأمة الصالح - أساس هام لوجود
الرابطة الايمانية بين افراد المجتمع المسلم . كما أن المحافظة عليها لازمة
لاستدامة تلك الرابطة وتلاحم الافراد وانفاقهم وعدم اختلافهم .

وأهم العوامل اللازمة للمحافظة على الوحدة الفكرية أمران أساسيان
الاول : تطهير الفكر الاسلامي من الفكر الدخيل ، وعزل المجتمع المسلم عن افكار
المجتمعات الجاهلية ، وجميع خصائصها . ومحاربة الوسائل الناقلة لها
وتطعيم افراد المجتمع ضد الافكار المحتمل تسللها ببيان بطلانها وتناقضها
وماتجره من الشر والدمار وسوء العاقبة .

الثاني : تزكية افراد المجتمع بالتوسع في نشر عقائد الاسلام وتعاليمه
المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - على فهم السلف
الصالح واصولهم ، والعناية بالاسرة ، وتسخير كافة الجهود والوسائل
لتحقيق هذا الغرض ، وأن تكون رسالة التعليم والترهية والاعلام والمسجد
واحدة هي رسالة الاسلام ووظيفتها هي الدعوة إليه ، والدفاع عنه ، واعداد
اجيال تطبق الاسلام تطبيقا سليما ، وتحمس له ، وتنهض به . عالمة عاملة
مؤيدة .

المبحث الثالث : العمل على سلامة مقومات المجتمع المسلم .

والمقصود أنه إذا تقرر أن الرابطة بين أفراد المجتمع المسلم منوطـةً بسلامة وعمق الايمان واقامة العبادات والاخلاق والنظم المنبثقة منه ، وأن استدامة الرابطة الايمانية مرهونة بسلامة واستدامة ذلك ، كان من الواجب على المجتمع العمل على سلامة مقوماته الايمانية .

ويكون ذلك بالتواصي بالحق والدعوة إلى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على ذلك والصبر والمثابرة في سبيل تحقيقه .

فإقامة هذه الشعائر الايمانية ، كما أنها لازمة لقوة ومتانة الرابطة الايمانية ، هي أيضا حصن يقي المجتمع من الفكر الخبيث وسائر الشرور .

وليس الغرض ذكر تفاصيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما بيان أثر هذه الشعيرة الايمانية الاجتماعية في تحصين المجتمع من الافكار الخبيثة الذي هو موضوع هذا البحث .

وسوف يتم الكلام في هذا الأمر من خلال مطلبين :

- المطلب الأول : أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكونه واجباً اجتماعياً .
- المطلب الثاني : أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحصين المجتمع من الافكار الهدامة .

المطلب الاول : أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكونه إماماً اجتماعياً.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للخلق من شعائر الإيمان التي تميزها أهل الحق من الأنبياء والرسل واتباعهم ، فقد كانت مهمتهم الأمر بالمعروف من إقامة التوحيد وعبادة الله وإقامة العدل والتزام الأخلاق الفاضلة ، والنهي عن المنكر من الشرك والعصيان والظلم والفساد في الأرض .

قال تعالى قاصداً مقاله لقمان لابنه : " يَبْنِيْ أَقْرَبَ الصَّكُوَّةِ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " (١)

وقال تعالى : " فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ

فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ " (٢)

وكان خض نبينا - محمد صلى الله عليه وسلم - من هذه الوظيفة أكبر من غيره حيث أمر أمته بكل معروف ونهاهم عن كل منكر .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : " فوله تعالى في صفة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - : " يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ " (٣)

هو بيان لكمال رسالته ، فانه - صلى الله عليه وسلم - هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف ، ونهى عن كل منكر ، وأحل كل طيب ، وحرم كل خبيث " (٤)

فهو - صلى الله عليه وسلم - أفضل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأعظمهم بركة على الناس ، حيث دعا إلى كل معروف ونهى عن كل منكر .

(١) سورة " لقمان " ١٧ . (٢) سورة " هود " ١١٦ .

(٣) سورة " الاعراف " ١٥٢ .

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق د . صالح المنجد ، ص ١٠ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط الاولى

وهذا الامر بعينه هو سر أفضلية أمته الذين ساروا على هداه وتأسوا به

فى الدعوة إلى الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال تعالى :

(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ^(١))

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفه اجتماعية ، يقوم بها كافة المؤمنین رجالا ونساء كل بحسب قدرته .

قال تعالى :

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ..) ^(٢)

وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - محملا الافراد مسئولية المجتمع : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان " ^(٣) فهو من أهم وظائف مجتمع المؤمنین إذا مكنهم الله فى الأرض واقامته لازمة لاستمرار التمكين .

قال الله تعالى : (الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) ^(٤)

وعلى المجتمع أن يجند طائفة من افراده للقيام بهذا الامر والعناية به :

(وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ^(٥)

وقد أشار شيخ الاسلام إلى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفه اجتماعية

بقوله :-

(١) سورة " آل عمران " ١١٠ .

(٢) سورة " التوبة " ٧١ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الايمان ، باب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان . رقم

الحديث (٤٩) ج ١ / ٦٩ .

(٤) سورة " الحج " ٤١ .

(٥) سورة " آل عمران " ١٠٤ .

" ونو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض. وإذا اجتمع اثنان فصاعدا فلا بد أن يكون بينهما أئتمار بأمر، وتناه عن أمر . . . وإذا كان الأمر النهي من لوازم وجود بنى آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذى أمر به الله ورسوله، وينهى عن المنكر الذى نهى الله عنه ورسوله، ولإفلا بد أن يأمر وينهى، ويؤمر وينهى، إما بما يصاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذى أنزله الله بالباطل الذى لم ينزله الله. وإذا اتخذ ذلك ديناً كان ديناً مبتدعاً باطلاً" (١)

وقال الدكتور عبد الكريم زيدان :

" ومن خصائص النظام الاجتماعى فى الاسلام تحميل الفرد مسؤولية اصلاح المجتمع بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على اصلاح المجتمع وازالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلب. قال تعالى :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (٢)

ومن أعظم التعاون التعاون على اصلاح المجتمع. وإذا كان الفرد مطالباً باصلاح المجتمع، فمن البديهي أنه مطالب بعدم افساده، قال تعالى :

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) (٣) " (٤)

فالمجتمع المسلم يتكاتف أفراده رجالاً ونساءً ويتعاونون فى مجال اصلاح ونشر الخير ومنع الفساد فى الارض، فى مقابل المنافقين الذين يسعون إلى عكس ذلك.

قال تعالى واصفا المؤمنين : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٥)

وقال واصفا المنافقين :

(وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) (٦)

وعلى هذا فاقامة هذه الوظيفة من أهم الحصون التى يحافظ بها المؤمنون على

سلامة مجتمعهم من فكر المفسدين، وترويج انحرافهم الفكرى والسلوكى.

(١) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) سورة " العائدة " ٢ (٣) سورة " الاعراف " ٨٥

(٤) أصول الدعوة، ص ١٢٢ (٥) سورة " التوبة " ٧١

(٦) سورة " التوبة " ٦٧.

قال الشيخ سلمان العودة :

" والمجتمع ميدان لصراع الفئتين ، (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض)
(والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) فأى الفئتين غلبت ، استطاعت أن -
تصبح المجتمع بصفتها .

ولذلك كانت قضية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قضية مصيرية ، يترتب
عليها احتفاظ الامة بمسارها الاسلامي ، ولهذا السبب كان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر في عهود الاسلام المتقدمة يحظى بأشد العناية من المسلمين
أجمعين ، فقد كان كل مسلم يشعر أنه مطالب بذلك ، في كل مجال ، وعلى سائر
المستويات ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في بيته ، وفي سوقه ، وفي مسجده
وفي كل مكان ، لا يفرق في ذلك بين صغير أو كبير ، ولا قريب أو بعيد ، ولا معروف
أو مجهول ، ولا ذكر أو أنثى .

هكذا كانوا يشعرون أن ذلك الامر دين يدبنون الله به فلم يكلوه بأكمله
على جهة معينة ، ويلقوا باللائمة عليها إذا رأوا منكرا .

ومع ذلك كله عنى المسلمون بنظام الحسبة الذي كان رجاله يقومون بمراقبة
المجتمع عموما في كل شئ ، ويسعون لاصلاحه ومنع جميع اسباب اذاه .^(١)

ولا أدل على أهمية هذه الشعيرة المباركة في مجابهة العاطلين على
افساد المجتمع الاسلامي ، وفي العمل على سلامته ونجاته ، من ذلك المثال
الذي ضربه النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث شبه المجتمع المسلم بالسفينة

(١) حتى لا تفرق السفينة ، الشيخ سلمان بن فهد العودة ، ص ٤٢ ، ٤٣ ، دار
الوطن للنشر ، الرياض ، ط ١ الاولى ١٤١٢ هـ .

فقال :

" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " (١)

وقال الشيخ محمد الشوكاني - رحمه الله - مبينا الأثر الاجتماعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة التعاون والتكاتف في سبيل اقامته ، والأثر العكسي للتفريط في ذلك :

" فاعلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من اعظم عمد الدين لان بهما حصول مصالح الحياة الاولى والأخرى . فإن كانا قائمين قام بقيامها سائر الأعمدة الدينية ، والمصالح الدنيوية ، وإن كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الامور الدينية والدنيوية .

وبيان ذلك : أن اهل الاسلام إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم ثابت الاساس ، والقيام به هوشاً الكلى والأكثر من الناس ، والمعروف بينهم معروف ، وهم يد واحدة على اقامة من زاغ عنه ، ورد غواية من فارقه ، والمنكر لديهم منكر ، وجماعتهم متعاضدة عليه متداعية إليه ، متناصره على الأخذ على يد فاعله وارجاعه إلى الحق والحيلولة بينه وبين ما قارقه من الامر المنكر ، فعند ذلك لا يبقى أحد من العباد في ظاهر الأمر تاركاً لما هو معروف ولا فاعلاً لما هو منكر لافى عبادة ولا فى معاملة فتظهر انوار الشرع ، وتطلع شمس العدل وتهب رياح الدين ، وتعلن كلمة الله فى عباده ، وترتفع أوامره ونواهيه وتقوم دواعى

(١) رواه البخارى ، كتاب الشركة ، باب هل يقرع فى القسمة . . رقم ٢٤٩٣ ، ح ١٣٢/٥ وفى كتاب الشهادات ، باب القرعة فى المشكلات رقم ٢٦٨٦ ، ح ٢٩٢/٥ .

الحق ، وتسقط دواعى الباطل ، وتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو المرجوع إليه ، والمعول عليه ، وكتابه الكريم سنة رسوله المصطفى - صلى الله عليه وسلم - هما المعيار الذى توزن به أعمال العباد وترجع إليهما فى دقيق الامور وجليلها وذلك تنجلي ظلمات البدع وتنقص ظههور أهل الظلم وتنكسر نفوس أهل معاصى الله . وتخفق رايات الشرع فى اقطار الأرض . ويضمحل جولات الباطل فى جميع بلاد الله عز وجل .

وأما إذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين ، أو كانا قائمين قياما صوريا لا حقيقيا ، فهناك كم من بدع تظهر . وكم من منكرات تستهين وكم من معروف يخفى وكم من جولات للعصاة وأهل البدع تقوى وترتفع . ومن ظلمات بعضها فوق بعض تتراكم ، فتعمى الطريق السوى على الناس . ومن هرج يمرج فى العباد ويهرز للعيان وتقربه عين الشيطان . وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة والعاصى كالذئب المفترس .

وهذا بلاشك ولا ريب يقضى بمحو رسوم الدين . وذهاب نور الهدى وانطماش معالم الطريق .^(١)

وهذا يتبين أثر اقامة هذه الشعيرة الايمانية الاجتماعية - الامر بالمعروف والنهى عن المنكر - فى تحصين المجتمع المسلم ضد تسلل الافكار المخالفة والشور المفسدة ، وأنه دعامة يحفظ الله باقامته مقومات المجتمع المسلم .

(١) رسالة : شرح الصدور بتحريم رفع القبور ، لمحمد بن على الشوكانى ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ضمن مجموعة رسائل ، نشر الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ط السادسة

المطلب الثاني : أثر القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحصين المجتمع من الأفكار الهدامة .

تقدم الكلام على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمجتمع المسلم ، وأن ذلك الأمر من صفات أهل الحق من النبيين وأتباعهم ، وأنه من أخص وظائف هذه الأمة سر أفضليتها ، وهو الوسيلة التي يجابهون بها كيد الفسديين ويتحصنون به من تسلل الشرور إلى مجتمعاتهم .

وحيث إن هذا البحث يدور حول آثار الايمان وشعائره في وقاية المؤمنين من الافكار الهدامة ، فسوف أشير في هذا المطلب إلى أثر هذه الشعيرة في هذه الناحية خاصة .

إن المنافقين والحاقدين على هذا الدين يدركون أن دعوة المسلمين مباشرة إلى ترك الدين أوالمجاهرة بما يخالفه أمر ينفّر منه المؤمنون ، ويتحفزون لمجاهبة الداعين إليه ، لذلك فهم يلجأون إلى أساليب غير مباشرة تنطوي على الخبث والتدرج . ووسيلتهم في ذلك نشر الافكار الضالة المستوردة من الجاهليات القديمة والحديثة وإلباسها لباس الاسلام بزخرف القول وصنوف من التلبسات والشبهات بقصد حرف المفاهيم لدى المسلمين .

وهذا الاسلوب لاينجح إلا إذا جاهر أولئك المبطلون بدعواتهم وهيئات لهم الفرصة لمخاطبة افراد المجتمع . وذلك لايتسنى لهم إلا بغياب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الواعي الحازم . لذلك يجب أن تكون الأمة يقظة مهتمة بذلك ، محافظة على وسائل الاتصال العامة من أن يتطرق إليها خلل يسمح للفسديين بمخاطبة المجتمع ونشر تلبساتهم .

قال الشيخ سلمان العودة :

" إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضماناً للبيئة من التلوث الفكري والاخلاقي وهذا النوع من التلوث لا يقل خطورة وفتكا عن التلوث الحسي الذي ينجم - مثلاً - عن الحرب الجرثومية التي تفرغ الناس ، وتقضى مضاجعهم . أغيرها من وسائل التلوث .

فاتاحة الفرصة - مثلاً - لاهل الرذيلة ليمارسوا الفساد من خلال الاغنية والمجلة والكتاب ، والاجهزة المرئية ، وصوت الدعارة ، وغيرها ، هذا يلوث البيئة العامة ، وينشر الهواء الاخلاقي الفتاك في المجتمع ، مما يفسر مهمة المصلحين ويجعلهم يقعون أحياناً عاجزين عن مقاومة تيار الانحلال .

وقل مثل ذلك في نشر الشبهات الفكرية التي تشكك الناس في دينهم من خلال الكتاب ، والمجلة ، والجريدة ، والشريط ، والقصيدة ، ونحوها ، فإن فسى ذلك - ايضاً - تلويثاً للبيئة من الناحية الفكرية ، مما يجعل كثيراً من الناس يتخبط في بحر من الشبهات التي تتجاذبه من هنا وهناك . . .

والمجتمع الذي تظهر فيه المنكرات - فكرية أو اخلاقية - يتعرض لهزات عظيمة لا يعلم مداها إلا الله ، ولهذا قيل : إن المنكر إذا خفى ، لم يضر إلا صاحبه أما إذا أعلن ، فإنه يضر الخاصة والعامة . . .

وكم هو محزن أن ينشأ بعض اطفال المسلمين في بيئات ملوثة بالسموم الفكرية أو الاخلاقية أغيرها من سموم الفساد ، فيرضعون الرذيلة مع حليب الأم ، ويستنشقون الهواء الملوث بالجراثيم المعنوية الفتاكة ، فينشأ احدهم ضحل الثقافة ، بعيداً عن الدين ، منحرف الفكر والسلوك .

غاية علمه خليط من قمامات الاغانى ، والتصورات التافهة ، والاهتمامات التافهة لا يكاد يقيم آية من القرآن الكريم . يستنكر المظاهر الاسلامية إذا رآها

لأنه لم يعتدها ولم يألفها ، فيستوحش - مثلا - من منظر المرأه المحجبه العفيفه ويستغرب صنيعها ، لأنه ترعرع في بيئه ملوثة بضروب الجرائم السلوكية والفكرية . (١)

ومحصلة هذا الوضع التمزق الفكرى ، والاختلاف فى القناعات والمفاهيم ، ثم التباين فى السلوك والمناهج ، ثم التحزب والتكتل على تلك المناهج ، ونهاية المطاف التناحر والخصام .

فالبداية كانت فى التفريط بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو سوء استخدامه كالانكار عن جهل أو الغلو فى الانكار .

قال شيخ الاسلام ابن تيميه - رحمه الله - مبينا العلاقة بين الاختلاف والتفريط بهذه الوظيفة .

" وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان ، فقد يذنب الرجل والطائفة ، ويسكت آخرون عن الأمر والنهى ، فيكون ذلك من ذنوبهم ، وينكسر آخرون انكارا منبيا عنه ، فيكون ذلك من ذنوبهم ، فيحصل التفرق والاختلاف والشر وهذا من أعظم الفتن والشور قديما وحديثا ، إذ الانسان ظلوم جهول والظلم والجهل أنواع ، فيكون ظلم الاول وجهله من نوع ، وظلم كل من الثانى والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر .

ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك . ورأى أن ما وقع بين امراء الامم وعلماؤها ، ومن تبعهم من العامة فى الفتن هذا أصلها . (٢)

فحصول الفتن والتفرق وضع حاصل من ظلم مركب من بغى وانحراف بعض افراد المجتمع ، والسكوت أو الانكار غير السديد من البعض الآخر .

(١) حتى لاتفرق السفينة ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(٢) رسالة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص ٧٦ ، ٣٧٠ .

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين مبينا أثر الاخلال بوظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في حصول الاختلاف والتفوق :

" فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعواتان قويتان لبقاء الامة وعزتها ووحدتها حتى لا تتفرق بهم الالهواء وتتشتت بها المسالك ، ولذلك كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين على كل مسلم وسلمة مع قدره .

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ " (١)

فلولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتفرق الناس شيما وتمزقوا كل ممزق كل حزب بما لديهم فرحون . . . (٢)

فالفرقة والاختلاف كما انها النتيجة الحتمية للفوضى الفكرية السائدة في المجتمع بسبب غياب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي ايضا أنسب الظروف لاستعمار الافكار الهدامة ونشاط المروجين لها وانقسام المجتمع وتحزبه عليها .

فهذا يتبين أثر الايمان من خلال شعبية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحسين المجتمع وصيانته من الافكار الهدامة ، وأنه دعامة قوية وهامة يجب المحافظة عليها والحزم في اقامتها للمحافظة على الاسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم .

(١) سورة " آل عمران " ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) مجالس شهر رمضان ٩٧ .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

دور ولاية الامر في حماية المجتمع من الافكار الهدامة.

اقامة ولي الأمر - ويسمى امام المسلمين أو الخليفة - واجب من واجبات الدين ومن أهمها لما يترتب عليه من صلاح الدين والدنيا في المجتمع المسلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(١) " يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من اعظم واجبات الدين لا قيام إلهيها "

ولذا كان واجبا من واجبات الدين فهو شعيرة من شعائر الايمان التي كلفت بها الجماعة ، وعلى ذلك كان دور الامام وأعوانه في صيانة المجتمع المسلم من الافكار المنحرفة وسائر الفساد ، أشر من أثار الايمان .

وقد دل على وجوب تنصيب الامام نصوص من الكتاب والسنة والاجماع منها :

قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (٢)

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم :

(٣)

" . . . ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية "

وقال - صلى الله عليه وسلم :

(٤)

" لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم " وفي رواية :

" إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم " (٥)

(١) السياسة الشرعية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ص ٢١٧ .

(٢) سورة "النساء" ٥٩ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن . ح (١٨٥١) ٨/٣ .

(٤) رواه الامام احمد من حديث عبد الله بن عمرو ، المسند بتحقيق أحمد شاكر ، رقم

الحديث (٦٦٤٧) ، ح ١٠ / ١٣٤ .

وفي سننه عبد الله بن لهيعة : صدوق غلط بعد احتراق كتبه ولم يتهيئ
أسماع حسن بن الأشيب منه قبل الاختلاط امهده . انظر : الكواكب الفيرات

ص ٤٨١ .

فالاِسناد فيه ضعف لكن يتقوى بالطريق الأخرى المذكورة بعده الى حسن لغيره .

(٥) أخرجه ابو داود كتاب الجهاد رقم (٢٦٠٨) ، ح ٨١ / ٣ . وفي الاسناد حاتم

بن اسماعيل وهو : " صحيح الكتاب صدوق يهيم " انظر : تقريب التهذيب ص ١٤٤ .

ولم يرد في روايات الحديث أنه حدث من كتاب ، بل وردت بلفظ حدثني -

حدثنا حاتم . ولذا ففي الاسناد ضعف ولكن يتقوى بالطريق الأخرى المتقدمة

الى حسن لغيره . والله أعلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعليقا على هذا الحديث :
" فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم
كان هذا تنبيها على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك " (١)

وليس الغرض الكلام على التفاصيل المتعلقة بالامامة . وإنما بيان أمرين
هامين لهما صلة بموضوع البحث :

الاول : أهم الضوابط التي تعمل على بقاء هذا الحصن متينا متينيا : كالعلم
بمهام ومقاصد الحكم في الدولة المسلمة ، والعزم والحماس لتحقيقها
واستعمال الاصلح ، والالتزام بالمشاورة .

الثاني : وظائف الامامة ومقاصد الحكم ، ومن أهمها واجب الدفاع عن الدين
ومن ذلك مقاومة الافكار الهدامة والداعين إليها .
وسوف افرد لكل منهما مبحثا مستقلا . والله المستعان .

(١) السياسة الشرعية ، في اصلاح الراعى والرعية لشيخ الاسلام ابن تيمية ، حققه

ابوصد الله على بن محمد المغربي ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، دار الارقم ، الكويت

المبحث الاول : ضوابط الامامة في المجتمع المسلم .

والمراد بهذا المبحث بيان الامور التي بمراعاتها ينضبط أمر الامامة
وتصبح حصنا فعالا قويا .

إن قيام ولي الامر ودولته بالدور الاكمل في حماية المجتمع وسلامته لا يتم
الا إذا توفرت فيه مقومات الحكم والاستخلاف .

فمع كونه رجلا مسلما حازما قويا ، عدلا عادلا ، عارفا بامور السياسة وشؤون
الحكم ، جريئا على اقامة حدود الله لا تأخذه في الله لومة لائم ، شجاعا
ذا دراية بعصالح الامة وسبل تحقيقها مع حرص عليها وتقديمه لها ^(١) ، مع ذلك
كله لابد من مراعاة امور تعتبر أساسية في صلاح ولي الامر وقيامه بمهام
الحكم من أهمها :

اولا : العلم

يشترط للامام أن يكون عالما بالاحكام الشرعية ، لأنه مكلف بتنفيذها
والعلم مقدم على العمل ^(٢) .

ويتأكد على السلطان أن يعرف المقصود بالولاية وأنه : " اصلاح دين
الخلق الذي تقي فاتهم خسروا خسارنا مبينا ولم ينفعهم مانعوا به في الدنيا .
واصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم " ^(٣) .

فوظيفة الامام نوع من انواع الجهاد ، بل لا يقوم الجهاد إلا بها . فهو الذي
يعقد الالوية ويسير الجيوش . فإذا كان كذلك فغاية الامام هي غاية المجاهدين
وهي : أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين لله .

(١) القاضي أبي يعلى الفراء ، كتابه الاحكام السلطانية ، د . محمد عبد القادر ابيو
فارس ، ص ٤ . مؤسسه الرسالة ، بيروت ، ط الاولى - ١٤٠٠ هـ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٣) السياسة الشرعية ، لابن تيمية ، ص ٣٩ .

فمنصب الامامة عبادة يتقرب بها إلى الله ، يلزم فيها صلاح النية وــــــ
المستطاع في القيام بها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

" فالواجب اتخاذ الامارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليه
فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات " (٢) ومع علم ولي الامر بمقصود
الولاية وفاقبتها ، ومعرفة الاحكام الشرعية ، والاساليب والوسائل التي تحققها
لا بد من معرفة أعداء الأمة وما ذكر الله من عداوتهم واساليبهم في الكيد
للاسلام وأهله . ومعرفة الفرق والحركات المنحرفة التي ظهرت في عصور الاسلام
والاساليب التي سهلت عملها ، بقصد أخذ العبرة والحيلة والحذر من تكرارها .
ومعرفة الاساليب التي تسلل من خلالها المنافقون والمبتدعون إلى الحكم
حتى تمكنوا من تمرير بعض شرهم من خلال سلطانه . ومعرفة الاخطار والتحديات
المعاصرة ، والاستعداد لمجابهتها بالخطط المضادة التي تحصن المجتمع
وتحاربها وتقمعها .

وفي الجملّة فإن على الامام أن يكون عالماً باهداف المجتمع المسلم وسبل
تحقيقها ، عازماً متحمساً للعمل من أجل ذلك . كما يكون عالماً بالاطار الســــــ
تهدده ، وسبل مقاومتها والخلص منها ، مندفعاً إلى الأخذ بهذه السبل بكل
ما أوتي من حيلة وقوة .

وحيث أن الاحاطة بهذه العلوم وتنفيذها يحتاج إلى جهد عظيم يصعب
تحقيقه في شخص واحد ، فقد نص أهل العلم على أن تقرب العلماء وأهــــــ
الاختصاص يكمل قصوره في ذلك . (٢)

(١) ابن تيمية ، المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) ابويعلی وكتابه الاحكام السلطانية ، ص ٣٦٠ .

ثانها : استعمال الاصلح .

ولاية أمر الناس أمانة عظيمة ، وحيث أنه لا يستطيع شخص واحد - مهما أوتي من قوة وعلم - أن يقوم بجميع مهامها ، لذلك وجب عليه أن يسند أمورها إلى ولاية يعينونه على القيام بها ، وذلك يتحملون هذه الامانة معه كل فيما أسند إليه . وعليه في ذلك أن يولى الاصلح الذي هو أهل لحمل تلك الامانة .
والأصل في ذلك قول الله تعالى :

” إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ
إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ
خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ” (١)

فالاية الاولى : بينت ما يجب على الحكام والامراء من في حكمهم على وجه الاجمال وهو أداء الامانات والحكم بالعدل .

والثانية : بينت فاعلى الرعية من السمع والطاعة لله ورسوله ولأولى الأمر . وأمر ثالث يشترك فيه الطرفان وهو رد الأمر عند النزاع إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

” قال العلماء : نزلت الآية الاولى في ولاية الامور ، عليهم أن يؤدوا الامانات إلى أهلها ، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ، ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم ، عليهم أن يطيعوا أولى الأمر الفاعلين لذلك ، في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك إلا أن يأمرؤا بمعصية الله تعالى . فإذا أمرؤا بمعصية الله فإطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فإن تنازعا في شىء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . . وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء .

(١) سورة ” النساء ” ٥٨ ، ٥٩ .

الامانات إلى أهلها ، والحكم بالعدل ، فهذان جماع السياسة العادلة
والولاية الصالحة . (١)

وأداء الامانات عام لجميعها . قال ابن كثير - رحمه الله - :

" وهذا يعم جميع الامانات الواجبة على الانسان ، من حقوق الله عز وجل
على عباده . . وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ، ومن حقوق
العباد بعضهم على بعض " . (٢)

واسناد الأمر إلى أهله وتولية الاصلح ، وعدم اعتبار القرابة أو الصداقة
أو أي اعتبار آخر في الولاية أمر داخل ضمن عموم الولايات التي امرت الآية بأدائها ؛
إلا أنه متأكد من جهة أنه من أعمال الحكام الذين خاطبتهم الآية في المقام الاول .

قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" أما أداء الامانات ففيه نوعان : أحدهما الولايات ، وهو كان سبب نزول الآية
فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وتسلم مفاتيح الكعبة من بنى شيبه ، طلبها
منه العباس ليجمع له بين سقاية الحاج ، وسدانة البيت ، فأنزل الله هذه الآية (٣)
فأعاد مفاتيح الكعبة إلى بنى شيبه ، فيجب على ولي الأمر أن يولى على كل عمل من
أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل " (٤)

وعلى ذلك عليه أن يجتهد في البحث عن المستحقين للولايات ، من نوابه على
الامصار والوزراء والقضاة ومدراء المصالح العامة ، ورؤساء العشائر ، وامراء الجند
الصفار منهم والكبار . وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستنيب ويستعمل أصلح من
يجده . (٥)

(١) السياسة الشرعية ، ص ١٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ط الشعب ، ٢ / ٢٩٨ .

(٣) بنو شيبه من نسل شيبه بن عثمان بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان
بن عبد الدار . اسلم شيبه بعد الفتح ، ودفع النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة
إليه وإلى عثمان بن طلحة يوم الفتح وقال : خذوها يا بنى ابي طلحة خالدة تالدة
انظر : جمهرة انساب العرب لابن جزم ١٢٧ ، تهذيب التهذيب ٤ / ٣٧٦ .

(٤) العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هاجر قبل الفتح ، وكان
وهو في مكة مشفقاً على النبي صلى الله عليه وسلم محباً له متعاوناً معه في توثيق
أمره ، توفي سنة ٣٢ هـ .

انظر : سير اعلام النبلاء ٢ / ٧٨ . والبداية والنهاية ٧ / ١٦٨ .

(٥) هي قوله تعالى : " ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها . . . " .

(٦) السياسة الشرعية ص ١٧ . (٧) انظر : نفس المصدر ١٨ ، ١٩ .

والميزان الذى يوزن به العمال هو : القوة والامانة ، والعلم والتقوى .
قال تعالى : " قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ " (١)
وقال : " قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ " (٢)

ويختار الأمثل فالأمثل ، ويستعان بأهل العلم والرأى والفضل فى التعرف عليهم .

ولا يجوز أن يكون المعيار هو القرابة أو الصداقة أغير ذلك .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

" فإن عدل عن الأحق الاصلح إلى غيره لاجل قرابة بينها ، أو ولاء عتاقة أو صداقة ، أو موافقة فى بلد أو مذهب أو طريقة ، أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية ، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة ، أغير ذلك مسن الأسباب ، أو لضغن فى قلبه على الأحق ، أو عداوة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه فى قوله تعالى :-
(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّنُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٣) (٤)

ومن المعايير التى جدت فى زماننا بالاضافة إلى ما ذكره شيخ الاسلام توليصة المناصب الوزارية أو الادارية وغيرها من الولايات الهامة بالشهادات أوسبق الطلب والتقدم للوظيفة ، دون التمييز بالصلاح والكفاءة من جهة القوة والامانة .

فالشهادة تدل على العلم المهنى أو الشرعى ، ولكن لاتدل على الامانة والقوة والتقوى ، وهى أمور مقدمه . لذلك كان الواجب اختيار من توفرت فيه هذه الامور مجتمعه : فيكون حائزا على الشهادة فى التخصص الذى يسند إليه ، مع معرفة

(٢) سورة " البقرة " ٢٤٧ .
(٤) السياسة الشرعية ص ٢٠ .

(١) سورة " القصص " ٢٦ .
(٣) سورة " الانفال " ٢٧ .

الاحكام الشرعية المتعلقة به ، وثبت بالتزكيات من الثقات امانته وتقواه . ويبتلى لمعرفة قوته وحزمه في القيام بما يسند إليه .

وإذا لم تتوفر مجتمعة قدم أهل الامانة والقوة والتقوى بشرط علمهم بما يسند إليهم ولو دون شهادته . أو يعلموا ما يحتاجون إليه بعد الاختيار ، مع تزويدهم بالاعوان والمساعدين المهرة المتخصصين ، فيكملون نقصهم .

وهذا الواجب على ولاية الامر - وهو توليه الاصلح - حصن ودعامة يقوم عليها سلامة المجتمع بانتشار العدل ، ووصول الحقوق إلى أهلها ، واستقامة امور الناس العامة والخاصة على الهدى . وذلك يقطع الطريق أمام كل فكر خبيث ، أو تخطيط مآكر يستهدف تقويض أركان المجتمع المسلم . حيث أن كل صاحب ولاية على شفرة من شفرات المجتمع الاسلامي ، عالم بدوره ، مخلص صادق في تنفيذه والدفاع عنه قوى على ذلك ، فأنى يجد الشر إلى المجتمع سبيلا ؟ .

وإذا اختل هذا الامر وضيعت هذه الامانة ، واسندت الامور إلى غير أهلها حصل خلل عظيم في المجتمع المسلم ، وفتحت شفرات خطيرة تمهد السبيل لاعداء الامة للتسلل إليه للفساد والافساد ، وترويج الافكار الهدامة ، والسلوك المنحرف .

قال صلى الله عليه وسلم : " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قال : كيف ^(١) اضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا اسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " ^(٢)

فقد بين - صلى الله عليه وسلم - أن من علامات قرب الساعة تضييع الامانة باسناد الأمر إلى غير أهله - ومعلوم أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ، الذين

(١) القائل هو الاعرابي الذي سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الساعة . كما في الرواية الاخرى :

" بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقال : متى الساعة ؟ . . الحديث " رواه البخاري ، كتاب العلم باب : من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه . . ، صحيح البخاري مع الفتح - ١ / ١٤١ - ج (٥٩) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقاق باب : رفع الامانة ، الصحيح مع الفتح - ١١ / ٣٣٣ - ج (٦٤٩٦) .

انتشر الجهل بينهم والفساد . وذلك يكون اسناد الأمر إلى غير أهله مسن
أسباب فساد الناس في آخر الزمان .
وسر ذلك أن الامور إذا لم تسند إلى أهلها فإنها تسند إلى الجهال أو السفهاء
أو الضعفاء أو إلى الخونة والمنافقين .
فالجهال والسفهاء يخبطون في أعمالهم بلا هدى ، ويضعون الامور في
غير مواضعها ، وقد يفسدون وهم لا يشعرون ، وكثيرا ما يغرر بهم ويخدعون
من طائفة المنافقين والحاقدين .
أما الضعفاء فإنهم عاجزون عن تنفيذ ما يروونه صالحا ، ويغلبون على أمرهم
فيبقى الحق الذي أمروا به بعيدا عن التنفيذ ، ويظهر الفساد والمنكر في
أعمالهم ويضعفون عن ازالته . وهذه شفرة اجتماعية خطيرة ليس لها إلا أهمل
الحزم والقوة والعلم والديانة .
أما المنافقون فهم الشر المستطير ومنهم الضرر الكبير وشرهم حاصل للجماعة
المسلمة دون أن يتولوا من امورها شيئا ، فكيف إذا اسندت بعض الامور الهامة
اليهم ؟ فتلك قاصة الظهر ، وسوسة النخري !

قال تعالى محذراً من طاعتهم ومشاورتهم :

” يَأْتِيهَا النَّبِيُّ أَوْ أَتَى اللَّهَ وَلَا تَطْعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ “ (١)

قال ابن كثير - رحمه الله - :

” قوله تعالى : (وَلَا تَطْعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ) أي لا تسمع منهم ولا تستشرهم

(إن الله كان عليماً حكيماً) أي فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فإنه عليهم

(١) سورة الاحزاب ١-٣ .

بمواقب الامور حكيم فى اقواله وافعاله ولهذا قال : (واتبع ما يوحى اليك من ربك)
أى من قرآن وسنة (إن الله كان بما تعملون خبيراً) أى فلا تخفى عليه خافية
(وتوكل على الله) أى فى جميع امورك واحوالك (وكفى بالله وكيلاً) أى وكفى
به وكيلاً لمن توكل عليه وأتاب إليه^(١)

فبعد أن نهاه الله عن طاعة الكافرين والمنافقين أمره باتباع الوحي
النازل من العليم الحكيم الخبير ، ففيه النور والهداية والرشاد .

وارشده للتوكل عليه وحده وتفويض الامور إليه وتعلق القلب به فى التسديد
والتوفيق لما فيه صلاح الدين والدنيا ، وفى ذلك اشارة إلى عدم تعلق القلب
أورجاء الهداية من اعداء الله مهما كان عندهم من العلم أو اظهروا من النصيح
فلا يولون ولا يستشارون بل يحذرون ويحتمنون .

وقد بين الله العلة من النهى عن طاعة الكفار والمنافقين ، وهى كونهم
يضمرون الشر لأهل الاسلام ويخططون لاخراجهم من دينهم .

قال تعالى : " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا "

فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿٢﴾ "

وقال : " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا "

يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٣﴾ "

وقال : " وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ "

الْكِتَابِ لَوِ يُرَدُّونَكُمْ مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا "

مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا "

وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ءِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ "

فإذا كان هذا هو حال الكفار عموماً واليهود والنصارى خصوصاً يعطون

جاهدين لصد المسلمين عن دينهم ، فالمنافقون هم الجسر الذى يتصلون من
خلاله إلى المجتمع المسلم وينفذون بواسطتهم افكارهم الخبيثة ومخططاتهم الشريرة .

قال تعالى فى معرض بيان حال المنافقين : " وَإِذَا الْقُوا "

الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا "

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ "

فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ " (٥)

(١) تفسير القرآن العظيم ، ط الشعب ، ٣٧٦/٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٠ . (٣) سورة آل عمران ١٤٩ .

(٤) سورة البقرة ١٠٩ . (٥) سورة البقرة ١٤ ، ١٥ .

قولهم: "إنا معكم" أي: على مثل ما أنتم عليه^(١) فهم مع الكفار مشاركين لهم في الكفر وعداوة الرسول - صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وفي الكيد للاسلام وأهله .

وقال تعالى :

فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ (٢)

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" وقوله تعالى : (فرى الذين فى قلوبهم مرضى) أى شك وريب وبنفاق " يبايعون فيهم " أى يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم فى الباطن والظاهر (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) أى يتأولون فى مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أيد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك^(٣)

فالمنافقون يتخذون عند اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار أيد يرضونهم ويتحبون بها إليهم ، فيسدون لهم الخدمات ، ومن أعظمها مساعدتهم فى التجسس على المسلمين ، وتمرير خططهم وكيدهم إلى جسد الأمة الاسلاميية والذى يعتبر ضربا فعالا فى حرب الكافرين للمسلمين ، يستهدف زعزعة الجبهة الداخلية وانحلال اسباب قوتها وتماسكها فيسهل الظفر بها ، فيخرجوا من قدروا عليه من المسلمين من دينه ، كما هو حالهم فى كثير من البلاد التى احتلوها . قال تعالى :

وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم ، ط الشعب ، ج ١ / ٧٧ .

(٢) سورة " المائدة " ٥٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٣ / ١٢٤ . (٤) سورة " البقرة " ٢١٧ .

والحق أن الكفار لا يريدون من المنافقين أكثر من هذا . وفي المقابل يقدمون للمنافقين الكثير من المال ومتع الدنيا .

والمنافقون مع كونهم ثغرة في حصن المجتمع المسلم تنفذ من خلالها الشرور الخارجية ، فهم في حد ذاتهم منبع شر وضرر وفساد للمجتمع لما انصفوا به من اشاعة الشبهات ، ومحبة ظهور الفاحشة في الذين آمنوا وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف .

قال تعالى :

" الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (١)

لذلك كانت تولية الكفار أو المنافقين المناصب الهامة - كالوزارات أو الإدارات أو وظائف التخطيط ، أو التعليم ، أو اتخاذهم مستشارين لولى الامر أو عماله أو تقربهم بأي شكل من الاشكال كالمناداة أو المصاهرة - يعتبر من الخيانة للأمانة ، وهو خرق عظيم في حصن المجتمع المسلم ، وسوف ينالهم فساد ذريع . ومن أخطر نتاجه الترويج للأفكار الهدامة وزخرفتها بدعم من المنافقين الذين اشتدت شوكتهم بتقريب ولاية الامر لهم .

وكم حرص الكفار والمنافقون على التقرب لولاية الامر وأعوانهم بشتى الوسائل فعملوا المهن النادرة : كالطب والصناعة ونحوها ، وانتحلوا الشعير والظرافة للمؤانسة والمناداة ، وتسللوا إلى بيوتهم باهداء الجوارح الحسان والخاديات الماهرات ، أو عن طريق المصاهرة وهو أخطرها .

وإذا فتح لهم مجال إلى الولاية ولو قليل استغلوه أسوأ استغلال ، وكانست خطوتهم الأولى هي التظليل من شأن العلماء بأساليب متنوعه ، وإيحاءات مأكرة

(١) سورة " التوبة " ٦٧ .

فيصفونهم بالانزواء وعدم الانفتاح والتشدد والبعد عن حياة الناس ، والجهل بامور السياسة ، وأنه لا ينبغي استشارتهم إلا في امور العبادات فقط .

وفي المقابل يشيرون عليهم بتولية اشخاص مشبوهين يعرفون عنهم النفاق ويطمعون في ظل ولايتهم من الانطلاق في أهوائهم ومخططاتهم المعادية للاسلام .

وهكذا شيئاً فشيئاً حتى يكثر عددهم ويتفاقم شرهم ، فيستحوذون على السلطان ، ويصيب الاسلام منهم اعظم الرزايا كما حصل في عهد هارون الرشيد (١) عندما استولى ابنا الفرس من البرامكة (٢) وغيرهم على الوزارات وقيادة الجيوش وكثرت نساؤهم في بيوت الخليفة وابناؤه واقاربه : من زوجات ، وامهات اولاد - وخادمات ومربيات . وولد لهارون ابنه المأمون من جارية فارسية ، وتربى في كنف أهواله من ابناهنات الفرس . ثم آلت الخلافة إليه فحصل للامة بسببه فتنة عظيمة ، فقمع أهل السنة وعزلهم عن مناصب القضاء والفتيا ومنعهم من التدريس وحملهم على القول بخلق القرآن وتعطيل صفات الباري عز وجل . ومانجم عن ذلك من تعذيب وسجن وقتل عدد من علماء الامة وفلاستها ، وعلى رأسهم امام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله - الذي سجن بأمر المأمون وجلد في عهد المعتصم ولا حول ولا قوة الا بالله (٣)

وفي مقابل ذلك مكن المأمون أهل البدعة من المعتزلة والعتشيعه والفلاسفة وشجع ترجمة كتبهم ، فكانت أعظم فتنة فكرية جابهت الاسلام من داخله ، ودعمت من خليفة المسلمين ، بفعل تخطيط اعداء الاسلام الطويل الأمد . (٤)

(١) الخليفة العباسي أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولي الخلافة بعد أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ وكان من انبل الخلفاء وأحشم الملوك ذاحج وجهاد وغزو وشجاعة ورأى توفى سنة ١٩٣ هـ .

انظر: سير اعلام النبلاء ٢٨٦/٩ ، والهداية والنهاية ٢٢٢/١ (٢) البرامكة : أسرة يرجع أصلها الى فارس ، تنسب الى برك بن جاماس . تولى الوزارة عدد من افرادها لبعض خلفاء بني العباس ، ولما آلت الخلافة الى الرشيد تقدموا عنده وارتفعت مكانتهم لديه ثم نقم عليهم فقتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وسجن الباقيين من أسرته .

انظر: وفيات الاعيان ٣٢٨/١ ، والهداية والنهاية ١٩٦/١ . (٣) انظر: تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ح ٦٣١/٨ - ٦٤٥ . والهداية والنهاية لابن كثير ح ٢٧٢/١ - ٢٧٥ ومن ٣٣١ - ٣٣٥ . والخمينية وريثة الحركات الحاقدة والافكار الفاسدة لوليد الاعظمي ص ١٣٦ - ١٤٠ .

ثالثا : المشاورة

والمقصود أن مشاورة ولي الأمر لأهل العلم والعقل والتجربة والاختصاص في النوازل والامور الهامة أمر لاغنى له عنه ، وهو حصن تتحصن به الأمة من عواقب الاستبداد بالحكم والقرار الذي يفتح عليها ثغرات خطيرة قد لا يدركها ولي الامر وإنما بالمشاورة ينبه إليها .

" فبدأ الشورى من أهم مقومات الحكم في الاسلام ، به نطق القرآن وجاءت السنة ، وأجمع عليه الفقهاء . وهو حق للأمة وواجب على الخليفة " (١)

قال ابن تيمية - رحمه الله - :

" لاغنى لولي الامر عن المشاورة ، فإن الله أمر بها نبيه - صلى الله عليه

وسلم - فقال : (فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (٢) ، (٣)

ويروى عن ابي هريرة - رضى الله عنه : " مارأيت أحداً أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٤) وامتدح الله جماعة المؤمنين بالتزامهم بهذا المبدأ الهام فقال : " وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ " (٥) . وأولى الناس

(١) اصول الدعوة ، لعبد الكريم زيدان ، ص ٢٠٧ ، دار عمر بن الخطاب الاسكندرية ، ط ٣ ، ١٣٩٦ هـ .

(٢) سورة " آل عمران " ١٥٩ .

(٣) السياسة الشرعية ، ٢١٣ .

(٤) رواه الترمذى هكذا بصيغة التمريض ، ابواب الجهاد ، باب ماجاء فى المشاورة ، ح ١٢٩ / ٣ . واستشهد به شيخ الاسلام ابن تيمية فى السياسة الشرعية ص ٢١٣ . وذكره ابن حجر فى الفتح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، وقال : " ورجاله ثقات الا أنه منقطع " ح ٣٤٠ / ١٣ . ولمعناه شواهد كثيرة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ذكر طرفا منها : ابن كثير فى التفسير ح ٤٢٠ / ١ ، وابن حجر فى الفتح ح ٣٤٠ / ١٣ ، ٣٤١ .

(٥) سورة " الشورى " ٣٨ .

بالمشاورة العلماء أهل الذكر ، الذين عرفوا احكام الشريعة وحدود اللسـ
ودرسوا مافى الكتاب والسنة من الحكم والعبر والسنن واستناروا بنورهما .

قال البخارى - رحمه الله - : " وكان الائمة بعد النبى - صلى الله عليه وسلم -
يستشيرون الامناء من أهل العلم فى الامور العباة لياخذوا بأسهلها
فإذا وضع الكتاب والسنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبى - صلى الله عليه
وسلم - " (١) .

وقال ايضا : " وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا وشبانا وكان وقافا
عند كتاب الله عز وجل " (١)

فواجب على الامام تقرب العلماء واستشارتهم فى الامور المهمة من امور
الدين والدنيا .

وإذا استشارهم فى أمور الدين ، فإن بين له بعضهم ما يجب اتباعه من
كتاب الله أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أو اجماع المسلمين فعليه
اتباعه واطاعة لاحد خلاف ذلك . (٢)

فإن من أهداف المشاورة أتضاح الحكم إذا كان خافيا على الامام .

قال الامام الشافعى - رحمه الله - :

" إنما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المشير ينبيهه على ما يغفل عنه وبدلسه
على ما لا يستحضره من الدليل " (٣)

وقال شيخ الاسلام ابن تيميه - رحمه الله - :

" وأولوا الامر صنفان : الامراء والعلماء ، وهم الذين إذا صلحوا صلح الناس
فعلى كل منهما أن يتحرى ما يقوله وما يفعله ، طاعة الله ورسوله واتباع كتاب الله .

(١) صحيح البخارى ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حـ ٣٣٩ / ١٣ .

(٢) انظر : السياسة الشرعية ، لابن تيمية ٢١٤ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ، حـ ٣٤٢ / ١٣ .

ومتى امكن فى الحوادث المشككة معرفة ما دل علىه الكتاب والسنة ، كان هو الواجب ، وإن لم يمكن ذلك لضيق الوقت أو عجز الطالب ، أو تكافؤ الأدلة عنده أوفير ذلك ، فله أن يقلد من يرتضى علمه ودينه ، هذا أقوى الاقوال^(١)

أما استشارتهم فى امور الدنيا فتكون فى شؤون الدولة المهمة مثل :
تسيير الجيوش وعلان الحرب ، وعقد المعاهدات واسناد المناصب المهمة فى
الدولة إلى مستحقيها .^(٢)

وكذلك السياسات الداخلية والخارجية ، كسياسة التربية والتعليم ، والسياسة
المالية والصناعية ، والاعلامية ، والتجارية ، والطبية ، وكذا خطط الدولة
التنموية ، وعلاقاتها الخارجية .

فكل ناحية منها لها جانبان : جانب يتعلق بالمهنة وجانب يتعلق
بالتعامل . وكل منهما له ضوابط شرعية يجب مراعاتها . ويلزم عرضها على أهل
الشرعية بعد أهل الصنعة للتأكد من سلامة الخطة والسياسة من مخالفات شرعية
أو فترات تؤدي إلى فساد خلقية أو اجتماعية أو نحوها .

فنظر العلماء لا يقل أهمية عن نظر المختصين والخبراء .

وليس هناك مجال من مجالات الحياة ليس للعلماء نظر فيه .

ودور العلماء لا يقتصر على المشاورة فى الخطوط العريضة للأمور بل يتعدى
ذلك إلى التفاصيل الدقيقة المنظمة لذلك الأمر .

ونظراً لتشعب نواحي الحياة ودقتها فى الوقت الحاضر ، فيقتضى الأمر تشكيل
هيئة استشارية لها لجان متعددة مختصة بدراسة جميع اوضاع الدولة من
الناحية الشرعية . يكلف بعض هذه اللجان بالنظر فى الاوضاع القائمة ، ودراسة

(١) السياسة الشرعية ص ٢١٤ .

(٢) انظر : اصول الدعوة ، ص ٢٠٩ .

البحوث المقدمة فيها ، واقتراح الاصلاحات . ولجان أخرى تنظر في المشاريع المقترحة والنوازل الطارئة ، والتأكد من ملاءمة ما يقترح لها من جميع نواحيه لاحكام الشريعة الاسلامية . واقتراح التعديلات المناسبة .

ويقوم على هذه اللجان نخبة من العلماء الامناء ، ويستعينون عند الحاجة بالعلماء الآخرين الذين ليسوا اعضاء فيها .

ولا يقتصر في المشاورة في امور الدنيا على العلماء ، بل يشترك معهم أهل النظر والاختصاص والتجربة من سائر المسلمين ، ويشترط فيهم الأمانة وسلامة الديانة والنصح للامة .

والتزام ولي الامر بمبدأ المشاورة - وخاصة مشاورة أهل العلم - يمثل حصنا سلطانيا اجتماعيا تتكاتف فيه العقول المستنيرة على انتهاج افضل السبل واكثرها نقاء وصالء معدا عن شوائب الجاهلية وافكارها وانظمتها الفاسدة .

هذلك يقطع الطريق على المفسدين من المنافقين والكافرين والفاسقين الذين يحاولون جاهدين أن يمرروا باطلهم عن طريق السلطان . لذلك شدد الله النهي لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في اكثر من موضع عن طاعتهم أو مشاورتهم . كما في قوله : " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آئِمًا أَوْ كَفُورًا " (١)

وقوله : " وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " (٢)

واختلال هذا العبدأ - إما بالاستبداد من ولي الامر والمشاركين له في الحكم أو شترك مشاورة أهل العلم ، والجنح إلى مشاورة أهل الفسق والخيانة والنفاسق - ينتج عنه خطر عظيم - فهو شفرة تمرر من خلالها افكار الجاهلية ونظرياتهما ونظمها تحت ألفة براءة ، وشبه منمقة وادعاء الحاجة أو الضرورة وهم وجود

(١) سورة " الانسان " ٢٤ .

(٢) سورة " الاحزاب " ٤٨ .

البديل ، وغير ذلك من المعبررات الخبيثة التي قد يستحسنها الولاية ويعملون بها عند تعطيل الشورى .

وخلصه هذا المبحث أن ولي الامر يمثل دعامة من دعائم المجتمع المسلم ، فإذا كان صادق الايمان مراقبا لله في كل ما يأتي ويقرر قائما بما عليه خير قيام كانت الثغرة التي من قبله مسدودة آمنة . وأهم عوامل سلامة هذه الدعامة أن يكون ولي الامر عالما بالاحكام الاسلامية ، ومهماً الحكم ومقاصد الولاية ، غيراً على الاسلام متحصلاً لتنفيذه والدفاع عنه ونشره ، وأن يستعمل الاصلح في أعماله . ويحذر من توليه الكافرين والمنافقين أو غير الامناء والضعفاء . وأن يستشير أهل العلم والصلاح والرأى والخبرة .

هذلك يكون المجتمع قويا من الداخل محصنا ضد أي شر يترص به الدواير وخاصة الافكار الهدامة التي تستهدف القضاء على مقومات الدينية والاجتماعية .

المبحث الثاني : وظائف الامامة ، ومقاصد الحكم .

والمقصود بهذا المبحث بيان أن على الامام واجب عظيم في حماية دين الامه وصيانتها . وأن ذلك من أهم مقاصد الحكم . ومن ذلك مكافحة الافكار الهدامة وقمع مروجيها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

" فالمقصود الواجب في الولايات : اصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا اخسرانا مهينا ، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا ، واصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم " (١)

وقال الماوردي :^(٢)

" الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا " (٣)

وعلى ما تقدم يتبين أن وظائف الخلافة ومقاصد الحكم تجل في مقديين

هامين :-

الاول : تنفيذ الدين باقامة فرائضه وشرايعه ، وسط احكامه وحدوده في كافة المجالات وسياسة الدنيا به .

الثاني : الدفاع عنه وحراسته . من الافكار المخالفة ، والاهواء الجامحة والبدع المحدثه التي هي اساس الفساد ، هات التنازع والفرقة .

ولكل منهما دور في حصانة المجتمع المسلم و حمايته من الافكار الهدامة وسائر الشرور . ففي جانب تنفيذ الدين تقع المسئولية الاولى على ولي الامر فلا يجوز له أن يعدل عن شيء من الشريعة في أي أمر من الامور . وعليه أن يشرف بنفسه على تنفيذ النظم الاسلامية ، ويجتهد في اختيار القضاة ونحوهم وينشئ من الوزارات والدوائر ما يراه ضروريا لتسيير مصالح الناس ويولى عليها

(١) السياسة الشرعية ص ٣٩ .

(٢) القاضي ابوالحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى الماوردي الشافعي ، صنف : الحارى ، والاحكام السلطانية ، والنكت ، وأدب الدنيا والدين . توفي سنة ٤٥٠ هـ . في بغداد . انظر : وفيات الأعيان ٢٨٢/٣ ، وسير اعلام النبلاء

٦٤/١٨

(٣) الاحكام السلطانية ، لابي الحسن علي بن محمد الماوردي ، ص ٥ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٣٨٦ هـ .

الثقات الاقوياء الامناء . ويحرص على اقامة العدل ورفع الظلم وأن يكون الناس سواسية في الحقوق . وذلك يكون المجتمع قد أسس على تقوى من الله - وقاعدته قوية متينة .

حراسة الدين والدفاع عنه :

لاشك أن اقامة المجتمع على شريعة الاسلام وأسس التقوى هي الخطوة الاولى في بناء الدولة الاسلامية ، وهي خطوة هامة لسلامتها والمحافظة عليها . إلا أن الأهم من ذلك هو استدامته والاستقامة عليه . وذلك يتجلى في واجب حراسة الدين والدفاع عنه .

والمقصود بحفظ الدين والدفاع عنه بينه الماوردى بقوله :

" حفظ الدين على اصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الامة . فإن نجس مبتدع أوزاغ ذ وشبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب ، وأخذه بما يلزمه ممن الحقوق والحدود ، ليكون الدين محروسا من خلل والأمة ممنوعه من زلل " (١)

وهين هذا الأمر الدكتور عبد الكريم زيدان فقال :

" وحفظ الاسلام يعنى ابقا حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم وثار عليها صحابته الكرام ونقلوها إلى الناس بعده . وعلى هذا لا يجوز اى تبديل او تحريف فى هذه الحقائق والمعانى ، لان التحريف والتبديل يدخلان فى نطاق الابتداع المذموم فى دين الله - ولا يجوز التردد أبدا فى منع التبديل والتحريف بحجة حق الفسرد فى ابداء رأى وحرية الفكر والاجتهاد . . لأن الفرد إن كان مسلما فليس ممن حقه أن يبديل دين الله ، وإذا اختار لنفسه الضلالة ولعقيدته الفساد فليس من حقه أبدا أن يضل الآخرين أو يفسد عقائدهم . وإن كان الفرد غير مسلم فليس

(١) الماوردى - الاحكام السلطانية - ص ١٥٠ .

من حقه اهدا أن يخرج على نظام دار الاسلام ويشوه حقائق الاسلام وإلا كان ناقضا لعقد الذمة . ومع هذا فقد يقع المسلم في زيف أو شبهه أو خطأ نتيجة فهم سقيم أو تضليل خبيث فيجب على ولي الامر - الخليفة - أو نائبه أن يعمل على كشف الشبهة وإظهار الصواب بالدليل والبرهان حتى يظهر الحق وتقوم الحجة ، فإن أصر المبطل على باطله وسعى إلى نشره في الناس منع من ذلك وأقيم على ما يوجبه الشرع .^(١)

وقال ايضا : " ومنها ازالة المفسد والمنكرات من المجتمع كما يقضى به الاسلام إذا لا يمكن الادعاء بحفظ الدين مع ترك المفسد والمنكرات بلا انكار ولا ازالة مع توفر قدره على ذلك .^(٢)

فواجب الامام إذا أن يشرف على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويعين في كل بلد من خيار أهله الامناء الاقوياء الاثقياء من يقوم بهذه المهمة ويكون لهم خير معين ونصير . فإن ذلك من أهم وظائف الامة وأعمتها إذا مكنوا في الأرض .

قال تعالى : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهْمُ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ)
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ .^(٣)

ومن أهم الركائز التي تتحتم على ولي الامر لتحقيق هذا المقصد - وهو حراسة الدين وحفظه - قطع صلة المجتمع المسلم بالمجتمعات الكافرة والفاسقة ومنع بث افكارهم وعاداتهم وما يمت إليهم به من بين المسلمين .

والحق أن الاسلام يواجه في هذا العصر اعظم خطر فكري . ليس بكثرة الضلال وتنوع مبادئه . ولكن بوجود الوسائل الناقطة له التي تبث في وقت واحد

المادة الواحدة في ملايين البيوت .

(١) اصول الدعوة ، ص ٢٢٢ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٣ .

(٣) سورة الحج " ٤١

لذلك كان العزل الفكرى ، وتحصين الامة الاسلامية من موارد الضلال وغفونات الجاهلية الفكرية من أهم الواجبات المناطه بولاية الأمر من السلاطين والعلماء وغيرهم . وخاصة فى هذا الوقت الذى اشتدت فيه الهجمة واثرت أثرا خطيرا فى افكار المسلمين وسلوكهم . فواجب ترشيد وسائل الاعلام ، وقطع المواد المفسدة ومحاكمة الوسائل البائسة لها .

ومن ذلك ايضا منع اختلاط الكفار بالمسلمين من خلال تسهيل سفر المسلم الى بلاد الكفر والفسوق بلا حاجة شرعية . أو استقدامهم الى بلاد المسلمين دون قيود تضمن التزام غير المسلم بما جاء من أجله ، وعدم بث باطله ، واحترام شعائر الاسلام وعدم المجاهرة بالفسق .

وفى الجملة فإن واجب ولاية الامر والمحتسبين مكافحة كل منكر يطرأ فى المجتمع سواء كان سلوكيا أو فكريا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

" فأما الغش والتدليس فى البيانات فمثل البدع المخالفة للكتاب والسنة واجماع سلف الامة من الاقوال والافعال : مثل اظهار المكاء والتصدية^(١) فى مساجد المسلمين . ومثل سب جمهور الصحابة وجمهور المسلمين ، أو سب أئمة المسلمين ومشايخهم ، وولاية امورهم : المشهورين عند عموم الأمة بالخير : ومثل التكذيب باحاديث النبى صلى الله عليه وسلم - التى تلقاها أهل العلم بالقبول . ومثل رواية الاحاديث الموضوعة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومثل الغلو فى الدين بأن ينزل البشر منزلة الاله . ومثل تجويز الخروج عن شريعة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومثل الالحاد فى اسما الله وآياته ، وتحريف الكلم عن مواضعه^(٢) والتكذيب بقدر الله ، ومعاضة أمره ونهيه بقضائه وقدره . ومثل اظهار الخزعبلات

(١) المكاء : هو الصغير ، والتصدية : التصفيق .

جامع البيان لابن جرير الطبرى ج ٩ / ٢٤٠ .

(٢) الخزعبلات : الافعال والاحاديث الباطلة . انظر : معجم متن اللغة ، الشيخ

احمد رضا ، ج ٢ / ٢٦٨ . دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٧٨ هـ .

(١)

السحرية والشعبذية الطبيعية وغيرها ، التي يضاهاى بها ماللانبياء والاولياء من المعجزات والكرامات ، ليصد بها عن سبيل الله ، أو يظن بها الخير فيمن ليس من أهله . وهذا باب واسع بطول وصفه .

فمن ظهر منه شىء من هذه المنكرات وجب منعه من ذلك ، وعقوبته عليها إذا لم يتب حتى قدر عليه ، بحسب ما جأت به الشريعة من قتل أو جلد أو غير ذلك . أما المحتسب فعليه أن يعزز من أظهر ذلك قولاً أو فعلاً ويمنع من الاجتماع فى مظان التهم^(٢) .

فالواجب الاول على أئمة الامة من الامراء والحكام والعلماء هو حفظ اصول الدين . وهو المقصود الاعظم من السلطان . فيجب القيام على المبتدع فى الدين بما يكفه عن ضلال بدعته من ناحيه الولاة وغيرهم .^(٣)

والقيام على المبتدعة ودعاة الضلال يختلف باختلاف حال كل منهم .
قال الامام الشاطبى - رحمه الله - :^(٤)

" إن القيام عليهم بالثريب أو التنكيل أو الطرد أو الابعاد أو الانكار هو بحسب حال البدعة فى نفسها من كونها عظيمة الفسده فى الدين أم لا . وكون صاحبها مشتهراً بها أولاً ، وداعياً إليها أولاً ، ومستظهيراً بالاتباع وخارجاً عن الناس أولاً ، وكونه عاملاً بها على جهه الجهل أولاً .

وكل من هذه الاقسام له حكم اجتهادى يخصصه ، إذ لم يأت فى الشرع فى البدعة حد لا يزداد عليه ولا ينقص منه ، كما جاء فى كثير من المعاصى ، كالسرقة والحراصة والقتل والقذف والجراح والخمر وغير ذلك ، لا جرم أن المجتهد يبين

(١) الشعوزة : خفه اليد ومخساريق وأخذ كالسحر يرى الشىء بغير ما هو عليه فى رأى العين المصدر السابق ٣/ ٣٢٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ح ١٠٦/ ٢٨ .

(٣) انظر : بدائع السلك فى طبائع الملك ، لابي عبد الله بن الازرق ، ح ١٢٧/ ٢ . تحقيق : على سامى النشار ، وزارة الثقافة العراقية ، ط ١٩٧٨ .

(٤) ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطى الشهير بالشاطبى (ابو اسحاق) من مؤلفاته : الموافقات فى اصول الاحكام ، والاعتصام ، وعنوان التعريف باسرار

التكليف ، وغيرها . توفي سنة ٧٩٠ هـ .

انظر : معجم المؤلفين عمر كحاله ، ح ١١٨/ ١ ، ومعجم الاعلام ، لبسام عبد الوهاب

(١)

من الأمة نظروا فيها بحسب النوازل *

(٢)

ثم ذكر بعد ذلك أنواع العقوبات التي ذكرها العلماء لاهل البدع كل حسب

بدعته كما تقدم تفصيله ، وسوف أذكر هذه العقوبات بشئ من التصرف وأقسامها إلى ثلاثة مجموعات : ما يتعلق بالامام ، وما يتعلق بالعلماء والقضاة ، وما يتعلق بالمجتمع .

أولا : العقوبات التي يتولى الامام انزالها بأهل البدع :

١ - القتال : إذا ناصبوا المسلمين وخرجوا عليهم .

٢ - القتل : لمن أظهر بدعته واستتيب ولم يرجع .

٣ - الضرب .

٤ - التخريب .

٥ - السجن .

٦ - عدم استعمالهم ولاة اوقضاة ، أو أئمة وخطباء في المساجد . أوفى مجال

التدريس ونحوها .

ثانيا : العقوبات التي يتولى القيام عليها القضاة والعلماء :

١ - تكفير من دل الدليل على كفره .

٢ - الحكم بأنه لا يرثهم اقاربهم من المسلمين ولا يرثون أحدا منهم .

ولا يقبلون إذا ماتوا ولا يصل على عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين .

٣ - الأمر بأن لا يناكحوا .

٤ - تجريحهم على الجملة ، فلا تقبل شهادتهم ولا روايتهم .

(١) الاعتصام للامام ابي اسحاق ، ابراهيم بن موسى الشاطبي ، ح ١ / ١٧٥ -
دار المعرفة ، لبنان ، ط بدون .

(٢) نفس المصدر ، ١٧٥ - ١٧٧ .

ثالثا : العقوبات الاجتماعية :

- ١ - الهجرات وترك الكلام والسلام .
- ٢ - ترك عبادة مرضاهم .
- ٣ - ترك شهود جنازتهم .
- ٤ - عدم مناكحتهم أو مشاركتهم في البيوع ونحو ذلك .

ويسبق هذه العقوبات جميعا الانكار عليه باللسان ومجادلته واقامة الحجة عليه . فإن رجع ولا عوقب بما يتناسب مع مخالفته .

ولاشك أن هذه العقوبات إذا أنزلت بمن يستحقها فسوف تجعل صاحب البدعة منبوذا معزولا عن المجتمع . وذلك ينحسر شره وتخمد ناره . وإذا أُخِلَ بذلك ، فتقاس الولاة عن ايقاع العقوبات بالمبتدعين والفسدين وخاصة أهل الاهواء والافكار المنحرفة ، وتغاضوا عنهم أو قربوهم واستعملوهم فسي بعض الاعمال ، كذلك إذا أُخِلَ العلماء والقضاء بواجبهم في مجابهة اولئك بيان حالهم ومواصاة ولا قالا مرتأديهم ، ومثله إذا أُخِلَ افراد المجتمع بما عليهم ولم يهجروا المبتدعين والفساق وخالطوهم واحترمواهم ، واختل الميزان - الذى يقاس به الناس فاصبح الدنيا ومتعها بدل التقوى والسنة إذا حصل ذلك انهدم السور القريب ، والمعقل الاخير وأصبح افراد المجتمع جميعا - إلا من عصم الله - عرضة للشبهات المشككة والشهوات المهلكة - فينجم فيه النفاق وبسول وجول فيه أهل الضلال والعصمة من ذلك - بعد الله تعالى - قيام السلطان بما عليه فإنه إن استقام أقام من دونه . وإن مال كان من دونه أسرع وأقرب إلى الميلان .

وخلاصة هذا المبحث أن قيام الولاة الامر بتنفيذ الدين واقامة نظامه وشرائعه واحكامه وحدوده والصرامة في ذلك . والمقابل الدفاع عن الدين

وحراسته من كيد المفسدين فى الداخل والخارج ، والضرب على ايدي
المبتدعين والمفسدين ، فإن ذلك حصن قوى يحمى به الله المجتمع المسلم من
الافكار المنحرفة وسائر الشرور .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

أثر وضع الدولة المتمكنة في الأرض
في تحصين المجتمع ضد الأفكار الهدامة .

يحيط بالدولة الاسلامية من جميع الجهات ام كافرة . والكفر ملة واحدة وهم جميعا جند الشيطان وحزبه . والدولة الاسلامية مأوى جند الرحمن وحزبه .

والحق في صراع دائم مع الباطل إلى أن يرث الله الارض ومن عليها .
وعليه فإن الدولة الاسلامية إذا كانت قوية عسكريا ومتحدة ، آخذة بأسباب القوة وعدتها ، كان لها هيبة عند الكفار فلا يجرون على حربها والتعرض لها وذلك يسلم أفراد المجتمع من شرهم وعقائدهم الخبيثة .
وتمكن الدولة الاسلامية له وضمان :

الوضع الاول : أن تكون هي القوة الظاهرة . قد دحرت دول الباطل وكسرتها وأعلنت كلمة الله . وهذه هي قمة التمكن . وذلك تكون الدعوة الاسلامية مؤثرة ، والمسلمون يعجبون ويقتدى بهم . ولهم هيبة القوى المنتصر .

والوضع الثاني : أن يكون لديها قوة وشوكة تصال بها قوى الباطل وتدافع عن نفسها . لكنها ليست بالقوة الظاهرة المسيطرة وإن كانت محافظة على وجودها وتماسكها ولها ثقلها في النظام الدولي . وهذا الوضع يحتمى به المسلمون ويحسب له الكفر حساب . وإن لم يكونوا بتلك المكانة من حيث اعجاب الناس وشدة تأثرهم بهم . وهم مع الكفار في حالة من الحرب العسكرية والفكرية . والحرب بينهم سجال .

أما الوضع غير المتمكن الذي تكون فيه دولة الاسلام ضعيفة قد ظهر عليها الكفار وفاقوها عددا وعدة . واصبح وضعهم السياسي والعسكري والاقتصادي اقوى من وضعها .

وهي في داخلها لم تأخذ بعد بأسباب التمكين من سلامة العقيدة واخلاص العبادة ، واتحاد الكلمة واعداد العدة .

فهذا الوضع للجماعة المسلمة يجعلها مكشوفة مهدمة الاسوار امام الكفار .
فإما أن يأخذوها لقمة سائفة كما فعلت دول الاستعمار الصليبية في احتلالها
معظم العالم الاسلامي في النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجري ، وذلك
يعملون مباشرة على فرض الفكر المخالف على الناس ، بتأسيس المدارس والعلاقات
الاجتماعية والنظم الاقتصادية على مبادئ الحادية كما يوجد في بلاد الكفر .
وذلك هد للمجتمع من اساسه .

وإما أن تبقى دولة الاسلام ولكن توجه إليها ضغوط مختلفة .

فتكره على انتهاج سياسات اجتماعية و اعلامية تسمح بنشر الافكار الضالفة

والعلاقات المنحرفة التي يريد ها الكفار ويخططون لها .

كما تجبر على سياسات اقتصادية وزراعية وصناعية تضمن عدم نهوض المجتمع

المسلم في ميادين الصناعة والقوة والتجارة فيبقى بعيدا عن اسباب النصر ، ويستهلكا
دائما لصناعة الكفار .

وهذا الاسلوب الاخير أخطر من الاول . لأن الناس فيه يظنون أنهم

يحكمون بالاسلام لكون الحكام من ابناء المسلمين . كما أنهم في هذه الحالة

يَجْرُونَ إلى الانحلال والكفر برضاهم دون اكرام . أما النوع الاول فإن الناس

يأمنون ويقاومون المستعمر ويمادون ماجاء به في الغالب .

وهذا السور - اعني بقاء الامة في وضع التمكن في الارض - لا يتحقق

إلا باقامة الجهاد في سبيل الله ، والعمل المستمر في الاعداد والاهذ باسباب

القوة ، بعد اقامة دين الله في أرضه حين عباده .

وقد جاء المجال للكلام على أثر الجهاد في حماية المجتمع المسلم والله

المستعان .

أثر الجهاد في تحصين المجتمع المسلم ضد الافكار الخبيثة .

الجهاد شعيرة هامة من شعائر الايمان . أمر الله به المؤمنين وجعلها من اسباب فلاحهم .

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (١)

وقد جاهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجاهد صحابته معه ومعهم . وورثهم من تبعهم في اقامته حتى أعلى الله به كلمته ، وسط سلطان الاسلام في انحاء الارض .

ولذلك فأثر الجهاد أثر من آثار الايمان وشعائره المباركة .

وسوف استعرض بعض النصوص التي تبين أثر الجهاد في تحصين المجتمع المسلم .

فمن تلك النصوص ، قول الله تعالى :

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَاعِقُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (٢)

ففي هذه الآيات بيان لأثرين هامين من آثار الجهاد المباركة والتي

من أجلها شرع :

الأثر الاول : أن القتال وسيلة لرفع الظلم والظلم عن المستضعفين من أهل

الايمان . فالله قد أذن لهم بهذا السبب ، وفتح لهم باب الأمل

بالنصر بقوله : " وإن الله على نصرهم لقدير " بعدما

ابتلاهم ومحصهم واقتضت حكمته أن ينقلهم إلى مرحلة المجابهة

العسكرية ، وهي خطوة تقدمهم إلى وضع العزة والتمكين .

(١) سورة " المائدة " ٣٥ .

(٢) سورة " الحج " ٣٩ ، ٤٠ .

فالمسلمون في مكة كانوا مستضعفين يعذبون ويستهزى بهم ويضطرون
إلى الهجرة من بلادهم . ولما أراد الله لهم عزا وتمكيناً في الأرض ورفعاً للظلم
عنهم ، هياً لهم أسباب الجهاد بوجود الجماعة ، والمكان الذي ينحازون إليه
ويحتمون به ، والعدة ، وأذن لهم بالقتال ووعدهم بالنصر إذا استقاموا على
نصر دينه . وقد فعلوا ما أمرهم به ، وانجز لهم ما وعدهم . فدل ذلك على أن الله
اعزهم ومكنهم ورفع الظلم عنهم بالجهاد . فهو السبب الشرعي لعزة الأمة
وتمكينها في الأرض ، بعد نصر الله بالتزام دينه .

وإذا ترك المسلمون الجهاد الذي هو سبب عزهم وظهورهم رجع عليهم السذل
وظهر عليهم عدوهم .

وقد بين هذا المعنى نبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم - بقوله : " إذا تبايعتم
بالعينة ^(١) واخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله
عليكم ذلاً لا ينزعها حتى ترجعوا إلى دينكم " ^(٢)

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مبينا المراد بهذا الحديث :

" . . . أن تسلط الذل ليس هو لمجرد الزرع والحرق بل لما يقترن به من الاخلاص
إليه والانشغال به عن الجهاد في سبيل الله ، فهذا هو المراد بالحديث ، وأما
الزرع الذي لم يقترن به شيء من ذلك فهو المراد بالاحاديث المرفوعة في الحرق
فلا تعارض بينها ولا اشكال " ^(٣)

فمن فوائد هذا الحديث أن الاخلاص إلى الدنيا وترك الجهاد والاعتماد
موجب لعقوبة الله لجماعة المسلمين بتسلط الذل عليهم ، وذهاب ربحهم ، وزوال
الهيبة من قلوب اعدائهم .

(١) العينة : لها صور متعددة من أشهرها : ان يبيع الرجل للرجل شيئاً بثمن مؤجل
ثم يشتريها منه نقداً بثمن أقل . ومنها عكس الصورة المتقدمة وهي أن يبيع الرجل
سلعه بثمن معلوم نقداً ثم يشتريها بثمن أكثر منه مؤجل .
انظر : مشارق الانوار على صحاح الآثار . للقاضي عياض بن موسى السبتي ، ج ١ / ١٠٧ ط - دار التراث .
(٢) رواه أبو داود في سننه رقم الحديث (٣٤٦٢) ج ٣ / ٧٤٠ . وقال الألباني : " هو
حديث صحيح لمجموع طرقه " السلسلة الصحيحة ج ١ / ١ / ١٥ .
(٣) السلسلة الصحيحة ، ج ١ / ١ / ١٧

وفائدة أخرى هامة دل عليها الحديث ، هي بيان الطريق إلى رفع
الذل عنهم ، وأنه يكون برجعهم إلى دينهم . ومعلوم أن الرجوع إلى الدين يستلزم
من الأمة جهادا داخليا يتم داخل المجتمع المسلم وبين افراده ، بالدعوة إلى
الله والتواصي بالحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصيحة لائمة
المسلمين وعامتهم ، والغرض من ذلك مراجعة الدين وازالة ما حصل فيه من انحرافات
ومخالفات في العقائد والعبادات والمعاملات . ويشهد لذلك الرواية الاخرى في
سند الامام أحمد وفيها :

" أنزل الله بهم بلا " فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم " (١)

ومراجعة الدين خطوة تسبق الرجوع إليه وتؤدي إليه . ومن ذلك اقامة الجهاد
والعمل على الاعداد بعد اصلاح العقائد والاعمال والتخلص مما لم يأذن به الله
منها . وذلك تدخل الأمة الميدان متسلحة أولا بالايان الصحيح الذي تستوجب به
ولاية الله وتوفيقه وتسدده وعونه ورعايته ونصره .

أما الدعوة أو العمل على اقامة الجهاد كخطوة أولى دون أن تتقدمها
الخطوة التي أرشد إليها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي مراجعة الدين
والرجوع إليه ، فإن ذلك مؤداه الدخول إلى ميدان الصراع بدون ولاية الله التي
لا يتحمل عليها إلا من كان على ما أراد الله وشرعه من الاعتقاد والعمل . وهي محاولة
لرفع الذل والظلم عن المسلمين دون العمل على ازالة السبب الاول والرئيسي في
حصوله وهو الانحراف عن الدين ، والبعد عما كان عليه السلف الصالح ، وانتشار
المخالفات والبدع العقديّة والفعلية والقولية بين المسلمين ، تلك المخالفات
التي حجبت عن الأمة ولاية الله .

(١) رواه الامام احمد في مسنده ، تحقيق احمد شاکر ، رقم الحديث ٤٨٢٥ ، ح ٢٧/٨ .

الاثار الثاني : دلت الآيه " **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ...** " على اثر آخر هام حيث بينت أن القتال شرع لدفع الكفار بالمسلمين . ومرتب على ذلك انحسار أذاهم وشرهم عن عباد الله . وترك الجهاد سبب لتسلط الكفار على المسلمين ، ودهم عن دينهم ، وتخريب أماكن العبادة إما بهدمها وإزالة بنيانها ، أو صد الناس عنها بفتح ابواب الشر والفساد واللغو واللعب فينصرفوا إليها وتبقى دور العبادة خرابا من أهلها .

وقال تعالى مهينا بعض آثار الجهاد المبارك :
(١) " **وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنْتَهُمْ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** "

وقال : " **وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ آنْتَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** " (٢)

ففي هاتين الآيتين الكريمتين بيان لاثرين من آثار قتال الكفار :-
الاول : أن قتال الكفار قاطع للفتنه .

وذلك أن تعطيل الجهاد يؤدي إلى قوة الكفار وظهورهم على المسلمين فتحصل الفتنة بهم ومنهم . فيرتد بعض المسلمين عن دينهم أو يفتنوا حتى يتكوه . وهذه مفسدة اعظم من مفسدة ازهاق روحه .

قال تعالى : " **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** " (٣)

قال ابن جرير - رحمه الله - :

" وقد بينت فيما مضى أن أصل الفتنة الابتلاء والاختبار ، فتأويل الكلام : وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركا بالله من بعد اسلامه أشد عليه وأضرر من أن يقتل مقبلا على دينه متمسكا عليه محقا فيه " (٤)

١

(١) سورة البقرة * ١٩٣ .

(٢) سورة الانفال ٣٩ .

(٣) سورة البقرة * ١٩١ .

(٤) جامع البيان لابن جرير - ١٩١ / ٢ .

وقال سيد قطب - رحمه الله - :

" إن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما في الحياة الانسانية . ومن ثم فهي أشد من القتل . أشد من قتل النفس وازهاق الروح واعدام الحياة . ويستوى أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والاذى الفعلى ، أو إقامة أوضاع فاسدة من شأنها أن تضل الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله ، وتزين لهم الكفر والاعراض عنه . " (١)

الاثر الثانى : أنه بإقامة الجهاد يكون الدين لله .

والمراد بالدين هنا العبادة والانقياد والطاعة لله فى امره ونهيه . (٢)

" وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ " : إذا كان دين الله هو الظاهر على سائر الاديان (٣)

قال سيد قطب - رحمه الله - :

" غاية القتال هي ضمانه ألا يفتن الناس عن دين الله ، وألا يصرفوا عنه بالقوة أو ما يشبهها كقوة الوضع الذى يعيشون فيه بوجه عام وتسلط عليهم فيه المغريات والمضلات والفسدات وذلك بأن يعز دين الله ويقوى جانبه ويهابه اعداؤه ، فلا يجروا على التعرض للناس بالأذى والفتنة ، ولا يخشى احد يريد الايمان أن تصده عنه قوة أو أن تلحق به الأذى والفتنة . . والجماعة المسلمة مكلفة إذن أن - تظل تقاتل حتى تقضى على هذه القوى المعتدية الظالمة ، وحتى تصبح الغلبة لدين الله والمنعة " (٤)

واعداد العدو والأخذ بأسباب القوة له أثر فعال فى ارباب الاعداء القريبين والبعيدىن . فمع أخذ الدولة المسلمة بأسباب القوة نجد أن الكفار يشتغلون فى

(١) فى ظلال القرآن ، ح ٢٧٢/٢ .

(٢) جامع البيان ح ١٩٤/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ط الشعب ح ٣٢٩/١ .

(٤) فى ظلال القرآن ح ٢٧٣/٢ .

الدفاع عن أنفسهم وتحصين ديارهم فيستريح المسلمون عن شرهم وتأمرهم .
أما في حالة ضعف الدولة المسلمة فإن الكفار يتجرؤون عليها ، ويعطون فـسـى
أضعافها وزعزعت أسس قوتها بالمكر والتآمر مع طائفة المنافقين والعملاء ، أو الاعتداء
المباشر على بعض تجمعات المسلمين . أما الضغوط المختلفة التي سبقت الإشارة
إليها .

قال تعالى مبينا هذا الأثر :
" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ " (١)

ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى ثلاثة اسباب هامة ، تحصل بها الغاية
الفعالة وهي ارهاب العدو . هذه الامور هي :-

اولا : " اعداد المستطاع من القوة ، ويختلف هذا باختلاف الزمان والمكان فالواجب
على المسلمين في هذا العصر : صنع المدافع والطائرات والقنابل والدبابات
وانشاء السفن الحربية والغواصات ونحو ذلك ، كما يجب عليهم تعلم
الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الاشياء وغيرها من قوى
الحرب " (٢)

ثانيا : مرابطة الجند في ثغور البلاد وحدودها . والحكمة من ذلك أن يكون
للأمة جند مستعد دائم للدفاع عنها إذا فاجأها العدو .
وهذا الامر الهام - الذي أرشد إليه القرآن - نجد أن الامم الكافرة
التي تعمل على بسط هيبتها ونفوذها في العالم تعمل به وتولييه
عناية فائقة ، من خلال تدريب جيش للتدخل أو الانتشار السريع ، وانظمة

(١) " الانفال " آية ٦٠ .

(٢) تفسير المرافى ، احمد مصطفى المرافى ، ج ١٠ / ٢٤ مطبعة مصطفى البابى
الحلى ، القاهرة ، ط الرابعة ، ١٣٩٠ هـ .

للطوارئ* والانداز المبكر . وقواعد منظورة قريبة من اماكن الاخطار المتوقعة .
وكان الاجدار بالمؤمنين أن يعملوا بموجبه ويستنيروا بهدى القرآن ويأخذوا
بتوجيهاته فبعدد والعدة ، يأخذوا بزمام المبادرة ويحصنوا ثغورهم ويوحدوا
كلمتهم بعد أن يقيموا توحيد ربهم وشريعته . ليدخلوا الميدان حائزين
على ولايته ، مؤهلين لتأييده ونصره .

الثالث : الترفيب فى النفقة فى سبيل الله . وفى ذلك اشارة إلى أن اعداد
العدة وتهيئة الجيوش المرابطة يحتاج إلى بذل للمال الكثير وقد
رضيهم الله فى النفقة فى هذا المجال ووعدهم عليه بالاجر الجزيل
فى الآخرة ، مع ما يتحصلون عليه فى الدنيا من عزتهم وخوف عدوهم
منهم ، وسلامة دينهم ودنياهم من شره وكيد .

فإذا تحققت هذه الاسباب حصل ما رتب عليها من عزة الاسلام وأهله
ورهبه الكفار منهم . وذلك يصبح المجتمع المسلم آمناً من شرهم مطمئناً . وتصبح
حصونه الداخلية قوية منبهة تحت ظل حكومة قوية . كما ينقمع المنافقون والحاقدون
الذين يكيدون له من داخله لانهم يستندون على اعداء الاسلام ويتقون بهم .

فإذا ضعف مستندهم كبتوا وتواروا كما اخبر الله عنهم بقوله :

كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ (١)

وقال : " وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٢) "

وهذا الاثر الهام - أثر وضع الدولة المتمكن فى تحصين المجتمع المسلم -

قد فطن له علماء الاسلام ، وبينوا أهميته :

قال الماوردى وهو يعدد واجبات الامام :

" الخامس : تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظفر الاعداء "

(١) سورة " المنافقون " ٤ .

(٢) سورة " الاسراء " ٨١ .

بغرة ينتهكون فيها محرماً أو يفسكون فيها لمسلم أو معاهد دماً .

السادس : جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل فسى
الذمة ليقام بحق الله تعالى في اظهاره على الدين كله " (١)

وقال عبد الكريم زيدان ، معلقاً على كلام الماوردي :

" والحقيقة أن دفع الأعداء عن دار الاسلام ضروري لحفظ الدين وقائمه
لأن استيلاء الكفرة على دار الاسلام ضياع للاسلام وطمس لحقائقه ، وفتنة
عظيمة للمسلمين ، وزعزعة لعقائدهم بسبب حكم الكفرة له وما يبدلونه لصرف
المسلمين عن دينهم الحق بالوعد والوعيد والتلبيس والخداع أو التضليل . بل
نستطيع القول ان من لوازم وتام حفظ الدين اعلاه واظهاره على جميع أنظمة
ال كفر حتى لا يبقى للباطل حكم قائم ولا راية مرفوعة " (٢)

وقال محمد بن ناصر الجعوان :

" القتال في الاسلام عبادة عظيمة من أفضل القربات إلى الله وأكبرها
اجراً وثواباً كيف لا؟! وهو الذي بسببه تقوى ركائز الدعوة الاسلامية ، وينشط
اهلها ، وتعمق في الارض جذورها ، وهو الذي يجعل أعداء الحق يخضعون
لسلطان الله فيتركون المسلمين يؤدون عباداتهم ويطيعون دولتهم ، وينشطون
في دعوة الآخرين إلى الله ورسوله ونحن نعلم جميعاً بأن دولة الاسلام فسى
عهد مؤسسها الاول محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - لم تقم ولم يخضع
لها الكفر وأهله إلا بعد ما ارتفعت راية الجهاد عندما فرضه الله عليهم " (٣)

(١) الماوردي الاحكام السلطانية ، ص ١٦٠ .

(٢) اصول الدعوة ، ص ٢٢٢ .

(٣) القتال في الاسلام احكامه وتشريعاته ، ص ٤٤ ، مطابع المدينة ، الرياض

وذلك يتبين أن إقامة الجهاد في سبيل الله ، وتكاتف الأمة
في الاعداد له والانفاق بسخاء على ذلك يمكن للأمة في الارض ويعلى من
شأنها ، وتكسر شوكة اعدائها وبأخذهم الرعب والرهيبة منها . وذلك تبقى
حصون الدولة الداخلية آمنة من مكرهم ، قوية بقوة الأمة عزيزة بعزتها .

الخانمة

في ختام هذا البحث عن آثار الايمان في تحصين الامة الاسلامية ضد الافكار الهدامة ، والذي تم الكلام فيه - بحمد الله - في تمهيد وثلاثة أبواب ، أجمل أهم النتائج التي احتواها فيما يلي :-

١ - أن الايمان المؤثر الذي يثمر لصاحبه ولاية الله ويتحصن به ضد الشرور عامة والفكرية خاصة هو ما بينته الله في كتابه سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكان عليه سلف الامة ، وهو الذي يشمل الاعتقاد والقول والعمل .

٢ - وأنه يقوم على أسس هامة هي :-

أولا : الكفر بالطاغوت والهرطقة من الشرك وأهله .

ثانيا : الايمان بالغيب .

ثالثا : القيام بمقتضى التكليف باقتبال الاوامر واجتناب النواهي .

رابعا : الاخلاص لله في العبادة .

خامسا : صدق المتابعة للرسول - صلى الله عليه وسلم -

سادسا : العلم والبصيرة .

٣ - ان الصراع بين الحق والباطل من سنن الله الجارية الى يوم القيامة . وأنه قائم بين المؤمنين والكافرين بهتى الوسائل ومختلف المبادئ . وأنه يأخذ اشكالا ثلاثة على وجه الاجمال :

الاول : الصراع بالمجادلة والمحااجة .

الثاني : الصراع بالمرافعة والكيد والتآمر بهت الشبهات ونحوها من جنس

الشيطان ضد المؤمنين (الصراع أو الغزو الفكرى) .

الثالث : الصراع المسلح .

٤ - ان اعظم انواع الصراع تأثيرا على الامة الاسلامية هو الصراع والغزو الفكرى

الذى استهدف زعزعة الايمان وحرف السلوك بنشر الفكر الهدام .

- ٥ - ان الجهود القديمة لاعداء الاسلام من اليهود والنصارى والحاقدين ممن ابناء الفرس أثمرت الفرقة بين صفوف المسلمين ، ونتج عنها ظهور الفرق المنتسبة للاسلام التي تتبنى كل منها جملة من الافكار الجاهلية .
- ٦ - ان الجهود الحديثة المنظمة المدعومة من الدول القوية الصليبية والشيوعية ومن اليهود أثرت تأثيرا جذريا فى حرف كثير من المسلمين افرادا وجماعات عن الالتزام بالدين وتطبيقه ، وتفننوا بوسائل التضليل وأجادوها . ونشروا الفكر الخبيث بأساليب متقدمة ولاتزال تزداد مكرًا وخبثًا فى هذا المجال .
- ٧ - ان على المؤمنين التصدى لهذا الهجوم الفكرى الخبيث بمقاومته والتخلص من آثاره والعمل على وقاية المجتمع منه . وأن يكون ذلك وفق خطه مدروسة يجتمع عليها كافة افراد المجتمع ولاة وعلماء ودعاة وعامة ، ويجند لها كل الوسائل المشروعة المناسبة .
- ٨ - ان على الامة أن يدخلوا ميدان الصراع والمقاومة وهم مؤيدون بولاية الله وهذا لا يتسنى لهم الا بالالتزام الايمان الصحيح الذى يوجب لهم ولاية الله ونصره وتأييده وتوفيقه . فالتزام الايمان الصحيح والدعوة اليه وتعليمه للناس وتنشئة الناشئة عليه من أهم الاسباب لمقاومة الفكر الخبيث ، وهو الخطوة الاولى فى العمل لمجاهدته .
- ٩ - ان الآثار الايمانية التى تثمر الحصانة من الشرور الفكرية تنقسم على وجه الاجمال الى ثلاثة أقسام :-
- الاول : ولاية الله لعباده المؤمنين .
- الثانى : الأثر القلبي المتمثل فى دور الايمان وعمله فى تحصين الطوبى ممن الاغترار بالفكر الجاهلى .

الثالث : الأثر الاجتماعي ، المتصل بايتاء الشعائر الايمانية الاجتماعية
ثمتهافى تقوية الجبهة الداخلية وتماسك المجتمع وتطهيره
وحمايته من الضلالات عامة والفكرية خاصة .

١٠ - أن أهم الآثار التي يستفيدها المسلم من تحقيق الايمان والتي لها دور بالغ
فى تحصينه من الفكر الهدام هى ولاية الله عز وجل له .

١١ - أهل ولاية الله هم المؤمنون المتقون وهم على وجه الاجمال طائفتان المقربون
المحسنين والابرار أصحاب اليمين . وأهم سبب لتحصيل الولاية والذي هو
الأساس الأهم الذى يقوم عليه الايمان والتقوى هو تحقيق التوحيد واخلاص
العبادة لله والخلوص من الشرك وأهله .

١٢ - ان مظاهر ولاية الله لعبده المؤمن فى مجال تحصينه من الفكر الضال تتجلى
فى : اخراجه من الظلمات الى النور ، ويجعل له من كل ضيق مخرجاً ، ويثبته
عند الشدائد ، ويحول بينه وبين ما قد يقوم بقلبه من السوء ، ويحوطه
بعنايته ورعايته ، ومن ذلك أنه يصرفه عن الافكار الغيبثات أو يصرفها عنه
بما يهيه له من الاسباب . واذا كان العبد من المقربين المحسنين فان الله
يزيد فى عنايته له ومعيته له فلا تنبعث جوارحه وقلبه الا لما يرضى الله فيكون
فى حصن حصين من كيد الفسدين وضلالاتهم الفكرية .

١٣ - ان لله بجماعه المؤمنين - الذين حققوا الايمان فى أنفسهم وفى مجتمعهم
والتزموا ظاهراً وباطناً عقيدة وسلوكاً ودعوة وجهاداً - الطائفة الغيبة وجليسة
يحصنهم بها من الفكر الهدام ويحوطهم بعنايته ورعايته ، ويهديهم
الى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، ويخرجهم من الظلمات الى النور
ويصرف عنهم كيد عدوهم ، وهو معهم دائماً يدافع عنهم فى جميع احوالهم
واطوارهم ، يهيه لهم الاسباب التى تصرفهم عن الباطل أو تصرفه عنهم .

- ١٤ - أنه يقوم بالقلب أهم الوظائف الانسانية مثل : التعقل ، والاعتقادات ، والارادات والنيات ، والعواطف والانفعالات .
- ١٥ - ان التعقل هو الوظيفة الهامة في التأشير على بقية الوظائف القلبية .
واذا كان العلم المتعقل الواصل الى القلب صحيحا انصبغت بقيه الوظائف به ومالت الى موجبه . والعكس بالعكس وبذلك تتبين أهمية شعيرة العلم في التأشير في صلاح القلب وعمرانه بالخير واستغنائه بالوحي عن أفكـار الجاهلية .
- ١٦ - ان حياة القلوب او مرضها او موتها موقوف على صلاح افساد ما فيها وهي باعتبار ذلك ثلاثة أنواع : قلب ميت ، وقلب مريض ، وقلب حي .
- ١٧ - القلب المحصن ضد الافكار الهدامة والويل الى الباطل هو القلب الحي العامر بالايمان .
- ١٨ - أن أثمر الايمان على القلوب دائريين تطهيرها وتزكيتها . ولكل منها دور في حصانه القلب وسلامته وتجافيه عن السوء والفكر الخبيث .
- ١٩ - أن التطهير مقدم على التزكية وهو شرط لها .
- ٢٠ - ان أثمر الايمان في تطهير القلب يتجلى في ثلاثة أمور : الاول : تطهيره من العقائد الباطلة والظنون السيئة . والثاني : تطهيره من السران ودرن المعاصي ، والثالث : تطهيره من العواطف الفاسدة .
- ٢١ - أن تعقل القلب للعلم المستقى من الوحي المطهر وقبوله له هو العامل الأهم في تطهير القلب من العقائد الباطلة والظنون السيئة الناتجة عنها ويتجلى ذلك بوضوح بالعلم بالله بمعرفة اسمائه وصفاته وحقه على عبادة وتحقيق التوحيد .

٢٢ - ان العقائد الباطلة والظنون السيئة ثغرة في القلب تميل به الى ما يشاكلها من الفكر الجاهلي .

٢٣ - ان هذه الأهمية لمباحث التوحيد في تخليص القلب من المعتقدات والظنون الباطلة تبين الحكمة من العناية العظيمة بتقرير مباحث التوحيد في الكتاب والسنة وأهمية دراستها ووجوب الهدى بها علما وعملا .

٢٤ - ان كثيرا من المسلمين اليوم بحاجة الى تطهير القلوب والمناهج مما شابهها من المعتقدات الباطلة والظنون السيئة التابعة منها .

٢٥ - ان ران الذنوب يغطي القلب وينتج عنه قطع الصلة بالله ، وظلمة القلب ويغذى مادة الشرفيه . وذلك تضعف ولاية الله له ، ويسير بلان نور وهدى ويقوى ميله الى الباطل ويسهل تقبله للفكر الهدام . وتصبح اسوار القلب مهددة امام شياطين الانس والجن الذين يزينون ويقذفون به الباطل والشبهات .

٢٦ - ان تطهير القلب من الران ودرن المعاصي أثرها من آثار الايمان وان ذلك يتم بفعل المكورات ، وهي الاعمال الصالحة التي جعلها الله من رحمته تكرر الذنوب وتُمحها بها الخطايا . وذلك يحافظ القلب على سلامته ونوره وتقوى فيه مادة الخير ، وتقل نوازع الشر ، وتقوى صلته بالله حيث يزال ما يجثم على القلب من الران وتكاد المعاصي اولا بأول بفعل المكورات . فيبقى القلب على درجة عالية من حب الايمان وكره الكفر والفسوق والعصيان ، فلا يميل الى الافكار الهدامة ولا تستهويه ولتولد في قلبه شئ منها - مما يلقيه الشيطان - او عرضها عليه شياطين الانس لكان فيه من النور ودوامي الخير ما يكشفها ويحرقها وينفرا القلب منها .

٢٧ - ان العواطف الفاسدة المتمثلة فى : حب التآله المتوجه الى غير الله ، وحب الشهوات المحرمة كالحرص على المال ، وحب الفواحش من الزنا واللواط ، وحب المسكرات والمخدرات ، والحقد والحسد النابعان من عاطفة الكراهية هذه العواطف الفاسدة تمثل شجرة فى القلب يتسلل منها الفكر الهدام اوتميل بصاحبها الى اسبابه ، ويستغلها اعداء المؤمنين للنيل منهم .

٢٨ - ان أثر الايمان فى تطهير القلب من داء الحرص على المال والدنيا يتجلى فى دراسة التوحيد وتقوية الاعتقاد بمعرفة أسماء الله وماتدل عليه من الصفات والافعال ، والتوكل على الله والايمان بالقدر . كما يتجلى باقامة الصلاة - والمداومة والمحافظة عليها . وأداء الزكاة والنفقات .

٢٩ - ان أثر الايمان فى تطهير القلب من محبة الفواحش يتجلى فى اعتقاد التوحيد الذى يعمر القلب بمحبة الله والخشية منه نتيجة لمعرفته باسمائه وصفاته وافعاله . كما يتجلى بأثر الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر . وفى الذكر الذى يحصن العبد من عدوه الشيطان ويوجب ذكر الله له . وفى الصيام الذى يزيد فى تقواه وقربه من مولاه ، ويضعف الشهوة ويكسر حدتها .

٣٠ - ان الحسد مرض قلبى يضر بصاحبه فيحطه على رد الحق ، والشر والعدوان . فقد كانت امهات المعاصى الكبار الدافع اليها الحسد . كما انه مرض اجتماعى يورث العداوة والبغضاء ويعمل على البغى والعدوان . فهو بذلك شجرة يتسلل منها شياطين الانس والجن لتضيق المسلمين وافساد دينهم ودنياهم وحث الافكار الخبيثة بينهم .

٣١ - ان أثر الايمان فى تخلص القلوب من داء الحقد والحسد يكمن فى ازالة الدوافع لها بتقوية الايمان بتعليم الناس أسماء الله وصفاته وافعاله وغيرها من حقائق التوحيد ، وفرض الزكاة والحث على الانفاق ، وتحريم الربوا والتحرير على التعاون والتكافل بين المسلمين والامر بانفشاء السلام وحسن الخلق .

- ٣٢ - ان أثر الايمان فى تطهير القلوب هو أثر هادم للوظائف الذميه القائمة بالقلب والتي تشمل شغرات ومداخل فى حصته تتسلط عليه من خلالها الشياطين بوساوسهم وافكارهم الفسدة .
- كما ان أثر الايمان فى تزكية القلوب هو أثر باني - باذن الله - للخصال الحميدة فى القلب والتي يتحصن بها ضد اعدائه ومخططاتهم الرامية الى التسلل اليه وافساده .
- ٣٣ - ان أثر تزكية القلب بالايمان فى تحصينه ضد الفكر الهدام انما يكون بما يحصل فيه من الطمأنينة والنور والبصيرة .
- ٣٤ - ان القلق المرضي الذي يقوم بالقلب له عدة اشكال منها قلق القلب وتشوقه للعلم المصحوب بأى نوع من عدم الثقة او القناعه بالوحي . ومنها القلق الناتج عن مخالفة الفطرة بالمعصيان .
- وهى تثل شغرات تدفع القلب الى الفكر الهدام . فالنوع الاول : يدفع الانسان الى البحث عن العلم والمعرفة فى كتب الفلاسفة أوزيرهم . والنوع الثانى : يدفع صاحبه الى التخلص منه بوسائل الترفيه التي تحتوى غالبا على الفكر الهدام او تكون صائد لايقاع الناس فيه .
- ٣٥ - الطمأنينة هى فنى القلب وركونه الى الايمان الذي يتحصن به من كل شر فكري يؤثر فى عقائده او عاطفى يخل بمشاعره و اراداته .
- ٣٦ - ان السبب الوحيد لطمأنينة القلوب وشفائهما من أمراضها وزوال قلقها ووحشتها هو ذكر الله . وذكر الله يعد له الواسع الشامل لكل ما يُذكر بالله اُذكر الله به . ويجمع ذلك تحقيق الايمان بالعلم بما نزل من الوحي والعمل به . فالايمان بمختلف شعبه يجلب للقلب الطمأنينة . فاذا تغذى القلب من العلم المستقى من الكتاب والسنة وانصبغت عقائده ومواقفه وانفعالاته و اراداته بذلك

اطمأن وسكن ، وكلما زاد الايمان زادت الطمأنينة واستغنى القلب وعظم
انفكاكه وابتنعاده عن افكار الجاهلية واعمالها .

٣٧ - ان شعب الايمان المؤثرة في حصول الطمأنينة هي تلك التي تحقق للقلب
ما يصبو اليه ويتطلع لتحصيله من المعلومات والمحبهات التي توجد به الخير
والصلاح وتعمل على قوته وثباته واستقراره .

فهو يعرف بالعلم ما يتطلع اليه من معرفة خالقه وماله ومدبره باستشعاره
لاسماء الله وماتدل عليه من الصفات والافعال . ويعرف دوره في الحياة
والأمر الذى خلق من أجله . ومبدأه وغايته ومصيره . ويتجلى ذلك بمعرفة وتحقيق
توحيد الالهية الذى يحمى النفس من الصراع والتشتت ويجلب للقلب
السكينة، وبالايان باليوم الآخر الذى يجعل للحياة معنى وغاية .

٣٨ - ان التوكل على الله يلبي للقلب حاجة جبل عليها وهى تطلعه الى ركن شديد
يعتمد عليه ويبركن اليه فى حصول الخير ودفع الشر . والتوكل حصن يحمى
العبد من الفزع او الاعتماد والركون الى اعداء الله فيؤثرون عليه ويستجرونه
الى فكرهم الخبيث أو يستخدمونه لتحقيق هذا الغرض كما يفعلون بالمنافقين
الذين قلَّ اعتمادهم على الله وركنوا الى اعدائه من اليهود والنصارى
وضيرهم .

٣٩ - ان العلم والايمان بالقدر وادراك العبد للفرق بين الامر الكونى القدرى
والامر الشرعى التكليفى ومعرفة الاستجابة المناسبة لكل منهما اثر عظيم
فى سكون النفس وطمأنينة القلب واستقراره ورضاه بالله وعن الله وزوال القلق
الدافع الى الافكار الهدامة او مواردها .

٤٠ - ان تزكى القلب بالايمان القائم على الاخلاص والعلم المستمد من الوحى
المطهر يوجد فى القلب نورا وفرقا ناهدى صاحبه الى مواطن الخير ويكشف

له عن مواطن الهلكة والضلال . كما يصبح في القلب بلكة وحساسية يتذوق بها ما يلائمه من الخير فيميل ويسكن اليه . وما ينافره من الشر فيشتمز منه وينفر وواعظا يذكره بالله . وهذه حصون يتحصن بها القلب ضد أى فكر يستهدف زعمته عقائده او حرف عواطفه والميل باراداته . تقوى هذه الحصون كلما قوى العلم والايمان وتضعف بضعفها .

٤١ - بيان الآثار الاجتماعية التي يتحصن بها المجتمع المؤمن الذى التزم شعائر الايمان ويطبقها حيث تقوى فيه الرابطة الايمانية وتسود الاخلاق الفاضلة وتطبق النظم الاسلامية فى البيع والشراء وسائر العلاقات وتقام الحسنة ووظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ونحوها .

وقيام ولى الامر بدوره فى تنفيذ الدين وسياسة الدنيا به وحمايته والدفاع عنه وأقامة شعيرة الجهاد التى يعز الله بها عباده المؤمنين ويمكن لهم فى الارض ، هذه الامور جميعا تشمل أسوارا وحصونا يحمى الله بها المجتمع من شرور الجاهلية عموما وفكرها النجس خصوصا . واذا اختل احدها كان شجرة ينفذ منها شر الجاهلية وفكرها الخبيث .

٤٢ - ان الرابطة الايمانية هى أهم الاسر التى يقوم عليها المجتمع المسلم وبالتالى فهى أهم وأقوى الحصون التى تحصن المجتمع من كيد اعدائه وأفكارهم السمومة وتخطيطاتهم الخبيثة .

٤٣ - ان أهم العوامل التى تنمى الرابطة الايمانية هى :-

- ١ - التزام الاخلاق الفاضلة .
- ٢ - القيام بالحقوق المفروضة لبعضهم على بعض .
- ٣ - التزام النظام الاجتماعى والاقتصادى الاسلامى .
- ٤ - المحافظة على الوحدة الفكرية .

- ٤٤ - ان كلا من هذه العوامل يمثل لبنة في حصن المجتمع بقيامها بتماسك وتقوى رابطة ، وضعفها اوزوالها يهتز بناه المجتمع ويدب فيه الفساد ، ويصبح فيه منافذ للشُرور الفكرية وغيرها .
- ٤٥ - ان التزام الاخلاق الفاضلة له أثر في تقارب المؤمنين وصلاحهم وقربهم من الله فتسود المحبة والالفة ويتعاملون بالمودة والتراحم والتعاون وتوجد الثقة بينهم ، ويحب كل منهم لآخر ما يحبه لنفسه ، فيسود بينهم الرضى والأمن . وتصبح جبهتهم الداخلية قوية متحدة يصعب على العدو اختراقها .
- أما التفريط بالاخلاق الفاضلة فله أثر في بعد المسلمين عن ربهم ، وتناثر قلوبهم وضعف الرابطة التي تشدهم ، وتنبعث بذور الفرقة والشرب بينهم وذلك يصبح الجو مهيأ لاعدائهم لنشر الافكار الخبيثة التي تفرق بينهم وتجرحهم الى المهالك .
- ٤٦ - ان لقيام افراد المجتمع بالحقوق المفروضة لبعضهم على بعض أثر هام في قوة الرابطة الايمانية التي تربط بينهم كما تقوى صلة المجتمع بالله ، فيصبح المجتمع قويا متماسكا صعبا على المفسدين .
- واذا ضعفت الحقوق حصل التذمر والخصام والعداوة ، وتضعف الرابطة وتقل ولاية الله لهم فيصبح حصن المجتمع ضعيفا يسهل اقتحامه .
- كما أن الخلل الناتج عن تضييع تلك الحقوق يضاعف ثقة بعض افراده - من قل حظهم من العلم والايمان - بنظام الاسلام وتعاليمه فيحطهم ذلك على تطلب البدائل في مستنقعات الشرق والغرب وافكارهم الفلسفية العفنة .

٤٧ - ان الالتزام الدقيق بالنظم الاسلامية ضرورى لاستقرار حياة الناس واقامة العدل بينهم وحفظ حقوقهم وانتشار الأمن والأمل فى نفوسهم ، فينطلقون فى ميادين الحياة بثقة وجد للعمل على اصلاح دينهم وديناهم وبذلك يترسخ رباط الاخوة ويستحكم ويتعاونون فى سعيهم وكدهم وهم فى أمن من بواعث الشر والنزاع بفضل صلاحية النظام وشموله ومراعاته لمبادئ الاخلاق والعدل .

٤٨ - ان الاخلال بشىء من النظم الاسلامية تحصل من جرائم الفوضى والقتل والظلم والعدوان ، وينجم النفاق والبلبة الفكرية ، والخلاف السياسى ، - فتنتقطع الارحام وتضيع الحقوق .

واذا زاد التحلل من النظام الاسلامى اختل المجتمع ، وشغل الناس بأنفسهم وأهوائهم وذهلوا عن العبادة والعلم ، فيضعف الايمان وتقل رابطته ، ويفشل المسلمون وتذهب ريحهم ، وتُزَيِّغ كثيرا منهم الاهواء ، وتتخطفهم الفتنة القائمة على الافكار الهدامة .

٤٩ - ان النظم الاسلامية كثيرة . وكلها لها اثر فى تقوية الرابطة بين المؤمنين وتحصين المجتمع من الشرور الفكرية . الا أن نظام الجزاء والعقاب ، والنظام الاقتصادى الاسلامى لهما اثر بارز هام وخطير فى تحقيق ذلك .

٥٠ - ان اقامة الحدود والتعزيرات حصن هام يبقى المجتمع سائر الشرور وخاصة الافكار الهدامة فلاهد من الصرامة والحزم فى تطبيقها على من استحقها وفق الضوابط الشرعية .

٥١ - ان عقاب المفسدين فى الارض بترويح الفساد الفكرى واجب ايقاعه والصرامة فى تنفيذه سواء كان حدا يشمله عموم المحاربة لله ولرسوله ، وعموم الانساد فى

الارض اوكان ذلك من باب قياس الاولى لان افسادهم أشد وخطرهم أعظم فكان انزال العقاب بهم أوجب ، أوكان ذلك من باب التعزير . وهذا العقاب يمثل حصنا مهما يحمى به الله المجتمع من الشرور الفكرية ودواعيها .

٥٢ - ان النظام الاقتصادي الاسلامى يقوم على أسس متينة تتحلل فى استمداده من العقيدة الاسلامية ، ومراعاة الفطرة الانسانية ، وقياه على الاخلاق الفاضلة ، وسد حاجات الناس المعيشية .

وإذا التزم المسلمون به استقامت حياتهم ، وانتظم تعاملهم ، وانقطعت بوادر الشر والحقد والحسد والظفينة والبغضاء ، وأمن الناس على أرزاقهم ومآلهم فتتماسك جبهتهم الداخلية .

٥٣ - والاخلال بالمعاملات الاقتصادية الشرعية وتعدي حدود الله فيها يؤدي الى اختلال المجتمع وتغيير القلوب ، ويعتب بعضهم على بعض ثم يحقد ويحسد . فتختل الاسوار الواقية للمجتمع والعاملة على تماسك سلامته فيضطرب النظام الاجتماعى ، وتضعف الرابطة الايمانية ، ويقع الشربين المسلمين ، ويصبح المناخ مهياً لشياطين الانس والجن للعمل على الايقاع بينهم وبث المبادئ الفاسدة والشبهات المزخرفة والمذاهب الاقتصادية المتخبطة .

٥٤ - ان المحافظة على الوحدة الفكرية المتثلة بعلی* قلوب الناس وانارتها بالمعاشد الحقّة والمفاهيم الصحيحة واستئثار الوحي المطهر بذلك ، ينتج عنه تقارب وانسجام فى تفكير افرادها ، فهو ضرورة اجتماعية لازمة لاتحاد المسلمين وقوة رباطهم الايمانى .

٥٥ - ان تخلف الوحدة الفكرية والتفريط بالمحافظة عليها ينتج عنه امران خطيران :
الاول : الفراغ الفكرى الناتج عن انتشار الجهل وانصراف الناس عن العلم .
الثانى : الفرقة الفكرية او الفوضى الفكرية حيث تنتشر المعارف وتقوى حركة
التعلم مع اختلاف المشارب الفكرية .

٥٦ - ان النتيجة النهائية للفراغ الفكرى : هى أن يسود المجتمع خلبط من الافكار
الفاسدة والخرافات والتصورات والعادات الجاهلية . ويصبح المجتمع
مفتوح الثغور لكل فكر ضال .

ونتيجة الفوضى الفكرية أشد وانكى حيث يتوزع ابناء المجتمع المسلم الى طوائف
كل طائفة تسير خلف فكرة ومبدأ ، ويزخرف كل فريق مبدأه . والمجال مفتوح
لكل منهم بحجة الحرية الفكرية ويجد كل فكر خبيث خارجى فئة فى المجتمع
تسير على مبدئه فيعمل من خلالها . وقد يتمادى الحال تحت هـذـه
الظروف فيتجرأ المفسدون على مدح الكفر والالحاد والتشكيك والاستهـزـاء
بمسلمات الدين بلا خوف ولا حياء .

وهذا يتفكك المجتمع ويمادى بعضه بعضا ، وتزول رابطة الايمان كرباط
مشترك لجميع افراده . ويتعذر مع ذلك الاجتماع على تحكيم نظم الاسلام
فتتعالى الاصوات للاجتماع على العلمانية والديمقراطية ، وبذلك يُطَمَسِن
الاسلام فى الصميم ويُقْصَى عن حكم الناس . ويحشر فى دائرة ضيقه لا تتعدى
الحرية الشخصية .

٥٧ - ان المحافظة على الجانب الفكرى امر مهم جدا وانما يتم باخلاص التلقى
والتعلم من الوحي الكريم والاستغناء به فى سائر الجوانب العقديـة
والعبادات والاخلاق والآداب ، وذلك أصل قرره الكتاب والسنة وسار عليه
السلف الصالح وكثير من العلماء العالمين ويتحقق ذلك باذن الله بالعمل

في اتجاهين هامين : الاول : التطهير ، والثاني : التزكية .

٥٨ - ان تطهير الجانب الفكرى فى المجتمع الاسلامى من الفكر الدخيل يتسم بخطوات أهمها :

أولا : عزل المجتمع المسلم عن افكار وثقافات وآداب المجتمعات الجاهلية .
ثانيا : تطعيم افراد المجتمع المسلم ضد الافكار الجاهلية التى يخشى من تسلبها اليهم ، ويكون ذلك بنقد وتفنيد الاسس والى الهادى التى تقوم عليها تلك الافكار ودحض حججها وبيان بطلانها . والمقابل التركيز على بيان محاسن الاسلام ومزاياة العظام .

ثالثا : تنقية الفكر المنسوب للاسلام فى جميع ميادين من الفكر الدخيل الزائف .

٥٩ - ان المحافظة على الوحدة الفكرية تستلزم تزكية افراد المجتمع بالتوسع فى نشر عقائد الاسلام وتعاليمه المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - على فهم السلف الصالح .

٦٠ - ان العمل فى جانب التزكية الفكرية انما يتم بالعناية بالاسره - وخاصة المرأة - تعليما وتربية على العقيدة السليمة والخلق الفاضل ، والاعتزاز بالاسلام والحماس له . وتسخير كافة الجهود والوسائل لتحقيق هذا الغرض . وان تكون رسالة التعليم والتربية والاعلام والمسجد واحدة هى رسالة الاسلام ووظيفتها هى الدعوة اليه والدفاع عنه واعداد اجيال تطبق الاسلام تطبيقا سليما وتتحمس له ، وتنهض به ، عالمة عاملة مؤهدة .

٦١ - ان العمل على المحافظة على مقومات المجتمع انما يكون بالتواصى بالحق والدعوة الى الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتعاون على ذلك والصبر والثابرة فى سبيل تحقيقه .

- ٦٢ - ان هذه الشعائر الایمانیة كما انها لازمة لقوة ومتانة الرابطة الایمانیة
فهی ایضا حصن یقی المجتمع من الفكر الخبیث وسائر الشرور .
- ٦٣ - ان الامر بالمعروف والنهی عن المنکر قضية مصیریة یترتب علیها احتفاظ
الامة بمسارها الاسلامی ، وهی وظيفة اجتماعیة ینبغی ان تحظى بعناية
المسلمین اجمعین . ولهذه الشعیرة المباركة أهمية بالغة فی مجابهة
العاطلین علی افساد المجتمع الاسلامی .
- ٦٤ - ان أسالیب الاعداء فی نشر الافکار الضالة والشبهات المزخرفة لا یتسنی
لها النجاح الا بغیاب أضعف وظيفة الامر بالمعروف والنهی عن المنکر
فاقامة هذه الشعیرة ضمانه للمجتمع من التلوث الفکری والاخلاقی لذلك یجب
ان تكون الامة یقظة مهتة باقامتها ، ومن ذلك الحسبة علی وسائل الاتصال
العامة من أن یتطرق الیها خلل یسمح للفسدین بمخاطبة المجتمع
أو نشر تلبیساتهم .
- ٦٥ - ان اقامة ولی الامر - امام المسلمین - واجب من واجبات الدین ومن أهمها
لما یترتب علیه من صلاح الدین والدنیا فی المجتمع المسلم .
- ٦٦ - ان الامام اذا کان عالما بهما ومقاصد الحكم عازما متحمسا لتنفيذها ، والتزم
بتولیة الاصلح ، والمشاورة لاهل العلم وفیهم من أهل الرأى والاختصاص ،
قائما علی واجب الدفاع عن الدین ومن ذلك مقاومة الافکار الهداة والداعین
الیها فان ذلك كله یمثل حصنا یقی الله به المجتمع الاسلامی من شرور
الجاهلیة الفکریة وفیرها .
- ٦٧ - ان وضع الدولة الاسلامیة غیرالمتکون الذی تكون فیها دولة الاسلام ضعیفه
قد ظهر علیها الکفار وقواؤها عدداً وهدة ، واصبح وضعهم السیاسی

والعسكري والاقتصادى أقوى من وضعها . . . وهى فى داخلها لم تأخذ بعد
باسباب التمكين من سلامة العقيدة ، واخلاص العبادة واتحاد الكلمة ، واعداد
العدة ، هذا الوضع يجعلها مكشوفة مهدمة الاسوار امام الكفار . فاما أن يأخذوها
لقمة سائفة فتقع تحت حكم الاعداء مباشرة فيفرضون عليها الفكر الهـيـام
ويؤسسون له فى كل المجالات .

وأما أن تبقى دولة الاسلام ولكن توجه اليها ضغوط مختلفة فتكره على
انتهاج سياسات اجتماعية واعلامية تسمح بنشر الافكار الضالة والعلاقات
المنحرفة وتكره على سياسات اقتصادية وزراعية وصناعية تضمن
عدم نهوض المجتمع المسلم فى ميادين الصناعة والقوة والتجارة فيبقى بعيدا
عن اسباب النصر والتمكين ، وستهلكا دائما لصناعة الكفار .

٦٨ - ان الجهاد شعيرة هامة من شعائر الايمان . أمر الله به المؤمنين وجعله
من أسباب فلاحهم . له آثار هامة فى مجال قوة المجتمع المسلم وتحصينه
ضد الشرور عامة والفكرية خاصة فمن هذه الآثار :-

اولا - ان القتال وسيله لرفع الذل عن المستضعفين من أهل الايمان .

ثانيا - أنه به يدفع شر الكفار الذين يعملون على فتنه الناس عن الحق
والافساد فى الارض ومن ذلك نشر الفكر الخبيث .

ثالثا - انه باقامة الجهاد يكون الدين كله لله .

٦٩ - ان اقامة الجهاد يتطلب الاعداد الجيد المسبق لكى يؤتى ثماره . وهـذا
الاعداد يتشمل فيما يأتى :-

أولا : الجهاد الداخلى الذى يتم داخل المجتمع المسلم وبين افراده ،
بالدعوة الى الله والتواصى بالحق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر
والنصيحة لائمة المسلمين وعامتهم ، والغرض من ذلك مراجعه الدين
وازالته ما حصل فيه من انحرافات ومخالفات فى العقائد والعبادات
والمعاملات .

- ثانيا - اعداد المستطاع من القوة .
ثالثا - اعداد الجنود وتدريبهم ومرابطتهم في شغور البلاد وحدودها .
رابعا - الانفاق في سبيل الله على اعداد القوة وتهيئة الجيوش ومايلزم
لذلك .

٧٠ - ان اقامة الجهاد في سبيل الله ، وتكاتف الامة في الاعداد له والانفاق
بسخاء على ذلك يمكن لها في الارض وعلى شأنها ، وتكسر شوكة اعدائها
وأخذهم الرعب والرهيبة منها ، وذلك تبقى حصون الدولة الداخلية
آمنة من مكرهم قوية بقوة الامة عزيزة بعزتها .

٧١ - ان الثمرة الجامعة لهذا البحث هي القناعة بأن العناية بتطبيق الايمان
الصحيح وفق معالمة المينة في الكتاب والسنة ، والتي التزم بها وبنها
سلف الامة الصالح ، والتركيز على هذا الامر ، واعطائه الأولوية في كل
السياسات وفي جميع المجالات ، والتزام العلماء والدعاة والقادة على
المستوى الفردي وعلى مستوى الجماعات والدول به ، يجعله المحور الذي
تبنى عليه المناهج وتنشق منه جميع النشاطات . ان العناية بذلك
وظهور أثره في المجتمع متشلا بسلامة العقيدة والاستجابة لله ولرسوله
- صلى الله عليه وسلم - في جميع الامور ، سوف يحدث تغييرا جذريا في
حياة الامة ، وفي ولاية الله لها ، وفي علاقاتها مع بعضها ، ووضعها بين
الدول .

فتسود الالفة والوحدة على التوحيد بدلا من الفرقة . وتكون الامة بعين
الله يكلوها ويسددها ويهيديها لاسباب عزتها ، وبهي لها من كل ضيق مخرجا
ومصبح لها وزن وثقل وقوة لا يستهان بهما بين الامم ويمكن الله لها في الارض يقوى
ذلك ويزيد كلما زادت العناية بالايمان علما وعملا ويضعف بضعفه .

وفى الغتام احمد الله عودا على بهد * . فالحمد لله اولا وآخرا ، والحمد لله
الذى بنعمته تتم الصالحات . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
" سورة الفاتحة "		
٥	٣٥٠	١ - " اياك نعبد و اياك نستعين
" سورة البقرة "		
١-٣	٢٣٠، ٢٣٤، ٢١٦	٢ - " الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . . . الى قوله : " وما رزقناهم ينفقون " .
٤	٢١	٣ - الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك . . .
٧	٢١٣، ٤٥	٤ - " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم . . . "
١٠	٢١٨	٥ - " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون . "
١٤، ١٥	٤٤٩، ٣٤٥	٦ - " واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . . . " الى قوله : " في طغيانهم يعمهون " .
٢١، ٢٢	٣٤٧، ٣٣٤، ٢٤	٧ - " يا ايها الناس اهدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم . . . " الى قوله : " وانتم تعلمون " .
٣٠	٣٥٠	٨ - " واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة . . . "
٣٧	٣٧	٩ - فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم
٤٣	٣٤٧	١٠ - " واقموا الصلاة وآتوا الزكاة . . . "
٤٤	١٨٦	١١ - " اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم . . . "
٧٤	٢١٧	١٢ - " ثم قهت قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو شدة قسوة . . . "
٩٠	٤٦	١٣ - " بعدما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده . . . "
٩٣	٢٠٩، ١٩٨	١٤ - " واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور . . . "
١٠٢	٣٠٩	١٥ - " وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفروا
١٠٥	٤٦	١٦ - " ما يهود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم . . . "
١٠٩	٤٦، ٥٢، ٢٠٩، ٣٨٩، ٤٤٩	١٧ - " ود كثير من أهل الكتاب ليهود ونكم من بعد ايمانكم كفارا ..
١١٢	٣٣٦	١٨ - " بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن . . . "
١٢٤	١٢٣	١٩ - " واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن . . . "
١٣٩	٢٧	٢٠ - " قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم . . . "

فابع فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٤٣	٢٨٢، ٥	٢١ - " وما كان الله ليضيع إيمانكم "
		٢٢ - " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم . . . الى قوله : " واشكروا لى ولا تكفرون "
١٥٢، ١٥١	٢٨٤، ٣٥٢	٢٣ - " يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة "
١٥٣	٢٨٥	٢٤ - " ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع . . . السى قوله : " وأولئك هم المهتدون "
١٥٤-١٥٥	٣٥٣، ١٢٢	٢٥ - " واليهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم "
١٦٣	٢٥١، ١٧	٢٦ - " ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . . . ٢٧ - " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله . . . ٢٨ - " واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما آلهنا . . . ٢٩ - " ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينفق بما لا يسمع الا دعاء ونداء . . . ٣٠ - " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ٣١ - " يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . . . ٣٢ - " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن . . . ٣٣ - " واذا سألك عبادى عنى فانى قريب . . . ٣٤ - " والفتنة أشد من القتل " ٣٥ - " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله " ٣٦ - " يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة . . . ٣٧ - " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مشرين ومذريين . . . ٣٨ - " كتب عليكم القتال وهو كره لكم . . . ٣٩ - " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا . . . ٤٠ - " لا يؤاخذكم الله باللغو فى إيمانكم . . .
١٦٤	٢٥٢	
١٦٥	٢٥٢	
١٧٠	٢٠٩، ٤٦	
١٧١	١٨٧	
١٧٧	٣٥٣، ٢٧٥، ١١٨	
١٨٣	٢٨٥	
١٨٥	٣١٦، ٢٣٠	
١٨٦	٣٤٢	
١٩١	٤٧١، ٤٠٣	
١٩٣	٤٧١	
٢٠٨	٢٤	
٢١٣	٤٣، ٤٠، ٣٩، ٣٧	
٢١٦	٢٠٦	
٢١٧	٤٥٠، ١٦٩، ٩٩	
٢٢٥	١٩٤	

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية</u>
٢٤٧	٤٤٦	٤١ - " قال ان الله اصطفاه عليكم . . . "
٢٥٣	٤٧	٤٢ - " ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات . . . "
٢٥٦	٢٢٤ ، ١٦١ ، ١١١ ، ٣٦١ ، ٢٢٨	٤٣ - " فمن يكفر بالطاقت ويؤمن بالله الآية
٢٥٧	١٦٥ ، ١٦٢	٤٤ - " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور " الى قوله " هم فيها خالدون "
٢٦٠	٣٠٧	٤٥ - " واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تحمى العوتى "
٢٧٩ ، ٢٧٥	٢٩٦	٤٦ - " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس "
٢٨٠	٢٩٧	الى قوله : " لا تظلمون ولا تظلمون "
٢٨٢	٤٤	٤٧ - " وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة "
٢٨٦	٣٥٤	٤٨ - " واتقوا الله وعلمكم الله "
		٤٩ - " لا يكلف الله نفسا الا وسعها "
		سورة " آل عمران "
٨	٢١٩	٥٠ - " ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا "
١٤	٢٥٥	٥١ - " زين للناس حب الشهوات "
١٩	٣٩	٥٢ - " وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم "
٣١	٢٩٩ ، ٣٠	٥٣ - " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله "
٧٢	٤٠٥	٥٤ - " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار "
٩٢	٢٧٥	٥٥ - " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .. " الآية
١٠٠	٤٤٩	٥٦ - " يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب "

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	
١٠١	٢٣٨	٥٧ - " وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم
١٠٢	أ	٥٨ - " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون "
١٠٥	٤٣٩، ٤٣١، ٤٩	٥٩ - " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات . . . "
١١٠	٤٣١	٦٠ - " كنتم خير أمة أخرجت للناس . . . "
١٢٠	١٧٨	٦١ - " ان تمسككم حسنة تسؤهم . . . "
١٣٥	٢٤٦، ١٢٣، ٣٥٣	٦٢ - " والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله . . . "
١٤٠	١٧٤	٦٣ - " وتلك الايام نداولها بين الناس "
١٤٩	٤٤٩	٦٤ - " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا . . . "
١٥١	١٩٨	٦٥ - " سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب "
١٥٤	٢٣٢	٦٦ - " ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا يفشى طائفة منكم . . . "
١٥٩	١٥٩، ٣٩٢	٦٧ - " فيها رحمة من الله لنت لهم . . . "
١٦٧	١٩٣	٦٨ - " يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم "
١٩١	٤١١	٦٩ - " الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم . . . "
" سورة النساء "		
١	أ	٧٠ - " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . . . "
٤٨	١١٥	٧١ - " ان الله لا يفر أن يشرك به . . . "
٥٩، ٥٨	٤٤٤	٧٢ - " ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها . . . الى قوله : " ذلك خير وأحسن تأويلا "
٥٩	٤٤٠	٧٣ - " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم . . . "
٦٥	٣٧٤	٧٤ - " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . . . "

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٦٦-٦٨	١٦٢	٧٥ - " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم... "
١٤١	١٧٧	٧٦ - " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا "
١٥٥	٢٢٢	٧٧ - " بل طبع الله عليها بكفرهم "
" سورة المائدة "		
٢	٢٩٧، ٤٠٦، ٤٣٢	٧٨ - " وتعاونوا على البر والتقوى... "
٣	٤١٩	٧٩ - " اليوم اكملت لكم دينكم... "
١٥، ١٦، ٥٥، ١٦١، ٢٢٩، ٢٥٧، ٣٦٣		٨٠ - " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين... " الى قوله: " ويهديهم الى صراط مستقيم "
٣٣	٤٠٠	٨١ - " انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا... "
٣٥	٤٦٨	٨٢ - " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة... "
٤١	٣، ٧٦، ٣٤٤	٨٣ - " يا ايها الرسول لا يحزبك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم... "
٥١، ٥٢، ٣٤٣		٨٤ - " يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء... " الى قوله: " في أنفسهم نادمين... "
٥٢	٤٥٠	٨٥ - " فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم... "
٧٧	٤١، ٤٠٢	٨٦ - " قل يا اهل الكتاب لاتغلفوا دينكم فيحرف الحق... "
٩٠، ٩١	٢٦٥	٨٧ - " يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان... " الى قوله: " فهل انتم متبهون... "
" سورة الانعام "		
٣٨	٤٧	٨٨ - " ما فرطنا في الكتاب من شيء "

فابع فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٥٥	١٦٥	٨٩ - " وكذلك فصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين "
٥٩	١٩	٩٠ - " وعنده ففتح الغيب لا يعلمها الا هو . . . "
٦٥	١١٥	٩١ - " قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابها من فوقكم . . . "
٨٢	٣٤١	٩٢ - " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم . . . "
١١٢	٤٠٢	٩٣ - " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن . . . "
١١٥	٤٧	٩٤ - " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا "
١٢٢	٣٦٢	٩٥ - " او من كان مهتتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس . . . "
١٢٤	٥٤ ب	٩٦ - " الله أعلم حيث يجعل رسالته "
١٢٥	٢٢٢	٩٧ - " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام "
١٥٣	٣٨٨، ٢٩٩، ١٤٢	٩٨ - " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه . . . "
١٣٠، ١٦٢	٣٣٦، ١٣٦، ١٢٨	٩٩ - " قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له . . . "
" سورة الأعراف "		
٣	١٤٢	١٠٠ - " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم "
٥٦	٤٣٢، ٤٠١	١٠١ - " ولا تغسدا في الارض بعد اصلاحها . . . "
٨٠	٢٦٣	١٠٢ - " ولوطا اذ قال لقوه أتاتون الفاحشة . . . "
٨٠	٢٦٣	الى قوله : " بل انتم قوم سرفون "
٩٩	٣٢٨	١٠٣ - " أفأمنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون . "
١٠١	٢١٣	١٠٤ - " كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين "
١٤٦	٤٥	١٠٥ - " سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فيسى الارض بغير الحق . . . "
١٥٧	٤٣٠	١٠٦ - " يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر "

تابع فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٧٥-١٧٧	٤١١، ٢٥٧، ٤٥	١٠٧- " وأتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها... الى قوله : " وأنفسهم كانوا يظلمون " .
١٨٠	١٧	١٠٨- " ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها
٢٠١، ٢٠٢	١٦٥	١٠٩- " ان الذين اتقوا اذا صهبهم طائف... الى قوله : " ثم لا يقصرون " .
١	٣٨٦	" سورة الانفال "
١		١١٠- " فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم "
		١١١- " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم... الى قوله : " ومنقبضرة
٢-٤	١٩٨، ٦، ٥	ورزق كريم "
	١٧٠، ٥٥، ٢٤	١١٢- " يا ايها الذين امنوا استجبوا لله وللرسول
٢٤	٣٥٠، ١٩٤	اذا دعاكم لما يحيبكم... "
٢٧	٤٤٦	١١٣- " يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول... "
٢٩	٣٧٠	١١٤- " يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقا... "
٣٠	١٠٢، ١٠٠، ٧٧	١١٥- " ويكفرون ويكفر الله والله خير الماكرين "
٣٩	٤٧١	١١٦- " وقاطبهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله... "
٤٦	٣٨٨، ٢٩١	١١٧- " وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا... "
٦٠	٤٧٣، ٣٥١	١١٨- " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة... "
٦٤	٣٤١	١١٩- " يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين "
		" سورة التوبة "
١٤	٢٠١	١٢٠- " قاتلوهم بذيهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم... الى قوله : " ويتوب الله على من يشاء " .
٣١	٢٣	١٢١- " وما أمروا الا ليعبدوا الها واحد لا اله الا هو "
٣٢	٤٦	١٢٢- " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم... "
٣٦	١٠٥	١٢٣- " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة... "

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية</u>
٤٥	٢١٩	١٢٤ - " انما يستغذك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . . . "
٤٧	٦٣	١٢٥ - " لوخرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا . . . "
٦٧	٢٧٥ ، ٤٣٢ ، ٤٥١	١٢٦ - " المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض . . . "
٦٩	٢١٨ ، ٤٩	١٢٧ - " كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم . . . "
٧١	٤٣١ ، ٤٣٢	١٢٨ - " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض . . . "
١٠٣	٢٧٣ ، ٢٢٤	١٢٩ - " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . . . "
١٢٤-١٢٥	٧	١٣٠ - " واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ابيكم زادته هذه ايمانا . . . " الى قوله : " وماتوا وهم كافرين "
" سورة يونس "		
٨٠٧	٣٢٠	١٣١ - " ان الذين لا يرجون لقاءنا . . . " الى قوله : " بما كانوا يكسبون "
٩	٤٤	١٣٢ - " يهديهم ربهم بايمانهم "
٢٤	٤١١	١٣٣ - " وكذلك نفضل الآيات لقوم يتفكرون "
٣١	١٨	١٣٤ - " قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار . . . "
٣٢	٢٩٩	١٣٥ - " فماذا بعد الحق الا الضلال . . . "
٤٢	١٨٧	١٣٦ - " ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون "
٥٨	٣٥٢	١٣٧ - " قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا . . . "
٦٢-٦٤	١١٧ ، ١٣١ ، ١٣٨	١٣٨ - " الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . . " الى قوله : " ذلك هو الفوز العظيم "

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
" سورة هود "		
١٧	٣٦٦	١٣٩ - " افمن كان على بينة من ربه ويتلو شاهد منه "
٨٢	٢٦٣	١٤٠ - " فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها... الى قوله " وماهى من الظالمين ببعيد. "
١١٤	٢٤٦	١٤١ - " وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل... "
١١٦	٤٣٠	١٤٢ - " فلولا كان من القرون من قبلك اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض... "
١١٨	٤٧٠	١٤٣ - " ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم "
١٢٣	٣٥٠	١٤٤ - " فاعبده وتوكل عليه "
" سورة يوسف "		
٣	٤١٩	١٤٥ - " نحن نقص عليك أحسن القصص "
٢١	١٠٣	١٤٦ - " والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون "
٢٢	١٤٦	١٤٧ - " ولما بلغ أشد اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين "
٢٤	٢٧٧	١٤٨ - " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين "
٣٧	١٨	١٤٩ - " قال لاياتيكما طعام ترزقانه الانباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما " الى قوله : " ولكن أكثر الناس لا يشكرون "
٥٦	١٤٦	١٥٠ - " وكذلك مكنا ليوسف فى الارض... الى قوله : " وكانوا يتقمين "
٨٧	٣٢٩	١٥١ - " يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه... "

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية</u>
٩٠	١٤٦	١٥٢ - " انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين "
١٠٠	١٨	١٥٣ - " ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم "
١٠٨	١٤٩، ٣٢	١٥٤ - " قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة ... الآية "
		" سورة الرعد "
٣	٤١١	١٥٥ - " ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون "
		١٥٦ - " افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوالالباب ... الآيات الى قوله تعالى : " فنعم عقبى الدار " .
٢١	٣٦٥، ١٨٩	١٥٧ - " والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم "
٢٧	٢٢٢	١٥٨ - " قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب "
٢٨	٣١٦	١٥٩ - " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ... "
		" سورة ابراهيم "
١	٢٢٩	١٦٠ - " كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ... "
٧	٣٥٢	١٦١ - " واذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ... "
٢٧	١٦٩	١٦٢ - " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ... "
٤٦	١٠٢	١٦٣ - " وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم ... "
		" سورة الحجر "
٩	١٠٢	١٦٤ - " انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون "
٥٥، ٥٦	٣٢٩	١٦٥ - " قالوا بشركناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		سورة " النحل "
		١٦٦ - " أتى أمر الله فلا تستعجلوه . . . الى قوله :
٣٤٧	٢٠ ١	" على من يشاء من عباده "
١١	٣٦	١٦٧ - " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا . . . "
٣٢٥	٦٠	١٦٨ - " والله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم "
٢٢	٩٧	١٦٩ - " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ... "
		١٧٠ - " من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكرهه
٣	١٠٦	وقلبه مطعنا بالإيمان "
		١٧١ - " ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من
١٤٨	١٢٠ - ١٢٣	المشركين . . . " الى قوله : " وما كان من المشركين " .
		١٧٢ - " ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا
٣٣	١٢٣	وما كان من المشركين "
٥٢	١٢٦	١٧٣ - " وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به . . . "
٢٨٥ ، ١٥٢ ، ١٣١	١٢٨	١٧٤ - " ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "
		" سورة الاسراء "
٤١٨ ، ٣١٦	٩	١٧٥ - " ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . . . "
٤٧	١٢	١٧٦ - " وكل شئى فصلناه تفصيلا "
		١٧٧ - " من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
٢٧٠	١٨	نريد . . . "
		١٧٨ - " لاتجعل مع الله الها آخر . . . " الى قوله :
١٥٨	٢٢ ، ٢٣	" وبالوالدين احسانا "
		١٧٩ - " ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك . . . " الى
٢٧٠	٢٩ ، ٣٠	قوله : " انه كان بعباده خبيرا بصيرا " .
٣٤٧ ، ٢٦٢	٣٢	١٨٠ - " ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشه وساء سبيلا "
١٥٨	٣٩	١٨١ - " ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة . . . "
		١٨٢ - " اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
٣٢٧ ، ٢٧٧	٥٧	الوسيلة . . . "
٣٧	٧٠	١٨٣ - " ولقد كرمنا بنى آدم وحطناهم فى البرواجم . . . "

تابع فهرس الآيات

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>	<u>الآية</u>
٨١	١٠٣ ، ٤٧٤	١٨٤ - "وقل جاء الحق وزهق الباطل . . ."
٨٥	٣٤٧	١٨٥ - "ويستلونك عن الروح"
١٠٦	٤٨	١٨٦ - "وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا"
سورة الكهف		
١٦-١٤	١٤٩	١٨٧ - "انهم فتحه آمنوا ببريبهم وزونا هم هدى..."
٢٨	٢١٥	الى قوله : "ويهيء لكم من امركم مرفقا"
٢٨	٢١٥	١٨٨ - "ولا تطع من افقلنا قلبه عن ذكرنا . . ."
١٠٣ ، ١٠٤	٤٢	١٨٩ - "قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ."
١١٠	٣٠	١٩٠ - "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ."
سورة مريم		
٥٩	٢٨١	١٩١ - "فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة..."
الآية .		
سورة طه		
١٤	٢٨٢	١٩٢ - "وأقم الصلاة لذكري"
١٢٣ - ١٢٦	٣١٨	١٩٣ - "قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو..."
١٢٣ - ١٢٦	٣١٨	الى قوله : "وكذلك اليوم تنسى"
سورة الانبياء		
٣-١	٢١٥	١٩٤ - "اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون..."
٦٩	٣٤٨	الى قوله "لا هية قطوبهم"
٨٠	٣٥١	١٩٥ - "قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم"
٨٠	٣٥١	١٩٦ - "وظلناه صنعة لبوس لكم"
٨٧ ، ٨٨	٢٤٥	١٩٧ - "وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى قولسه : وكذلك ننجي المؤمنين"

تابع فهرس الآيات

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية</u>
٣٢٧	٩٠	١٩٨ - " انهم كانوا يسارعون فى الخيرات . . . "
		١٩٩ - " انكم وماتعبدون من دون الله حسب جهنم
١٤	٩٨	أنتم لها واردون . "
		٢٠٠ - " ان الذين سبقت لهم منا الحسنى . . . الى
١٤	١٠٢، ١٠١	قوله : " خالدون "
		" سورة الحج "
		٢٠١ - " يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا -
١٣٦	٢٣	ولباسهم فيها حرير . . . "
		٢٠٢ - " فاجتنبوا الرجس من الأوثان . . . الى قوله؛
١٥٧	٣١-٣٠	" فى مكان سحيق . "
٣٤١، ١٧٦، ١٧٥		٢٠٣ - ان الله يدافع عن الذين آمنوا . . . الى قوله؛
٤٦٨، ٤٣١	٤١-٣٨	" ولله عاقبة الامور "
٤٦٠	٤١	٢٠٤ - " الذين ان مكناهم فى الارض . . . "
		٢٠٥ - " افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب
٢١٤، ١٩٠، ١٨٦	٤٦	يعقلون بها . . . "
٣٦٥		
		٢٠٦ - " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا
		تعنى ألقى الشيطان فى امنيته . الى قوله :
٢١٧	٥٤- ٥٢	" الى صراط مستقيم "
		٢٠٧ - " واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى
٣٤١، ٣٣٩	٧٨	ونعم النصير "
		" سورة المؤمنون "
		٢٠٨ - " قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم
		خاشعون . . . الى قوله : " هم فيها
١٢٠	١١-١	خالدون . "
		٢٠٩ - " أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليها
٣٣٣	١١٥	لا ترجعون "

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية</u>
		" سورة النور "
٢٦٤	٣	٢١٠ - " الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة . . . "
٣٦٦، ٣٦٤	٣٥	٢١١ - " الله نور السماوات والارض . . . "
٣٦٤	٤٠	٢١٢ - " ومن لم يجعل الله له نورا فعليه من نور "
١٤٢	٥٤	٢١٣ - " وان تطيعوه تهتدوا "
		٢١٤ - " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
١٥٠	٥٥	ليستخلفنهم فى الارض . . . "
		٢١٥ - " فليحذر الذين يخالفون عن امره أن -
١٣٩، ١١٤، ٢٥	٦٣	تصيبهم فتنة . . . "
		" سورة الفرقان "
٢٥٥	٤٣	٢١٦ - " رأيت من اتخذ الهه هواه . . . "
		٢١٧ - " وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
١٣٣ - ١٣٢	٦٣ - ٧٧	هونا . . . " الى قوله " فسوف يكون لزاما "
		٢١٨ - " والذين لا يدعون مع الله الهه آخرون "
٢٤٨	٦٨ - ٦٩	الى قوله : " وكان الله ظفورا رحيبا "
٢٤٦	٧٠	٢١٩ - " الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا . . . "
		٢٢٠ - " ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله
٧٠	٧١	متابا "
		٢٢١ - " والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو
٤١٦	٧٢	مروا كراما "
		" سورة الشعراء "
		٢٢٢ - " فانهم عدو لى الارب العالمين . . . "
٣٣٦	٧٧ - ٨٢	الى قوله : " والحقنى بالصالحين . "
		٢٢٣ - " ولا تخزنى يوم يبعثون " . . . الى قوله :
٢١١	٨٧ - ٨٩	" بقلب سليم "
		٢٢٤ - " هل أنهبكم على من تنزل الشياطين .
٨٧	٢٢٢، ٢٢١	تنزل على كل افاك أئيم . "

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية</u>
		" سورة القصص "
٤٤٦	٢٦	٢٢٥ - " قالت احداهما ياأبت استأجره... "
٤١٧	٥٥	٢٢٦ - " واذا سمعوا اللهو أمرضوا منه... "
		" سورة العنكبوت "
		٢٢٧ - " ألم . أحسب الناس أن يتركوا... " الى
١٢١	٣-١	قوله : " وليعلمن الكاذبين "
		٢٢٨ - " وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن
١٢٢	١١	المنافقين . "
		٢٢٩ - " أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم
٢٨٠٠ ٢٧٣	٤٥	الصلاة... "
		٢٣٠ - " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
٢٢٢	٦٩	سبلنا... "
		" سورة الروم "
٣٦٨، ٣٣١، ٣١٠	٣٠	٢٣١ - " فأقم وجهك للدين حنيفا... "
٣٨٨	٣٢	٢٣٢ - " كل حزب بما لديهم فرحون "
١٨	٤٠	٢٣٣ - " الله الذي خلقكم ثم رزقكم "
		" سورة اللسان "
٤١٧	٦	٢٣٤ - " ومن الناس من يشتري لهو الحديث "
		٢٣٥ - " ياأبني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه
٤٣٠	١٧	عن المنكر... "
١٩	٣٤	٢٣٦ - " ان الله عنده علم الساعة... "
		" سورة الاحزاب "
		٢٣٧ - " ياأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين
٤٤٨	٣-١	والمنافقين... " الى قوله " وكفى بالله وكيلا "
		٢٣٨ - " وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن
١٩٤	٥	ما تعمدت قلوبكم "

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٧	أ	٢٣٩ - " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ... "
٢١	١٤٢، ٢٩	٢٤٠ - " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ... "
٣٠-٣٣	٢٨١	٢٤١ - " يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ... " الى قوله : " ويطهركم تطهيرا " .
٣٢	٢٦٥، ٢١٩	٢٤٢ - " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ... " الآية
٣٨	٣٤٧	٢٤٣ - " وكان أمر الله قدرا مقدورا " ... "
٤٨	٤٥٦	٢٤٤ - " ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله ... "
" سورة " سبأ "		
٣٩	٢٦٩	٢٤٥ - " وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين . "
٤٠-٤١	١٣	٢٤٦ - " يوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة ... " الى قوله : " اكثرهم بهم مؤمنون "
٤٩	١٠٣	٢٤٧ - " قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يميد "
" سورة " فاطر "		
٢٤	٢٠	٢٤٨ - " انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ... "
٣٢	١٠٩	٢٤٩ - " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ... "
" سورة " يونس "		
٦٢	١٨٦	٢٥٠ - " ولقد أضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون "
٨٢	٣٤٧	٢٥١ - " انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون "
" سورة " الصافات "		
٨٣-٨٤	٢٣٤، ٢٣٣، ٢١١	٢٥٢ - " وان من شيعته لابراهيم " . الى قوله : " فما ظنكم برب العالمين "

تابع فهرس الآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		"سورة ص"
٢٥١	٢٦	٢٥٣ - " يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض ... "
		٢٥٤ - " وما خلقنا السماء و الأرض وما بينهما باطلا ... "
٣٣٣	٢٨، ٢٧	الى قوله: ام نجعل المتقين كالفجار .
		"سورة الزمر"
٢٧	٣	٢٥٥ - " الاله الدين الخالص "
		٢٥٦ - " قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين... "
٣٦٩	١٤-١١	الى قوله : " قل الله أعبد مخلصا له ديني "
٣٦٩، ٣٦١، ١١	١٧	٢٥٧ - " والذين اجتنبوا الطافت أن يعبدوها ... "
		٢٥٨ - " افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه "
٣٦٩، ٢١٥، ١٨٧	٢٢	٢٥٩ - " الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها ... "
٤١٨، ٢١٣	٢٣	٢٦٠ - " ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ... "
٣٣٧	٢٩	٢٦١ - " واذا ذكر الله وحده أشعزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ... "
٢٠٠	٤٥	٢٦٢ - " ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لكن أشركت ليعبطن عطفك ... "
٢٤٥	٦٥	"سورة فانر"
		٢٦٣ - " كذلك يؤفك الذين كانوا ياتون الله بهجدون ... "
٣٣٣	٦٤-٦٢	الى قوله : " فتبارك الله رب العالمين "
٢٧	٦٥	٢٦٤ - " هو الحى لاله الا هو فادعوه مخلصين له الدين "
		"سورة فصلت"
		٢٦٥ - " وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ... "
٢٣١	٢٣، ٢٢	٢٦٦ - " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ... "
١٢٦، ١٢٠	٣٢-٣٠	الى قوله : " نولا من ففور رحيم "
٢٨٦	٣٥	٢٦٧ - " وما يلقاها الا الذين صبروا ... "

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية</u>
		" سورة الشورى "
١٧	١١	٢٦٨ - " ليس كمثل شئ وهو السمع البصير "
		٢٦٩ - " الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من يشاء "
٢٢٢	١٣	ينيب "
		٢٧٠ - " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله "
١٤٢، ١٨	٢١	
٤٥٣	٣٨	٢٧١ - " وأمرهم شورى بينهم "
		" سورة الدخان "
		٢٧٣ - " وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما الا لعبين ما خلقناهما الا بالحق . . . "
٣٣٣	٣٩-٣٨	
		" سورة الجاثية "
		٢٧٤ - " ويل لكل افاك أثم . . . " الى قوله :
٢٠٨	٧-٩	" أولئك لهم عذاب مهين "
٢٢١، ٢٢٠، ٢٠٩	٢٣	٢٧٥ - " افرايت من اتخذ الهه هواه . . . "
		" سورة محمد "
١٨	١٩	٢٧٦ - " فاعلم أنه لا اله الا الله "
		٢٧٧ - " فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم . "
٣٩٨، ٣٩٥	٢٢	
٢١٥، ٢١٣، ١٩٠	٢٤	٢٧٨ - " افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها "
		٢٧٩ - " انما الحياة الدنيا لعب ولهو . . . " الى قوله :
٤٠٩	٣٦-٣٧	" وخرج أضغانكم "
		" سورة الفتح "
٧	٤	٢٨٠ - " هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين . . . "
		٢٨١ - " ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء . . . "
٢٣٣	٦	
		٢٨٢ - " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . . . "
٣٨٦	٢٩	

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		" سورة الحجرات "
٢٥٣	٨٠٧	٢٨٣ - " ولكن الله يحب اليكم الايمان " الى قوله : " والله عليهم حكيم "
٣٨٦، ٣٨٥	١٠	٢٨٤ - " انما المؤمنون اخوة . . . "
١٩٣، ٣	١٤	٢٨٥ - " قالت الاعراب آنا قل لم تؤمنوا . . . "
		سورة " ق "
٢٧٧	٣٣	٢٨٦ - " من خشى الرحمن بالغيب وجاءه بقلب منيب "
		سورة " الذاريات "
١٣١	١٥ - ١٦	٢٨٧ - " ان المتقين في جنات وعيون . . . "
١٣١	١٧ - ١٩	٢٨٨ - " كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . . . "
٢٦٨	٢٢	٢٨٩ - " وفي السماء رزقكم وما تعدون . "
		٢٩٠ - " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق . . . "
١٤١، ٣٩، ٢٣	٥٧، ٥٦	
٣٥٠، ٣٣٤		
٢٦٩	٥٨	٢٩١ - " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين "
		سورة " الطور "
٣٣٢	٣٥، ٣٦	٢٩٢ - " ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السماوات والارض بل لا يوqnون "
		سورة " الرحمن "
١٣٥	٤٦ - ٦٠	٢٩٣ - " ولعن خاف مقام ربه جنتان . . . " الى قوله : " هل جزاء الاحسان الا الاحسان . "
		٢٩٤ - " ومن دونهما جنتان . . . " الى قوله : " ذى الجلال والاکرام "
١٢٣	٦٢ - ٧٨	" سورة الواقعة "
		٢٩٥ - " والسابقون السابقون . . . " الى قوله : " الاقبيلا سلاما سلاما "
١٣٣	١٠ - ٢٦	٢٩٦ - " وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . . . "
١٢٤	٢٧ - ٤٠	الى قوله : " وثله من الآخريين "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		٢٩٧ - " أفرايتم ماتحرشون " أنتم تزرعونهم أم نحن الزارعون "
٣٥١	٦٥٠ ٦٤	
		٢٩٨ - " وأمان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين "
١٢٠	٩١ - ٩٠	
		سورة الحديد "
		٢٩٩ - " هو الذي ينزل على عبده آيات بينات - ليخرجكم من الظلمات الى النور... "
٢٢٩	٩	
		٣٠٠ - " ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم... "
٣٥٥	٢٣٠ ٢٢	
		الى قوله : " والله لا يحب كل مختال فخور "
		٣٠١ - " وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة "
١٩٨	٢٧	
		٣٠٢ - " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته... "
٣٦٣	٢٨	
		سورة المجادلة "
		٣٠٣ - " ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم... "
٣٤٦	١٤	
		٣٠٤ - " اولئك كتب في قلوبهم الايمان "
١٩٣	٢٢	
		سورة الحشر "
		٣٠٥ - " يخزيون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين... "
٤١٨	٢	
		٣٠٦ - " وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهاوا... "
٣٥٠٠ ٣٠	٧	
		٣٠٧ - " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله... "
٢١٦	٢١	
		سورة الممتحنة "
		٣٠٨ - " قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه... " الى قوله : " فان الله هو الغني الحميد... "
١٥	٦-٤	

تابع فهرس الآيات

<u>الآية</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>
سورة " الصف "		
٣٠٩ - " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم "	٥	٤٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٢
سورة " الجمعة "		
٣١٠ - " هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم . . . "	٢	٣٤ ، ٢٢٨
٣١١ - " فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض . . . "	١٠	٣٥١
سورة " المنافقين "		
٣١٢ - " ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون "	٣	١٩٠ ، ٢١٣
٣١٣ - " واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم . . . "	٤	٤٠٤ ، ٤٧٤
سورة " الثافاتن "		
٣١٤ - " ما اصاب من صبيه الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه "	١١	٤٤ ، ١٦٩ ، ٣٤١ ، ٣٥٧
سورة " الطلاق "		
٣١٥ - " ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب . . . "	٣ ، ٢	١٦٧ ، ٢٧٠ ، ٣٤١
٣١٦ - " الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض ثلثين ... "	١٢	٢٣٤
سورة " الحاقه "		
٣١٧ - " انالماطفا الماء حملناكم في الجارية "	١١	١١
سورة " المعارج "		
٣١٨ - " ان الانسان خلق هلوعا . . . الى قوله : " اولئك في جنات مكرمين "	١٩-٣٥	٢٧١
٣١٩ - " ان الانسان خلق هلوعا . . . الى قوله : " الا الصالحين "	١٩-٢٢	٤٠٨
٣٢٠ - " والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم "	٢٤-٢٥	١٣١

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقم الآية</u>	<u>الآية</u>
		سورة " المدثر "
٤١٠	١٨	٣٢١ - " انه فكر وقدر "
		٣٢٢ - " وليقول الذين في قلوبهم مرضى والكافرون ماذا
٢١٩	٣١	أراد الله بهذا مثلا "
		سورة " الانسان "
		٣٢٣ - " ان الابهوار يشربون من كأس كان مزاجها
		كافورا . . . الى قوله : " ولقاهم نضرة
١٣٦٠ ١٢١	١١ - ٥	وسرورا . "
٢٦	٩	٣٢٤ - " انما نطمعكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا "
		٣٢٥ - " فوقاهم الله شر ذلك اليوم . . . الى قوله :
١٢٤	٢٢-١١	" وكان سميعا مشكورا "
٤٥٦	٢٤	٣٢٦ - فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما واکفورا "
		سورة " النازعات "
٢٠١	٨	٣٢٧ - " قلوب يومئذ واجفة "
		٣٢٨ - " فاما من طفئ . وآثر الحياة الدنيا . . . "
٢٥٩	٤١-٣٧	الى قوله : " فان الجنة هي المأوى "
		٣٢٩ - " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
٢٥٤	٤١ - ٤٠	الهوى . فان الجنة هي المأوى "
		سورة " العطففين "
٢٠٨	١٣	٣٣٠ - " اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين "
٢٤٤٠ ٢١٣٠ ٢٠٨٠		٣٣١ - " كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا
٣٦٥ ١٨٧	١٤	يكسبون "
١٣٥٠ ١٢٥		٣٣٢ - " ان الابرار لفي نعميم على الارائك ينظرون . . . "
	٢٨-٢٢	الى قوله : " يشرب بها المقربون "
		سورة " الانشقاق "
		٣٣٣ - " ياايهاالانسان انك كادح الى ربك كدحا
٢٣٥	٦	فملاقيه "

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
		"سورة البرج"
١٧	١٦	٣٣٤ - "فعال لما يريد"
		"سورة الاعلى"
٢٨٢	١٥٠ ١٤	٣٣٥ - "قد افلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى"
		"سورة الفجر"
١٠٢	١٤	٣٣٦ - "ان ربك لبالعصاد"
٤٠٨	٢٠	٣٣٧ - "وتحبون المال حبا جما"
		"سورة الشمس"
		٣٣٨ - "ونفس وماسواها . . . الى قول الله :
٣١٠٠ ٣٠٣	١٠ - ٧	"وقد غاب من دسائها"
		"سورة الليل"
		٣٣٩ - "فاما من اعطى واتقى . وصدق بالحسنى
٢٧٠	٧ - ٥	فسنيسره لليسرى"
		"سورة البينة"
		٣٤٠ - "وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
٣٩	٤	ما جاءتهم البينة"
٢٦٠ ٢٤٠ ١٨		٣٤١ - "وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
١٥١٠ ١٤١	٥	حنفا . . ."
		"سورة العاديات"
٤٠٨	٨	٣٤٢ - "وانه لحب الخير لشديد"
		"سورة العصر"
٢٧٢٠ ٣٥	٣ - ١	٣٤٣ - "والعصر . ان الانسان لفى خسر . . ."
		الى آخر السورة
		"سورة الاخلاص"
١٧	١	٣٤٤ - "قل هو الله أحد"

فهرس الأحادیث

فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	طسرف الحديث	٢
٢٦٠ - ٢٩٠	اتقو الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ...	١ -
٤٤٧	إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة ...	٢ -
٢٤٧	أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم ...	٣ -
٢٤٧	ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ...	٤ -
	ألا ان من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على شنتيسن	٥ -
٤٩٠ ٤٨	وسبعين ملة ...	
١١٠٠ ٢	ألا وان فى الجسد ضفة اذا صلحت صلح الجسد كله ...	٦ -
	أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله	٧ -
١١١	ويؤمنوا بى وما جئت به ...	
٣	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ...	٨ -
٢٩٩	أما بعد فان خير الحديث كتاب الله ...	٩ -
٢٧١٠ ٢٧٠	إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ...	١٠ -
٢٦٣	إن أخوف ما أخاف على امتى عمل قوم لوط ...	١١ -
١٢٢	الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه ...	١٢ -
٢٨٨	إن الدنيا حلوة خضرة ...	١٣ -
١٥٤	انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا العبيت الى فار ...	١٤ -
٢٤٤٠ ٢١٤	إن المؤمن اذا اذنب ذنبا كانت نكته سوداء ...	١٥ -
٣٨٧	ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ...	١٦ -
	ان النبى - صلى الله عليه وسلم - دخل على شاب وهو نفسى	١٧ -
٣٢٧	الموت ...	
٣١	أوصيكم بتقوى والسع والطاعة وأن كان عبدا حبشيا	١٨ -
	الايمان بضع وسبعون أوضع وستون شعبه فأفضلها قول لا اله الا	١٩ -
١١٩٠ ٤	الله ...	
٣٧٣	البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ...	٢٠ -
٣٨٦	ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ..	٢١ -
٢٦٠	تمس عبد الدينار والدرهم ...	٢٢ -

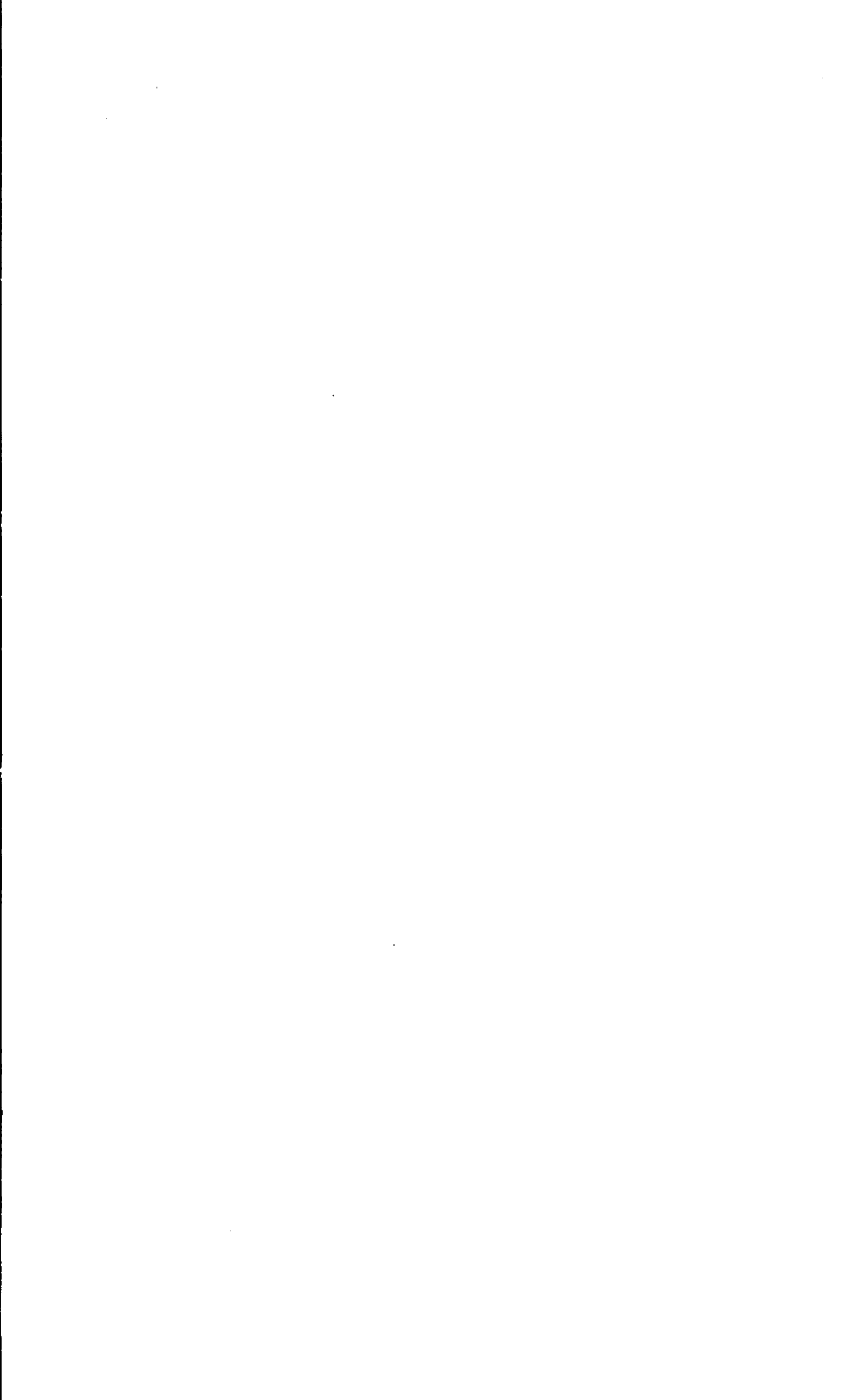
فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	طريف الحديث	٢
٣٧٢	٢٣ - ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ...	
٢٠٦	٢٤ - حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ...	
٣٧٢	٢٥ - ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ...	
٢٤٦	٢٦ - سيد الاستغفار أن يقول ...	
٢٤٩٠ ٢٤٧	٢٧ - الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ...	
٣٦٧	٢٨ - ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران ...	
١٢١٠ ٣	٢٩ - قال : فأخبرني عن الايمان ؟ قال أن تؤمن بالله ...	
١٤١٠ ١٤٠٠ ٢٦	٣٠ - فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ...	
١٤٢٠ ٣١	٣١ - فمن رغب عن سنتي فليس مني ...	
١٩	٣٢ - في خمس لا يعلمهن الا الله ثم قرأ " ان الله عنده علم الساعة "	
٢٥	٣٣ - كل أمتى يدخلون الجنة الا من أوى ...	
٤٩	٣٤ - لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشرا وذراعا بذراع ...	
٤٤	٣٥ - اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض ...	
٢٨٩	٣٦ - لاتباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ...	
٣٠٠	٣٧ - لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ...	
٣٧٠	٣٨ - لاتزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ...	
٢٩٨	٣٩ - لاتقتل نفس ظلما ...	
٤٩	٤٠ - لاتقوم الساعة حتى تأخذ امتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشرا ...	
١١٩	٤١ - لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى ...	
٢٦٢	٤٢ - لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ...	
٤٩	٤٣ - لا يزال ناس من امتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون	
٣٨٦	٤٤ - المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسله ...	
٢٩٩٠ ١٤٢	٤٥ - من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ...	
٤٠٤	٤٦ - من بدل دينه فاقتلوه ...	
٢٤٧	٤٧ - من حج لله فلم يرفث ولم يفسق ...	
٨	٤٨ - من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ...	
٢٩٨	٤٩ - من سن في الاسلام سنة حسنة ...	

لهيوس الأحاديث

رقم الصفحة	طسرف الحديث	٤
٢٤٧	من صام رمضان ايماناً واحتساباً . . .	٥٠ -
١٣٨٠، ١٣٧٠، ١٢٧	من عادى لى ولها فقد آذنته بالحرب . . .	٥١ -
٢٤٨	من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له . . .	٥٢ -
١٢	من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دىن الله . . .	٥٣ -
٢٩٧	من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا . . .	٥٤ -
١٢	من وحد الله . . .	٥٥ -
٢٦١	ما تركت بعدى فتنة أضرعلى الرجال من النساء . . .	٥٦ -
٢٥٨	ما ذهبان جائعان ارسلانى فنىم . . .	٥٧ -
٣١٠	ما من مولود الا يولد على الفطرة . . .	٥٨ -
٦	هل تدرون ما لايمان بالله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . . .	٥٩ -
٣١	هلك المتنطعون . . .	٦٠ -
٢٨٣	وأمركم أن تذكروا الله فان مثل ذلك . . .	٦١ -
٣٨٦	والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه . . .	٦٢ -
٣٨٦	والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . . .	٦٣ -
٣٥١	والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف . . .	٦٤ -
٨٠، ٣	يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من ايمان . . .	٦٥ -
١٦٩٠، ١٥١	يا فلان انى اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك . . .	٦٦ -
٢٨٤	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . . .	٦٧ -
١٦٨	يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك . . .	٦٨ -

**فهرس تراجم
الأعلام**



فهرس تراجم الاملام

رقم الصفحة	الاسم	م
٢٣	أبواسحاق ابراهيم بن محمد الزجاج (الزجاج)	١ -
٤٦٢	ابراهيم بن موسى الشاطبي (الشاطبي)	٢ -
٨	احمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية	٣ -
٥٠	أحمد بن علی بن ثابت البغدادي (الخطيب البغدادي)	٤ -
٩	أحمد بن علی بن حجر العسقلاني	٥ -
٧	أحمد بن محمد بن حنبل	٦ -
٧	اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي	٧ -
٥	البراء بن عازب الانصاري	٨ -
٣١٢	بسكال	٩ -
٦٣	بولس أوشاؤول	١٠ -
٧٢	الجعدي بن درهم	١١ -
٧٣	الجهم بن صفوان	١٢ -
٢٨٠	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري	١٣ -
٥٢	حسان بن ثابت الخزرجي الانصاري	١٤ -
٦٩	الحسين بن منصور الحلاج (الحلاج)	١٥ -
١٨٤	الحارث بن أسد المحاسبي	١٦ -
١٦	الربيع بن زياد البكري	١٧ -
٤٣	رفيع بن مهران الرباعي (أبو العالىة)	١٨ -
١٢	سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	١٩ -
٧٢	سوسن	٢٠ -
١٥٤	سيد قطب	٢١ -
٢٩	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ابن رجب)	٢٢ -
٦٥	عبد الرحمن بن علی بن محمد بن الجوزي (ابن الجوزي)	٢٣ -
٩	عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الحنظلي الرازي (ابن أبي حاتم)	٢٤ -
١١٠	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	٢٥ -
٥٩	عبد الله بن سبأ	٢٦ -

فهرس تراجم الامم

رقم الصفحة	الاسم
٣٨	٢٧ - عبد الله بن عباس
١٥٤	٢٨ - عبد الله بن عمر بن الخطاب
٧١	٢٩ - عبد الله العامون بن هارون الرشيد (العامون)
٥٠	٣٠ - عبد الله بن المبارك الحنظلي
٤٤٥	٣١ - العباس بن عبد المطلب
٦٣	٣٢ - عثمان بن عفان
١١٢	٣٣ - عدى بن عدى بن عميرة الكندي
٥٩	٣٤ - علي بن أبي طالب
٥٨	٣٥ - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهر (ابن حزم)
٥	٣٦ - علي بن عبد الله بن جعفر البصري (ابن المديني)
٤٥٨	٣٧ - علي بن محمد بن حبيب الماوردي (الماوردي)
١١٢	٣٨ - عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي
٧٤	٣٩ - عمرو بن عبيد
٧٢	٤٠ - فيلان بن مسلم الدمشقي
١٦٧	٤١ - قتادة بن دعامة السدوسي
٧	٤٢ - أبو عبيد القاسم بن سلام
٨١	٤٣ - لويس التاسع - ملك فرنسا
٢٣	٤٤ - مجاهد بن جبر المكي (مجاهد)
٩	٤٥ - محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي (ابن القيم)
٧	٤٦ - محمد ادريس الشافعي (الشافعي)
٥	٤٧ - محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري (البخاري)
١٣	٤٨ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ابن جرير الطبري)
٣٤	٤٩ - محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (محمد بن عبد الوهاب)
٦٩	٥٠ - محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي (ابي عربي)
٢٣	٥١ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني (الشوكاني)

فهرس تراجم الاصلام

رقم الصفحة	الاسم	٢
١٦٢	محمد بن عمر بن الحسين الرازي (الفخر الرازي)	- ٥٢
١٦٥	محمد رشيد على رضا القموني	- ٥٣
١٦٣	محمد عبده بن حسن خير الله (محمد عبده)	- ٥٤
٧٢	معيد الجهنى	- ٥٥
٢٦	معاذ بن جبل الخزرجى الانصارى	- ٥٦
٤١٧	النضر بن الحارث	- ٥٧
٣٠٧	النمرود	- ٥٨
٩	ابوالقاسم هبة الله بن الحسن الطبرى (اللالكائى)	- ٥٩
٤٥٢	هارون الرشيد	- ٦٠
٢٥٩	وهب بن منبه	- ٦١
٧٤	واصل بن عطاء البصرى الغزال	- ٦٢
١١١	يحيى بن شرف بن مرى النووى (النووى)	- ٦٣

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والعراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الابانة عن أصول الديانة ، لأبى الحسن الأشعري . تحقيق د . فوقيه حسين محمود ، دار الانصار ، ط الأولى ، ١٣٩٧ هـ .
- ٣ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الاسلام منها ، د . جمعه الخولسى الناشر الجامعة الاسلامية المدينة ، ط الاولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ٤ - أثر المخدرات على الامة وسبل الوقاية منها ، د . أحمد عطيه الفامسدى ضمن مجموعة بحوث فى المخدرات ، البحث الثالث ، الجامعة الاسلامية المدينة المنورة ، ط الاولى ، ١٤١٠ هـ .
- ٥ - الاحكام السلطانية ، ابى الحسن على بن معد بن حبيب الماوردى ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٣٨٦ هـ .
- ٦ - أديان الهند الكبرى ، د . أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط . الرابعة ، ١٩٧٦ م .
- ٧ - أرسطو ، عبدالرحمن يدرى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط الثانية ١٩٤٤ م .
- ٨ - ارواء الغليل فى تعريج احاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الالبانى ، اشرف : زهير الشاوش ، المكتب الاسلامى ، دمشق ، ط الاولى ١٣٩٩ هـ .
- ٩ - الاسلام والدعوات الهدامة ، أنور الجندى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ط الاولى ، ١٩٧٤ .
- ١٠ - أساليب الغزو الفكرى ، د . على جريشه ومحمد شريف الزبيق ، دار الاعتصام القاهرة ط الاولى ، ١٩٧٨ .
- ١١ - الاصابة فى تمييز الصحابة ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الاولى ، ١٣٢٨ هـ .
- ١٢ - الأصول الثلاثة وأدلتها ، للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، مكتبة الشباب مكة المكرمة ، ط الاولى ، ١٣٨٧ هـ .

- ١٣ - أصول الدعوة ، د . عبد الكريم زيدان ، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط الثالثة ، ١٣٩٦ هـ .
- ١٤ - الاعتصام للامام ابي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي ، دار المعرفة ، لبنان ، ط بدون ، ت بدون .
- ١٥ - الاعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، للحافظ عمر بن علي البزار ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط الثانية ، ١٣٩٦ هـ .
- ١٦ - الاعلام - قاموس تراجم ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للطباعة والنشر ، بيروت ، ط السادسة ، ١٩٨٤ .
- ١٧ - افاتة اللهبان في صايد الشيطان ، العلامة محمد بن أبي بكر بن قيسم الجوزية ، تحقيق محمد غنفي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط الاولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٨ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق د . ناصر العقل ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، ط الاولى ، ١٤٠٤ هـ .
- ١٩ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق د . صالح العنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط الاولى ، ١٣٩٦ هـ .
- ٢٠ - الامامة والرد على الرافضة ، لابي نعيم الاصفهاني ، تحقيق : د . علي ناصر فقيهي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط الاولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ٢١ - الانسان في الاسلام والانسان المعاصر ، عبد الغني عبود ، دار الفكر العربي ، ط الاولى ، ١٩٧٨ .
- ٢٢ - أوروبا العصور الوسطى - التاريخ السياسي د . سعيد عبدالفتاح عاشور ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، ط السادسة ، ١٩٧٥ م .
- ٢٣ - الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الاولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٤ - الايمان والحياة ، د . يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط التاسعة ، ١٤٠٣ هـ .

- ٢٥ - البث المباشر حقائق وأرقام ، د . ناصر بن سليمان العمر ، دار الوطن ، الرياض
ط الاولى ، ١٤١٢ هـ .
- ٢٦ - بحوث في علم النفس العام ، د . فائز محمد علي الحاج ، المكتب الاسلامي ،
ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ .
- ٢٧ - بدائع السلك في طبائع الطوك ، لابي عبد الله بن الازرق ، تحقيق على سامسي
النشار ، وزارة الثقافة العراقية ، ط الاولى ، ١٩٧٨ م .
- ٢٨ - البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير ، تحقيق : د . أحمد أبوطحمة وجعامة ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الرابعه ، ١٤٠٨ هـ .
- ٢٩ - البداية والنهاية لابن كثير ، دار الفكر العربي ، ط بدون ، ت بدون .
- ٣٠ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني ،
مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٣٤٨ هـ .
- ٣١ - البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، لعباس بن منصور السككي الحنطلي ،
تحقيق د . علي سلامة العموش ، مكتبة المعارف ، الاردن ، ط الاولى ،
١٤٠٨ هـ .
- ٣٢ - بروتوكولات حكماء صهيون ، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ،
ط الاولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٣٣ - تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والطوك ، لابن جعفر محمد بن جرير الطبري
تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- ٣٤ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، د . مصطفى خالدي ، ود . عمر فرخ
المكتبة العصرية ، بيروت ط الثانية ، ت بدون .
- ٣٥ - تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى لابي العلي محمد البارقي ، المكتبة
السلفية ، المدينة المنورة ، ط الثانية ، ١٣٨٧ هـ .
- ٣٦ - التصوف المنشأ والمصادر ، احسان الهسي ظهير ، ادارة ترجمان السنة
لاهور ، باكستان ، ط الاولى ، ١٤٠٦ هـ .
- ٣٧ - التعريفات - تأليف علي بن محمد الهجراني ، دار الكتب العلمية ، ط الاولى
١٤٠٣ هـ .

- ٣٨ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دارالمعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
- ٣٩ - تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، تحقيق عبدالعزيز فنيح ومحمد أحمد عاشور ومحمد ابراهيم البنا ، ط الشعب ، ط بدون ، ت بدون .
- ٤٠ - التفسير القيم للإمام ابن القيم ، جمعه محمد أهدى الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقى ، لجنة التراث العربى ، بيروت ، ط بدون ت بدون .
- ٤١ - التفسير الكبير ، محمد بن عمر الرازى ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط الثانية ، ت بدون .
- ٤٢ - تفسير المراغى ، أحمد مصطفى المراغى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ، ط الرابعة ، ١٣٩٠ هـ .
- ٤٣ - تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر العسقلانى ، حققه وقدم له محمد عوامى ، دار الرشيد ، سوريا ، ط الاولى ، ١٤٠٦ هـ .
- ٤٤ - تبيين البلبس لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، مؤسسه علوم القرآن ، دمشق ، ط الاولى ، ١٣٩٦ هـ .
- ٤٥ - التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الاسلام خان ، دار النفايس ، بيروت ، ط السابعة ، ١٤٠٥ هـ .
- ٤٦ - تناسخ الأرواح ، مصطفى الكيك ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ط بدون ، ت بدون .
- ٤٧ - تهذيب التهذيب ، للحافظ ابن حجر العسقلانى ، صور عن طبعة دائرته المعارف النظامية ، حيدرآباد بالهند ، ط الاولى ، ت بدون .
- ٤٨ - تفسير العزيز الحميد ، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، المكتب الاسلامى . دمشق ، ط الثالثه ، ١٣٩٧ هـ .
- ٤٩ - تفسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ، طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ . ط بدون .
- ٥٠ - جامع البيان عن تأويل القرآن ، لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وشركاة ، مصر ، ط الثالثة ، ١٣٨٨ هـ .

- ٥١ - الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ، مع شرحه فتح
الباري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي
تحقيق : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، الطبعة السلفية ، الناشر : رئاسة
إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد - الرياض . ت ، ط ، بدون .
- ٥٢ - جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، مكتبة الرسالة الحديث ، عمان ،
الأردن ، ط بدون ، ت بدون .
- ٥٣ - جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٤١٢٤ ، الأربعاء ١٤ / ٣ / ١٩٩٠ .
- ٥٤ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هـارون
دار المعارف ، ط الخاصة ، ط بدون ، ت بدون .
- ٥٥ - الجهاد الأفغاني ودلالاته ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة
والنشر ، جدة ، ط الأولى ، ١٤١٠ هـ .
- ٥٦ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، للإمام ابن القيم ، المطبعة
السلفية ، ط الأولى ١٣٩٤ هـ .
- ٥٧ - الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد ، يوسف بن الحسن عبد الهادي ،
تحقيق : د . عبدالرحمن بن سليمان بن شيمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،
ط الأولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ٥٨ - حتى لا تفرق السفينة ، سلمان بن فهد العودة ، دار الوطن للنشر ، الرياض
ط الأولى ، ١٤١٢ هـ .
- ٥٩ - هادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، للإمام ابن قيم الجوزية ، مطبعة المدني
القاهرة ت ١٣٨٤ ، ط بدون .
- ٦٠ - حاضر العالم الإسلامي وقضاياها المعاصرة ، د . جميل عبدالله العسري ،
مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة ، ط الأولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ٦١ - خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط العاشرة ،
عام ١٤٠٨ .
- ٦٢ - الخمينية وريثة الحركات الحاكمة والأفكار الفاسدة ، لوليد الأعظمي ، الناشر :
دار عمار ، عمان ، ط الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

- ٦٣ - دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة : محمد ثابت الفندى وآخرون ، دارالمعرفة ، بيروت ، ط بدون ، ١٣٥٢ هـ .
- ٦٤ - دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٨١ م . ط - بدون .
- ٦٥ - دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٩٧١ م .
- ٦٦ - درة تعارض العقل والنقل، لشيخ الاسلام ابن تيمية تحقيق د . محمد رشاد سالم ، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض، ط الاولى ، ١٤٠١ هـ .
- ٦٧ - دراسات في المجتمع العربي ، لخبنة من اساتذہ الجامعات ، الناشر: اتحاد الجامعات العربية ، الامانة العامة ، بيروت ، ط الاولى ، ١٤٠٦ هـ .
- ٦٨ - ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ط الاولى ، ١٣٩٨ هـ .
- ٦٩ - الذيل على طبقات الحنابلة ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٣٧٢ هـ .
- ٧٠ - رسائل في العقيدة ، تأليف الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، دار طيبة الرياض ، ط الثانية ، ١٤٠٦ هـ .
- ٧١ - رسالة شرح الصدور بتحريم رفع القبور ، محمد بن علي الشوكاني ، ضمن مجموعة رسائل ، نشر الجامعة الاسلامية المدينة المنورة ، ط السادسة ، ١٤١١ هـ .
- ٧٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمد الالوسي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط . بدون .
- ٧٣ - روضه الافكار والافهام لمرئاد حال الامام وتعداد فزوات أهل الاسلام ، حسين بن فنام ، المطبعة المصطفوية ، بهاي ، ١٣٣٢ هـ .
- ٧٤ - روضه المحبين ونزهة المشتاقين ، للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الباز للطباعة والنشر ، مكة المكرمة ، ١٣٩٧ هـ رقم الطبعة بدون .
- ٧٥ - زاد المعاد في هدى خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب وهد القادر الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط الثامنة ، ١٤٠٥ هـ .

- ٧٦ - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، لأبي الفوز محمد أمين السويدي ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط بدون ، ١٤٠٩ هـ .
- ٧٧ - سلسلة الاحاديث الصحيحة ، للشيخ محمد ناصر الدين الالباني ، الجزء
الاول ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، ط الاولى ، ١٣٧٨ هـ .
- ٧٨ - سلسلة الاحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الالباني ، الجزء الثالث
مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الثانية ، ١٤٠٧ هـ .
- ٧٩ - سنن ابن ماجه ، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد
الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط بدون ، ١٣٩٥ هـ .
- ٨٠ - سنن ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد مصطفى
الاعظمي ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، ط الاولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٨١ - سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث بن اسحاق السجستاني ، مطبعة
مصطفى الباهي الحلبي ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٣٧١ هـ .
- ٨٢ - سنن الترمذي او الجامع الصحيح ، للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ،
تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط بدون ،
١٤٠٠ هـ .
- ٨٣ - سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري ، ابراهيم بن عبد الرحمن البليهي ، كلية
الشريعة بالرياض ، ط الاولى ، ت بدون .
- ٨٤ - سير اعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، أشرف : شعيب الارنؤوط ، مؤسسة
الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ، ١٤٠٢ هـ .
- ٨٥ - السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ،
تحقيق أبي عبدالله علي بن محمد الغزالي ، دار الارقم ، الكويت ، ط بدون ،
١٤٠٦ هـ .
- ٨٦ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحى بن العماد الحنبلي ، دار
المسيرة ، بيروت ، ط الثانية ، ١٣٩٩ هـ .
- ٨٧ - شرح الاصول الخمسة ، لعبد الجبار بن أحمد ، تحقيق د . عبد الكريم
عثمان ، مكتبة وهبه ، مصر ، ط الاولى ، ١٣٨٤ هـ .
- ٨٨ - شرح حديث " ما ذئبان جائعان " للحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ،
تحقيق بدر البدر ، دار السلفية ، الكويت ، ط الثانية ، ١٤٠٤ هـ .

- ٨٩ - شرح العقيدة الطحاوية ، لعلي بن علي ابن ابي العز الحنفي ، تحقيق جماعة من العلماء ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط الثامنة ، ١٤٠٤ هـ .
- ٩٠ - شرح النووي على صحيح مسلم ، للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، ط بدون ، ت بدون .
- ٩١ - شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ، تحقيق د. محمد سعيد خطيب ، دار احياء السنة النبوية ، أنقره ، ط الاولى ، ١٩٧١ م .
- ٩٢ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية ، مكتبه دار التراث ، القاهرة ، ط الثانية ، ت بدون .
- ٩٣ - الشعوبية ، د. عبدالله سلوم السامرائي المؤسسة العراقية للطباعة والنشر ، بغداد ، ط بدون ، ١٩٨٤ م .
- ٩٤ - صحيح الجامع الصغير للسيوطي ، تحقيق محمد ناصر الدين الالبانسي ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، ط الاولى ، ١٣٨٨ هـ .
- ٩٥ - صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الالباني ، اشرف : زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط الاولى ، ١٤٠٨ هـ .
- ٩٦ - صحيح مسلم للإمام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ .
- ٩٧ - الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والعطلة ، لابن القيم ، تحقيق د. أحمد عطيه الفامدي ، الجامعة الاسلامية - المدينة ، ط الاولى ، ١٤١٠ هـ .
- ٩٨ - الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط الاولى ، ت بدون .
- ٩٩ - ظلال الجنة في تخرج احاديث السنة ، لمحمد ناصر الدين الالباني ، بهيمل كتاب السنة لابن ابي عاصم ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط الاولى ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٠٠ - العبر في خبر من خبر ، للحافظ الذهبي ، تحقيق : فؤاد سيد ، الناشر التراث العربي ، الكويت ، ط الاولى ، ١٩٦١ م .
- ١٠١ - العبودية ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط الخاصة ، ١٣٩٩ هـ .

- ١٠٢ - علماء نجد خلال ستة قرون ، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، مكتبة
ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ط الاولى ، ١٣٩٨ هـ .
- ١٠٣ - طم الصحة النفسية ، د . مصطفى خليل الشرفاوي ، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر ، بيروت ، ط الاولى ، ١٩٨٣ م .
- ١٠٤ - طم النفس المعاصر ، د . حلمي المليجي ، دار النهضة ، بيروت ، ط
بدون .
- ١٠٥ - الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام ، د . عبدالستار فتح الله
سعيد ، دار الانصار ، القاهرة ، ط الاولى ، ت بدون .
- ١٠٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني
ط السلفية .
- ١٠٧ - فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط بدون ،
ت بدون .
- ١٠٨ - الفتوى الحموية الكبرى ، لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، القاهرة ، ط
الثالثة ، ١٣٩٨ هـ .
- ١٠٩ - فجر الاسلام ، لأحمد أمين ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط الحادية
عشر ، ١٩٧٥ م .
- ١١٠ - الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ، لتقى الدين أحمد بن تيمية
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط بدون ، ١٤٠٢ هـ .
- ١١١ - الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، حققه محمد
محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
- ١١٢ - الفرق الكلامية الاسلامية ، د . علي عبدالفتاح المغربي ، مكتبة وهبية ،
مصر ، ط الاولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ١١٣ - فقه الزكاة ، د . يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الرابعة
١٤٠٠ هـ .
- ١١٤ - فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام ، د . صالح بن عبدالله العبود ،
دار طيبة ، الرياض ط الاولى ، ١٤٠١ هـ .

- ١١٥ - الفوائد ، لابن القيم ، دار النفائس ، بيروت ، ط السابعة ، ١٩٨٦ هـ .
- ١١٦ - فوائد قرآنية ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط الاولى ، ١٣٨٩ هـ .
- ١١٧ - في سبيل موسوعة نفسه ، تغلب على الخوف ، لمجموعة من علماء النفس الغربيين ، عرض وتقديم د . مصطفى غالب ، دار مكتب الهلال ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ط بدون .
- ١١٨ - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ط السابعة ، ١٣٩١ هـ .
- ١١٩ - القاضي ابو علي الفراء وكتابه الاحكام السلطانية ، د . محمد محمد القادر ابو فارس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الاولى ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٢٠ - القتال في الاسلام احكامه وتشريعاته ، محمد بن ناصر الجعوان ، مطابع المدينة ، الرياض ، ط الثانية ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٢١ - قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ترجمة نجيب محمود وآخرين ، الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط الثالثة ، ١٩٦٨ م .
- ١٢٢ - القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مكتبة مطبعة مصطفى الباهي الحلبي ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٣٧١ هـ .
- ١٢٣ - كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي الفاروقي التهانوي ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ط بدون ، ت ، بدون .
- ١٢٤ - كلمة الاخلاص وتحقيق معناها للحافظ ابن رجب الحنبلي ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، ط الخاصة ، ١٣٩٩ هـ .
- ١٢٥ - الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواه الثقات ، لمحمد بن أحمد الكيال ، تحقيق : عبد القيوم عبد رب النبي ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط الاولى ، ١٤٠١ هـ .
- ١٢٦ - لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، (دار صادر ودار بيروت) للطباعة والنشر ، بيروت ، ط بدون ، ١٣٧٥ هـ .

- ١٢٧ - لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الاطلس للطبوعات ، بيروت ، ط الثانية ، ١٣٩٠ هـ .
- ١٢٨ - المؤامرة على الاسلام ، أنور الجندي ، دارالاعتصام ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٩٧٧ م .
- ١٢٩ - مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الاول العقيدة ، والاداب الاسلامية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط الاولى ، بدون .
- ١٣٠ - مجالس شهر رمضان ، محمد بن صالح بن عثمان ، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، ط الثانية ، ١٤٠٦ هـ .
- ١٣١ - المجتمع المسلم ، اهدافه ودعائه ، اوضاعه وخصائصه ، في ضوء الكتاب والسنة ، د . مصطفى عبد الواحد ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، ط الاولى ، ١٣٨٩ هـ .
- ١٣٢ - مجلة البيان ، المنتدى الاسلامي بلندن ، العدد الخاص عشرون ربيع الثاني ، ١٤٠٩ هـ .
- ١٣٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .
- ١٣٤ - مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام احمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر : رئاسة الحرمين الشريفين ، طبع بإدارة الساحة العسكرية ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ .
- ١٣٥ - مجموعة التوحيد ، مجموعة رسائل لنخبة من علماء المسلمين ، ط السلفية .
- ١٣٦ - مختصر منهاج السنة لابن تيمية ، اختصار الشيخ عبد الله الغنيمان ، ط الاولى ، ١٤١٠ هـ .
- ١٣٧ - المخططات المعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ، دار الاصلاح ، الدمام ، ط . الثالثة ، ١٣٩٩ هـ .
- ١٣٨ - مدخل الى الفلسفة ، جون هرمان راندال ، وجسوستاس بوجلر ، ترجمة : طحم قربان ، دارالعلم للطابعين ، بيروت ، ١٩٦٣ م ، ط بدون .

- ١٣٩ - مداح السالكين ، لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط .
الاولى ، ١٩٨٣ م .
- ١٤٠ - المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد محمد أبوشهبه ، دار الكتب الحديثة
للطباعة ، القاهرة ، ط . الثانية ، ١٩٧٣ م .
- ١٤١ - المستدرك على الصحيحين ، للحافظ ابى عبدالله الحاكم النيسابورى ، دار
الفكر ، بيروت ، ط بدون ، ١٣٩٨ هـ .
- ١٤٢ - المسند للإمام أحمد ، تحقيق أحمد شاکر ، دار المعارف ، للطباعة والنشر
القاهرة ، ١٣٦٨ هـ .
- ١٤٣ - المسند للإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ط الاولى ،
١٣٨٩ هـ .
- ١٤٤ - الصحيحة . د . أحمد شلى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط الخاصة ،
١٩٧٧ م .
- ١٤٥ - شارح الانوار على صحاح الآثار ، للقاضى عياض بن موسى السبتي
دار التراث ، ط بدون ، ت بدون .
- ١٤٦ - شاهير طماء نجد وغيرهم ، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ط الثانية ، ١٣٩٤ هـ .
- ١٤٧ - صرع التصوف أوتنبه الغيبى الى تكفير ابن عربى ، لبرهان الدين البقاعى ،
تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية - بيروت ط . الاولى ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٤٨ - معجم الاعلام ، لبسام عبدالوهاب ، الناشر : الجفان والجاهلى
للطباعة والنشر ، قبرص ، ط الاولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٤٩ - المعجم الفلسفى . تأليف : جميل صليبا ، دار الكتاب اللبنانى
بيروت ، ط الاولى ، ١٩٧٩ م .
- ١٥٠ - معجم المؤلفين ، عمر رضاله كحالة ، دار احيا التراث العربى ، بيروت
ط الاولى ، ١٣٧٦ هـ .
- ١٥١ - معجم متن اللغة ، الشيخ أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٧٨ هـ
ط بدون .
- ١٥٢ - معجم المصطلحات النفسية والتربوية ، اعداد : د . محمد مصطفى
زيدان ، دار الشروق ، جدة ، ط الثانية ، ١٤٠٤ هـ .

- ١٥٣ - معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط. العاشرة ،
١٤٠٣ هـ .
- ١٥٤ - المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد ،
تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
- ١٥٥ - فاهيم ينهض أن تصحح ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط الثالثة ،
١٤٠٨ هـ .
- ١٥٦ - مقالات الاسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري ، تصحيح هلموت ريتزر ،
دار احياء التراث العربي ، ط ٣ . ت بدون .
- ١٥٧ - العطل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد
كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ط بدون .
- ١٥٨ - منهج القرآن في الدعوة الى الايمان ، تأليف د . علي بن ناصر فقيهي ،
ط الاولى ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٥٩ - الماتريديه وموقفهم من توحيد الاسماء والصفات ، رسالة ماجستير مقدمة
من الطالب شمس الدين الافغانى لنيل درجة الماجستير من شعبه العقيدة
في قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية .
- ١٦٠ - الموسوعة الثقافية ، د . حسين سعيد ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
القاهرة ، ١٩٧٢ ، ط بدون .
- ١٦١ - الموسوعة الطبية الحديثة ، تأليف نخبة من علماء مجمع " قولدن برس بأمريكا"
ترجمة لجنة تحت اشراف الادارة العامة للثافة بوزارة التعليم العالي بمصر
الناشر مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ١٦٢ - الموسوعة العربية الميسرة ، اشراف محمد شفيق فرمال ، مؤسسة
فرانكلين ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٩٦٥ م .
- ١٦٣ - الموسوعة الفلسفية المختصرة ، يشرف على تحريرها : جى . يورسون ،
ترجمة نخبة من المترجمين ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ١٦٤ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية
للشباب الاسلامي ، الرياض ، ط الثانية ، ١٤٠٩ .

- ١٦٥ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق
على محمد البجاوي ، بيروت ، دار المعرفة ، ط بدون ، ١٣٨٢ هـ .
- ١٦٦ - ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر ، المنعقدة بالبحرين في ٢/٦/١٤٠٥ هـ
الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط الاولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٦٧ - نظم المجتمع الاسلامي مع التطبيق على المجتمع السعودي ، د . عبداللـه
الخرجي ، توزيع رامتان ، جدة ، ط الاولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٦٨ - النفس العظيمة ، سلسلة دراسات اسلامية ، د . عبدالحميد مرسسي
مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط الاولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٦٩ - النفوذ اليهودي في الاجهزة الاعلامية والمؤسسات الدولية ، فؤاد سيد
عبدالرحمن الرفاعي ، دار السياسة ، الكويت ، ط الاولى ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٧٠ - الواهب الصيب من الكلم الطيب ، لابن قيم الجوزية ، ضمن مجموعة الحديث ،
مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ط الخامسة ، ت بدون .
- ١٧١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ،
حقيقه د . احسان عباس ، دار صادر بيروت - ١٣٩٧ هـ - ، ط بدون
- ١٧٢ - اليهودية ، د . أحمد شلبي ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط السابعة ،



الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ
التمهيد	١ - ١٠٥
المبحث الاول : طبيعة الايمان المؤثر	١
المطلب الاول : تعريف الايمان الشرعى	٢
الادلة على أن الايمان يقوم بالقلب	٢
الادلة على أن الايمان يقوم باللسان	٣
الادلة على أن الايمان يكون بالاعمال الصالحة	٥
الادلة على زيادة الايمان ونقصانه	٦
خلاصة تعريف الايمان	٨
ذكر قول السلف فى تعريف الايمان	٨
المطلب الثانى : الاسس التى يقوم عليها الايمان بالله	١٠
الاساس الاول : الكفر بالطافت	١١
الاساس الثانى : الايمان بالغيب	١٦
الاساس الثالث : القيام بمقتضى التكليف	٢٣
الاساس الرابع : الاخلاص لله فى العبادة	٢٦
الاساس الخامس : صدق المتابعة للرسول - صلى الله عليه وسلم -	٢٩
الاساس السادس : العلم	٣٢
المبحث الثانى : الفكر الجاهلى فى مجابهة الايمان	٣٦
المطلب الاول : بيان أن الصراع بين الحق والباطل من سنن الجارية الى يوم القيامة	٣٧
بيان أن الناس كانوا امة واحدة على الايمان ودين الحق	٣٨
بيان ان الاختلاف وقع بعد مجيى البينة والعلم	٣٩
اسباب اختلاف الناس	٤٠
صفات الذين يهدىهم الله عند الاختلاف	٤٣

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٤٥	خلاف ذوى الطباع الشريفة
٤٧	الصراع والقتال ناتج عن الاختلاف
٤٩	تشبه امة محمد - صلى الله عليه وسلم - بالامم السابقة
٤٩	بالاختلاف
٥٠	بعض صفات الطائفة التى تبقى على الحق
٥١	اشكال الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل
٥٣	بيان ان الصراع الفكرى أشد أنواع الصراع خطرا
	المطلب الثانى : الصراع بين الحق والباطل فى عصور الاسلام
٥٤	المتقدمة
٥٤ (ب)	حال الناس قبل البعثة المحمدية وحاجتهم للرسالة
٥٦	اسباب تحول الصراع من سلاح الى فكرى
٥٨	مؤامرة الحاقدين من الفرس واليهود على الاسلام
٦٠	ظهور التشيع والرفض على أيدي ابن سبأ
	أهم الثغرات الموجودة عند المتشيعه والمتصوفه والتسى
٦٠	مكنت الفسدين من التلاعب بهم
٦٤	انتشار فرق الشيعة والباطنيه فى البلاد
٦٤	توجه الحاقدين الى التصوف بعد التشيع
٦٥	أهم الثغرات الموجودة لدى المتصوفه
٦٧	الاشارة الى صادر التصوف
	ظهور فكرة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود والاديان من
٦٩	أوكار الصوفية
٧٠	بعض اساليب اعداء الاسلام فى محاربة الاسلام
	ظهور فرق المتكلمين والفلاسفة نتجة لكيد الحاقدين
٧٣	وترجمة كتب الفلسفة
	أهم الطوائف التى هدم بها أهل التأويل الباطل معاق
٧٥	الدين
٧٥	أهم اسباب انتشار الفرق الضالة وكثرة اتباعها

رقم الصفحة

الموضوع

٧٦	استحكام الجهل والانحراف في المجتمعات وبعض مظاهره وان ذلك هو السبب في تمكن الصليبيين من استعمار البلاد الاسلامية في العصر الحديث
٧٨	المطلب الثالث : الغزو الفكري للامة الاسلامية في العصر ----- الحديث
٧٨	أوجه الاختلاف بين الغزو الفكري الحديث والصراع الفكري القديم
٧٩	فهوم الغزو الفكري
٧٩	مراحل الغزو الفكري الحديث
٨١	توجهات " لوم التاسع " بداية التخطيط للحرب الفكرية الحديثة
٨٣ (ب)	الحرب الفكرية اخطر من الحرب العسكرية
٨٤	تخطيط الاعداء لمنع المسلمين من العودة الى الفهم الصحيح للايمان
٨٥	حيله المنهج العقلي المتجرد
٨٧	تلخيص لاهم اساليب الغزو الفكري الصليبي لحرب الاسلام اتفاق الصالح الصليبي واليهودية وأثره على الحـرب الفكرية
٩٢	أهم المخططات اليهودية الصهيونية ضد الاديان عامسة والاسلام خاصة
٩٥	اساليب اليهود في تنفيذ مخططاتهم الحديثة
٩٧	العوامل التي ساعدت على نجاح الغزو الفكري الحديث ..
١٠٠	آثار الغزو الفكري الحديث في العالم الاسلامي
١٠٣	أن الأمل في مجابهة الغزو الفكري الحديث يكون بالعودة الى الايمان الصحيح والعمل لنصرته
١٠٣	البشائر برجوع الناس الى , الايمان
١٠٤	اهم النتائج المستخلصة من استعراض الصراع الفكري فـى القديم والحديث

١٨٠-١٠٦	<u>الباب الاول : الايمان سبب لتحصيل ولاية الله</u>
١٠٧	الفصل الأول : صفات المستحقين لولاية الله
١٠٩	المبحث الاول : مراتب الايمان
١١٠	المطلب الاول : بيان أصل الايمان
١١٣	المطلب الثاني : مرتبة الظالم لنفسه
١١٨	المطلب الثالث : المقتصد
١٢٧	المطلب الرابع : السابق بالخيرات
١٣٨	المبحث الثاني : أهل ولاية الله
١٤١	المبحث الثالث : العناية بأهم سبب لحصول الولاية
١٤٢	التوحيد هو الاساس لتحصيل ولاية الله
١٤٣	التزام الحنيفيه القائمة على التوحيد والبراءة من الشرك هي السبب الرئيسي في ولاية الله ليوسف عليه السلام
١٤٩	التوحيد واعتزال الشرك وأهله هو السبب في ولاية الله لقتيلان الكهف
١٥٠	التوحيد ومجانبه الشرك هو الشرط الأهم لولاية الله للجماعة الصلوة
١٥١	حديث " احفظ الله يحفظك " يدل على ان التوحيد أساس هام في ولاية الله وحفظه لعبده
١٤٩	الاعمال الصالحة الخالصة هي السبب في ولاية الله لاصحاب الغار وقبول دعوتهم
١٥٦	التوحيد هو المحور الذي تدور عليه تعاليم القرآن والسنة ودعوة وسيرة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -
١٥٧	الشرك سبب الخذلان
١٥٧	مثال لسقوط الشرك من ولاية الله
١٥٨	الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة لا تثمر الا اذا كانت خالصة ..

رقم الصفحة -----	الموضوع -----
	الفصل الثاني : اثر ولاية الله فى تخليص المؤمنين وتحصينهم من
١٦٠ الافكار الهداة
	المبحث الاول : مظاهر ولاية الله لعبده المؤمن فى مجال
١٦١ تحصينه من الفكر الجاهلى
١٦١ المطلب الاول : اخراجه من الظلمات الى النور
١٦٩ المطلب الثانى : تثبيت المؤمن عند الشدائد
١٧٠ المطلب الثالث : الحيلولة بينه وبين ما قد يقوم فى قلبه من الارادات السيئة
١٧١ المطلب الرابع : مظاهر الولاية الكاطبة للكامل من عباد الله
١٧٤ المبحث الثانى : مظاهر ولاية الله للجماعة المؤمنة خلاصة اثر ولاية الله فى حماية الجماعة المؤمنة من الفكر الهدام
٣٧٦-١٨١	الباب الثانى : اثر الايمان فى تحصين القلب ضد الافكار الهدامة
	الفصل الثانى : وظائف القلب واحواله
١٨٣ المبحث الاول : الوظائف القائمة بالقلب
١٨٤ المطلب الاول : وظيفه التعقل
١٩٢ المطلب الثانى : الاعتقادات
١٩٤ المطلب الثالث : الارادات
١٩٥ المطلب الرابع : العواطف
١٩٩ المطلب الخامس : الانفعالات
٢٠٢ المبحث الثانى : العلاقة بين الوظائف القلبية
٢٠٢ المؤثرات على الارادة
٢٠٤ الوظائف القلبية يؤثر بعضها فى بعض
٢٠٥ العلوم الواردة الى القلب هى المؤثر الاهم على وظائفه
٢٠٧ تأثير العواطف والعقائد على الانفعالات
٢٠٨ تأثير العواطف المستحكمة على التعقل

- المبحث الثالث : احوال القلوب ٢١١
- الحال الاولى : حال القلب السليم ٢١١
- الحال الثانية : حال القلب الميت ٢١٣
- الحال الثالثة : حال القلب المريض ٢١٧
- القلب الذى يجرى البحث فى أثر الايمان عليه هو القلب الحى السليم ٢٢١
- المبحث الرابع : أثر الايمان دائريين التطهير والتركية ٢٢٢
- الفصل الثانى : أثر الايمان فى تطهير القلوب ٢٢٦
- المبحث الاول : أثر الايمان فى تطهير القلوب من العقائد الباطلة والظنون السيئة ٢٢٧
- أثر معرفة توحيد الاسماء والصفات فى ذلك ٢٢٨
- الجهل والضلال بمدلول اسماء الله يوجب سوء الظن بالله ٢٣١
- الانحراف عن التوحيد ناتج عن سوء الظن بالله ٢٣٣
- حاجة الناس لبيان توحيد الاسماء والصفات لتطهير قلوبهم ٢٣٥
- المبحث الثانى : أثر الايمان فى تطهير القلب من الران ودرن المعاصى ٢٤٠
- بعض اضرار المعاصى ٢٤٠
- تكفير الذنوب بالاعمال الصالحة مطهر لها من الران ٢٤٤
- التوحيد اعظم اسباب تكفير الذنوب ٢٤٤
- ذكر بعض مكفرات الذنوب الاخرى ٢٤٦
- المبحث الثالث : أثر الايمان فى تطهير القلب من العقائد الفاسدة ٢٥٠
- المطلب الاول : أثر الايمان فى تطهير القلب من محبة غير الله ٢٥١
- المطلب الثانى : أثر الايمان فى تطهير القلب من حب الشهوات المحرمة ٢٥٤

	العواطف الفاسدة المستحكمة في القلب ثغرة في حصن
٢٥٧	القلب
٢٦٢	ضرر الفواش على القلوب
٢٦٨	أثر الايمان في تطهير القلب من الشح والحرص على المال
٢٦٨	- أثر توحيد الاسماء والصفات في ذلك
٢٦٩	- أثر التوكل في ذلك
٢٧٠	- أثر الايمان بالقدر في ذلك
٢٧١	- أثر شعب الايمان الأخرى كالصلاة والزكاة في ذلك
٢٧٦	أثر الايمان في تطهير القلب من محبة الفاحشة
٢٧٧	- أثر معرفة الله ومحبه في ذلك
٢٧٨	- معرفه الله باسماء وصفاته بائسة على محبه والاخلاص له
٢٧٩	- اثر الصلاة في تخليص القلب من حب الفاحشة
٢٨٠	- اسباب صلاح قلوب النساء وسلامتهن من محبة الفاحشة
٢٨١	- محبة الفواش ناتجة عن اضاءة الصلاة
٢٨٢	- الصلاة مشتطة على معان وافعال عظيمة
٢٨٣	أثر ذكر الله في تحصين القلب من الشياطين
٢٨٤	أثر الصيام في تخليص القلب من الميل للفواش
٢٨٨	المطلب الثالث : أثر الايمان في تحصين القلب من الحقد والحسد
٢٨٨	الحقد والحسد ثغرتان في حصن القلب ومنفذان للفكر الخبيث
٢٩٢	الايمان مخلص للقلب من الحقد والحسد
٢٩٣	أثر شعب الايمان عامة في ذلك
٢٩٣	أثر الزكاة خاصة في ذلك
٢٩٥	أثر تحريم الربا في ذلك
٢٩٦	بعض الاسباب المشروعه لتعاون المجتمع وتكافله
٣٠٠	أثر افشاء السلام في حصول المحبة وزوال الحقد

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣٠٢	الفصل الثالث : أثر الايمان فى تزكية القلوب
٣٠٥	المبحث الاول : أثر الايمان فى طمأنينة القلب
٣٠٥	القلق شغرة فى القلب تتسلل منها افكار الجاهلية
٣٠٦	النوع الاول من انواع القلق : القلق الناتج عن الشوق للمعرفة
٣١٠	النوع الثانى : القلق الناتج عن مخالفة الفطرة بالعصيان
٣١٥	الطمأنينة حصن للقلب ضد الفكر الهدام
٣١٦	سبب طمأنينة القلب
٣٢٠	الايمان . . والطمأنينة
٣٢٣	- أثر معرفة الله باسماء وصفاته وافعاله فى طمأنينه القلب
٣٣٠	- أثر معرفة العبد والغاية والمصير فى طمأنينه القلب
٣٣٥	- أثر توحيد الألوهية فى طمأنينة القلب
٣٤٠	- أثر التوكل على الله فى طمأنينة القلب
٣٤٣	- أثر ضعف التوكل على الله فى الجنح الى الفكر الهدام
٣٤٧	- أثر زكاة القلب بالعلم والايمان بالقدر فى طمأنينته
٣٦١	المبحث الثانى : أثر تزكية القلب فى حصول النور والفرقان
٣٦٢	النور والفرقان فى القلب حصن يحتوى به المسلم من الفكر الهدام
٣٦٤	النور فى القلب ناتج عن العلم السستقى من الكتاب والسنة
٣٦٦	نور الايمان بجانب نور العلم يساهم فى تحصين القلب
٣٧١	القلب العامر بالعلم والايمان يجد طعم الايمان ويتذوق ما يلائمه
٣٧٤	أهم الضوابط للجوء لذوق القلب واحساسه

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
الباب الثالث : أثر الايمان في تحصين المجتمع المسلم	
----- ضد الفكر الهدام	٣٧٨ - ٤٧٦
أهم الاسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم	٣٧٩
الفصل الاول : أثر الرابطة الايمانية والاخلاق والنظم الاسلامية	
في صيانة المجتمع المسلم من الانحراف الفكرى .	٣٨٢
العوامل التي تؤدى الى قوة الجبهة الداخلية	٣٨٢
البحث الاول : أثر المحافظة على الرابطة الايمانية فى الحصانة	
الفكرية	٣٨٣
أهم العوامل التي تنمى الرابطة الايمانية	٣٩٠
المطلب الاول : أثر الالتزام بالاخلاق الفاضلة فى تقوية الرابطة	
الايمانية	٣٩١
المطلب الثانى : أثر قيام افراد المجتمع بالحقوق المفروضة لبعضهم	
على بعض فى قوة الرابطة الايمانية	٣٩٤
المطلب الثالث : الالتزام بالنظام الاجتماعى والاقتصادى الاسلامى	
وأثره فى قوة الرابطة الايمانية	٣٩٧
- نظام الجزاء والعقاب وأثره فى حماية المجتمع من الشرور عامة	
والفكرة خاصة	٤٠٠
- النظام الاقتصادى وأثره فى قوة الرابطة الايمانية ، وقوة	
الجبهة الداخلية والحصانة الفكرية	٤٠٦
المطلب الرابع : المحافظة على الوحدة الفكرية	٤١٠
المراد بالفكر ، والفكر الاسلامى	٤١٠
المراد بالوحدة الفكرية	٤١٣
أثر الوحدة الفكرية فى قوة الرابطة الايمانية	٤١٣
السهيل الى المحافظة على الوحدة الفكرية	٤١٥
الاتجاه الاول : التطهير	٤١٥
طهارة المجتمع من الفكر الجاهلى تتم بثلاث خطوات	٤٢١

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٤٢٥	الاتجاه الثانى : التزكية
٤٢٦	أهم عوامل تزكية المجتمع
٤٢٩	البحث الثانى : العمل على سلامة مقومات المجتمع المسلم . . .
	المطلب الاول : أهمية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وواجب
٤٣٠	اجتماعى
	المطلب الثانى : أثر القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٣٦	فى تحصين المجتمع من الافكار الهدامة .
	الفصل الثانى : دور ولاية الامر فى حماية المجتمع من الافكار
٤٤٠	الهدامة
٤٤٢	البحث الاول : ضوابط الامامة المؤثرة فى حضانة المجتمع
٤٤٢	أولا : العلم
٤٤٤	ثانيا - استعمال الاصلح
٤٥٣	ثالثا - المشاورة
٤٥٨	البحث الثانى : وظائف الامامة ومقاصد الحكم
	حراسة الدين والدفاع عنه وأثره فى حماية
٤٥٩	المجتمع من الفكر الخبيث وسائر الشرور . . .
	أنواع العقوبات التى ينهى انزالها على
٤٦٣	أهل البدع وناشري الفكر الهدام
	الفصل الثالث : أثر وضع الدولة المتكمن فى الارض فى تحصين
٤٦٦	المجتمع ضد الافكار الهدامة
	أثر الجهاد فى عزة الامة وتمكينها ، و تحصين
٤٦٨	المجتمعات ضد الافكار الخبيثة
	اقوال بعض العلماء فى أهمية الجهاد فى
	تحصين المجتمع المسلم ضد الشرور عامة والفكرية
٤٧٤	خاصة
٤٧٧	الخاتمة

٤٩٥	فهرس الآيات القرآنية
٥١٨	فهرس الاحاديث النبوية
٥٢١	فهرس تراجم الامملا
٥٢٤	المصادر والمراجع
٥٣٨	فهرس المحتويات